



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

أسباب النزول
تفسير أمومة الولاية والمحكمات
للقرآن الكريم

الولاية لعناب القرآن عليها تستدير محكماته

الجزء الثالث

بحوث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند رحمته

تأليف الشيخ محسن الجصاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير امومه الولايه و المحكمات للقرآن الكريم ، الولايه قطب القرآن عليها تستدير محكماته

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

موسسه الامام الصادق (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٧	تفسیر امومه الولایه و المحکّمات للقرآن الکریم ، الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکّماته المجلد ٣
٧	اشاره
٧	اشاره
١٠	هویه الکتاب
١١	القاعده الثامنه: أسباب النزول قاعده تفسیره أم قاعده معرفیه ولائیة ؟
١١	الفهرس الإجمالی لقاعده:
٢٥	أسباب النزول بمتابه القرینة اللفظیه المقامیه والحال أنها مؤثر فی الظهور
٣٩	تنبیهان
٤٩	الوجه البلاغیه لاستعمال کل کلمه بنحو مستقل فی الآیه الواحده
٥٣	الترتیب داخل الآیه الواحده
٥٥	لیس المراد من ترتیب السور ترتیبها حسب ما أنزل
٦٣	التأریخ وطمس وتحریف الوقائع
٧٣	تصویر المشهد الثالث من معرکه أحد فی روايات أهل البیت علیهم السلام
٨٥	تنقیح حقائق تاریخ الإسلام والسیره النبویه فی الوقوف علی حقیقه الالین
٩٠	لماذا تُعَيَّبُ أسباب النزول
٩٣	کیف نقرأ السیره النبویه والولویه والتأریخ بالقراءه الصحیحه
٩٧	ارتباط قاعده أسباب النزول بقاعده ترتیب آیات القرآن الکریم
٩٧	فی السوره الواحده فضلاً عن سائر سوره
١٠١	التأریخ یحتاج إلى آلات متعددده لتمحیصه
١٠٣	نظریه الشوری وارتباطها بغزوه أحد
١١٧	أمثله وشواهد قرآنیة علی دحض نماذج من أسباب النزول الملققه
١٣٣	محکّمات القرآن والسنة والعقل والوجدان
١٤٧	أسباب النصر لا تقتصر علی الجانب المادی بل المعنوی والروحی

١٥١	الميزان والمدار في نجاح الخطاب القرآني
١٩٣	قاعده الشورى قاعده فقهيه وسياسيه وعقائديه
٢٩٧	تحريف أسماء سور القرآن
٣٤٥	أسباب النزول والتنزيل والتأويل
٣٧٧	نزول القرآن جملة ونجوما لا ينحصر بعملية وحقيقه الأنبياء والنبوه، بل ولها حقيقه الحاكميه والولايه مستمره إلى يوم القيامه
٣٩٥	القرآن الكريم نظام تكويني حقائقى لإداره شؤون الموجودات
٤٠٥	القاعده التاسعه: قابليه ظهور الكلام الواحد للتعدد و التكثر تاويل كل شىء نهايته و ما يوول اليه طبقات المعنى التاويلى كلها تندرج فى الظهور
٤٤٥	فهرس الموضوعات
٤٤٧	تعريف مركز

تفسیر امومه الولایه و المحکّمات للقرآن الکریم ، الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکّماته المجلد ۳

اشاره

سرشناسه: جصانی، محسن

عنوان و نام پدیدآور: تفسیر امومه الولایه و المحکّمات للقرآن الکریم [کتاب]: الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکّماته / تالیف محسن الجصانی؛ [محقق و مقدمه نویس] بحوث سماحه محمد السند.

مشخصات نشر: تهران: موسسه الصادق الطباعه والنشر، ۱۳۹۲.

فروست: الموسوعه التفسیریة؛ ۱

شابک: ۹۷۸-۹۶۴-۵۶۰۴-۹۷-۲

یادداشت: عربی.

موضوع: تفسیر -- فن

موضوع: قرآن -- علوم قرآنی

شناسه افزوده: عابدینی، حسین، ۱۳۴۹ - ، مقدمه نویس

رده بندی کنگره: BP۹۱/۵/ج۶ت ۷ ۱۳۹۲

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۵۱

شماره کتابشناسی ملی: ۳۳۵۷۱۲۷

ص: ۱

اشاره

تفسير امومه الولايه والمحكمات للقرآن الڪريم ، الولايه قطب القرآن عليها تستدير محكماته

تاليف محسن الجصانى

محقق و مقدمه نويس بحوث سماحه محمد السند

ص: ٣

هويه الكتاب

عنوان الكتاب: تفسير أمومه الولاية والمحكمات للقرآن الكريم

الجزء الثالث

لسماحه المرجع الدينى الشيخ محمد السند دام ظله

المؤلف الشيخ محسن الجصانى

الطبعه الأولى لسنة ٢٠١٠

عدد الصفحات ٤٤٠ صفحه

الإخراج الفنى السيد عبدالله الهاشمى

حقوق الطبع محفوظه

ص:٤

القاعده الثامنه: أسباب النزول قاعده تفسيريه أم قاعده معرفيه ولائيه ؟

الفهرس الإجمالي لقاعده:

أسباب التُّزول:

- * البُعد التاريخي في أسباب النزول وأصل توثيقه.
- * أهميه قاعده أسباب النزول
- * مميزات قاعده أسباب النزول.
- * تنبيهان.
- * ارتباط قاعده أسباب النزول بترتيب القرآن آياتاً وسوراً.
- * الوجود البلاغيه لاستعمال كل كلمه بنحو مستقل في الآيه الواحده.
- * برهان على عدم التعويل على وحده سياق الآيه الواحده فضلاً عن وحده السياق في الآيات في السوره الواحده.
- * التأريخ وطمس وتحريف الوقائع وتأثيره في معرفه أسباب النزول وتفسير القرآن.
- * أسباب النزول وخطوره التنقيب عن الحقائق المطموسه في السيره.
- * لماذا تُعَيَّب أسباب النزول.
- * لا يختص منهج أسباب النزول بآيات القرآن وسوره فحسب.

* نظريه الشورى وارتباطها بغزوه أحد.

* الأسباب المزعومه لفشل المسلمين في معركة أحد.

* يجب اعتماد مصادر أهل البيت عليهم السلام في أسباب النزول.

* مُحكمات القرآن والسنة العقل والوجدان يُعرض عَلَيْهَا متشابهات القرآن والسنة والعقل والوجدان.

* مؤامره اغتيال حمزه بن عبدالمطلب في معركة أحد.

* أسباب النصر لا تعتمد عَلَى الجانب المادى، بَلْ والمعنوى وَالرُّوحى.

* امتحان القلب وما في الصدور هُوَ أعظم الامتحانات الإلهيه.

* قَاعِدِه قَاعِدِه الشورى قَاعِدِه فقهيه وسياسيه وعقائديه.

* فلسفه تشريع الجهاد الابتدائى.

* لَيْسَ كُلَّ ملفات الحدث الأرضى حسيّه.

* فلسفه الجهاد لَيْسَ الإِرْغَام عَلَى العقيدهِ الفرديه أو الباطنه أو قتل الأسرى.

* شعار مدرسه أهل البيت عليهم السلام لا للقتل وسفك الدماء، نعم للحوار والعيش بأمان.

* الحافظ لسنه النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسيرته نصره ورعايه لا يمكن إِلَّا للوصى.

* ما هِيَ فوائد وأسرار آثار نتائج أسباب النزول.

* تشريعات وولايه وحاكميه الله عَلَى درجات.

* إِنَّ حقيقه وحقائق القرآن جُلِّها مرتبط ببعده الولايه فِي النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله بخلاف التنزيل فَإِنَّ مشتمل عَلَى البعدين.

القاعده الثامنه: أسباب النزول قاعده تفسيريه أم قاعده معرفيه ولائيه؟

للتنزيل حقيقتان:

حقيقه كونه: نبوه وأنباء.

وحقيقه: حاكميه وولايه.

إِنَّ تَنْزِيلَ الْقُرْآنِ لَا يَتِمُّ بِالنَّبُوهِ وَالْأَنْبَاءِ فَقَطَّ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ حَاكِمِيهِ وَوَلَايِهِ.

التنزيل للقرآن لا يتيم إلا بالولايه لا بانفراد النبوه.

البحث في هذه القاعده يقع في عدّه جهات: -

الجهه الأولى: التبعد التاريخي في أسباب

النزول وأصل توثيقه:

إِنَّ التَّبْعَدَ التَّارِيخِيَّ فِي سَبَابِ النَّزُولِ وَأَصْلَ تَوْثِيْقِهِ وَعَدَمَ أَخْذِهَا إِرْسَالِ الْمُسْلِمَاتِ مِنْ دُونِ تَمْحِيصِ وَتَحْقِيقِ رَوَايَاتِ سَبَابِ النَّزُولِ يُشَكِّلُ عَامِلًا مُهِمًّا

ص:٧

فِي اسْتَظْهَارِ الْمَفَادِ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوَّلًا، وَمِنْ الدَّلَالَةِ فِي الْقُرْآنِ ثَانِيًا.

وَقَبْلَ الْخَوْضِ فِي بَيَانِ الْبُعْدِ التَّارِيخِيِّ لِقَاعِدِهِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَمَا لِأَهْمِيَّتِهِ مِنْخَطْرَهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَعَلَى اسْتَظْهَارِ الْقُرْآنِ حَتَّى فِي آيَاتِ الْأَحْكَامِ فِي فِقْهِ فِرْعَوِ الدِّينِ، نَذَرَ مُقَدِّمَهُ نَتَكَلَّمُ فِيهَا عَنْ أَهْمِيَّةِ قَاعِدِهِ أَسْبَابِ النُّزُولِ.

أَهْمِيَّةِ قَاعِدِهِ أَسْبَابِ النُّزُولِ:

إِنَّ قَاعِدَهُ أَسْبَابِ النُّزُولِ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُهَمَّةِ وَالْخَطِيرَةِ ذَاتِ مَسَائِلٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَمُتَشَعِّبَةٍ بِتَشَعُّبَاتٍ كَثِيرَةٍ تُضْفِي بِظِلَالِهَا الْأَكِيدَ عَلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَعَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ هُوَ الْمَصْدَرُ الْأَوَّلُ فِي الْمَعْرِفَةِ الدِّينِيَّةِ فِي الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَنَّهَا مِنْ أَوَائِلِ مَا دُوِّنَ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ «سَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُ بَلِيلَ نَزَلَتْ أَوْ نَهَارَ أَمٍ فِي سَهْلِ أَمِ جَبَلٍ» (١).

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ: «سَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُ بَلِيلَ نَزَلَتْ أَمِ بِنَهَارِ أَمٍ فِي سَهْلِ أَمٍ فِي جَبَلٍ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «وَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيْمَ نَزَلَتْ وَأَيْنَ نَزَلَتْ وَعَلَى مَنْ نَزَلَتْ، إِنَّ رَبِّي وَهَبَ لِي

ص: ٨

١- (١) طرائف في معرفه مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس: ص ١٨٩ باب علم على عليه السلام.

وَعَنْ ابْنِ خَالِدِ الْوَاسِطِيِّ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا دَخَلَ رَأْسِي نَوْمًا وَلَا غَمُضَ عَلَيَّ عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى عَلِمْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَا نَزَلَ بِهِ جِبْرَائِيلُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ أَوْ سُنَّةٍ، أَوْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ وَفِيمَا نَزَلَتْ وَفِيمَنْ نَزَلَ» (٢).

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَبْعَثُ فِيْنَا مَنْ يَعْلَمُ كِتَابَهُ مِنْ أَوْلَادِهِ إِلَى آخِرِهِ» (٣).

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّ مِنْ عِلْمٍ مَا أَوْتَيْنَا تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ وَأَحْكَامَهُ لَوْ وَجَدْنَا أَوْعِيَهُ أَوْ مُسْتَرَحًا لَفَلْنَا وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ» (٤).

وَفِي كِتَابِ بَشَارَةِ الْمُصْطَفِيِّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نَابَتَةَ، قَالَ: لَمَّا بُويعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْخِلَافَةِ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ وَتَأْوِيلِهِ مِنْ كُلِّ مُدَّعٍ عِلْمَهُ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ آيَةٍ لِأَخْبَرْتُمْ بَوَاقِ نَزُولِهَا وَفِيمَ نَزَلَتْ» الْخَبْرُ (٥).

ص: ٩

١- (١) الصواعق المحرقة، ابن حجر العسقلاني: ص ١٢٥-١٢٦؛ بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ج ٤٠، ص ١٧٩.

٢- (٢) بصائر الدرجات: ص ١٩٤ ب ٨ ح ١.

٣- (٣) تفسير الثبرهان، هاشم البحراني، المقدمة: ص ٢٧.

٤- (٤) المصدر السابق: ص ٢٧.

٥- (٥) المصدر السابق: ص ٢٧-٢٨.

وفى البصائر عَن الْأَصْبَغِ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْ كَسَّرْتُ لِي الْوَسَادَةَ لَقَضَيْتُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَةِ بِتَوَارِثِهِمْ وَأَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ وَأَهْلِ الزَّبُورِ بِزُبُورِهِمْ وَأَهْلِ الْفُرْقَانِ بِفُرْقَانِهِمْ بِقَضَاءِ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ يَزْهَرُ، وَاللَّهُ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَنْ نَزَلَتْ، وَلَا أَحَدٌ مِمَّنْ عَلَيَّ رَأْسُهُ الْمَوَاسِي مِنْ قَرِيْشٍ إِلَّا وَقَدْ نَزَلَتْ فِيهِ آيَةٌ وَآيَتَانِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَسُوْقُهُ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ» الْخَيْرُ (١) وَالْمَوَاسِي جَمْعُ مُوسَى وَهُوَ مَا يَحْلُقُ بِهِ الرَّأْسُ.

إِنَّ مَفَادَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَغَيْرِهَا تُبَيِّنُ مَا يَلِي:

(١) أَهْمِيَّةُ قَاعِدِهِ أَسْبَابِ النُّزُولِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَدَوْرَهَا الْخَطِيرِ فِي اسْتِحْصَالِ ظَهْوَرِ الْآيَاتِ.

(٢) إِنَّهُ يَجِبُ اسْتِقْوَاءُ أَسْبَابِ النُّزُولِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(٣) إِنَّ غَيْرَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا يَحِيطُونَ عِلْمًا بِأَسْبَابِ النُّزُولِ لِأَسْبَابِ عَدِيدَةٍ وَكَثِيرَةٍ، إِمَّا تَرْتَبُطُ بِعَظْمَةِ الْوَحْيِ وَغَمُوضِهِ وَتَرْجَمَانِهِ، وَإِمَّا تَرْتَبُطُ بِعَدَمِ مَوَاقِبِهِ وَمَلَاذِمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِمَّا بِسَبَبِ دَوَاعِي التَّعْتِيمِ وَالطَّمْسِ وَحَرْفِ الْحَقَائِقِ، أَوْ لِعَدَمِ قُدْرَةِ الْبَشَرِ الْإِحَاطَةِ بِالْمَوْضُوعَاتِ وَالْمَوَارِدِ الَّتِي هِيَ مَوْرِدُ نَزُولِ الْآيَاتِ، وَهَذَا مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ

ص: ١٠

لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) ١ .

فَالآيَةُ الْمِيَّارُ كَمَا تَبَيَّنَ أَنَّ الْإِحَاطَةَ بِالْمَوْضُوعَاتِ مُتَعَذِّرٌ، يَلِمْ مُمْتَنِعٌ عَلَى غَيْرِ الْمَعْصُومِ وَأَوْصِيَاؤِهِ أَوْلَى الْأَمْرِ، وَأَنَّ الْإِلْتِبَاسَ فِي الْمَوْضُوعَاتِ شَدِيدٌ جَدًّا، وَمِنْهُ تَكُونُ مَنَافِذُ تَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ.

وَمِثَالُ ذَلِكَ مُرَدِّ نَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) ٢ .

فَقَدْ أَشَارَتِ الرَّوَايَاتُ وَأَسْبَابُ النُّزُولِ إِلَى أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ رَغِمَ مَحَبَّتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِخْلَاصُهُ لَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَوْلَ زَوْجَتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَكَذَلِكَ اشْتَبَهَ الْحَالُ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ بَقِيَ الْإِلْتِبَاسُ عَلَيْهِمَا إِلَى أَنْ تُوفِيَ، بَيْنَمَا يُوَضِّحُ الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ الْإِلْتِبَاسَ، فَالْحَظُّ مُجْمَعٌ الرَّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي خُصُوصِ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَذِيْلِ هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ، قَالَ حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْمَأْمُونِ، وَعِنْدَهُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَلَيْسَ مِنْ قَوْلِكَ «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ» قَالَ: «بَلَى» فَسَأَلَهُ الْمَأْمُونُ عَنْ آيَاتٍ فِي

الأنبياء... الى أن قال المؤمن: فاخبرني عن قول الله تعالى (وَ إِذِ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) قال الرضا عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في أمر أراده، فرأى امرأته تغتسل، فقال لها: سبحان الله الذي خلقك، وإنما أراد بذلك تنزيه الله تعالى عن قول من زعم أن الملائكة بنات الله تعالى (أَفَأَصْبِحُوا بِكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا) ثم أن زيد ابن حارثة طلقها، واعتدت منه فزوجها الله تعالى من نبيه مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وأنزل بذلك قرآناً، فقال عزَّ وَجَلَّ: (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا...) ثم علم الله عزَّ وَجَلَّ أن المنافقين سيعيبونه بتزويجها، فأنزل الله تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرَضَ اللَّهُ لَهُ)».

فَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ: لَقَدْ شَفِيتَ صَدْرِي - يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ - وَأَوْضَحْتَ لِي مَا كَانَ مُلْتَبَسًا عَلَيَّ، فَجَزَاكَ اللَّهُ تَعَالَى عَنَ أَنْبِيَائِهِ وَعَنَ الْإِسْلَامَ خَيْرًا(١).

وهكذا في رد الإمام الرضا عليه السلام على بن مُحَمَّد بن الجهم حينما قال للإمام عليه السلام: يا بن رسول الله أتقول بعصمه الأنبياء؟ قال عليه السلام: «نعم» قال فما تقول في قول الله عزَّ وَجَلَّ (وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) وفي قوله عزَّ وَجَلَّ (وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا) وفي قوله تعالى (وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ

ص: ١٢

١- (١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٨٠، ح ١، عنه البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: مج ٦ ص ٢٨٨-٢٨٩ ح ٢.

وَهُمْ بِهَا) فَقَالَ الرضا عليه السلام: «ويحك يا على اتق الله ولا تنسب إلى الأنبياء الفواحش ولا تتأول كتاب الله برأيك، فإن الله تعالى يقول: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)» وذكر عليه السلام الجواب عن الآيات إلى أن قال: «وأما مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وقول الله تعالى (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَرَفَ نَبِيَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَسْمَاءَ أَزْوَاجِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَأَسْمَاءَ أَزْوَاجِهِ فِي دَارِ الْآخِرَةِ وَأَنْهَنَ أُمَهَاتَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِحْدَاهُنَّ مَنْ تَسَمَّى لَهُ: زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَهِيَ يُؤْمِنُ تَحْتَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَأَخْفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اسْمَهَا فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهِ كَيْ لَا يَقُولَ أَحَدُ الْمَنَافِقِينَ إِنَّهُ قَالَ فِي امْرَأَةٍ فِي بَيْتِ رَجُلٍ إِنَّهَا إِحْدَى أَزْوَاجِهِ مِنْ أُمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ... وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَوَلَّى تَزْوِيجَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا تَزْوِيجَ حَوَاءٍ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَزَيْنَبٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِقَوْلِهِ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا الْآيَةَ، وَفَاطِمَةَ مِنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ» قَالَ فَبَكَى عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ، وَقَالَ: يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ أَنْطَقَ فِي أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا إِلَّا بِمَا ذَكَرْتَهُ (١).

فضلاً عما سطره مفسرو العامه وكتب السير من قصص وأساطير.

ص: ١٣

١- (١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٧٠ ح ١ عنه البرهان في تفسير القرآن للبحراني: مج ٦ ص ٢٨٧-٢٨٨.

وتندرج هَـذِهِ الْقَاعِدَةُ فى نظام الاستعمال اللفظى للآيات والسور، والذى تَقَدَّمَ بحث سبعة قواعد مُهَمَّة قبلها؛ لأنها بمثابة قرينه لفظيه ومقاليه، وأنَّ حقيقتها قرينه مقاميه وقرينه حالته، وبالتالي تُعَيِّدُ هَـذِهِ الْقَرِينَةُ جزء الكلام، فمثلما هُنَاكَ تَحَفُّظٌ وتشدد على تواتر ألفاظ القرآن الكريم كَذَلِكَ الحال وبنفس المستوى فى أسباب النزول؛ لِأَنَّ أسباب النزول تعطى طابعاً لظهور الآيات ودلالاتها سواء فى آيات العقائد أو فقه الفروع، وَعَلَيْهِ فمثلما اللفظ القرآنى عظيم ومقدس، كَذَلِكَ أسباب النزول فَإِنَّهَا بمثابة قرينه لفظيه - كما مرَّ - مؤثره فى ظهور الآيات، وَعَلَيْهِ لا يمكن التغاضى والتهاون فى قَاعِدِهِ أسباب النزول وأخذها واغترافها مِنْ كُلِّ ما هَبَّ وَدَبَّ مِنَ المصادر، وكيف ما اتَّفَق! وبالتالي فيجب الثبوت الشديد والتحفُّظ الأكد على كيفية استقاء أسباب النزول مِنْ منهلها الوحيانى، وَهُوَ منهج مدرسه أهل البيت عليهم السلام؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ خَطِيرٌ مدلهم، ولذا فَإِنَّ الغفلة والتسامح والتهاون - لا سامح الله - فى توثيق أسباب النزول سوف يَكُونُ منشأ لانحرافات خطيره فى فَهْمِ الْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ كَمَا هُوَ معلوم المصدر الأوَّل فى معارف علوم الدِّين فإذا قُدرَ - أَنْ يَكُونُ فَهْمُ الْقُرْآنِ يتكى على منشأ مغلوط أو مُحَرَّف أو مدسوس - والعياذ بالله - فَإِنَّ النتيجة سوف تكون مقلوبه ومعكوسه.

علماً أَنَّ بحث هَـذِهِ الْقَاعِدَةِ أمرٌ لا يمكن التهاون والتسامح به فَهُوَ

لَيْسَ أَمْرًا فَنِيًّا وَتَرْفًا فِكْرِيًّا، بَلْ هُوَ أَمْرٌ حَقِيقِيٌّ عِلْمِيٌّ مُؤَثِّرٌ عَلَى التَّفْسِيرِ بِقَدْرِ مَا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ صِدَارِهِ وَمَرْجِعِيهِ فِي الْمَعْرِفَةِ الدِّينِيَّةِ، وَقَدْ أَكَّدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَمَلِهِ الرِّوَايَاتِ الْجَوَامِعِ الْمَأْثُورَةَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَعَنْ بَاقِي الْأَثْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى أَنَّ الْإِلْمَامَ وَالْإِحَاطَةَ بِأَسْبَابِ النُّزُولِ مُؤَثِّرَةٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَفَهْمِ حَقَائِقِهِ.

عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نَابَتَةَ قَالَ لَمَّا بُويعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ مُتَعَمِّمًا بِعِمَامِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا بَسًا بَرَدَتِهِ... «يَا مَعْشَرَ النَّاسِ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقَدُونِي، وَهَذَا سَفْطُ الْعِلْمِ... وَاهْلُ الْقُرْآنِ بِقُرْآنِهِمْ حَتَّى يَنْطِقَ كُلُّ كِتَابٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَيَقُولُ: صَدَقَ عَلَيَّ لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ، وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْقُرْآنَ لَيْلًا وَنَهَارًا فَهَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَعْلَمُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ، لَوْلَا آيَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ لِأَخْبَرْتَكُمْ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وَهِيَ هَذِهِ الْآيَةُ (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) ١ ثُمَّ قَالَ: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقَدُونِي، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ آيَةِ آيَةٍ، فِي لَيْلٍ نَزَلَتْ أُمَّ فِي نَهَارٍ نَزَلَتْ مَكِّيَّهَا وَمَدِينِيَّهَا، سَفْرِيَّهَا وَحَضْرِيَّهَا، وَنَاسَخَهَا وَمَنْسُوخَهَا وَمَحْكَمَهَا وَمَتَشَابِهَهَا، وَتَأْوِيلَهَا وَتَنْزِيلَهَا لِأَنْبِئْتَكُمْ» (١).

وسوف نبحث في هذه القاعده المهمه السبب الذي من أجله نزلت

ص: ١٥

الآية الكريمة الفلانية أو السورة المباركة حسب المنهاج الذي بينته مدرسه أهل البيت عليهم السلام في أسباب النزول وكيف يتشعب إلى مسائل متعدده، وما هي طبيعته تأثير أسباب النزول على أحكام الفروع - الفقه - وكيفيه بحث الفقيه في أبواب فروع الفقه عن سبب نزول آيات الأحكام، وما هي تأثيرها عليه، فكم من تحرير سبب نزول آيه من آيات القرآن الكريم مثلاً يجعل بعض الفقهاء يستظهر من الآيه الفلانية الحكم الكذائي، بينما فقيه آخر يستظهر من سبب نزول آخر حكماً آخرافضلاً عن العلوم الأخرى كالعقائد والمعارف والتفسير... الخ وبما أن سبب النزول متصل من بعض زواياه بالتاريخ، وتوثيق التاريخ قد كُتِبَ وَتَمَّ تدوينه في ظل الحكومات المناوئه لأهل البيت عليهم السلام، كما هو معلوم وواضح وتوثيقه في ظل الحكومات والسلطات الجائره التي مرّت عهد الصدر الأوّل للإسلام وما بعده فتوثيقها يحتاج إلى منهج تديقي وتمحيصي لغربله وفرز ما هو الصحيح عن غيره، كما سوف يتضح كل ذلك في الجبهه الأولى من هذه القاعده.

مسلسل سيره النبي صلى الله عليه وآله

وتطابقها مع أسباب النزول:

تنبيه: ينبغي للباحث الكريم في قاعده أسباب النزول الالتفات إلى ما يلي:

أولاً: ملاحظه كيفيه نزول الوحي على النبي الأكرم عليه السلام في غار حراء،

وإنذار بنى هاشم، وأوّل خطوه فعلها النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ الدَّارِ.

ثانياً: ملاحظه كيفيه بدء النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِصُدْعٍ بِمَا يُؤْمَرُ بِهِ، وَكَيْفِيهِ الْجَهْرُ بِالرِّسَالَةِ فِي مَكَّةَ، وَبَدَأَ الصَّلَاةَ فِي مَكَّةَ ثُمَّ... وَتَتَابَعُ الْأَحْدَاثُ الَّتِي حَصَلَتْ فِي مَكَّةَ مِنْ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَدِيجَةَ وَتَسْمِيَةَ ذَلِكَ الْعَامِ بِعَامِ الْحَزَنِ، ثُمَّ الْهَجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ثُمَّ الْحُرُوبَ وَالْوَقَائِعَ وَالغَزَوَاتِ وَمَنْعَطَاتِ مَعْرَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَكَّةَ ثُمَّ فِي الْمَدِينَةِ، وَبِعِبَارِهِ أُخْرَى لِأَبَدٍ مِنْ تَطَابُقٍ وَانْتِبَاقٍ بَيْنَ مَسَلْسَلِ مَوَارِدِ نَزُولِ الْآيَاتِ مَعَ مَوَاطِنِ الْأَحْدَاثِ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ ضَرُورِهِ التَّطَابُقِ ضَابِطُهُ وَآلِيهِ تُقَوِّمُ الْخَلَلَ فِي ضَبْطِ كُلِّ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَهَذَا مِيزَانٌ عَظِيمٌ فِي التَّوْفِيقِ وَالتَّحْرِيصِ لِصِحِّهِ مَا يُزَعَمُ وَيُدَّعَى مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَتَمَحِيصِ صِدْقِهَا، وَمِنْ ثُمَّ صَحَّحَ أَنْ يُقَالَ أَنَّ أَسْبَابَ النُّزُولِ وَكَذَا التَّنْزِيلِ لَيْسَ إِلَّا تَقْصِيصٌ وَسَرْدٌ وَقَصُّ لَسِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهَذِهِ نَقْطَةُ مَهْمَةٍ جَدًّا فِي حَقِيقَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ.

مميزات قاعده أسباب النزول:

إنَّ بَحْثَ قَاعِدِهِ أَسْبَابِ النُّزُولِ تُعْطَى طَابِعاً خَاصّاً وَتُمْتِيزاً فِي الدَّلَالَةِ وَالتَّأْثِيرِ عَلَى نَمَطِ تَفْسِيرِ الْمُفَسِّرِ بَعْدَهُ مُمَيِّزَاتٍ وَتَأْثِيرَاتٍ:

الميزه الأولى: إنَّ سَيِّئَ وَبَحْثَ قَاعِدِهِ أَسْبَابِ النُّزُولِ يَلْحَوْنَ وَيَكُونُ ظَهُوراً مُتَمَيِّزاً لِلآيَاتِ وَالتَّوْبِخَاتِ فِي أَغْلِبِ الْمَنَاهِجِ التَّفْسِيرِيَةِ لِلْمُفَسِّرِينَ، وَهَذَا إِلَى حَدِّ مَا يَشْبَهُ الْقَرِينَةَ الْحَالِيَةَ أَوْ الْمَقَامِيَةَ الَّتِي تَلَوْنَ الظُّهُورَ، وَعَلَيْهِ

ص: ١٧

فإن أسباب النزول وإن لم تكن قرينه مقالیه ولفظیه، لكنّها مهمّة وخطيره مقامياً وحالياً.

وتشخيص هذه القرينه والتثبت منها لدى جملة من المفسرين أمرٌ بالغ الأهمية والخطوره، ورُبّما بعض المفسرين أولوها أهميّة من بعض الزوايا تفوق القرينه اللفظيه والمقالیه.

الميزه الثانيه: إنها تطبيق وحيانيا - فضلاً عن كونه تطبيقاً عملياً - لمفاد الآيه أو السوره أو المعادله القرآنيه أو المعادله الدّينيه، فهى من هَذَا الجانب، ربما يكون فيها توضيح لهذا المفاد أكثر من بعض الزوايا من جهة التنظير اللفظى، وإذا كان النزول تطبيقاً وحيانياً فمِنهُ يظهر أنّ التدقيق فى روايات وأقوال النزول أمرٌ بالغ الأهميه لانه يكون من النسبه إلى الوحي وأفعال الوحي.

أسباب النزول بمثابه القرينه اللفظيه المقاميه والحال أنها مؤثر في الظهور

الميزه الثالثه: أحياناً وَمِنْ بَعْضِ الزوايا تكتسب قَاعِدَه أسباب النزول أهميه أكثر مِنْ القرينه اللفظيه أو المقاميه، كَمَا لو طُبِقت الآيه أو السوره الْمُعَيَّنَه بحذفها عَلَى مورد مُعَيَّن، وأفادت قَاعِدَه أسباب النزول أَنَّ الآيه أو السوره لاجِبٌ وَأَنَّ يُرَكَّب مفادها وينتظم ويتطابق وينسجم مَعَ مورد التطبيق، وَهَذَا إِلَى حَيْثُ مَا يشبه ما يذهب إليه بَعْضُ الفُقَهَاء والأصوليين مِنْ أَنَّ الشَّارِعَ الْمُقَدَّسَ إِذَا مارس تطبيق الكبرى الكليه فَإِنَّ مصاديقها تكون أبين وأوضح ويُفهم المفاد بشكل أبين، وَعَلَيْهِ فأسباب النزول بمثابه القرينه اللفظيه المقاميه، وَأَنَّهَا مؤثر في ظهور مفاد دلالة الآيات والسور القرآنيه في بَعْضِ زواياها، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الضروري التثبت مِنْ أسباب النزول كقرينه مُهمه في استظهار دلالات الآيات الكريمه.

يجب بناء مبحث أسباب النزول بشكل مقاسات صحيحه عَلَى وفق رؤى مدرسه أهل البيت عليهم السلام، ولا يظن الباحث غيابه عَنْ محطّ نظر الروايات فيكلف لتشيدته بالرجوع إلى مصادر مِنْ كتب السيره والآثار أو

المختصه بتدوين أسباب النزول وجعلها المدار الأصلي في ذلك. لا أنه مبحث غير موجود ويجب أن نكتشف قواعده وأأسسه وما هو مبنى الزوايه حوله.

إن من أهم أسباب دراسته أسباب النزول وتأكيده القرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام التحقيق والتدقيق فيها وأخذها من أهلها وفرز أسباب النزول الملقه الوارده من الطرف الآخر أي عن المخالفين عن أسباب النزول الصحيحه الوارده عن مدرسه أهل البيت عليهم السلام بعيد تحقيقها وتدقيقها وبحثها بشكل تفصيلي يُشعرنا كل ذلك بمدى أهميه وخطوره دراسته أسباب النزول في الفقه والتفسير والعقائد والمعارف الدينيه و... الخ بسبب أن القرآن هو المصدر الرئيسى والأول للتشريع وللمعرفه الدينيه، وهنما تظهر ثمره ما قاله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأكد عليه من قرن العتره الطاهره بالقرآن الكريم، وبخلافه ستظهر إفرزات خاطئه في فهم القرآن - وفعلاً - ظهرت - كما هو عليه الآن بعض الحركات والاتجاهات المحسوبه على الإسلام والإسلام منها براء؛ لأنها أظهرته بصوره مشوهه لا تتناسب وعظمه الإسلام والدين الخاتم للأديان السماويه.

وبعبارة إن ما ورد من روايات أهل البيت عليهم السلام بمنزله ميزان لتمحيص ما يذكر من أسباب النزول في كتب السير والآثار، وهذا احد مواطن معيه الكتاب والعتره، وهذا ما سوف يتضح كلاً من خلال البحث.

أيضاً سنبين أن بحث الفتوحات الإسلاميه إن كان فيه جانب مُشرق

وفتح فهو يرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، إلا أن هناك جنبه مُظلمه سوداويه في الفتوحات الإسلاميه سببها - من باب بيان واقع المطلب - حولت تلك الفتوحات إلى سدودات مع إن الإسلام فتح عظيم.

ولا يفهم من ذكرنا لبيان هذه الجنبه أن فيها تحامل على أحد، أو إجحاف في حق الغير، وإنما غرضنا بيان حقائق بينها القرآن الكريم وأنها مراده للباري تعالى إلا أنهم يحاولون إخفائها أو سدل الستار عليها، وطمس معالم وحقائق الدين الذي أراد الله تعالى إظهاره على الدين كله وعلى كل أرجاء المعموره من الكره الأرضيه ولو كره المشركون.

وعليه فيجب إزاله كل الموانع والسدود والممارسات الخاطئه لفهم معاني آيات القرآن، والتي حاول البعض أن يختلقها ويجعلها سدا مانعا أمام انتشار هذا الدين كله وهذا النور القرآني والنبوي، وفعلا كانت تلك السدود المصطنعه مانعه من انتشار الإسلام والحد منه وعدم نفوذه بالمستوى المطلوب مثل بلاد الصين وأوربا وأمريكا و... الخ. مما أثرت هذه التصرفات السوداويه سلباً من قبل من حسبت تصرفاته على الإسلام على شعوب هذه البلدان فاعتنقت النصرانيه - المسيحيه - ولم تعتنق الإسلام.

كل ذلك بسبب تصدى من ليس له أهليه قياده للإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وحمله بأيد غير أمينه، بعد إساءتهم للإسلام والمسلمين وعتموا عليه من جميع الجهات الإعلاميه منها والسياسيه والعسكريه والفكريه والاجتماعيه والتربويه و... الخ، وبالتالي كانت نظره البعض من خلال أفعال وأقوال

هؤلاء المحسوبين على الإسلام نظره سوداويه بدلاً أن تكون بيضاويه نقيته، وهذِهِ بالتالي تُشكّل طاقته كبرى.

ولذا كَانَ سؤال الَّذِينَ جلبوا النظرة السّوداويه للإسلام هُوَ: لماذا تتَحَسَّسون مِنَ الأفعال والأقوال والتّصرفات الَّتِي كَانَتْ تصدر مِنْ سلطان بنى أُمّيه كيزيد بن معاويه؟

إنَّ سبب تحسّسنا مِنْهُ لَيْسَ فَقَطُ مِنْ جهه قتل سيد الشّهداء أبى عبدالله الحسين بن على عليهما السلام وحرمان البشريه مِنْ عطاءاته ونوره وهيئات وأننى لهم ذَلِكَ، بَلْ أَنَّهُمْ أزالوا الوجه المُشرق فى الإسلام بقتل الحسين عليه السلام وأئمه أهل البيت عليهم السلام فَإِنَّ الإسلام وَالَّذِينَ لا يُشْرِقُ نورُهُ إلَّا بهم، فيأزالتهم لأهل البيت عليهم السلام أزالوا نور الإسلام وإشراقه فشوّهوه بِظُلْمه واسوداد، وَإِنَّمَا مِنْ جهات أُخْرَى مِنْهَا أَنَّ أمثال هؤلاء حاولوا تشكيل سدود بفعل تصرفاتهم غَيْر الإِسْلَامِيَّةِ وظلمهم وتسلبهم على رقاب المسلمين واسبتادهم تمنع مِنْ انتشار نور القرآن والنور المحمدي والنور العلوى والفاطمى والحسنى والحسينى و... الخ، وبذلهم قُصارى جهودهم لأجل الفصل بين الثقلين، وَهَمَّا؛ الكتاب والعترة الَّتِي طالما أَكَّدَ رسول الله صلى الله عليه وآله على قرنها، وبالتالي ليسوا فَقَطُ خسروا أتباع الثقل الثَّانِي وَهُمْ عترة النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته، بَلْ حَتَّى ضَيَّعُوا الثقل الأوَّلَ وَهُوَ القرآن الصامت لأنَّهم لا يمكنهم أن يفهموا معانى الآيات وَالسُّورِ إلَّا بواسطة العَدَلِ الثَّانِي آل النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، كَمَا صرَّحَ بَعْضُ كبارهم - حَسْبُنَا كتاب الله - وَهُوَ لا يفهم

ولا يعى من القرآن آيه بل بعض آيه.

والمهم الذى نريد أن تسليط الأضواء عليه هو: - أن القرآن الكريم هو المصدر المعرفى العظيم للدين والبالغ الأهميه، فلا بد أن يكون منهاج وبرنامج فهم معانى وحقائق آياته سوره أساسى موزون لا يمكن لأى باحث ومفسر الاستغناء عنه، ومنها روايات قاعده أسباب النزول والتي يجب فيها الرجوع إلى أحكام القرآن الكريم الذى هو حكم عدل وإلى أهل البيت عليهم السلام؛ وهما الوحيدان اللذان يميزان ويفضلان بين الروايات الملقفه والمزيّفه وبين الصحيحه منها فى قاعده أسباب النزول.

ومن الأمور التي نبينها أيضاً من خلال بحث قاعده أسباب النزول هو أهميه القاعده وتأثيرها فى يوميات استنباط الفقه والأموور العقائديه، وأن أخذها أخذ المسلمات فادحة عظيمة، فمثلاً معنى الجهاد فى نظر مدرسه أهل البيت عليهم السلام غير معنى الدفاع، وبعد مراجعه الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت عليهم السلام لم أقف على تعبير تقسيم الجهاد إلى ابتدائى ودفاعى، وإنما هذا التقسيم من اجتهادات مدرسه الطرف الآخر - أى المدرسه الأخرى، وتسرّب إلى كتب الخاصه وعلينا تنقيه بحوثنا الفقهيّه وتراثنا الفقهي من موروث مدرسه الرأى ونعكف على صفاء مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وهذا مؤشّر واضح على كيفية تأثير أسباب النزول على المنهج التفسيري، وتأثير الأخير على أسس الفقه والعقائد.

نعم، الوارد فى الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت عليهم السلام كما فى روايه

جعفر بن مُحَمَّد عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِخَمْسَةِ أَسْيَافٍ فَسَيْفٌ عَلَى عَلِيٍّ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَجْهَهُ: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصِرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ يَعْنِي فَإِنْ آمَنُوا... فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَتْلُ أَوْ الدَّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا يُسَبَى لَهُمْ ذَرِيَّةٌ وَمَالُهُمْ فِي (١).

وَعَنْ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ أَبِي عَنَ حُرُوبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ السَّائِلُ مِنْ مُحَبِّبِنَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِخَمْسَةِ أَسْيَافٍ: ثَلَاثَةٌ مِنْهَا شَاهِرَةٌ فَلَا تَغْمَدُ إِلَى أَنْ تَضَعَ الْحَرْبَ أَوْزَارَهَا، وَلَنْ تَضَعَ الْحَرْبَ أَوْزَارَهَا حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ (لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا) وَسَيْفٌ مِنْهَا مَلْفُوفٌ، وَسَيْفٌ مِنْهَا مَغْمُودٌ سَلَّهُ إِلَى غَيْرِنَا وَحَكَمَهُ إِلَيْنَا، فَأَمَّا السَّيْفُ الثَّلَاثَةُ الشَّاهِرَةُ فَسَيْفٌ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصِرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا) يَعْنِي آمَنُوا (فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) فَهَؤُلَاءِ لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَتْلُ أَوْ الدَّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ وَأَمْوَالُهُمْ وَذُرَارِيُّهُمْ سَبَى عَلَى مَا سَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّهُ سَبَى وَعَفَا وَقَبِلَ الْفِدَاءَ.

ص: ٢٤

١- (١) تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٥ تفسير سورة البقرة آية ١٩٤، عنه بحار الأنوار: ج ٩٧ ب ٦ من أبواب الجهاد ح ٦ ص ٥٣.

والسيف الثاني على أهل الذمه، قال الله صلى الله عليه وآله جل ثناؤه (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسِينًا) نزلت في أهل الذمه ثم نسخها قوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (٢٩) فمن كان منه في دار الإسلام فلن يقبل منه إلا الجزية أو القتل ومالههم وذراريهم سبي فإذا قبلوا الجزية حرم علينا سبيهم... الخ.

والسيف الثالث على مشركي العجم يعني الترك والديلم والخزر، قال الله جل ثناؤه في أول السورة التي يذكر فيها الذين كفروا فقص قصتهم قال (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد) يعني بعد السبي منهم «وأما الفداء» يعني المفاداة بينهم وبين أهل الإسلام فهؤلاء لا يقبل منهم إلا القتل أو الدخول في الإسلام ولا يحل لنا نكاحهم ما داموا في الحرب.

وأما السيف الملفوف فسيف على أهل البغي والتأويل... الخ.

وأما السيف المغمود فالسيف الذي يُقام به القصاص.... الخ.

فهذه السيوف الخمسة التي بعث الله بها نبيه صلى الله عليه وآله فمن جردها أو جحد واحدًا منها أو شيئًا من سيرتها وأحكامها فقد كفر بما أنزل الله على

بتقريب: إِنَّ هَاتَيْنِ الرَّوَايَتَيْنِ وَرَدَّ فِيهَا ذِكْرُ أَقْسَامِ الْجِهَادِ، وَلَمْ يُجْعَلِ الدِّفَاعُ قِسْمًا مِنْهَا مَعَ أَنَّ هَاتَيْنِ الرَّوَايَتَيْنِ وَغَيْرَهُمَا فِي صَدَدِ التَّحْدِيدِ لِمَاهِيَةِ الْجِهَادِ وَسَبْرِ أَقْسَامِهِ.

إِنَّ السِّيَوفَ بِمَعْنَى الْحَرْبِ، وَلَمْ يَرِدْ تَعْبِيرُ تَقْسِيمِ الْجِهَادِ إِلَى ابْتِدَائِيٍّ وَدِفَاعِيٍّ، عَلِمًا أَنَّ الدِّفَاعَ فِي مَفْهُومِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ غَيْرُ الْجِهَادِ.

وَسَيَتَّضِحُ لَنَا الْأَمْرُ فِي أَنَّ أَغْلَبَ غَزَوَاتِ وَحُرُوبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَلْ - (٨٠) غَزْوُهُ وَحَرْبُ كَدَّانَتْ دِفَاعِيَّةٍ إِمَّا لِأَجْلِ اسْتِعَادَةِ الْحَقُوقِ وَالْأَمْوَالِ الْمَسْلُوبَةِ أَوْ لِدَرْءِ خَطَرِ الْمُشْرِكِينَ وَعُتَاهِ قَرِيشَ عَنِ أَعْرَاضِ وَأَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ... الخ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا ابْتِدَائِيًّا كَمَا فِي غَزْوِهِ بِدَرْفِي الْأَصْطِلَاحِ الْفَقْهِيُّ تُعَيَّدُ جِهَادًا ابْتِدَائِيًّا لِأَنَّ نَفْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هِيَ وَجْهَ الْجَيْشِ وَالسَّلَاحِ وَكَافَهُ مُسْتَلْزِمَاتِ الْمَعْرَكَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ عَدُوًّا ابْتِدَائِيًّا وَإِنَّمَا كَانَتْ ذَاتَ غَطَاءٍ دِفَاعِيٍّ، إِلَّا أَنَّهُ وَلِلْأَسْفِ الشَّدِيدِ عِنْدَمَا نَرْجِعُ إِلَى رَوَايَاتِ أَسْبَابِ النُّزُولِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي الْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُخْرَى غَيْرَ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نَجِدُ تِلْكَ الرَوَايَاتِ قَدْ انْقَلَبَتْ رَأْسًا عَلَى عَقْبٍ فِي تَبْدِيلِ حَقِيقَتِهِ مَعْنَى الْجِهَادِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالنَّظْرُ إِلَى الْجِهَادِ بِنَظَرِهِ سُوْدَاوِيَّةٍ وَدَمَوِيَّةٍ، وَنَحْنُ لَا

ص: ٢٦

١- (١) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ص ٦٤٠، الكافي للكليني: ج ٥، كتاب الجهاد: ب ٣ ح ٢ الحديث المسلسل ٨٢١٨، ج ص ١٠؛ عنه بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ١٦ ب ٢ من أقسام الجهاد وشرائطه وآدابه.

نريد أن نُبرر هذه النظرات المُتَحامِله على القرآن، ولكن نريد أن نقف على بعض أسبابها ولا نحصرها بالصليبيه والصهيوتيه... الخ وإنما هدفنا إلفات النظر والفكر إلى أن أحد أسباب ما نحن فيه في مبحث أسباب النزول الملفقه التي وضعت رواياتها في المدارس الأخرى تحت تأثير السِّلَطه الأمويّه أو العباسيّه، من أن غايه الجهاد الابتدائي عندهم هو الإرغام على العقيدته بخلاف ما أسست له مدرسه أهل البيت عليهم السلام من أن الهدف من تشريع الجهاد الابتدائي لأجل نشر العدله في الأرض واسترداد الحقوق المُغتصبه أو الدِّفاع عن المُسضعفين حتّى غير المسلمين (الَّذِينَ عَاهَدتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِذَا تَثَفَّفْنَهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرَّدُ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ (٥٧) وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ...١).

بتقريب: إنَّ هَذه الآيات المَبَارَكه تبيّن أنّ غايه الحرب في بعضها، والعدوان وإن كَانَتْ هِيَ حرب ابتدائيه استباقيه، وليس المقصود من الجهاد هو العدوانيّه والدمويّه والانتقام وفرض عقيدته مُعَيَّنَه، فإنَّ هَذَا منطق المدارس الأخرى غير مدرسه أهل البيت عليهم السلام وقوله تَعَالَى: (تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ...) حاولت أسباب النزول الملفقه أن تجعلها منسوخه بقوله تَعَالَى (وَ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) لأنَّهم أرادوا أن يَصُورُوا أنّ فلسفه الجهاد في مدرسه الخلفاء هو الإرغام

والإلجاء، علماً أنّ هَذِهِ الآيَةَ غَيْرَ قَابِلِهِ لِلتَّخْصِصِ وَالنَّسْخِ، كَمَا سَوْفَ يَأْتِي تَوْضِيحَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَتَفْصِيلَهُ فِي مَبْحَثِ قَاعِدِهِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ إِنَّ أَعْظَمَ مَشْكَلَهُ فِي الْبَابِ هِيَ قَاعِدُهُ أَسْبَابُ النُّزُولِ الْمَلْفُوقِهِ، وَعَلَيْهِ فِكْرٌ تَدْعَى أَسْبَابُ النُّزُولِ أَنَّ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) (٥٨) إِنَّهَا مَنْسُوقَةٌ، وَهَلْ أَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ حَسَبَ مَا جَاءَ فِي آيَاتِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ، وَفِي غَزْوِهِ بَدْرٍ وَغَيْرِهَا مِنْ سُورَةِ الْقُرْآنِ وَالغَزْوَاتِ الْأُخْرَى - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -.

وَالخِلَاصَةُ: هَلْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ أَمْ مَاذَا؟ فَعَلَى أَصْحَابِ أَسْبَابِ النُّزُولِ الْمَلْفُوقِهِ أَنْ يُجِيبُوا عَنْ هَذَا التَّسْأُولِ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ يُسَمَّى الْمَبَاغِثَةَ وَالْحَرْبَ مَعَ مُعَاهِدٍ وَذَمَّى خِيَانَهُ، فِكْرٌ يُمْكِنُ أَنْ تَنْسَخَ هَذِهِ الْآيَةَ فَإِنَّ بَعْضَ الْأَحْكَامِ أَبْدِيَّةٌ مُعَلَّلَةٌ بِعَلَّةٍ أَبْدِيَّةٍ غَيْرَ قَابِلَةٍ لِلنَّسْخِ.

إِذْ إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ مُعَاهِدَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ آخَرِينَ وَغَدَرَ الْآخَرُونَ بِالْمُعَاهِدَةِ فَلَا تَغْدِرْ بِهِمْ وَتَبَادِرْهُمْ وَتَبَاغِثْهُمْ بِالْحَرْبِ وَإِنَّمَا أَنْبَذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سِوَاءِ أُمَّةٍ مِنْ دُونِ غَيْلِهِ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ قَيْدَ الْفَتْكِ، وَهَذَا مَا جَسَّدَهُ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَخَاصَّةً سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

التَّسْأُولُ الْإِلَهِيُّ وَالْيَدِ الْغَيْبِيَّةُ لِثَوْرَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ سَطَّرُوا أَرْوَعَ وَأَسْمَى مَعْنَى لِلْجِهَادِ وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوا الْغَيْلَةَ وَالْإِغْتِيَالَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَبْدَأِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ذَلِكَ،

وَلَيْسَ مَعْنَى النَصْرِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ تَسْحُقَ الْمُبَادِيءُ مِنْ أَجْلِ النَصْرِ، وَإِنَّمَا النَصْرُ عِنْدَهُمْ هُوَ أَنْ تَنْهَضَ لِتَثْبِيتِ الْمُبَادِيءِ لَا لِطَمْسِهَا أَوْ التَّفْرِيطِ بِهَا، كَمَا صَنَعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي غَزَوَاتِهِ وَحُرُوبِهِ وَهَكَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَنَهَضَهُ عَاشُرَاءُ الْحُسَيْنِيِّهِ لِأَجْلِ التَّفْرِيطِ بِالْمُبَادِيءِ، وَهَكَذَا مَا صَنَعَهُ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولُ الْحُسَيْنِيِّهِ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ وَقَادَ ثَوْرَهُ شَعْبِيَّةً لِشَهْرٍ مِنَ الزَّمَنِ مَعَ وَجُودِ حُكُومِهِ ظَالِمَةٍ وَهِيَ حُكُومَةُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ فِي نَفْسِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ أَيَّ حُكُومَتَانِ فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يَصْدُرْ مِنْ هَذِهِ التِّيَّارَاتِ الشَّعْبِيَّةِ الَّتِي تَنْضَوِي تَحْتَ رَايَةِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيَّ خُرُوفَاتٍ تَجَاوَزِيَهُ، وَلَكِنْ مَا هِيَ الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْ ثَوْرِهِ الْحُسَيْنِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَدَمَ حُصُولِ أَيِّ خَرْقٍ وَتَجَاوُزِ عَلَيَّ أَيَّ مُقَرَّرٍ وَحُقُوقٍ لِلْقَاعِدَةِ الشَّعْبِيَّةِ لِلطَّرْفِ الْآخِرِ، وَهَذَا لَمْ يَحْصُلْ حَتَّى لَسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَيْدُ الْحُسَيْنِيِّهِ وَأَفْضَلَ مِنْهُ، وَلَكِنْ مَا هِيَ تِلْكَ الْعِنَايَةُ الْخَاصَّةُ بِالْحُسَيْنِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ لِلرَّسُولِ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَمَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ أَرْسَلَ جَيْشًا بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَّا أَنَّ خَالِدًا صَنَعَ مَجْزَرَةً وَمَقْتَلَةً عَظِيمَةً فِي بَنِي جَذِيمَةَ تَبَرَّأَ مِنْهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا فَعَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى أَنْ أَرْسَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَالِحُ بْنُ جَذِيمَةَ وَوَدَى قَتِيلَهُمْ وَرَضَاهُمْ إِلَى أَنْ رَضُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ حَصَلَ خَرْقٌ مِنْ قِبَلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَهَذَا تَنْجَلِي الْجَنَابَاتِ الْغَيْبِيَّةِ فِي نَهْضَةِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ

الحسين ابن علي عليهما السلام المُتَناعِمه والمتسقه والمنتظمه مَرَعَ مَبْدَأَ الْقُرْآنِ فِي عَدَمِ الْخِيَانَةِ وَذَمَّهَا وَعَدَمِ التَّجَاوُزِ عَلَى الْمَبَادِئِ (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) فَإِنَّ مِنْ مَبَادِئِ الْقُرْآنِ وَالِدِّينِ الْإِسْلَامِيَّ الْحَنِيفِ عَدَمَ الْخِيَانَةِ، وَتَطْبِيقٌ مِثْلُ هَكَذَا أَمْرٌ لَيْسَ بِالسَّهْلِ وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الصَّعُوبَةِ بِمَكَانٍ أَنْ يَقُودَ الْقَائِدَ الْمِيدَانِيَّ جَيْشَهُ فِي الْمِيدَانِ وَلَمْ يَسْتَلْزِمِ حُصُولَ أَيِّ خَرَقٍ وَلَا هَدْمٍ وَلَا دَمٍ وَلَا... الخ؛ وَلِذَا خَاطَبَهُمُ الْحَسِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ: «أَتَطَالِبُونِي بِدَمِ سَفَكْتِهِ مِنْكُمْ أَوْ مَالٍ أَجْتَرَحْتَهُ أَوْ... الخ» وَعَلَيْهِ كَيْفَ اسْتَطَاعَ الْإِمَامُ الْحَسِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ التَّحَكُّمَ بِذَلِكَ مِنْ دُونِ أَيِّ خَرَقٍ شَعْبِيٍّ فِي قَاعِدِهِ الطَّرْفِ الْآخِرِ، وَمَا هَذَا لَوْ تَأَمَّلْتَ بِهِ إِلَّا تَسْدِيدَ غَيْبِي إِلَهِي.

الْخِلَاصَةُ: فَإِنَّ مِنْ مَبَادِئِ الْإِسْلَامِ عَدَمَ الْخِيَانَةِ وَتَطْبِيقٌ مِثْلُ هَذَا لَيْسَ بِسَهْلٍ تَنْفِيزُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ فَإِنَّ الْمَحَافِظَةَ عَلَى الْمَبَادِئِ وَالْأُسُسِ يُتْرَكُ تَنْفِيزُهَا لِأَهْلِهَا أَمْثَالَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَالتَّسَعَةَ الْمَعْصُومِينَ مِنْ ذُرِّيَةِ الْحَسِينِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا لِمَنْ هَبَّ وَدَبَّ، وَعَلَيْهِ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَبْنِيَ الْإِسْلَامَ فَلَا بُدَّ مِنْ إِظْهَارِ بِنَائِهِ بِصُورِهِ نِيْرِهِ وَرَائِعِهِ وَجَمِيلِهِ تَجَذُّبُ بِهَا قُلُوبَ الْآخِرِينَ تَلْقَائِيًّا وَتُحَبُّبُ لَهُمُ الْإِسْلَامَ، لَا أَنْ تَبْنِيَ الْإِسْلَامَ عَلَى أُسَاسِ الْعُنْفِ وَالْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ بِالْآخِرِينَ وَالْإِرْغَامِ عَلَى فِرَاقِ الْعَقِيدَةِ وَالْأَحْكَامِ الْعَرَفِيَّةِ، وَالْفِرَاقِ وَاضِحٌ بَيْنَ الْمَسِيرِينَ مَسِيرِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَسِيرِ مَدْرَسَةِ الْعَامَّةِ وَالْخُلَفَاءِ.

والحاصل: إنَّ أسباب النزول لها تأثير بالغ في استنباط أحكام الفروع وكمثال باب الجهاد وكنظام علاقه الدوله الإسلاميه مع الشعوب والدول الأخرى، وأنَّه أمر حضارى ومصيرى خطير وكبير.

إنَّ أحد أهم أسباب بحث قاعدَه روايات أسباب النزول لما لها تأثير خطير في القواعد الفقهيّه والتفسيريّه والعقائديه وميادين أُخرى عديده في علوم الدين، بل وتؤثر حتّى على مسيره الدين؛ لأنَّ الدين رهينٌ بأعمده وأحد تلك الأعمده الرئيسيّه والإساسيه له هو القرآن الكريم، وكلّ ذلك لأنَّ التمسك بالقرآن الكريم وكيفيه فهمه أمرٌ بالغ الخطوره.

إنَّ أخطر وأعظم أنواع التحريف هو تحريف فهم الآيات عن طريق خلق روايات لأسباب النزول، والتحريف عبارَه عن إلقاء ستارٍ أمواج ضبابيه على ظهور ألفاظ القرآن الكريم كى لا- يُبصر المسلمون حقائق القرآن، وسبب عظم خطورته هو لأننا نتعامل ونتعاطى مع أعظم مصدر للمعرفه الإسلاميه والدينيه ألا- وهو القرآن الكريم، ومثل هكذا تحريف معناه المساعده على إيجاد خطوات ومواطن مُجهضه للعقل الإسلامى، ولعقل أجيال فاضله علميه للبشر، وهَذَا ممّا يدعو ويحفّز الأخوه الباحثين إلى مُضاعفه الجهود في سبيل كشف الحقائق وإزاله الستار والحجاب عمّا حرّف من دعاوى أو أقوال في أسباب النزول.

المعهود عند الكثير من المُفسرين أنّ دور موطن النزول هو عبارَه عن موطن زمانى ومكانى وحدث مُعَيّن لإبلاغ آيه من الآيات أى أنّ الآيه لها

موطن نزول جغرافى وزمانى وإحداثى، إلاً أَنَّهُ سَيَتَّضِحُ مِنْ خِلالِ بَحْثِ مَوْرِدِ أَسْبَابِ النُّزُولِ أَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَأَنَّ مَوْرِدَ النُّزُولِ لِلآيَةِ وَإِنْ كَانَ لَهُ مَوْطِنٌ خَاصٌ، إِلاً أَنَّ لَهُ جِهَاتٍ وَحَقَائِقَ أُخْرَى مُهِمَّةٌ مَوْثِرَةٌ وَأَنَّ نَزُولَ الآيَةِ فِي المَوْطِنِ الخَاصِ يَعْنِي فِيما يَعْنِيهِ أَنَّهُ إِعْمَالُ لَوْلَايَةِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِدارَةِ شُؤُونِ العِبَادِ وَفِي الجانِبِ السِياسِىِّ والعِسكرِىِّ والتِجارِىِّ والاِقْتِصادِىِّ ... الخ، وَلا تَنحَصِرُ وَلا تَتَقَرَّبُ الوَلَايَةُ أَىِّ وَلايَةِ اللهُ تَعَالَى ثُمَّ وَلايَةِ الرِسالِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ وَلايَةِ أَهْلِ بَيْتِ الرِسالِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبِالعَدِ السِياسِىِّ أَوِ الاجْتِماعِىِّ أَوْ... الخ فَإِنَّ أَحَدَ دَعائِمِ الوَلَايَةِ هُوَ الهِدايَةُ وَلا سِما المَلِكُوتِيَّةِ مِنْها وَهَناكَ هِدايَةُ إِيصالِيَّةِ وَ... الخ وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مَقامَ الوَلَايَةِ لا يَنحَصِرُ فِي مَقامِ الحاكِمِيَّةِ السِياسِيَّةِ (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ (٧) ١ .

وَعَنْ بُرَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ العِجَلِيِّ، قالَ: قالْتُ لأبِي جَعْفَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ (٧) فَقَالَ: المُنذِرُ وَ رِسالُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ الهِدايَةُ وَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَزِمانٍ إِمامٌ مَنّا يَهْدِيهِمْ إِلى ما جِاءَ بِهِ رِسالُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (١).

إِنَّ لَأَسْبَابِ النُّزُولِ جُمْلَةً مِنَ المَوْدِيَّاتِ وَالمَفادِاتِ فِي رِوايَاتِ أَهْلِ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَمَّ يَتَعَرَّضُ إِليها المُفَسِّرونَ وَتَعَرَّضُوا لِبَعْضِ المَوْدِيَّاتِ وَالمَفادِاتِ العامَّةِ كالنَبِوَّةِ وَحَصَرَ أَسْبَابَ النُّزُولِ بِالزِمانِ وَالمَكانِ المَعروفِ بِمَوْطِنِ النُّزُولِ وَتَبليغِ النَّبِيِّ الأَكْرَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلآيَةِ وَالأَحْكامِ الوارِدَةِ فِيها، بَيْنما هَناكَ

ص: ٣٢

مفادات وأبعاد أُخْرَى وَرَدَتْ فِي بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَالْوَلَايَةِ وَالْحَاكِمِيَةِ وَأَنَّ النُّزُولَ وَالتَّنَزُّلَ نَوْعٌ مِنْ أَعْمَالِ الْوَلَايَةِ الْإِلَهِيَةِ وَتَدْبِيرِ شُؤْنِ الْبَشَرِ، وَهَذَا هُوَ الْمَفَادُ الْعَقِيدِيُّ الْمُهَمُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي غَفَلَتْ عَنْهُ الْمَدَارِسُ وَالْمَذَاهِبُ الْأُخْرَى، عَلِمًا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قُرِنَ نَزُولُهُ بِكُلِّ مِنْ النَّبِيِّ وَالْوَلَايَةِ.

إِنَّ مِنْهَجَنَا التَّفْسِيرِيَّ الْمُخْتَارَ أَمُومَهُ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فَضْلًا عَنْ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يُفَسِّرُ لَنَا أَسْبَابَ النُّزُولِ بِمَعْنَى وَلَائِي فَضْلًا عَنْ الْمَعْنَى التَّنْظِيرِيَّ، وَبِعِبَارِهِ أُخْرَى أَنَّ كُلَّ قَوَاعِدِ التَّفْسِيرِ فِي نِظَامِ الِاسْتِعْمَالِ اللَّفْظِيِّ وَنِظَامِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَنِظَامِ الْحَقَائِقِ لِأَبَدٍ أَنْ تَكُونَ لَهَا صَبْغُهُ وَلَائِيهِ كَمَا لَهَا صَبْغُهُ نَبَوِيَّهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ كِتَابٌ لَا يَنْحَصِرُ بِالنَّبَوَاتِ - أَيْ لَيْسَ فَقَطْ كِتَابٌ نَبَوِّهِ وَتَنْظِيرٍ - وَإِنَّمَا يَشْمَلُ كِتَابَ الْوَلَايَةِ أَيْ كِتَابَ فِيهِ بَرْنَامِجُ حُكْمٍ وَإِدَارَةٍ كَوْنِيَّةٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْمُفَسِّرُ أَنْ يَقْصُرَ عَلَى الْبُعْدِ الْأَوَّلِ أَيْ التَّنْظِيرِيَّ أَيْ بُعْدُ النَّبَوِّهِ، بَلْ لِأَبَدٍ لَهُ مِنْ الْخَوْضِ فِي الْبُعْدِ الثَّانِي.

تنبهان

التنبه الأول: إِنَّ الرُّوَايَاتِ الْمَزْعُومَةَ وَالْمُلَفَّقَةَ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ عِنْدَ الطَّرْفِ الْآخِرِ هِيَ لَيْسَتْ مَنْسُوبَةً إِلَى النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَا- مُشِينِدَةً إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَا- إِلَى أَحَدٍ أَوْصِيَاءِهِ الْمَعْصُومِينَ مِنْ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَإِنَّمَا هِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى جُمْلَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَوْ التَّابِعِينَ أَوْ تَابِعِي التَّابِعِينَ؛ وَلِذَا عِنْدَمَا نَعْبُرُ بِالرُّوَايَةِ الْمَقْصُودِ الرُّوَايَةَ التَّارِيخِيَّةَ وَلَيْسَتْ الرُّوَايَةَ النَّبَوِيَّةَ وَلَوْ عِنْدَهُمْ -

العامه - هَذَا هُوَ حَالِ اسْبَابِ النُّزُولِ الْمُتَّفَقِ وَالْمَحْرَفِ وَمَعَ ذَلِكَ وَلِلْأَسْفِ حَتَّى عِنْدَ بَعْضِ مُفَسِّرِي الْخَاصَّةِ يَعْتَمِدُهَا رَغْمَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مُسْنَدَةً إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَإِنَّمَا مُسْنَدُهُ إِلَى غَيْرِ مَنْ يُوثَّقُ بِحَالِهِ.

التنبيه الثاني: من الواضح أن القرآن الكريم يفصح عن حقائق كثيرة بشرط أن لا- تحجبنا أسباب النزول المتفق والمزعومه والمزيفه لديهم من قبل أتباع السلاطه الأمويه والعباسيه ومدرسه الطرف الآخر عن حقائق القرآن ومفاهيمه الثيره وعن مفاد ظاهر القرآن البين، فاللغزم عدم التأثر وعدم الاحتجاب بها والتخلص من تلاوينها المنعكسه على إطار ظهور الآيات وقوالب معانيها، كما سوف يتضح كل ذلك من خلال الآيات والزوايات، كما في قوله تعالى: (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٤٩) .

بتقريب: إن الآيه المباركه تشير إلى حقائق خطيره وتحاول أسباب النزول المتفق والمزعومه في غزوه بدر مثلا أن تشير إلى أن الذى يتبع الدين هو إنسان بسيط ساذج، مع العلم أنه اعتمد على أكبر وأضخم قوه أزلية وتوكل على الله عز وجل ومن يتوكل على الله فإن الله عز وجل عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٩) .

بتقريب: أفهل مَنْ يتوكَّل عَلَى اللَّهِ يُنْعَت بالسَّذَاجِه وما شاكلها، هَذَا ما نُريد أَنْ نثبته فِي أسباب النَّزول.

الجهه الثانيه: ارتباط قاعده أسباب النزول

بترتيب القرآن آياتاً وسوراً:

بيان العلاقة الوطيدة

بين قاعده ترتيب سور القرآن وقاعده النزول:

إِنَّ منهاج مدرسه أهل البيت عليهم السلام مِنْ أتمَّ وأسدَّ منهاج المدارس الإسلاميه الأخرى حقاً، وَعَلَى الإِطلاق أحاطه بأسباب النَّزول، إِلَّا أَنَّهُ تواجهنا مشكله فِي مبحث أسباب النَّزول وَهِيَ: -

إِنَّ هُنَاكَ جملة مِنْ أكابر المُفسِّرين اعتمدوا واتكلوا وللأسف فِي أسباب النَّزول فِي موارد عديده مِنْ الرُّوايه أو القصه المرويّه وغيرها عَلَى مصادر العامه فِي أسباب النَّزول وتركوا المنابع الغنيه لأسباب النَّزول الموجوده لدينا فِي مدرسه أهل البيت عليهم السلام، بَلْ وَقَدْ يتعدى الأمر فِي بعض الحالات إِلَى اعتماد واتكال كبار المُحقِّقين مَعَ جلاله قدرهم فَإِنَّهُ حصلت لديهم هَذِهِ الهفوه والزله أمثال على بن إبراهيم القمي صاحب تفسير القمي، فَإِنَّهُ فِي جُملة مِنْ الموارد أخذ أسباب نزول الآيات مِنْ أسباب النَّزول المزعومه لدى العامه، وإرسالها إرسال المُسلمات مِنْ دون أَنْ يسندها إِلَى روايات أهل البيت عليهم السلام فِي الفقه العقائدي والفقه السياسي، وفي بعض

الحالات حتّى فى فقه الفروع وغيره، وهذيه الزوايات الّتى اعتمدها على بن إبراهيم بن هاشم القمى من طرق العامه لم يقف عليّها بنفسه رحمه الله، وهذذا يُشكّل خطراً كبيراً على سير عمليّه الاستنباط بمختلف اتّجاهاتها، وله تداعيات عديده وخطيره جداً فى الفقه والعقائد والتفسير وغيرها؛ وذلك لأنّ أسباب النزول - كما مرّ - تُشكّل قرينه داله على الظهور، وهذيه الدلاله تكوّن وتُملى ظهور الآيه بماده سبب النزول غير الموثوق بها والملفّقه، وهذذا ما يؤثّر سلباً على النتيجة، وتكون النتيجة تابعه لهذا الخلل وعليّه فإنّ الاعتماد على مثل هكذا أسباب للنزول صناعياً وعلمياً قرينه دامغه حاله ومقاليّه لتكوين الظهور، ويرسوا على شاكله معيّنه، ويُقلب إلى قالب آخر غير ما هو عليه فى الواقع الخارجى.

وهكذا الحال فى تفسير التبيان للشيخ الطوسى رحمه الله فإنّه اعتمد على جملة من أسباب النزول من طرق العامه فى تفسير وبيان جملة من الآيات، والحال أنّ تلك الأسباب مزعومه ومُحرّفه ومغلوطه.

ونفس الكلام يأتى فى تفسير البيان للطبرسى فإنّه هو الآخر اعتمد على جملة من أسباب النزول المُلفّقه والمزعومه من طرق العامه.

علماً أنّ هذين المصدرين - أعين التبيان للشيخ الطوسى، والبيان للطبرسى - من مفاخر كتب التفسير إلى يومنا الحاضر، بل وحتّى مُعتمد عليّها لدى المذاهب الإسلاميه الأخرى، فضلاً عن أغلبه مراكز البحوث

فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، يَلِمْ وَحَتَّى فِي مَبْحَثِ الْقَرَاءَاتِ الْعَشْرِ - كَمَا سَيَأْتِي بِحِثِّهَا فِي مَحَلِّهَا الْمُنَاسِبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَإِنَّ جَمْلَهُ مِنْ مَفَاخِرِ رِجَالِ الْإِمَامِيَّةِ أَمْثَالِ حَمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ، وَأَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ، وَعَاصِمِ وَالْكَسَائِيِّ وَالْفَزَّاءِ وَغَيْرِهِمْ بَدَلُوا جُهِودَهُمْ فِي سَبِيلِ حِفْظِ الْقَرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ وَلِلْأَسْفِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ تَسْرِبَتْ إِلَيْنَا مَوَارِدٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْفُرُقِ الْأُخْرَى إِلَى الْوَسْطِ الدَّاخِلِيِّ.

وَكَفَى بِهِ شَاهِدًا مَا قَالَهُ الْذَهَبِيُّ وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ وَمُفَسِّرِي الْعَامَّةِ أَنَّهُ لَوْ حَازْنَا الْأَحَادِيثَ الَّتِي يَرْوِيهَا أَبَانُ بْنُ تَغْلِبَ وَأَضْرَابَهُ مِنْ الشِّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ لَانْدَرَسَ وَانْدَثَرَ جُزْءٌ مُهِمٌّ مِنْ تَرَاثِنَا(١) وَسُبُيْنِ شَيْئًا فَشَيْئًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - كَيْفَ التَّلَاعِبِ وَالتَّحْرِيفِ الَّذِي دَبَّ إِلَى بَابِ أَسْبَابِ التَّنْزُولِ الْمَزْعُومَةِ لَدَى الْعَامَّةِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُهِمٌّ جَدًّا فِي مَنَابِعِ الْمَعْرِفَةِ الدِّيْنِيَّةِ وَتَقْيِيمِهَا، فَإِنَّهُ مِنَ الْخَطُورِ بِمَكَانِ أَنْ يَقَعَ جَمْلُهُ مِنَ الْأَعْلَامِ الْكِبَارِ - رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ - فِي هَذِهِ الْغَفْلَةِ وَيُرَى مِنْهُمْ مَتَابَعَةُ الْمَدَارِسِ الْأُخْرَى، وَلَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهُ الْمَتَابَعَةُ، أَوْ النِّقْدُ فَفَقَطْ بَلَا تَوْثِيقَ عِلْمِي صَحِيحٍ، فَإِنَّ تَثْبِيتَ مِثْلِ هَذَا مَطْلَبٌ بَلَا مُسْتَنْدَ عِلْمِي أَمْرٌ غَيْرٌ صَحِيحٌ.

وَبِالتَّالِي لَا تَأْمَنَنَّ وَلَا تَطْمَنَنَّ أَيُّهَا الْبَاحِثُ الْكَرِيمُ فِي مَوَارِدِ أَسْبَابِ التَّنْزُولِ الْمَزْعُومَةِ عِنْدَ الطَّرْفِ الْآخَرِ - الْعَامَّةِ - مَا لَمْ يُدَقِّقْ وَيُحَقِّقْ فِيهَا، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ تَلْفِيقٌ وَتَزْيِيفٌ، فَلَا أَقْلَ فِيهَا تَعْقِيدَ وَتَعْتِيمَ، بَأَنْ يَنْقَلُ لَكَ

ص: ٣٧

سبب النزول ويصوّر بعض الحقيقه ويطمس كثير من الحقائق إلى حدّ إرضاء السلطان الحاكم وإن كلف الأمر قلب وعكس الحقيقه والواقع.

قاعده فرعيه:

في تعدد أسباب النزول لأبعض الآيه الواحده وآحاد كلماتها

وتأثير ذلك على تفسير الآيه فضلاً عن الآيات في السوره الواحده:

تنبيه: سنبيّن في جهات بحث نظام أسباب النزول عند أهل البيت عليهم السلام - إن شاء الله تعالى - إنّه تختلف حقيقه سببته أسباب النزول وحقيقه مورديّه مورد النزول عند مدرسه أهل البيت عليهم السلام عن بقيه المدارس والمذاهب الأخرى، وهذا مما يوجب لكثير من الباحثين الوقوع في الخلط إذا مزج في الاعتماد بين ما ورد عند العامه، وما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام، وليس دائماً هذا التلفيق والتحريف عمدياً في أسباب النزول، وإنما في بعض الأحيان يكون سبب القصور هو أنّ الطرف الآخر غير ملم بحقيقه أسباب النزول نتيجة عدم وعيه بنظام أسباب النزول كما تعيه إحاطه أئمه أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا نلاحظ انجرار بعض مفسري الخاصه وراء أو مع أفق أسباب النزول عند الطرف الآخر نتيجة غفلته، أو ابتعاده عن التعرّف على نظام أسباب النزول عند أهل البيت عليهم السلام.

ونتيجة هذا الابتعاد وهذه الغفله هو أنّه يتولّد لديه توهم أنّ تفسير الآيات والسياق في أسباب النزول واحد وهو خطأ، وسيأتي في نظام

ص: ٣٨

أسباب النزول عند أهل البيت عليهم السلام أنه لا وحده أسباب ولا وحده سياق وأنه يقل أن يكون في الآيات وحده سياق ووحده سوق، نعم هناك وحده غرض ووحده هدف من الآيه الواحده والسوره الواحده، ووحده الغرض، ووحده الهدف تغاير وحده السياق، وعلى ضوء ذلك، فإن كثيراً من الآيات لها عدده أسباب نزول بلحاظ صدرها ووسطها وذيلها، بل في جملة من الموارد، الكلمه الواحده من الجمله لها سبب نزول يختلف عن بقيه كلمات الجمله الواحده، ولعل هذا من غرائب الأمور على من لم يأنس بألوان وأنواع الاستعمال التركيب القرآنى بحسب ما تبه عليه أهل البيت عليهم السلام، ويئنون أن من أكبر العوائق أمام البشر في فهم كلام الله البناء على وحده السياق أو وحده الموضوع في الآيه الواحده فضلاً عن الآيات مع كونه كلاماً متصلاً (١).

روى العياشى بسنده عن الباقر عليه السلام في قوله: «إن للقرآن بطناً وللبطن بطن وله ظهر وللظهر ظهر... وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآيه لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجه» (٢).

روى العياشى بسنده عن جابر، قال: قال أبو عبد الله «يا جابر أن للقرآن بطناً وللبطن ظهر» ثم قال: «يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول

ص: ٣٩

١- (١) الاحتجاج للطبرسى، احتجاج الزنديق على أمير المؤمنين: ج ١، ص ٢٩٢-٣١٦.

٢- (٢) العياشى: تفسير: ج ١، ص ٨٦.

الرجال مِنْهُ إِنَّ الْآيَةَ لِنَزَلِ أُولَئِكَ فِي شَيْءٍ وَأَوْسَطُهَا فِي شَيْءٍ وَآخِرُهَا فِي شَيْءٍ، وَهُوَ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ يَتَصَرَّفُ عَلَيَّ وَجْهًا...» (١).

وهكذا ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في احتجاجه على الزنديق... وَمِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَكُونُ تَأْوِيلُهُ عَلَيَّ غَيْرَ تَنْزِيلِهِ، وَلَا يَشْبَهُ تَأْوِيلَهُ بِكَلَامِ الْبَشَرِ، وَلَا فِعْلِ الْبَشَرِ، وَسَأْتِبُكَ بِمِثَالِ ذَلِكَ تَكْتَفِي بِهِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ حِكَايَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) فَذَهَابَهُ إِلَى رَبِّهِ تَوَجُّهُهُ إِلَيْهِ فِي عِبَادَتِهِ وَاجْتِهَادِهِ، أَلَا تَرَى أَنَّ تَأْوِيلَهُ غَيْرَ تَنْزِيلِهِ، وَقَالَ: (وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) وَقَالَ: (وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) فَأَنْزَلَهُ ذَلِكَ: خَلَقَهُ إِيَّاهُ.

وكذلك قوله: (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدَّ فَآئِنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ (٨١) أَيُّ الْجَاهِدِينَ وَالتَّوِيلِ فِي هَذَا الْقَوْلِ بَاطِنُهُ مُضَادٌ لظَاهِرِهِ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (هَيْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) ٢، فَإِنَّمَا خَاطَبَ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَلْ يَنْتَظِرُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَعَايِنُونَهُمْ، أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَعْنِي بِذَلِكَ: أَمْرَ رَبِّكَ وَالْآيَاتِ هِيَ الْعَذَابُ فِي دَارِ الدُّنْيَا، كَمَا عَذَّبَ الْأَمَمَ السَّالِفَةَ وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، وَقَالَ: (أَوَّلَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يَعْنِي بِذَلِكَ مَا يَهْلِكُ مِنَ الْقُرُونِ فَسَمَّاهُ إِيَّانًا، وَقَالَ: (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنِّي

ص: ٤٠

١- (١) المصدر السابق: ج ١، ص ١٠، ح ١، عنه البحار: ج ٨٩ ص ٩١.

يُؤْفَكُونَ (١٤) أَي لَعْنَهُمُ اللَّهُ أَنِي يُؤْفَكُونَ، فَسَمِيَ اللَّعْنَةُ قِتَالًا، وَكَذَلِكَ قَالَ: (قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) ٢) أَي لَعْنُ الْإِنْسَانِ، وَقَالَ: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) فَسَمِيَ فَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَعَلًا لَهُ، أَلَا تَرَى تَأْوِيلَهُ غَيْرَ تَنْزِيلِهِ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ: (بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ) فَسَمِيَ الْبَعْثُ: لِقَاءً، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ) أَي يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: (أَلَا- يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) ٣) أَي لَيْسَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، وَاللِّقَاءُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ: الْبَعْثُ، وَعِنْدَ الْكَافِرِ: الْمَعَايِنَةُ وَالنَّظَرُ.

وَقَدْ يَكُونُ بَعْضُ ظَنِّ الْكَافِرِ يَقِينًا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: (وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا) ، أَي تَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا.

أَمَّا قَوْلُهُ فِي الْمُنَافِقِينَ (وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا) ٤ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بَيِّقِينَ، وَلَكِنَّهُ شَكٌّ، فَاللَّفْظُ وَاحِدٌ فِي الظَّاهِرِ، وَمُخَالَفٌ فِي الْبَاطِنِ (١).

وَرَوَى الْعِيَّاشِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدُ مِنْ عَقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، أَنَّ الْآيَةَ يَنْزِلُ أَوْلَاهَا فِي شَيْءٍ وَوَسْطَاهَا فِي شَيْءٍ

ص: ٤١

وآخرها في شيء، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً (٣٣) من ميلاد الجاهليته (١)).

روى العياشي بسنده عن جابر، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء في تفسير القرآن فأجابني، ثم سأله ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت جعلت فداك كنت قد أجبت في هذه المسألة بجواب آخر غير هذا قبل اليوم، فقال لي يا جابر: - إن للقرآن بطناً وللبطن ظهراً، يا جابر ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه (٢).

ص: ٤٢

-
- ١- (١) العياشي: ج ١، ص ٩٥، في من فسّر القرآن برأيه: ج ١.
 - ٢- (٢) العياشي: ج ١، ص ٨٧ ح ٨ باب تفسير الناسخ والمنسوخ، والظاهر والباطن.

الوجه البلاغي لاستعمال كل كلمة بنحو مستقل في الآية الواحدة

من الجهات المهمّة في قاعده أسباب النزول جهة الوجه البلاغيّ لاستعمال كلّ كلمة بنحو مستقل في الآية الواحدة، ونذكر: -

أولاً: روى العياشي عن أبي عبدالرحمن السلمي: أنّ علياً مرّ على قاضٍ، قال: «تعرف الناسخ والمنسوخ، فقال: لا، قال: هلكت وأهلكت، تأويل كلّ حرفٍ من القرآن على وجهه»^(١).

ووجه دلالتها: هو أنّ المراد من كلّ حرفٍ من القرآن أيّ كلّ كلمةٍ منه، وإن كان الحرف قد يُطلق على الجملة أيضاً، وكذلك يُطلق على مجموع الآيه، ولكنّه يُطلق بكثرة أيضاً على كلّ كلمة، فإذا كانت كلّ كلمة لها وجه وتعاريف عديده فعلى ما تقدّمت الإشارة إليه من أنّ كلّ كلمة في الآية قد يردّ فيها سبب للنزول يختلف عن سبب النزول للكلمة الأخرى سواء لوحظت الكلمة بمفردها أم بمثابه الجملة أو لم تلحظ.

ص: ٤٣

١- (١) العياشي: ج ١، ص ٢٨٧ ح ٩ باب الناسخ والمنسوخ.

وروى العياشى عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، قَالَ: - وَقَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْكُوفَةِ صَلَّى بِهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا يَقْرَأُ بِهِمْ -- قَالَ: فَقَالَ «الْمَنَافِقُونَ لَا وَاللَّهِ مَا يَحْسَنُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ، وَلَوْ أَحْسَنَ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ لَقَرَأَ بِنَا غَيْرِ هَذِهِ السُّورَةِ، قَالَ فَلَبَغَهُ ذَاتَ، فَقَالَ: وَيْلٌ لَهُمْ إِنِّي لِأَعْرِفُ نَاسِخَهُ مِنْ مَنَسُوخِهِ وَمَحْكَمَهُ مِنْ مُتَشَابِهِهِ وَفَصْلَهُ مِنْ فَصَالِهِ وَحُرُوفَهُ مِنْ مَعَانِيهِ، وَاللَّهُ مَا مِنْ حَرْفٍ نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا أَنِّي لِأَعْرِفُ فِيْمَنْ أُنزِلَ فِي أَيِّ يَوْمٍ، وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ» (١).

بتقريب: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَّقَ بَيْنَ الْحُرُوفِ وَالْمَعَانِي مِمَّا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ كُلَّ حَرْفٍ أَيُّ لِكُلِّ كَلِمَةٍ جَمَلُهُ مِنَ الْمَعَانِي.

روى العياشى عَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ فِي الْقُرْآنِ مَا مَضَى وَمَا يَخْدُثُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ، كَانَتْ فِيهِ أَسْمَاءُ الرِّجَالِ فَالْقَيْتِ، وَإِنَّمَا الْأَسْمُ الْوَاحِدُ مِنْهُ فِي وَجْهِهِ لَا نَحْصِي، يَعْرِفُ ذَلِكَ الْوَصَاهُ» (٢).

بتقريب: فِي هَذِهِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْأَسْمِ الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، وَقَدْ قُيِّدَ بِكَوْنِهِ الْوَاحِدِ إِشَارَةً إِلَى انْفِرَادِ الْكَلِمَةِ، وَأَنَّ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ ذَاتَ وَجْهِهِ فِي الْمَعَانِي لَا تُحْصَى؛ لِأَنَّهَا مُتَكَثِرَةٌ فَقَطُّ.

فَعَلَى مَا تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ فِي الْآيَةِ قَدْ يَرُدُّ فِيهَا

ص: ٤٤

١- (١) المصدر السابق: ص ٩١ باب علم الأئمة عليهم السلام بالتأويل ح ١.

٢- (٢) بصائر الدرجات، للصفار: ص ٦٢١٥؛ العياشى: ج ١، ص ٨٨ باب تأويل كل حرف من القرآن على وجوه: ح ١.

سبب للنزول يختلف عن سبب النزول للكلمة الأخرى، سواء لوحظت الكلمة بمفردها أم بمثابه الجملة.

ثانياً: كما في الوجوه التاليه:

الوجه الأول: كما هو الحال في التأويل البلاغى.

الوجه الثانى: أو لوحظت الكلمة ضمن مجموع بعض جُمَل الآيه مع عدم ضم الكلمة الأخرى لذلك المجموع فيتعدّد المفاد والتركيب.

الوجه الثالث: أو يؤخذ من كل كلمه أخذ تأويل معانيها ويضم إلى أحد معانى تأويل الكلمة الأخرى، فتعدّد مناسبات المعانى المتكثّره فى كل كلمه مع ضريب تكثّر المعانين لكل كلمه من الآيه مع تكثّر ضريب التناسب والمناسبات فتكثّر وجوه الآيه عدد من المعانى لا تحصى عدداً.

وهذه الوجوه الثلاثة تقريب لغوى بلاغى لكيفيه كون كل كلمه فى الآيه لها سبب نزول يختلف عن الكلمة الأخرى فضلاً عن تعدّد أسباب النزول للجملة المتعدّده فى الآيه الواحده، فإنه أسهل وضوحاً.

الوجه الرابع: وهو ما يسمّى بقاعده الالتفات فى علم البديع من علم البلاغه، ولكن بنحو التوسعه لقاعده الالتفات أوسع ممّا ذكره علماء البلاغه فيكون المتكلم يتحدث عن موضوع ما ثم يحوّل خطابه أو حديثه إلى أو عن موضوع أو شخص آخر، فيقال له: - إنّه التفت فى كلامه من موضوع إلى آخر، أو من شخص إلى آخر فكأنّه أدار وجهه أو كلامه من

جهه إلى أخرى، ومن شخص إلى آخر، وقد بحثنا قاعدته الالتفات في الجزء الأول من تفسير أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات فلاحظ ذلك.

ولا يخفى أن أسلوب الالتفات قد يُرتكب في أبعاض الجمله الواحده فيقصد من كلمه وصف شخص، ثم يقصد من كلمه الوصف الثاني شخص آخر، ومن كلمه الوصف الثاني شخص ثالث وهلم جرا.

ولا يخفى أن قاعدته الالتفات نحو من أسلوب الإشاره والتلويح الخفي في البين، وهذا مما ترك أثراً سلبياً على كثير من المُفسرين وضيع عليهم الكثير من حقائق التفسير الموجوده عند أهل البيت عليهم السلام، وغابت عنهم، كدل ذلك بسبب اعتمادهم على روايات أسباب النزول للطرف الآخر ولم يحققوها ويمحصوها بأنفسهم، كما غابت الحقيقه عن مُفسري الطرف الآخر.

والخلاصه: من كل هذا سيتضح جلياً في أسباب النزول حسب منهاج مدرسه أهل البيت عليهم السلام أنه لا وحده أسباب ولا وحده سياق في البين، وهذا مما ترك أثراً سلبياً على كثير من مُفسري الخاصه وضيع عليهم الكثير من حقائق التفسير الموجوده عند أهل البيت عليهم السلام.

فضلاً عن الآيات داخل السوره فضلاً عن السوره فيما بينها ليس كما أنزل

برهان على عدم التعويل على وحده سياق الآيه الواحده فضلاً عن وحده السياق في الآيات في السوره الواحده

وهذا أحد أسباب تعدد أسباب نزول لأبعض الآيه الواحده، وقاعده ترتيب الآيات القرآنيه، كما سيأتى بحثها في محلها المناسب في مبحث القراءات - إن شاء الله - إلا أنه نشير وبوجاهه لهذه القاعده لحاجتنا إليها في مقامنا فإن الغفله عن بيان قاعده ترتيب السور والآيات بل الترتيب في الآيه الواحد في القرآن الكريم أوقعت جمل المفسرين ومن الفريقين، سواء في فقه الفروع - آيات الأحكام - أو في فقه العقائد أو التفسير أو غيرها في التباسات عديده وشديده، وعليه فيان هذه القاعده أمر في غايه الأهميه لأنها في التباسات عديده وشديده، وعليه فيان هذه القاعده أمر في غايه الأهميه لأنها دخيله في تركيب ظهور الآيات والسور، فإنها بمثابة حلقات السلسله والمسلسل فبدلاً أن تبدأ من حلقه رقم واحد ابتداءً من النهايه إلى البدايه - أي بالعكس - أو من الوسط إلى البدايه، فحينئذٍ

إِذَا فُقِدَ الترتيب وَلَمْ تسلكه سوف تكون الصورة أمامك مرتبكه وفوضى في الملفات، فَإِنَّ سور القرآن الكريم ال - « ١١٤ »
سوره وآياتها أكثر من ستة آلاف آيه إذا لم ترتبها لا تستطيع أن تخرج ببناء سليم وقويم، وَعَلَيْهِ فالترتيب أمر خطير ومهم ولا
يمكن التفريط والتساهل به، وكأنا أصل الاستفادة من شيء مهون بتركيبه وترتيبه الصحيح والنظم والنظم في شيء أمر مهم.

إِنَّ أحد أهم الأمور الأساسيّه في تركيب مشاهد القرآن الكريم بترتيب آيات السور والسور فيما بينها هو تاريخ أسباب النزول،
وَهَذَا ممّا أكّده أمير المؤمنين عليه السلام في حواريات عمده مع أصحابه وأطراف أخرى يتحدثون في معرفه أسباب النزول مع
جهلهم بها فيقول لهم أمير المؤمنين عليه السلام ما معناه ومضمونه «إذا كنتم تجهلون أسباب النزول كيف يمكنكم معرفه ترتيب
القرآن وإذا كنتم تجهلون ترتيب وتركيب القرآن كيف يمكن أن تفهموا الناسخ من المنسوخ والعام من الخاص وغيرها».

وبعبارة أخرى: كيف تصلون إلى معرفه أقسام الظهور؟ وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أحد المفاتيح الأساسيّه الأولى في أقسام بحوث الدلالة
والظهور في القرآن الكريم هي مسأله ترتيب الآيات والسور، وَهَذَا الترتيب للآيات والسور وليد ومعلول لمعرفه تاريخ أسباب
النزول.

هناك أمرٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بين الفريقين مِنَ المسلمين، وَهَذَا الاتِّفَاقُ يعطينا دليلَ آخرَ عَلَيَّ أهمِّيَّةِ البحثِ فِي تاريخِ قَاعِدِهِ أسبابِ النُّزولِ وتوثيقِها وترتيبِ آياتِ القرآنِ ألام- وَهُوَ أَنَّ ترتيبَ سورِ القرآنِ لَيْسَ حسبَ ما أنزل، وَهَذَا ممَّا لا يمكنُ أَنْ ينكره مكابر؛ لأننا نلاحظُ السُّورَ المدنيَّةَ متقدِّمةً فِي المصحفِ الشريفِ والسورِ المكيَّةِ متأخِّرةً مَعَ أَنَّهُ بحسبِ أسبابِ النُّزولِ يُفترضُ أَنْ يَكُونَ موقعُ السُّورِ المكيَّةِ قبلَ السُّورِ المدنيَّةِ، يَلُحِظُ المدنيَّةَ لَمْ ترتبْ فِي المصحفِ الشريفِ حسبَ أسبابِ النُّزولِ، فمثلاً- سورهُ المائدةِ هِيَ مِنْ أواخرِ السُّورِ نزولاً، بحسبِ ما رواه العِيَّاشِيُّ عَنُ أَبِي جعفرِ عليه السلام، قَالَ: «قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ نزلتِ سورهُ المائدةِ قبلَ أَنْ يقبضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِشهرينِ أوِ ثلاثه»(١).

وسورهُ الأنفالِ مِنْ أوائلِ السُّورِ نزولاً تقريباً - لا أوَّلِ السُّورِ - عِنْدَ أَكثَرِ المُفَسِّرِينَ مَعَ أَنَّ التَّرتيبَ الَّذِي عَلَيْهِ القرآنُ هُوَ أَنَّ سورهُ المائدةِ تسبقُ الأنفالَ، وهكذا الحالُ بينِ سورتي الأنفالِ والتوبه - الَّتِي تسمى البراءه -

وسياتى فى مبحث مُستقل أسماء الشُّور أسماء السور وأنَّ السوره الواحده لها أكثر من اسم، فَإِنَّهُ سوره التَّوبه هِىَ مِنْ أواخر السور المدنيه نزولاً، بينما سور الأنفال مِنْ أوائل السور المدنيه نزولاً، ولو لاحظنا ترتيب سور المصحف لوجدنا أنَّ سوره التَّوبه تعقب الأنفال مُباشرة مَعَ أنَّ الفاصل الزمنى بين نزوليهما كبير.

وهكذا الحال بالنسبه للآيات الناسخه والمنسوخه فالمفروض وبحسب الترتيب وأسباب النزول تتقدم الآيه المنسوخه عَلَى الآيه الناسخه، مَعَ أَنَّهُ نجد فى كثير من السور. تَقَدَّمَ ذكر الآيه النَّاسخه والمنسوخه، وَهَذَا يُخالف مورد نزولها، وبالتالي فَإِنَّ مِنْ عدم الترتيب هَذَا بتقديم المُتأخر نزولاً عَلَى المُتقدم نزولاً تتشكل لدى الباحث فى التفسير أو الفقه أو العقائد أو فى أى مجال صوراً غير واضحه فى مادّه بحثه، وَعَلَيْهِ فكيف يتسنى للباحث الكريم أن يقرأ سيره النَّبِىِّ صلى الله عليه وآله وكيف تطوّرت وتدرّجت وتكاملت وتسلسلت وأنَّ هناك آيات قرآنيه ناسخه ومنسوخه وعام وخاص ومُطلق ومُقيّد ومبين ومجمل و... الخ.

وَعَلَيْهِ فَلَا يُدِّدُ للباحث الكريم مِنْ إحكام وضبط تأريخ أسباب النزول، وَإِلَّا لَمْ يضبط المُفسِّر والباحث مفاد آيات وسور القرآن الكريم وتفسيرها؛ ولذا إِذَا أردت أن تجعل الصوره واضحه أمام القارئ الكريم للمصحف الشريف سواء مِنْ عامه النَّاس أو كَانَ باحثاً فى بَعْض المعارف فَلَا بُدَّ مِنْ الإتيان بحلقات الآيات والسور متتابعهً ومتسلسلهً حسب تاريخ

نزولها كى لا يحصل التشويش بالمشهد المعرفى القرآنى، وإلّا كيف تكون الصورة واضحه أمام الباحث الكريم وَأَنْتَ تَأْتِي بِهَا مَشْوَشَهَ وَلَمْ تَلْتَزِم بِالِإِتْيَانِ بِحَلَقَاتِ السَّلْسَلَةِ مَرَاتِبَهُ، فَإِنَّ الْمَشْرُوطَ وَهُوَ وَضُوحُ الصُّورَةِ عِنْدَ عَدَمِ عَدَمِ شَرْطِهِ وَهُوَ الْإِتْيَانُ بِهَا مُتَسَلِّسَةً وَمَتَوَالِيَةً حَسَبَ تَارِيخِ نَزُولِهَا.

وَعَلَى أَىِّ حَالٍ فَإِنَّ تَرْتِيبَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَسُورِهِ لَيْسَ حَسَبَ تَارِيخِ نَزُولِهَا لَا يَنْكُرُهُ أَحَدٌ وَمُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا مِنْ كِلَا الطَّرْفَيْنِ.

فَبِأَنَّهُ وَمِنْ دُونِ مَعْرِفَةِ التَّرْتِيبِ بَيْنَ أَسْبَابِ نَزُولِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ لَا تَتَشَكَّلُ ظَهُورَاتُ كَامِلِهِ وَصَحِيحِهِ لَدَى الْمُفَسِّرِ وَالْبَاحِثِ حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَقْرَأَ مِنْ خِلَالِهَا الْحَدِيثَ وَالْوَاقِعَةَ وَالْمَوْقِفَ ... الخ

فَمَثَلًا- لَوْ أَرَادَ الْبَاحِثُ الْكَرِيمُ أَنْ يَخْرُجَ بِصُورِهِ كَامِلَهُ عَنْ مَوْقِفِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنِ الشُّعُوبِ الْكَافِرَةِ وَسَائِرِ الْمَجْتَمَعَاتِ الْأُخْرَى، وَتَحْدِيدَ صُورَةِ النُّظَامِ الْعَالَمِيِّ الْمُوَحَّدِ الَّذِي يَرِيدُ الْقُرْآنُ أَنْ يَقِيمَهُ وَيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، هَلْ هِيَ أَسْلَمَتِ النُّظَامِ الْعَالَمِيِّ بِالْعَدْلِ وَأَسْلَمَتِ الْأَنْظُمَةُ السِّيَاسِيَّةُ بِالْعَدْلِ كَذَلِكَ، أَمْ الْغَايَةُ أَسْلَمَتِ عَقِيدَةُ الْأَفْرَادِ، فَهَلْ يَدْعُو الْقُرْآنُ إِلَى سَفْكَ دِمَائِهِمْ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ أَوْ أَنَّ هُنَاكَ شَيْءٌ آخَرَ بَأَنَّ يَدْعُو إِلَى مُحَارَبَةِ الْمُعْتَدِي عَنْ طَرِيقِ تَشْرِيْعِ أُمُورٍ لِلْحَدِّ مِنْ تَحْرِكَاتِهِ الْعَدَوَانِيَّةِ وَعَتْوَاهِ تَمَدُّدِهِ كَتَشْرِيْعِ الْجِهَادِ الْإِبْتِدَائِيِّ الَّذِي يَعْنِي الْحَرْبَ الْإِسْتِبَاقِيَّةَ لِمَنْ هُوَ عَدَوَانِيٌّ وَيُرِيدُ أَنْ يَعْذَّ الْعُدَّةَ وَيَشْنَ الْحَرْبَ عَلَى الْبُلْدَانِ وَالْمَجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، لَا بِمَعْنَى أَنَّ الْجِهَادَ الْإِبْتِدَائِيَّ هُوَ قَهْرٌ غَيْرُ الْمُسْلِمِ حَتَّى يَقُولَ لَا

إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله فَإِنَّ مَثَل هَذَا قَطْعاً لَيْسَ مراداً للشارع المُقَدَّس لِأَنَّ هَذَا فِيهِ إِيْجَاءٌ فِي الْعَقِيدَةِ.

فَنَجِدُ أَنَّ الْآيَاتِ الْوَارِدَةَ فِي الْجِهَادِ مَبْنُوثَةٌ وَمَتَوَزَّعَةٌ فِي عِدَّةِ سُورِ قُرْآنِيهِ إِلَّا أَنَّ الْبَاحِثَ الْكَرِيمَ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ صُورَةٌ وَاضِحَةٌ حَوْلَ آيَاتِ الْجِهَادِ الْإِبْتِدَائِيَّ أَيْهَا أَوْلَاهَا نَزُولُهَا وَأَيْهَا آخِرُهَا نَزُولاً، وَكَمْ يَسْتَعْلَمُ الْمُفَسِّرُ الْكَرِيمُ مَوْقِفَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ حَقِّقِهِ وَغَايَةِ الْجِهَادِ الْإِبْتِدَائِيِّ أَيْ حَقِّقِهِ مَا يَرْسُمُهُ وَيَبَيِّنُهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ عِلَاقِهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُجْتَمَعَاتِ الْآخَرَى.

وَلِذَا أَحَدَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي حَدَّرَ مِنْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالَّتِي تُسَبِّبُ الضَّلَالَاتِ وَالْإِضْطِلَالَاتِ وَالتَّيْبَةَ وَالْإِلْتِبَاسَ هُوَ التَّمَسُّكُ بِالْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ مِنْ دُونِ مَعْرِفَةِ تَارِيخِ أَسْبَابِ النُّزُولِ أَوْ أَيْهَا نَاسِخٌ وَأَيْهَا مَنْسُوخٌ وَأَيْهَا الْمَتَّقَدِّمُ وَأَيْهَا الْمَتَأَخِّرُ، وَكَيْفَ تَحْدُدُ مَصِيرَ بَشَرٍ يَعِيشُ عَلَى كَوْكَبِ الْأَرْضِ مِنْ خِلَالِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مَا رَوَاهُ النُّعْمَانِيُّ فِي كِتَابِهِ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ.. عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَفْعَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ وَالْخَاصَّ مِنَ الْعَامِّ وَالْمَحْكَمَ مِنَ الْمَتَشَابِهِ وَالرَّخِصَّ مِنَ الْعَزَائِمِ، وَالْمَكِّيَّ وَالْمَدَنِيَّ وَأَسْبَابَ التَّنْزِيلِ، وَالْمَبْهَمَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي أَلْفَاظِهِ الْمَنْقَطَعَةِ وَالْمُؤَلَّفَةِ... وَالتَّقْدِيمَ وَالتَّأخِيرَ، وَالْمَبِينَ وَالْعَمِيقَ وَالظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ... وَمَعْنَى حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ الْمَلْحُدُونَ... فَلَيْسَ عَالِمٌ بِالْقُرْآنِ، وَلَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ، وَمَتَى ادَّعَى مَعْرِفَةَ هَيْدِهِ الْأَقْسَامِ مُدَّعٍ

بغير دليل فهو ذب مرتاب مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ الكذب ورسوله وماواه جهنم وبئس المصير» (١).

وهكذا لا يمكنك أيها الباحث والمفسر الكريم معرفه نظام القرآن الكريم تجاه العلاقه الدوليه وكيفيه تحديدها ولا يمكن التمسك به من دون معرفه نظم وترتيب أسباب نزول الآيات القرآنيه.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ اِرْتِبَاطَ قَاعِدِهِ أَسْبَابِ النُّزُولِ بِقَاعِدِهِ تَرْتِيبِ السُّورِ وَالآيَاتِ مَصِيرِيَّةٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فَإِنَّ الْفَقِيهَ يَتَرَجَّلُ وَالْمُتَكَلِّمُ يَتَلَبَّلُ إِذَا لَمْ يَحُلِّ هَذِهِ الْمَشْكَلَةَ وَهُوَ مَعْرِفَةُ تَرْتِيبِ أَسْبَابِ النُّزُولِ، فَمِثْلًا قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا) (٢٨) أليس هو مرتبط بقوله تعالى: (وَ يُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) ٣ كَمَا أَنَّهُ وَرَدَ أَنَّهُ كِلَا الْآيَتَيْنِ نَزَلَتَا فِي شَأْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكذا قوله تعالى: (وَ إِنِ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) (١١١) الذي احتج به الإمام الحسن بن علي عليه السلام على معاوية بن أبي سفيان - أي متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) . ما أغنى عنهم ما

ص: ٥٣

١- (١) عن تفسير النعماني المعروف بتفسير الشريف الرضي، وهو ليس كذلك؛ النعماني عنه؛ بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٤ ب ١٢٨ من أبواب ما ورد في أصناف آيات للقرآن.

كانوا يمنعون(١).

فمثلاً-هُنَاكَ شَبَهَاتٌ أَخْلَاقِيَّةٌ تَشَارُ فِي فِلْسَفَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَمِثْلًا-بَعْضُ آيَاتِ الْقُرْآنِ، تَقُولُ: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) كَيْفَ نَجْمَعُهَا مَعَ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) .

وبالتالى كيف يمكن للباحث الكريم أن يحلّ المشاكل في الاستظهارات في النظام الأخلاقي في القرآن، وهَذَا الباحث الكريم في علم العرفان كيف يمكنه حلّ الاستظهارات العرفانية في القرآن الكريم، وكذلك الفيلسوف بالنسبة إلى الاستظهارات الفلسفية من الآيات المرتبطة بما يتوخونه من أبحاث.

إنّ السبيل الوحيد للتخلص من كلّ هذه المشاكل هو معرفه قاعده الترتيب بين آيات وسور القرآن وقاعده تأريخ أسباب النزول، وبالتالي يتبين العام من الخاص والناسخ من المنسوخ، والمطلق من المقيد، والمجمل من المبين... الخ.

تنبيه: سيأتى إن شاء الله تعالى - في بحث قاعده القراءات القرآنيه بحث قاعده حفظ وصيانته القرآن عن التحريف، وسنتطرق في كلتا القاعدتين إلى بحث ترتيب السور وتركيب آياتها وهيو من المباحث الهامه والخطيره والحساسه جداً والتي يغفل عنها وللأسف - الكثير من المُفسِّرين

ص: ٥٤

١- (١) الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ٤١٩.

لخطوره تأثير ترتيب السور وتركيب آياتها وفي هَذَا المجال أجمع مفسرو المسلمین مِنَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ - السَّيْنَةُ وَالشَّيْعَةُ - عَلَيَّ أَنْ تَرْتِيبَ السُّورِ وَتَرْكِيبَ آيَاتِهَا لَيْسَتْ مَرْتَبَةً حَسَبَ تَارِيخِ نَزُولِهَا الْمَكِّيَّةِ ثُمَّ الْمَدِينِيَّةِ وَالْأَسْبِقُ فَالْأَسْبِقُ، فَمِثْلًا فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ ذَكَرْتُ غَزْوَةَ بَدْرٍ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ تَارِيخِيًّا أَنَّ غَزْوَةَ بَدْرٍ وَقَعَتْ فِي أَوَائِلِ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ فِي الْمَدِينَةِ، بَيْنَمَا لَوْ رَجَعْنَا إِلَى تَرْتِيبِ سُورَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَوَجَدْنَا سُورَةَ الْمَائِدَةِ مِثْلًا فِي أَوَاخِرِ حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيَّ مَا نَقَلَهُ الْعِيَّاشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ قَالَ: «قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ نَزَلَتْ سُورَةُ الْمَائِدَةِ قَبْلَ أَنْ يُقْبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِشَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ» (١) مَقْدَمُهُ عَلَيَّ سُورَةِ الْأَنْفَالِ، وَهَكَذَا.

ولذا مبحث أسباب النزول ترتيبه من المباحث الخطيرة، فَإِنَّ مَنْ يَجْهَلُهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ بِدَقِّهِ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَوَقَائِعٍ مُتَّكَمِلَةٍ، بَلْ تَبْقَى عِنْدَهُ الصُّورَةُ فِيهَا تَشْوِيشٌ وَضَبَابِيَّةٌ، وَلِذَا تَحَدَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّ الْمُسْلِمِينَ وَالصَّحَابَةَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَا مَنْ أَعْلَمَ مِنِّي بِالْقُرْآنِ فِي مَوَارِدٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ خُطْبِهِ وَأَقْوَالِهِ مِنْهَا: -

عَنْ سَلِيمَانَ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ عَلِيُّ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَأَنَا عَلِمْتُ فِيمَنْ نَزَلَتْ وَأَيْنَ نَزَلَتْ وَعَلَيَّ مَنْ نَزَلَتْ، إِنَّ رَبِّي وَهَبَ لِي قَلْبًا عَقُولًا وَلِسَانًا طَلْقًا (٢).

ص: ٥٥

١- (١) تفسير العياشي: سورة المائدة.

٢- (٢) تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨، ح ٩؛ البرهان في تفسير القرآن هاشم البحراني: ج ١، ص ٤٢، ح ٢٤.

وَعَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْكُوفَةَ... فَقَالَ: «وَيْلٌ لَّهُمْ إِنِّي لَأَعْرِفُ نَاسِخَهُ مِنْ مَنْسُوخِهِ وَمَحْكَمَهُ مِنْ مِتَشَابِهِهِ، وَفَضِيلَهُ مِنْ فَصَالِهِ، وَحُرُوفَهُ مِنْ مَعَانِيهِ، وَاللَّهُ مَا مِنْ حَرْفٍ نَزَلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ فِيْمَنْ نَزَلَ، وَفِي أَيِّ يَوْمٍ وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ... وَيَلُ لَّهُمُ وَاللَّهُ أَنَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ (وَ تَعَيَّهَا أُذُنٌ وَاعِيَةً) فَإِنَّهَا كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَيُخْبِرُنَا بِالْوَحْيِ فَأَعْيَاهُ أَنَا وَمَنْ يَعْيه، فَإِذَا خَرَجْنَا قَالُوا: مَاذَا قَالَ آتِنَا؟» (١).

عَنْ سَلْمِ بْنِ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَقُولُ: «مَا نَزَلَتْ آيَةٌ عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا أَقْرَأْنِيهَا، وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ، فَأَكْتُبُهَا بِخَطِّي، وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا وَنَاسِخَهَا وَمَنْسُوخَهَا، وَمَحْكَمَهَا وَمِتَشَابِهَا، وَدَعَا اللَّهُ لِي أَنْ يَعْلَمَنِي فَهَمَّهَا وَحَفَظَهَا، فَمَا نَسِيْتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا عَلِمْتُ أَمْلَاهُ عَلَيَّ فَكُتِبَ مُنْذُ دَعَا لِي بِمَا دَعَا، وَمَا تَرَكَ شَيْئاً عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ، وَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ كَانَ أَوْ لَا يَكُونُ، مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، إِلَّا عَلَّمَنِي وَحَفَظْتَهُ، فَلَمْ أَنْسَ مِنْهُ حَرْفاً وَاحِداً، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيَّ صَدْرِي، وَدَعَا اللَّهُ أَنْ يَمْلَأَ قَلْبِي عِلْماً وَفَهْماً وَحِكْماً وَنُوراً، وَلَمْ أَنْسَ شَيْئاً وَلَمْ يَفْتِنِي شَيْئاً لَمْ أَكْتُبْهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْتَخَوَّفْتَ عَلَيَّ النِّسْيَانَ فِيمَا بَعِيدٍ؟ فَقَالَ: لَسْتُ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ نِسْيَاناً وَلَا جَهْلاً، وَقَدْ أَخْبَرَنِي رَبِّي أَنَّهُ قَدْ اسْتَجَابَ لِي فِيكَ، وَفِي شُرَكَائِكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ بَعْدَكَ... الخ» (٢).

ص: ٥٦

١- (١) المصدر السابق: ص ٩٠، ح ١، باب علم الأئمة عليهم السلام بالتأويل عن بصائر الدرجات.

٢- (٢) المصدر السابق: ص ٩٢، ح ٢.

وتأثيره في معرفه أسباب النزول وتفسير القرآن

إنَّ المشكله الأساسيّه في المدارس الإسلاميّه الأخرى غير مدرسه أهل البيت عليهم السلام هي أنّها مدارس تابعه للسلطه بَعْد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يومنا هَذَا ويعتبرون ويتعاملون مَعَ أسباب التُّزول أنّها ذات طابع تاريخي، وإذا كانت تعامل معامله التاريخ فينبغي توخّي أقصى درجات الحذر والانتباه في التعامل معها والأخذ عنها؛ لأنّها بثمابه التعامل مَعَ مصادر التاريخ ومواده لتيار السّيلطه الحاكمه والدوله أثرها عَلَيْهِ دون المضطهدين والمستضعفين؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ السلطه الحاكمه في كُلّ زمان تحاول أن تكتب التاريخ بما يتلائم ومصلحه النظام الحاكم، وَمِنْ الواضح أن مثل هكذا أمر فيه ما فيه مِنْ طمس للحقائق، وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ توخّي الحذر حين التعامل معه كَذَلِكَ إِذَا صُيِّبَت أسباب التُّزول بصبغه تاريخيه يُخاف عَلَيْهَا ما يُخاف مِنْ التاريخ وما فيه مِنْ تزييف للحقائق عَلَى يَدِّ وَعَاظ السلاطين ومفسريهم.

ولا يفهم مِنْ هَذَا أننا نُريد أن نسلب التاريخيه عَنْ أسباب التُّزول مِنْ جميع الزوايا كلا، فَإِنَّا لا ننكر الجنبه والزوايه التاريخيه، فَهَذَا مِنْ زاويه

صحيح ويجب أن يكون التعاطي معها بموازين دقيقه، وفي نفس الوقت ينبغي الالتفات إلى أن التعامل مع أسباب النزول ليس ككله مبنياً على أساس تأريخي وإلا فالقرآن خالد بخلود البشر، بل خالد بخلود عوالم خلقه الله عز وجل حتى في عالم البرزخ والآخره... الخ.

وسبب التخوف والحذر من التعامل مع التأريخ يعود إلى أن الكثير من الوقائع والحوادث التأريخيه تلوعب فيها إلى ما شاء الله وطُمسَتْ أو حُرِّفَتْ رغم أنها كانت بمشهد الألوفا المؤلفه من البشر، فما ظنك بأحداث ووقائع وحقائق يُشكّل التأريخ بعض زواياها، وحدثت أمام قلائل من البشر ولم يشهدوا الألوفا ولا المئات ولا العشرات من البشر، كيف ترجو لتلك الأحداث أن تحفظ وتُصان، كما في بعض حروب وغزوات ومعارك النبي صلى الله عليه وآله والنبي هي مثال حتى في أسباب النزول.

تأثير أسباب النزول

على الآيات المتصله بالعقيده وغيرها:

إن تأثير آيات النزول في تفسير الآيات المتصله بالعقيده وبأسس الفقه السياسي والاجتماعي والتربوي .. الخ لها أثرها البالغ كما في واقعه أحد النبي نزلت فيها أكثر من أربعين آيه في سورة آل عمران:

(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ

النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَ لِيَمْحَسَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣)...١. وما بعدها.

وهكذا غزوه بدر قبلها - أى قبل أحد - تعرّض القرآن فى آيات عديده فى سور مُخْتَلَفَه مثل ما جاء فى سور آل عمران، (وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ (١٢٣) ٢) وقوله تَعَالَى: (إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ...) ٣ ، وقوله تَعَالَى: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعِيدًا مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ (٦) وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَ يَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨) ٤ .

وهكذا الآيات القرآنيه النازله فى واقعه الخندق كقوله تَعَالَى: (إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ وَ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ

الْحَنَاجِرَ... ١ .

وقوله تَعَالَى: (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا...) ٢ .

وقوله تَعَالَى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ) ٣ .

وغزوه تبوك إذ نزل فيها آيات مِنْهَا: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ) ٤ .

وقوله تَعَالَى: (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَ لَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا...) ٥ .

وقوله تَعَالَى: (لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) ٦ .

وغيرها مِنْ الآيات الَّتِي نزلت فِي سائر فتوحات وغزوات النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ فَتْحِ خَيْبَرَ وَمَكَّةَ وَالْيَمَنَ وَغَيْرِهَا.

كَمَا وَأَنَّ هُنَاكَ فتوحات حصلت فِي عهد الخليفة الأَوَّل والثاني والثالث والمعروف نسبه تلك الفتوحات إِلَيْهِمْ كُلُّ فِي زمنه،
بينما هُنَاكَ كلام لِأَمِير

ص: ٦٠

المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغه يرويه ابن أبي الحديد المعتزلي - وَهُوَ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ السُّنَنِ فِي شَرْحِهِ لِنَهْجِ الْبَلَاغَةِ... ثُمَّ نَسَبَتْ تِلْكَ الْفَتْوحَ إِلَى آرَاءِ وَلَا تَهَا وَحُسْنِ تَدْبِيرِ الْأَمْرَاءِ الْقَائِمِينَ بِهَا، فَتَأَكَّدُ عِنْدَ النَّاسِ نِبَاهَهُ قَوْمَ وَخَمُولِ آخَرِينَ فَكُنَّا نَحْنُ مَمَّنْ خَمَلِ ذِكْرَهُ وَخَبْتِ نَارُهُ وَانْقَطَعَ صَوْتُهُ وَصَيْتُهُ حَتَّى أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا وَشَرِبَ وَمَضَتْ السَّنُونَ وَالْأَحْقَابُ بِمَا فِيهَا، وَمَاتَ كَثِيرٌ مَمَّنْ يَعْرِفُ وَنَشَأَ كَثِيرٌ مَمَّنْ لَا يَعْرِفُ... الخ»(١).

وَقَدْ جَاءَ عِدَّةُ نصوصٍ تَأْرِيخِيهِ فِي ذَلِكَ:

مِنْهَا: مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَمْرٍ عِنْدَمَا فَشَلَ الْجَيْشَ الَّذِي بَعَثَهُ أَبُو بَكْرٍ لِقِتَالِ كِنْدَةَ وَلَمْ يَفْلِحِ الْمَدَدُ أَيْضًا فَاضْطَرَبَ لِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: «إِنِّي عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَوْجِهَ إِلَى هَؤُلَاءِ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَإِنَّهُ عَيْدُلٌ رِضًا عِنْدَ أَكْثَرِ النَّاسِ لِفَضْلِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَقَرَابَتِهِ وَعِلْمِهِ وَفَهْمِهِ وَرَفْقِهِ بِمَا يَحَاوِلُ مِنَ الْأُمُورِ»(٢).

بِتَقْرِيْبٍ: إِنَّ تِلْكَ التَّفَوْحَاتِ كُلَّيْهَا كَانَتْ إِدَارَتَهَا وَتَدْبِيرَهَا بِيَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسِوَاءِ كَيْفَ كَانَ هَذَا النَّصِّ الَّذِي ذَكَرْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ فِي كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ أَوْ عَمْرٍ أَوْ عُثْمَانَ، فَإِنَّهُ بِالتَّالِيِ يَكْشِفُ النَّقَابَ عَنْ دَوْرِ عَلَى وَمَكَانَتِهِ فِي نَفْسِيهِ وَقُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ وَسَائِرِ الْقَبَائِلِ الْمُتَمَرِّدَةِ عَلَى اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ، كَمَا فِي إِقْرَارِ وَاعْتِرَافِ مَنْ نَفَسَ

ص: ٦١

١- (١) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٢٠، ص ٢٩٨-٢٩٩؛ غرر الحكم / ٤١٤؛ وأيضاً عنه استشهد به الشيخ محمد السند في كتابه الصحابه بين العدالة والعصمه: ص ٣٧٥-٣٥٨.

٢- (٢) ذكره الشيخ محمد السند في كتابه الصحابه بين العدالة والعصمه: ص ٣٧٧.

أبى بكر بالإحكام فى تدبير على عليه السلام للأمر.

إن كُنَّا لا ننسى العملاق الأكبر الذى بنى أصل صرح الدولة الإسلاميه وَهُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله مَعَ يد وسيف على عليه السلام لِأَنَّ النَّبِيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله هُوَ الذى رَبَّى وبنى علياً، وبنى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بعلى الإسلام، وفى هَذَا الحديث كفايه وغنى عَن باقى الأحاديث والاستشهاد بكلام الصحابه وغيرهم فى الاستنجاد بعلى ابن أبى طالب عليه السلام، وقت المُلَمَّات والمواقف المصيريه العسيره، وَهُنَاكَ شواهد مِنْ كتب التاريخ وَالسِّيَره عِنْد جمهور العامه تشتمل عَلَى قصاصات كثيره شاهده عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ جمعناها فى كتابنا الصحابه بين العداله والعصمه، وقام بجمع شواهد أُخْرَى بَعْض الباحثين أيضاً كَمَا أَنَّهُ وقفنا عَلَى كثير مِنْ الشواهد الأخرى زياده عَلَى ذَلِكَ سواء فى الفتوحات الإسلاميه الَّتِي حدثت فى زمن الخلفاء الثلاث أو فى عهد بنى أميه وبنى العباس مِنْ الأدوار الَّتِي قام بها بَقِيَّه أئمه أهل البيت عليهم السلام.

ولذا مِنْ الخطأ أَنْ يُقرأ التاريخ قراءه سطحيه ساذجه بَلْ لَابِدَّ مِنْ قراءته بقراءه علميه وبفن العلم والحس الأمنى و الجنائى وعلم التحقيقات و... الخ.

وسبب كُلِّ هَذَا الفحص والتدقيق والتمحيص؛ لِأَنَّ التاريخ اشتمل عَلَى مدلهمات وظلمات وشبكات تآمرية ضد البشرية جمعاء والإسلام والمسلمين خاصه، وتكتلات لا ترى إِلَّا المصالح الكسبيه والنفعية الخاصه

بها ولا تنظر هذه التكتلات إلى التاريخ إلّا مِنْ طرف وجهه واحده وَهُوَ ما يَصَبُّ بِخدمه ومصلحه النظام الطاغوتى الحاكم وإلقاء التعتيم الإعلامى عَلَى كُلِّ مَنْ خالفهم، ولذا وجدنا كيف كُتِبَ التاريخ فى العصر الاموى والمروانى والعباسى و... الخ، وبدلوا الأموال الطائله والهائله فى سبيل التعتيم الإعلامى والصحفى والكتبى عَلَى كُلِّ منقبه قالها النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فى حقِّ عَلَى وفاطمه والحسن والحسين عليهم السلام والتسعه المعصومين عليهم السلام.

ولذا أعطى وأولى القرآن الكريم عنايةً خاصه بحياه النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ووثقها وأصيَلها حتّى لا تُعَيَّر ولا تُطمس، ولذا مِنْ الضرورى جداً التعرّف عَلَى المهام العظيمه فى تفسير القرآن الذى هُوَ المصدر الأوّل فى المعرفه الدِّيْتِيه والتفقّه فى الدِّين، فَإِنَّ معرفه الآيات والسُّور النازله والمرتبطة بغزوات وحروب النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ومشاهد أحداث سيرته صلى الله عليه وآله لها بالغ الخطوره فى فَهْم الإسلام وسيره النَّبِيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وتفسير آيات القرآن.

ولذا لا نستطيع قراءه التاريخ بقراءه ساذجه بسيطه أَنْ تفتن إلى كشف مثل هكذا أمور، بل يفوت الكثير الكثير.

فها هُوَ التاريخ يحاول - وحاول أَنْ يَطْمِس حقائق وقعت وأمام المئات أو الآلاف مِنْ البشر مثل حقيقه واقعه الغدير الَّتِي وقعت أمام مرأى ومسمع أكثر مِنْ (١٠٠) مئه ألف مسلم وَمَعَ ذَلِكَ عمدوا إلى التّحاكم بمبدأ نظريه الشورى والمدرسه السقيفيه وحاولوا خلط الأوراق وَلَمْ يفلحوا فى ذَلِكَ.

وهكذا مواقف أمير المؤمنين عليه السلام في معركة أحد وكيفيه هزيمة المشركين، وتقدم ذكر الآيات الدالة عَلَيْهَا وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ آيَةً فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ تَعْرَضْتُ وَبَشَكْلٍ تَفْصِيلِيٍّ إِلَى وَاقَعِهِ أُحُدٌ، وَلَكِنْ - وَلِلْأَسْفِ - انْظُرْ وَقَارِنْ بَيْنَ مَا كُتِبَ فِي كُتُبِ تَوَارِيخِهِمْ - الْعَامَّةِ - وَكَيْفَ صَوَّرُوا الْوَاقِعَ بِشَكْلِ مَنْكُوسٍ وَمَقْلُوبٍ الْحَقِيقَةَ كَمَا فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ، وَالْمَغَازِي لِلْوَاقِدِيِّ، وَكُتُبِ السِّيَرِ وَغَيْرِهَا، وَيَبِينُ مَا كَشَفَ الْقِنَاعَ عَنْهُ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِشَوَاهِدٍ وَحَقَائِقٍ دَامِغَةٍ سَتَجِدُ بُونًا وَاسِعًا وَطَمَسًا لِلْوَقَائِعِ وَالْحَقَائِقِ بِحَسَبِ مَا يَتِمَاشَى وَمَصْلَحَةِ النَّظَامِ الْمُتَسَلِّطِ فِي وَقْتِهِ.

التحريف في واقعه أحد:

فمَثَلًا تَسْرُدُ كُتُبَ الْعَامَّةِ التَّارِيخِيَّةِ وَاقَعَهُ أُحُدٌ مِنْ أَنَّهَا وَاقَعَهُ فِي بَدَايَتِهَا ظَفَرَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمُشْرِكِينَ، إِلَّا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ اشْتَغَلُوا بِالْغَنَائِمِ وَأَنَّ الرُّمَاهُ عَلَى جَبَلِ أُحُدٍ عَصَوْا وَخَالَفُوا أَمْرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ يُغَادِرُوا الْجَبَلَ، فَنَزَلُوا لِلْغَنَائِمِ عِدَا رَئِيسِ الرُّمَاهِ وَقِلَائِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَقُوا عَلَى طَاعَةِ الرَّسُولِ وَلَمْ يُغَادِرُوا الْجَبَلَ، فَاسْتَعْلَ هَيْدًا الْمَوْقِفَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَأَتَى بِكُتَيْبِهِ مَدَجَّجَهُ بِالسِّيلِ وَأَغَارَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَمِنْ وَرَاءِ الْجَبَلِ وَقَتْلَهُمْ وَرَشَقُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحِجَارِ وَانْقَلَبُوا بِالْجِرَاحَاتِ فَشَجَّوْا وَجْهَهُ وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ فَانْعَكَسَ الْأَمْرُ مِنْ ظَفَرٍ وَنَصَرَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى ظَفَرٍ وَنَصَرَ الْمَشْرِكِينَ، وَهُنَا حَصَلَ مَا حَصَلَ عِنْدَ بَعْضِ عَلَيْهِ الصَّحَابَةِ الْمُجْتَمِعِينَ عِنْدَ صَخْرَةِ الْجَبَلِ وَرَاوَدَهُمُ الرَّجُوعَ إِلَى دِينِ الْأَوَائِلِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الشُّرْكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ؛ وَلِذَا وَصَفَهُمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَا

ص: ٦٤

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) ١ .

وهكذا تنقل مصادر العامّة التّاريخية في واقعه أُحُد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأحد المسلمين انظر إلى قريش فإنّ ركبوا الخفاف - يعنى الجمال - فلن يغيروا على المدينة؛ لأنّ الجمال تركب لأجل السفر، وإنّ ركبوا الحوافر - يعنى الخيل أى الفرس - فسيغيرون على المدينة ينتهبونها ويسبون نساءها وأموالها، وجاء البشير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يُبشّره بأنّ قريشاً ركبت الخفاف، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إذنّ لن يغيروا على المدينة وذهبوا و... الخ.

هَذَا هُوَ تَصْوِيرُ تَأْرِيخِ الْعَامَّةِ لَوَاقِعِهِ أُحُدٍ، وَغَيْبِهَا وَحَذْفِهَا الْمَشْهَدِ الْأَخِيرِ مِنْ وَاقِعِهِ أَحَدٍ وَعْتَمُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ الْمَشْهَدُ الَّذِي تَنْقُلُهُ مَصَادِرُنَا وَفِيهِ مَوْقِفٌ مُشْرِفٌ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَزِي وَعَارَ عَلِيٍّ بَعْضُ الصَّحَابَةِ الَّذِي يَعِدُّونَهُ مِنْ عَلَيْهِ الْقَوْمِ أَلَا وَهُوَ الْخَلِيفَةُ الثَّلَاثُ الَّذِي فَرَّ وَوَلَّى هَارِباً مِنْ سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ وَذَهَبَ بِهَا عَرِيضُهُ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَعَيَّرُوهُ بِهَا وَأَنَّ كُلَّ مَنْ فَرَّ رَجَعَ بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ إِلَّا أَنْتَ... الخ.

ولذا تعمّدوا لطمس هذا المشهد الثالث لأنّ فيه منقبة لعلّي بن أبي طالب عليه السلام، علماً أنّ هذا المشهد وقع أمام أنظار المئات، بل الآلاف من البشر، ومع ذلك بذلوا كلّ ما بوسعهم لتغييبه عن أصل واقعه أحد.

تصوير المشهد الثالث من معركة أحد في روايات أهل البيت عليهم السلام

إنَّ الآيات القرآنيَّة النَّازلة في غزوه أُحُدٍ يما يقرب ال - (٦٠) ستين آية في سورة آل عمران (١) عدد لَيْسَ بالسَّهل في هكذا غزوه، وَهَذَا يُدَلِّل عَلَى أَنَّهَا تَتَضَمَّنُ الشَّيْءَ الكَثِيرَ مِنَ الدَّلالات والإشارات المَهْمَّة المطالب ترتبط بالمعارف وَمِنْهَا العقائد، والذي يهمننا الآن بحثه هُوَ ما يرتبط بمحل بحثنا أَلَا وَهُوَ مبحث أسباب النُّزول المرتبط بترتب الآيات وَأَنَّهُ كيف وقع التحريف والتزوير في أسباب النُّزول مِمَّا أَدَّى إلى الخروج باستنباطات واستظهارات - حَيْثُ لَدَى الخاصَّة - في أبحاثهم التفسيريَّة أو حَتَّى في أبحاث الفِقه السياسي أو الفِقه الاعتقادي أو... الخ مُلَفَّقَةً يُزَرَّقُ وَيُجَرَّعُ بِهَا السَّدجُ مِنَ النَّاسِ إلى أَنَّ قريشاً ربحت الغزوه وخرجت منتصره، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَبِرَ المعركة، وانكسر جيش المسلمين وظهرت شماته اليهود حَتَّى قالوا: «لَوْ كَانَ نَبِيًّا مَا ظَهَرُوا عَلَيْهِ وَلَا أُصِيبَ مِنْهُ مَا أُصِيبَ حِينَما رَشِقَ العَدُوُّ بالحجارة وجه رسول الله صلى الله عليه وآله فأثقلوه جُراحاً فشجوا وجهه وكسروا رباعيته» وَأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ

ص: ٦٧

يقول لأحد أصحابه بعدما انتصرت قريش، انظر: إن ركبت قريش الخف - يعنى الجمال - فسيذهبون إلى مكه، وإن ركبوا الحوافر فإنهم سوف يغزون المدينة فذهب وأتى بالبشاره وأنهم ركبوا الخف، ولولا أن هناك رجالاً مُخلصين نجدوا رسول الله صلى الله عليه وآله، لُقِضَتِ الأَمْرُ وَلَكِنَّهُ سُبِّحَانَهُ وَتَعَالَى كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسَهُ نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاعْزَازَ رَسُولِ اللَّهِ وَتَمَكِينَ دَعْوَتِهِ، هَكَذَا صَوَّرَ تَارِيخَ الْعَامَةِ غَزْوَهُ أُحُدَ.

وأما ما ذكرته روايات أهل البيت - عَلَى مَا هُوَ الصَّحِيحُ: أَنَّ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَكَذَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَفِرَا مِنْ سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ وَأَنَّهُمَا صَيَّمَا مَعَ آحَادٍ مِنْ خُلَصِ أَصْحَابِ الرَّسُولِ مِنْ دُونِ أَصْحَابِ السَّقِيْفَةِ، وَالرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَأْمُورًا بِالثَّبَاتِ، وَلَمْ يَفِرْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا فَرَّ الْفَارُونَ، كَيْفَ وَالْقُرْآنُ يَذِمُّ الَّذِينَ فَرُّوا وَأَنَّ الْفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَعَلَيْهِ فَكَيْفَ تَدْعَى مَصَادِرُ الْعَامَّةِ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَزَّ وَهُوَ مَأْمُورٌ بِالثَّبَاتِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ حَتَّى لَوْ بَقِيَ وَحْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاسْتَشْهَدَ هُوَ وَمِنْ مَعَهُ (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا) ١ .

بتقريب: فى روايه زيد الشَّحَامِ عَنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالَ: «... وَمَا لَقِيَ سَرِيَّةً مُدَّ نَزَلَتْ (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ٢) وَأَنَّ وظيفه رسول الله صلى الله عليه وآله تختلف عن وظيفه باقى المسلمين فَهُوَ

مأمور بالجهاد والقتال حتى لو بقي وحده، وتحريض المؤمنين وحثهم على القتال (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (٦٥) حيث بلغ شهداء أحد (٤٩) تسعة وأربعون شهيداً بضمنهم عم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهو حمزة بن عبدالمطلب رضوان الله تعالى عليه، ولم يبق في ساحة القتال إلا النبي صلى الله عليه وآله وحوله أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان قد اختفى تحت فرسه وقريش المدججه بالسلاح قد أحاطت برسول الله صلى الله عليه وآله فاقتحمهم أمير المؤمنين عليه السلام وعمد إلى رئيس الأولويه وقده بالسيف نصفين فانفكت الحلقة الأولى من مسلحى قريش المحيطه برسول الله صلى الله عليه وآله ذعراً وخوفاً، ولاحق أمير المؤمنين عليه السلام أصحاب الأولويه واحداً تلو الآخر حتى قتلهم جميعاً وفرت كل قريش.

ولنا وقفه فيها عدّه تساؤلات:

الأول: لو كان ما تدعيه المصادر التاريخية للعامه من أن رسول الله صلى الله عليه وآله فر من ساحة القتال لما تعرّض إليه من قبل عتاه قريش من الرمي بالحجاره وشجوا وجهه وكسروا ربايته وغير ذلك من الأعمال الشنيعه، وهذا دليل على بقائه هو صلى الله عليه وآله مع أمير المؤمنين عليه السلام وصمدوا إلى أن حققا النصر بإذن الله تعالى.

ص: ٦٩

الثاني: نسأل محققوا المصادر التاريخية للعائنه أين الفصل الثالث - إن صحّ التعبير - من غزوه أُحُد وما هو موقفكم منه، وماذا جرى بعد هزيمة المسلمين، علماً أن هذا الفصل قد ذكرته وثبته مصادر التاريخ الشيعيه؟

الثالث: بتغيبكم للفصل الثالث من غزوه أُحُد ما الذى تريدون إيصاله إلى أجيال البشريه والمسلمين القادمه؟

الرابع: لو تنزلنا وسلّمنا أن غزوه أُحُد حُسمت لصالح قريش، فلماذا.

(أ) لم يقوموا بغاره على أهل المدينة.

(ب) لم يسبوا نساءهم وذراريهم؛ لأنّ من عادته وطمع المنتصر وحرصه على أخذ الغنائم لا سيما قريش، فهل اتّصفت - قريش بالنزاهه والمسامحه في هذا الموضع فقط، ولم يكن طبعهم ذاك المتّصف بالغلظه والسلب والنهب والقتل؟

علماً أن غزوه بدر لم يمرر عليها سوى سنه واحده، والتي انتصر فيها المسلمون على المشركين واستعادوا الحقوق المسلوبه، وأي شبهه هذه عند قريش، أو عند الكفار، أو عند القبائل آنذاك في حروبها وغزواتها قبل الإسلام بأن لا يسلبوا ولا يسبوا النساء ولا يغنموا أصلاً؟! أم كان واقعهم العكس وهو الصحيح، بأن كان ديدنهم وهو الغنيمه بعد الظفر والسلب والسبى حتى بعد دخولهم الإسلام الحنيف، ويكفى شاهداً على ذلك ما فعلوه بكربلاء وبمعسكر الحسين عليه السلام من سلب الخيام ومن كان فيها من

النساء والأطفال وحرقتها، حتى عمدوا إلى سلب الخاتم الذي كان بخنصر الحسين عليه السلام بعد استشهاده وغير ذلك، فكيف الآن بقريش بعد ما انتصرت انتصاراً صورياً مزعوماً ولم تسلب الأموال ولم تغنمها ولم تسب النساء، وأنها ترفعت شأنًا! كيف يُعقل كل هذا وكيف ينطوى على ذوى الألباب والعقلاء.

ج -) ولو تنزلنا وسلمنا انتصار قریش وحسم المعركة لها كما تذكرها مصادرهم - العامه - التاريخيه كتاب الطبرى وسائر كتب السير عندهم، وأن النبي صلى الله عليه وآله فرّ فوق الجبل - والعياذ بالله - وهل هذا إلا إزراء برسول الله صلى الله عليه وآله؟!!

ومن خلال الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها يتضح جلياً أهميته معرفه الباحث الكريم بأسباب النزول حلقه حلقه، وأن لا تفتقد حلقه واحده منها؛ لانه بفقدها واحده منها يحدث للباحث ما حدث في تدوين غزوه أحد كما فعلت الأقلام المأجوره أتباع بنى أمية وبنى العباس وغيرهما بتغييب وقطع هذا المقطع من مسلسل حلقات معركة أُحُد، ليس ذاك إلا لأجل أن فيه منقبه بيان الدور الرئيسي والأساسي لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام في حفظ الدين وحياه الرساله دون الصحابه، وأن النصر كان معقوداً على ساعد أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، وهذا شيء لم يُرق ذكره لهم حتى لو استلزم من حذف هذا المقطع نسبه الفرار من الزحف، وارتكاب النبي صلى الله عليه وآله لكبيره - وحاشاه صلى الله عليه وآله من ذلك - علماً أن الواقعه نزل فيها قرآن، وعَلَيْهِ فعدم تتبع ذاك يوقع الباحث الكريم والمتتبع بمثل هكذا

نتائج سليبه.

وَالنَّبِيُّ الأَكْرَمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا كَانَ يَوْمَ الغَدِّ مِنْ بَعْدِ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ خَرَجَ لَطْلُبِ العَدُوِّ وَاسْتَنْفَرَهُمْ لِمَطَارِدِهِ العَدُوِّ عَلَيَّ أَنْ لَا يَخْرُجَ مَعِيَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَّا مَنْ خَضَرَ وَاقِعَهُ أُحُدٍ وَجُرِحَ.

وَفِعْلًا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَرَجَ مَنْ مَعَهُ وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ بَلَغُوا حَمْرَاءَ الأَشِيدِ - وَهُوَ مَوْضِعٌ عَلَيَّ ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنَ المَدِينَةِ المَنُورَةِ - وَالمَعْرُوفَةُ بِبَدْرِ الصَّغْرَى، وَأَقَامَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ بِالرُّوْحَاءِ، وَمَرَّ بِهِمْ مَعْبِدُ الخَزَاعِيِّ وَكَانَ قَدْ مَرَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَنْ مَعَهُ فَسَأَلَ عَنْ شَأْنِهِمْ فَقَالَ مَعْبِدٌ: - إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرْ مِثْلَهُ قَطُّ يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا... وَلَمَّا سَمِعَ أَبُو سَفْيَانَ مَقَالَ مَعْبِدٍ خَافَ عَلَيَّ نَفْسَهُ وَأَصْحَابَهُ فَرَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ وَقَدْ خَشُوا أَنْ يَكُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَصْحَابِهِ قِتَالًا غَيْرَ الَّذِي كَانَ فِي أُحُدٍ.

فَإِنَّ هَذَا المَشْهَدَ الأَخِيرَ أَيْ الفَصْلَ الثَّلَاثَ قَدْ عُيِّبَ مِنْ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ فِي مَصَادِرِ العَامَةِ التَّأْرِيخِيَةِ - كَمَا مَرَّ - عِلْمًا أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ أَمَامَ أَعْيُنِ المَثَاتِ، بَلْ الأَلْفِ مِنَ النَّاسِ آنَذَاكَ.

وَهَكَذَا الحَالُ فِي غَدِيرِ خَمٍّ وَتَنْصِيبِ الرِّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيفَةً شَرْعِيًّا عَلَيَّ المُسْلِمِينَ أَيْضًا حَاوَلُوا أَنْ يَطْمَسُوهُ وَيُعْيِيُوهُ، وَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ نَقَلُوهُ، وَأَنَّ عِدَّةَ الرُّوَاهِ الَّذِينَ رَوَوْا حَدِيثَ الغَدِيرِ مِنْ طَرُقِ أَهْلِ السَّنَةِ (١١٠) مِنْهُ وَعِشْرَةَ رَاوٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَ (٨٠) تَابِعِيًّا وَ

ص: ٧٢

وَهَذِهِ الأعداد تشكل تواتراً وَهِيَ تكفي لإثبات أى حديث يُراد إثباته، إلّا فيما إذا كَانَتْ فيه منقبه مقام وولايه فى الدين لعلّى بن أبى طالب عليه السلام فالأمر مُخْتَلَفٌ فيه.

وَهُنَاكَ روايه يرويها الشَّيْخُ المفيد رحمه الله فى أماليه عَنْ أبى بكر مُحَمَّد بن عمر الجعابى عَنْ ابن عُقده أحمد بن مُحَمَّد بن سعيد، قَالَ: حَدَّثَنَا على بن الحسين بن فضال التيملى وجدتُ فى كتابى أبى - أئى الحسن بن فضال - حدثنا مسلم الأشجعى عَنْ مُحَمَّد بن نوفل ابن عائد الصيرفى، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ الهيثم بن حبيب الصيرفى فدخل علينا أبو حنيفة النُّعْمَان بن ثابت فذكرنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ودار بيننا كلامٌ فى غدیر خم، فَقَالَ أبو حنيفة: - قَدْ قَلت لأصحابنا لا تُقَرِّوا لهم بحديث غدیر خم فيخصموكم، قَالَ فتغيّر وجه الهيثم بن حبيب الصيرفى، وَقَالَ لَهُ - لأبى حنيفة - لِمَ لا يُقَرِّون به أما هُوَ عندك يا نعمان؟ قَالَ: بلى هُوَ عندى وَقَدْ رويته، قَالَ فَلِمَ لا يُقَرِّون به وَقَدْ حَدَّثنا به حبيب بن أبى ثابت عَنْ أبى الطفيل عَنْ زيد بن أرقم أَنَّ علياً نَشِد الله فى الرحبه مَنْ تسمعه، فَقَالَ: أبو حنيفة أفلا ترون أَنَّهُ قَدْ جرى فى ذَلِكَ حوضٌ حَتَّى نَشِد على الناس فى ذَلِكَ؟ فَقَالَ الهيثم، فَنَحْنُ نكذب علياً أو نَرَد قوله؟ فَقَالَ أبو حنيفة ما نكذب علياً ولا نرد قولاً قَالَ: ولكنك تعلم أَنَّ الناس قَدْ غلا منهم قومٌ، فَقَالَ الهيثم: يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله ويخطب به ونُشْفِق نَحْنُ مِنْهُ ونتقيه بغلو

غال أو بقول، قَالَ (١).

بتقريب: أَنَّهُ بِمَجْرَدِ فَرْضِ وَجُودِ فَتَهُ عَلَى أَنَّهُمْ غَلَاتِ فَهَلْ هَذَا يَعْنِي أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَطْمَسَ الْحَقَّ لِثَلَايِغِ غَالٍ أَوْ يَقُولَ قَائِلٌ، فَهَذَا هُوَ قَوْلٌ وَفِكْرٌ أَبِي حَنِيفَةَ فِي إِنْكَارِ الْحَقِّ وَطْمَسِ الْحَقَائِقِ، وَعَلَيْهِ إِذَا سَرَّيْنَا هَذِهِ الْقَضِيَّةَ إِلَى كُلِّ الْحَقَائِقِ الدِّينِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ فَحَيْثُ سَوْفَ تَكُونُ النَّتِيْجَةُ: أَنَّ كُلَّ الْحَقَائِقِ قَدْ يَغْلُو بِهَا غَالٍ أَوْ يَقُولُ بِهَا قَائِلٌ حَتَّى التَّوْحِيدِ حَيْثُ تَدْرَعُ بِهِ أَيْ بِالتَّوْحِيدِ إِبْلِيسَ لِجُحْدِ الْإِنْقِيَادِ لِقِيَادِهِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَوْضَحِ الْوَاضِحَاتِ قَدْ يَنْحَرِفُ بِهِ مَنْحَرَفٌ.

علماً أَنَّ أبا حنيفة لا يؤمن بذلك ولا يراه قطعاً، وإنما يؤمن بذلك في خصوص ما يرتبط بأمر الإمامه والإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحديث غدیر خم وما تلك إلا شئشه أعرفها من أخزم.

وهكذا هُناك روايه يرويها العياشي في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان مظلوميه أمير المؤمنين عليه السلام ما مضمونه: لو كَانَ لِأَحَدِكُمْ دَارٌ وَتَخَاصَمُوا بِهَا... وَتَرَافَعُوا إِلَى الْحَاكِمِ أَفِيكْفِي لِإِثْبَاتِ حَقِّهِ اثْنَانِ، قَالَ: نَعَمْ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ بـ (١٢٠) أَلْفَ شَاهِدٍ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ إِثْبَاتِ حَقِّهِ.

وَمِنْ كُلِّ هَذَا يُسْتَفَادُ أَنَّ:

ص: ٧٤

الحقائق عِنْدَ المدارس الإِسْلَامِيَّةِ الأُخْرَى والتلاعب بأسباب التُّزول - عدا خط مدرسه أهل البيت عليهم السلام - أمرٌ فى غاية السهولة والكثرة إذ هُم طمسوا أكبر الحقائق التاريخيه المشهود كجموع جَمِّ غفير فكيف لما دونها فى المشهد والمرأى مِنْ قله الرائين.

وَقَدْ نقل ابن أبى الحديد المَعْتزلى لكلام أمير المؤمنين عليه السلام على بن طالب عليه السلام ص ٢٤: «... ومات كثير مَمَّن يعرف وونشا كثير مَمَّن لا يعرف... الخ» حَيْثُ يُبَيَّن عليه السلام - أَنَّ الفتوحات الَّتِي جرت فى عهد الثلاثه كُلَّهَا كَانَتْ بتدبير مِنْ أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ الجيل المعاصر للفتوحات طمس هَيْدِه الحقيقه إِمَّا بسبب العناد أو بسبب الخوف والرهبه مِنْ سلطان المستولين عَلَى الخلفه أو للتخاذل وذهب ذَلِكَ الجيل العارف للحقيقه ونشأ جيل مِنْ بعدهم لا يعرف حقيقه الأمر فنسب الفتوحات إلى المستولين الثلاثه عَلَى الخلفه.

وهكذا نشأت جملة غيره مِنْ حقائق التاريخ، ورغم هَيْدَا الطمس فَقَدْ بقيت قصاصات عديده مِنْ الشواهد الدَّالَّة عَلَى أَنَّ تدبير الفتوحات كُلَّهَا كَانَتْ مِنْ نصيب أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

وما هَيْدَا إِلَّا الكشف عَن أَنَّ هؤلاء سادرون وماضون فى غيهم، وَهُنَاكَ مشاهد عديده فى تاريخ الإسلام وسيره النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام حضرها الألوْف مِنْ النَّاسِ وَمَعَ ذَلِكَ طُمست لأسباب ودواعى مصلحيه

خاصه، فكيف بالأحداث والمشاهد التي حضرها عدد الأصابع أو العشرات أو المئات ولا تُطمس؟ بل هناك مشاهد أخرى كثيرة طمست وحُرمت منها الأجيال من الاطلاع والوقوف عليها لأجل أن تستنتج موقفاً وصوره كامله عن الحدث، وعليه إذا كان الحال هكذا فإن تسالماتهم في التأريخ خطيرة جداً لأنها تسالمات عن غي وباطل؛ ولذا كان التشديد من قبل مدرسه أهل البيت عليهم السلام على التدقيق في توثيق التأريخ وترتيب أسباب النزول بالشكل الذي لا يطمس الحقائق ويضيعها، وهذا ما يُناغم عقول البشر خاصه النخب العلميه منه في زماننا بعيد أن اتضحت الحقائق وأسدل الستار عن كثير منها أمام عقول البشر منقطعاً لو دار الأمر بين أن يُصغى إلى تدوين السيلطان والحكام أو يصغى إلى تدوين الأقلام الحره المستقله، بعيد إدراك العقول السليمه والصحيحه لقبح الظلم وحسن العدل؟ فإن العقول السليمه تختار ما كتبه الأقلام الحره دون المتحيزه لفته أو جهه لأن المتحيز لتلك الجهه أو السيلطه لا يكتب إلا لصالح سلطويه تلك الجهه أو السلطه، فمن الغريب مع كل ما يشاهد من سعى حكومات الجور بعيد السقيفه من طمس الحقائق سذاجه عمده من الباحثين باسترسالهم لظاهر ما دون من التأريخ من دون يقضه ونباهه لتجميع القصاصات والتنقيب عن تناثر الشواهد لحقائق التأريخ المطموسه مما يتطلبه البحث والتحقيق، نظير الباحث المحقق في مجال الجنائيات وعلم التحقيقات الجنائيه، فإنه لا يسترسل بظاهر الحال ولا يكتفى بالمترائي السطحي بل يدأب مُتقياً ويفحص مُتتبعاً

لِكُلِّ شَارِدِهِ وَوَرَادِهِ حَتَّى يَجْتَمِعَ لَدَيْهِ قِصَاصَاتٌ عَنَ أبعادِ الحَقِيقَةِ المَطْمُوسَةِ.

فالباحث في أسباب النزول أو سيره النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَارِيخِ الإِسْلَامِ وَسِيرِهِ أَهْلَ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا يَتَوَهَّمُ الأمانَةَ مِنَ الكُتُبِ الَّتِي كُتِبَتْ بِأَقلامِ وَعِراظِ السُّلَاطِينِ وَالكُتُبِ المُقَرَّبِينَ مِنَ حُكُومَاتِ الجُورِ فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ مُحالٌ بَلْ لا بُدَّ عَلَيْهِ مِنَ التَّفْتِيشِ وَالتَّنْقِيبِ وَشَمِشِمِهِ رَائِحَةَ الحَقِيقَةِ مِنَ عَلَيٍّ بَعْدَ مَسافَاتٍ مِنَ وراءِ طَبقاتِ الطَّمَسِ وَالإِخْفاءِ.

وَعلَيِّهِ إِذا كَافَرَ الكُتُبَ لأَسبابِ النُّزُولِ أَوِ الكُتُبَ للتَّأريخِ تحتِ رِعايَةِ هَكَذا سُلطاتِ ظالِمِهِ فِرْعَوْنِيَّةِ فَإِنَّهُ لا يَمكِنُ التَّعويلُ عَلَيَّ هَكَذا نَمَطٌ مِنَ الكُتُبِ للتَّأريخِ وَأَسبابِ النُّزُولِ.

وَلا يَظنُّ الباحِثُ فِي عِلْمِ التَّأريخِ عِنْدَما يودِعُهُ المَبطُونُ، هَكَذا رِوايَاتِ مُزَيَّفِهِ أَوِ مُحَرِّفِهِ أَنَّها سَوفَ تَنطَلِى وَلا تَنكشِفُ، هِيَ وَإِنْ لَمْ تَنكشِفِ فِي فِترِهِ مَعينُهُ إِلاَّ أَنَّ الأُمَّهَ مَلِيئُهُ بِالشَّخِصِيَّاتِ العِلْمِيَّةِ وَالمُحَقِّقِينَ وَالمُدَقِّقِينَ وَإِنْ كَافَرَ بَعْضُهُمُ انضَوَى تحتِ مَظَلَّةِ السَّيْطَةِ الحاكِمَةِ، إِلاَّ أَنَّ البَعْضَ الأَخرَ بَقِيَ عَلَيَّ ما هُوَ عَلَيِّهِ مِنَ حَريَّةِ الفِكرِ وَالقَلَمِ وَيَتَمَتَّعُ بِقَدَراتِ عِلْمِيَّةِ وَاسِتراتيِجِيَّةِ ضِخَمِهِ وَلَهُ النِّقَدُ البِناؤُ وَالعَمِيقُ المُبْتَنى عَلَيَّ ضِوَابِطِ وَمِوازينِ وَقوَّةِ وَدَقَّةِ تَحليلِ يَسْتَطِيعُ مِنَ خِلالِها أَنْ يَفْطَنَ إِلى بَعْضِ حَقائِقِ التَّأريخِ وَفِرْزِ الغِثِّ مِنْها عَنَ السَّمينِ وَالمُحَرِّفِ وَالمُزَيَّفِ عَنَ الصَّحيحِ؛ لِأَنَّ الخِطوَرَةَ فِي التَّأريخِ تُضَفِّى وَتُلقَى بِظِلالِها عَلَيَّ العَقيدَةِ وَالمَعْتَقَدِ الَّذِي يَعتَقِدُ بِهِ الباحِثُ وَالكاتبُ وَعلَيَّ مِصادرِ المَعْرِفَةِ الدِّينِيَّةِ وَغَيرِها، وَعلَيَّهِ فِلا يَمكِنُ التَّعاطى

مَعَ التَّارِيخِ بِقَدْرَاتِ بَسِيطِهِ وَمَتَوَاضِعِهِ وَسَادِجِهِ، فَإِنَّ التَّارِيخَ لَيْسَ فَقَطُ عَقِيدِهِ مُتَجَسِّدِهِ مُؤَرِّخِهِ وَمَنْعِ وَمَدَارِ وَمَسْتَنْدَاتِ وَوِثَائِقِ دِينِيَّةِ وَحَيَاتِيَّةِ مُهِمَّةِ كَلَا، وَإِنَّمَا الْأَمْرُ أَوْسَعُ وَأكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَلِذَا اقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِ أَمْثَلِهِ تَرْتِيبًا بِسَبَبِ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ لِيَبَانَ أَهْمِيَّةُ التَّحْقِيقِ فِي مَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ الدِّينِيَّةِ وَمِنْ أَهْمِهَا وَأَمْثَلَتِهَا الْمُهْمَّةُ جَدًّا الْبَالِغَةُ الْأَهْمِيَّةُ هِيَ أَسْبَابُ النُّزُولِ وَتَأْثِيرِهِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ.

تنقيح حقائق تاريخ الإسلام والسيره النبويه فى الوقوف على حقيقه الدين

أسباب النزول وخطوره التنقيب عن الحقائق المطموسه فى السيره

أسباب النزول لها بعدان:

تَحَصَّلَ مِمَّا سَبَقَ تَقَدَّمَ أَنَّ سَبَابَ النُّزُولِ لَهَا بُعْدَانُ:

البعد الأول: تاريخى باعتبار أن مورد نزول الآيات حَدَثٌ تاريخى.

البعد الآخر: مرتبط بخلود القرآن، ثُمَّ كَانَ أَمْرَ التَّدْقِيقِ وَالتَّوَثُّيقِ فِي التَّارِيخِ حَسَّاسٌ لِلغَايَةِ؛ لِأَنَّ التَّارِيخَ فِي الغَالِبِ كُتِبَ بِأَقْلَامِ سُلْطَوِيَّهٍ - كَمَا مَرَّ - وَهِيَ عَادَهُ تَسْمِيحُ لِأَقْلَامِ كُتَّابِهَا الكِتَابَهُ بِمَا يَرُوقُ لَهُمْ وَلِمَصَالِحِهِمْ، لَا كِتَابَهُ الحَقَائِقَ كَمَا هِيَ وَالشَّوَاهِدَ عَلَى مَرِّ العَصُورِ كَثِيرَةً، وَاقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِ جَانِبٍ مِنْهَا فِيمَا يَخْصُ سِيرَةَ النَّبِيِّ الأَكْرَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَسْبَابَ النُّزُولِ لِلْقُرْآنِ الكَرِيمِ وَتَارِيخِ الإِسْلَامِ وَسِيرَةِ المَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ، فَإِنَّ هَذَا التَّارِيخَ لَيْسَ لَوْنُهُ تَارِيخٌ فَقَطُّ، وَإِنَّمَا عَقِيدَةٌ مُتَأَرِّخَةٌ فَإِنَّ هُنَاكَ تَوَاتُرَ نَظَرِيٍّ أَيْ لَا يُمْكِنُ الوُقُوفَ عَلَى أَحَادٍ مَفْرَدَاتِهِ وَالتِّي تُشكِّلُ فِي النِّهَايَةِ بِتَرَاقُمِهَا تَوَاتُرًا إِلاَّ بِاعْمَالِ

النظر والبحث والتنقيب، يحتاج إلى ملكه ونظر في استنباطه، ويُفتش عن موارد التواتر الموزعة والمغيبه والتي طُمست بأقلام السيلطات الأمويه وغيرها حول شهاده الإمام الحسين عليه السلام أو سيره المعصومين عليهم السلام وما جرى عليهم كما هو الآن في جُمله من الأماكن المُقدَّسه كمكة المُكرَّمه والمدينه المُنوره وكربلاء والنجف والكاظمية وسامراء وخراسان و... الخ فإن مواطن المعصومين مقدسه كما يفصح القرآن الكريم عنها وأنها عديده في الأرض (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسه التي كتب الله لكم ولا تزددوا على أذباركم فتتقلبوا خاسرين (٢١) ١ .

بتقريب: إن الأراضي المقدسه عديده ولها بُعد جغرافى، إلا أن هذا البعد له فيها مساس حقيقى بالعقيده المقدسه، وهذا أمر يجب أن يوضع بالحسبان وبنظر الاعتبار، ولذلك - وللأسف - أنه قد يحصل تهاون في ضبط الأجيال المتأخره لمصادر سيره النبي صلى الله عليه وآله والتي تمثل جانب مهم من أسباب النزول في تفسير القرآن الكريم، فإن سيره النبي صلى الله عليه وآله نفسها منبع للشريعة وللعلوم والمعارف الدينيه، وعليه فكيف يتهاون في هذا المنبع من المصادر وتؤخذ الأمور على عواهنها، فإن مثل هكذا أمر في غايه الخطوره، ولذا نحتاج إلى باحث له علم أمنى وجنائى يعتمد عليه في استخراج هذا التواتر الذى حاولت السلطات الظالمه التعقيم الكامل عليه؛ لأن تاريخنا كله منتهك ومنتهك بالصراعات ولا يُفترط به ولو بمقدار قصاصه يسيره

منه، فإنها تفتح الطريق أمامنا للوصول إلى مواد وقصاصات وشواهد أخرى لأجل أن تساعد الباحث الكريم في هذا المضمار إلى ذلك التواتر النظري الاستنباطي.

وغرضنا من التشديد على هذه الجنبه؛ لأن الكثير من الباحثين فضلاً عن المشرفين على الدراسات الأكاديمية العليا وللأسف يستقون مباحث سيره النبي صلى الله عليه وآله مثلاً أو روايات أسباب النزول أو تاريخ الإسلام من مصادر مُشَرَّفَة ومُعَرَّبَة وكأنهم يغفلون عن الأقلام التي حاكت ونسجت الكثير من الزيف والتحريف كابن الأثير في الكامل أو ابن هشام في أول سيرته التي فيها عبارته «لم أذكر كثير من الأمور الموجودة في الأبحاث لأنها لا يُرضى بها كثير من الناس والسلطة... الخ» (١).

وهذا إلى حد ما يشبه عمل المؤرخين والصحفيين أو الإعلاميين سواء المقروء منه أو المسموع أو المرئي الموالى للسلطة الحاكمة التي لا تسمح بأن يكتبوا وينقلوا للأجيال المعاصرة أو الآتية كل ما في الحقيقة إلا لما فيه ترويج لمصالحهم الشخصية.

وعليه فإن الحقيقة دائماً لن تنعكس من خلال ما يكتبه ويسطره الباحثون ولا تظن أن سماء التأريخ صافية ولم يكن فيها منذ القدم صراع وإرهاب ورعب من حكام الدولة إلى الرعيه كدوله بنى أميه وبنى العباس

ص: ٨١

و... الخ، فَإِنَّ أَقْلَامَ كُتَّابِهِمْ تَصِفُهُمْ بِوَصْفٍ يَنْطَلِي عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْبَاحِثِينَ بِأَتِيهِمْ مِنَ الْحُكَامِ وَالسَّاسَةِ الْمُنْصِفِينَ وَالْمُهْتَمِينَ بِشُؤْنِ رِعْيَتِهِمْ وَذُووِ مَرُوَّةٍ وَأَنْهُمْ كَانُوا يَعِيشُونَ النِّظَامَ الدِّيمُقْرَاطِيَّ وَالْحَرِيَّةَ... الخ.

وَعَلَيْهِ لِأَجْلِ أَنْ نَسْتَخْرِجَ التَّوَاتُرَ النَّظْرِيَّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ فِي التَّارِيخِ الَّتِي عَتَمَتْ عَلَيْهَا سُلْطَاتُ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ فَنَحْتَاجُ إِلَى بَاحِثٍ مُتَّبِعٍ وَمُنْتَبِهٍ وَيَقْظٍ وَمُلْتَفِتٍ وَفَطْنٍ حَتَّى يَبِينَ لَنَا بَعْضَ الشَّيْءِ مِنَ الْحَقَائِقِ الَّتِي عَتَمَتْ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ الظَّالِمِينَ، كَمَا ذَكَرْنَا الْحَالَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَسْبَابِ النَّزُولِ وَسِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأَثْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ، فَهَذَا كَثِيرٌ مِنَ الْحَقَائِقِ مَغْمُورَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى تَنْقِيْبٍ، وَمِنْ الْوَاضِحِ لَدَى الْمُحَقِّقِينَ وَالْمُتَّبِعِينَ فِي هَذَا الْمَجَالِ أَنَّ التَّنْقِيْبَ وَالتَّدْقِيقَ هُوَ سَيِّدُ الْمَوْقِفِ فِي الْقَضَايَا الْعِلْمِيَّةِ لَا التَّنْفِصَلَ عَلَى مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْغَيْرُ، أَوْ الْاعْتِمَادَ فِي الْبَحْثِ عَلَى أَصَالِهِ الْعَدَمِ، أَيْ الْأَصْلَ عَدَمَ وَجُودِ هَكَذَا مَبَاحِثٍ وَإِنَّمَا هِيَ مُسْتَحْدَثَةٌ... الخ فَهَذِهِ أُمُورٌ لَيْسَتْ أَصْلِيَّةً وَلَا يَعْنى إِهْمَالُهَا بِالْمَرَّةِ، وَإِنَّمَا يَسْتَطِيعُ الْبَاحِثُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْغَيْرُ كَعَامِلٍ مُسَاعِدٍ إِنْ كَانَ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْغَيْرُ صَحِيحًا وَعَلَى الضُّوَابِطِ وَالْمَوَازِينِ الْعِلْمِيَّةِ.

وَالشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ التَّلَاعِبُ بِأَسْبَابِ النَّزُولِ، فَإِنَّ نَتِيجَةَ عَدَمِ التَّنْقِيْبِ وَالتَّدْقِيقِ وَالتَّمْحِيصِ وَالتَّحْقِيقِ فِي رَوَايَاتِ أَسْبَابِ النَّزُولِ وَاللَّأْسَفُ حَيْثُ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ انْطَلَتْ عَلَيْهِمْ كَثِيرٌ مِنَ الْحَقَائِقِ وَطُمَسَتْ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَسْرَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ طُمَسَتْ وَغِيِبَتْ بِطُمَسِ أَسْبَابِ النَّزُولِ الْحَقِيقِيَّةِ الصَّادِقَةِ، وَخَيْرُ شَاهِدٍ مَا حَصَلَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ فِي

تبوك قتل ولا قتال على ما جاء في مصادرنا كما ذكره الشيخ المفيد في إرشاده «... كان الله قد أوصى إلى نبيه أن يسير إلى تبوك وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلى حرب ولا يمني بقتال عدو...»(١).

بتقريب: إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قاد جيشاً عربياً من المدينة المنورة إلى منطقته تبوك بعد وصول أنباء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عن مجيء جيش الروم لغزوا المسلمين والهيمنة على البلاد الخاضعة لحكم الإسلام بعد ما قويت الحكومه الإسلاميه وأنها قوه لا تقهر، فقام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بعزم شامخ لتهيئه جيش قوى يغزو به الروم ويكسر شوكتهم(٢) فلو لاحظنا المصادر التاريخيه لمن يتق: - أنه حصل في تبوك اصطدام عسكري مع الروم في بدايه الأمر وهزم المسلمون لأن على بن أبي طالب لم يكن فيهم، وأنه ندب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله علياً بطريق المعجز بطن الأرض وجاء من المدينة وحق النصر لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وللإسلام والمسلمين وعاد على بطريق المعجز فضلاً عن المصادر التاريخيه للعامه التي ما أن سمعت بمنقبه بعلي عليه السلام إلا طمستها وإن لم تكن واقعاً.

وعليه فإن مثل هذا الحدث شاهده وعاشه الآلاف من البشر من المسلمين وغيرهم، والمسافه بعيدة على ما تنقل المصادر التاريخيه، وأن النبي صلى الله عليه وآله انتهى إلى تبوك يوم الثلاثاء ١٥ / شعبان / ٩ تسعه للهجره وكان

ص: ٨٣

١- (١) الإرشاد للمفيد: ج ١، ص ١٥٤.

٢- (٢) موسوعه سيره أهل البيت عليهم السلام، باقر شريف القرشي: ج ٢، ص ٣٥١.

خروجه في ٢٥ / رجب / ٩ هج (١) فَكَانَ سَفَرُ تَبُوكَ (٢٠) عَشْرِينَ لَيْلَةً، وَأَقَامَ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَشْرِينَ لَيْلَةً، وَهَرَقَلَ يَوْمَئِذٍ فِي حَمَصٍ (٢) وَفْتَرَهُ مَسِيرَهُ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى تَبُوكَ لَيْسَتْ بِالْيَسِيرَةِ وَالْقَصِيرَةِ حَتَّى تُطَمَسَ وَتَغِيبَ، عَلِمًا أَنَّ لَهَا مَصَادِرَهَا وَمَوَادِّهَا وَمَعَ ذَلِكَ غَيْبٌ وَطُمَسَتْ تَمَامًا، وَعَلَيْهِ فَلَا بُدَّ أَنْ نَتَسَاءَلَ لِمَاذَا تُغَيَّبُ الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ وَمِنْهَا أَسْبَابُ النُّزُولِ.

لِمَاذَا تُغَيَّبُ أَسْبَابُ النُّزُولِ

إِنَّ أَحَدَ أَهَمِّ أَسْبَابِ تَغْيِيبِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَغَيْرِهِ هُوَ لِأَجْلِ أَنْ لَا- تَتَّضِحَ مَعَانِي الْآيَاتِ لِأَنَّ أَسْبَابَ النُّزُولِ تَلْعَبُ دَوْرًا فَعَالًا فِي تَوْضِيحِ وَتَفْسِيرِ مَعَانِي الْآيَاتِ، وَأَنَّهَا فَيَمُنْ نَزَلَتْ وَعَلَى أَى شَيْءٍ اشْتَمَلَتْ وَ... الخ وبيركه وجود أئمه أهل البيت حفظت تلك الحقائق ولولاها لم تُغَيَّبْ تلك الحقائق القرآنية التي بينتها أسباب النُّزُولِ ووضَّحت أسباب نزول كُلِّ كَلِمَةٍ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَا سِيَّمَا فِي بَعْضِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ الَّتِي لَهَا أَكْثَرُ مِنْ سَبَبٍ لِلنُّزُولِ لَا سَبَبًا وَاحِدًا، فَمَثَلًا بَعْضُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ لَهَا سَبَبٌ نَزُولِ بِلِحَازِ صَدْرِ الْآيَةِ وَالْآخِرِ بِلِحَازِ وَسْطِهَا وَالثَّالِثِ بِلِحَازِ ذَيْلِهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَ كَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَ سَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ

ص: ٨٤

١- (١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٦٨، وأعلام الوري: ج ١، ص ٢٤٤.

٢- (٢) المغازي للواقدي: ج ٢، ص ١٠١٥.

بتقريب: إِنَّ الآيَةَ الْمُتَبَارَكَةَ انتقلت مِنْ ضمير التثنية إِلَى ضمير الجمع [...] إِلَى [...] وَهَذَا تَقَدَّمَ فِي مَبْحَثِ قَاعِدَةِ الِاتِّفَاتِ (١) ،
وَالْوَجْهَ فِي ذَلِكَ: - هُوَ أَنَّ الْحُكْمَ الَّذِي حُكِمَ بِهِ، لَيْسَ الْحَاكِمَ بِهِ هُوَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يُثْنَى
الضَّمِيرَ وَيَكُونُ تَطَابُقَ بَيْنَ [...] وَ [...] كَلَا وَإِنَّمَا الَّذِي حُكِمَ هُنَا هُوَ عُلَمَاءُ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ دَاوُدَ وَ سَلِيمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَتَسْرَعُ
عُلَمَاءُ الْيَهُودِ فِي الْحُكْمِ فَحَكَمُوا فَقَطَعُوا بِذَلِكَ؛ وَلِذَا صَارَ الضَّمِيرُ جَمْعًا بِهَذَا اللَّحَاطِ، وَعَلَيْهِ إِذَا أَخَذَ الْمُفَسِّرُ أَسْبَابَ التُّزُولِ مِنْ
غَيْرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَسَوْفَ يَقَعُ فِي مَتَاهَاتٍ وَغَفَلَاتٍ وَاشْتِبَاهَاتٍ لَا تُؤَدِّي بِهَ إِلَى نَتِيجَةٍ عِلْمِيَّةٍ مُرْضِيَةٍ.

وَيَبْقَى الْبَحْثُ نَاقِصًا، وَلَا تَقْتَصِرُ تَدَاعِيَاتُ ذَلِكَ عَلَى بَحْثِ أَسْبَابِ التُّزُولِ.

ص: ٨٥

١- (٢) تفسير أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن: ج ١ للشيخ السند.

كيف نقرأ السيره النبويه والولويه والتاريخ بالقراءه الصحيحه

لا يختص منهج أسباب النزول بآيات القرآن وسوره فحسب

إنَّ أحد أهم منهجيات تحقيق السيره النبويه والولويه والتاريخ الصحيح والدقيق والمنقح، هُوَ أن تجعل العرُض على نفس روايه القرآن ومُحكّمات روايات المعصومين أيّ تحكيم الثقلين من التاريخ، وَقَدْ يتساءل جملهُ من الباحثين عن وجه الصّله بين التاريخ والكتاب والعترة الطاهره وهُم الثقلين، فَإِنَّ الدّين كتشريع أيّ صلّه له بالأحداث التاريخيه الّتي وقعت وَكَانَتْ؟

والجواب: إنَّ البحث لَيْسَ في التاريخ بما هُوَ ترقيم وتوريخ وتأرُخ أحداث، بَلْ البحث في التاريخ هُوَ نشاه الدّين وترعرعه وبنائه وبما ينعكس كمصدر ومنبع ومستند ومدرك لاستنباط واستكشاف بُنيه الدّين؛ لِأَنَّ المقصود هُوَ البحث عن سيره الوحي وهُوَ النّبِيّ صلى الله عليه وآله وتَنَزَّل الوحي عَلَيّهِ في المواطن والأحداث المختلفه واستكشاف الصور الحقيقيه لموقف الوحي في المواطن والموارد المختلفه وتوجيهها للأحداث لاستخراج صورهِ واقعيهِ حقيقهِ لمنظومه الدّين ولكن بمنهجيه يقظه نبهه لا أَنْ تؤخذ السير من

الكتب القديمه والمشوشه أو الكتب الَّتِي كُتِبَتْ بِأَقْلَامِ مَاجُورِهِ تَحْتَ ظِلِّ السَّيْلَطَاتِ الظَّالِمَةِ وَالغَاشِمَةِ كَالسَّلْطَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْمُرَوَانِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ وَ... السَّخِّ وَتَوَخَّذْ عَنِّ مِثْلَ هَكَذَا مَصَادِرِ أَخْذِ الْمُسْلِمَاتِ، عَلِمًا أَنَّ هَذِهِ الْمَصَادِرَ تَعَكِّسُ رَأْيَ السَّيْلَطَاتِ الْحَاكِمَةِ فَقَطُّ وَوَجْهَهُ نَظَرُهَا وَمَا يَصْبُ بِمَصْلَحَتِهَا، وَنَتْرِكْ مَا يُسَيِّئُ لَنَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ الْأُئِمَّةِ وَهَذَا بِالتَّالِيِ يُشْكَلُ الْأَخْذَ بِهَا طَامَهُ كَبْرِي.

وَعَلَيْهِ فَبِإِنَّ قَاعِدَهُ أَسْبَابَ النُّزُولِ لَا تَخْتَصُّ بِالتَّالِيِ بَيَانِ وَقَعِ أَسْبَابِ النُّزُولِ لآيَاتِ الْقُرْآنِ وَسُورِهِ، بَلْ تَتَعَدَّى إِلَى السَّيْرِهِ النَّبَوِيَّةِ، وَسِيرِهِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَتَارِيخِ مَبْدَأِ الْإِسْلَامِ، وَكُلِّ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ الَّتِي وَقَعَتْ وَحَدَّثَتْ وَلَمْ يُشْرَرْ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الْوَقَائِعِ لَمْ يَتَعَرَّضَ الْقُرْآنُ لَذِكْرِهَا وَهِيَ بِالتَّالِيِ تُسَيِّجَلُ كَحَدِثٍ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، وَلَهُ مَوْقِعِيَّتُهُ وَفَهْمُهُ بِالصُّورَةِ الْحَقِيقِيَّةِ مِنْ دُونِ تَلَاْعَبِ بِهِ، وَهَذَا لَهُ أَثَرُهُ الْكَبِيرُ فِي تَثْبِيْتِ الْحَقَائِقِ وَسَبَبِ الْإِهْتِمَامِ بِهَذَا التَّارِيخِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَوْغَلٌ بِالتَّارِيخِيَّةِ الْمُحَضَّةِ وَإِنَّمَا هُوَ تَارِيخٌ عَقِيدَةٌ فَلَا يُدَّ مِنْ عَرْضِهِ عَلَى مُحْكَمَاتِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَالثَّقَلَيْنِ؛ لِأَنَّ هَكَذَا تَارِيخٌ عَقِيدٌ يَعْكُسُ بِظِلَالِهِ عَلَى فَهْمِ الدِّينِ، وَمَنْ الْوَاضِحُ إِنَّ أَىِّ بَحْثٍ يَجْرِي فِيهِ مَعْرِفَةُ الدِّينِ فَإِنَّ الْمِيزَانَ فِيهِ هُوَ الْعَرْضُ عَلَى مُحْكَمَاتِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ أَىِّ الثَّقَلَيْنِ (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...١).

وَعَلَيْهِ إِذَا صَارَ الْمِيزَانُ هُوَ الْعَرَضُ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَهُمَا الثَّقَلَيْنِ فَإِنَّهُ يَتَسَنَّى لِلْمُفَسِّرِينَ وَالْبَاحِثِ الْكَرِيمِ أَنْ يُنْقَى التَّرَاثُ مِنْ شَوَائِبِ مَا كَتَبْتَهُ أَقْلَامُ السَّيْلِطَةِ وَالْحُكَّامِ عَنْ مَا هُوَ حَقِيقُهُ بِبِرْكَهِ هَذَا الْمَنْهَجِ وَالْمِيزَانِ أَيْ مَنْهَجِ أُمُومِهِ الْوَلَايَةِ وَالْمُحْكَمَاتِ وَيَحْذَرُ هَذَا الْمَنْهَجَ مِنَ الْإِبْتِعَادِ عَنْ تَحْكِيمِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ فِي تَدْوِينِ وَتَحْقِيقِ التَّارِيخِيِّ الدِّينِيِّ وَإِلَّا يَقَعُ الْبَاحِثُ فِي الْمَعَارِفِ الَّتِي تَخْصُّ الْعَقِيدَةَ فِي تَبِيهِ وَضَلَالٍ.

ولذا من دون الرجوع إلى ميزان العرض على الكتاب والسنة والثقلين وأمومه الولايه لا يمكن وعى حقائق التاريخ؛ لأنَّ أيَّ حدث يقع سواء كان صغيراً أم كبيراً فلاجل الإحاطه بكُلِّ زواياه فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى مِتَابِعِهِ وَمِرَاقَبِهِ مِنْ عَدَّةِ جِهَاتٍ وَزَوَايَا وَلَا يُمْكِنُ لِمُؤَرِّخٍ أَوْ بَاحِثٍ بِجُهُودٍ مَحْدُودَةٍ أَنْ يَحِيطَ بِذَلِكَ مَا لَمْ يَتَّبِعْ مَنْهَاجَ الْعَرَضِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ وَأُمُومِهِ الْوَلَايَةِ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

والخلاصه من كُلِّ هَذَا هُوَ أَنَّهُ لِأَجْلِ أَنْ نَقْرَأَ سِيرَةَ نَبِيِّهِ أَوْ وَلِيِّهِ أَوْ تَارِيخِيَهُ مَضْبُوطَةً وَمَحْقَقَةً وَمَدْقَقَةً لَا يُدْرِكُ أَنْ نَقْرَاهَا بَعْدَسَهُ التَّصْوِيرَ الْقُرْآنِيَّ، وَإِنْ كُنَّا لَا نَنْكُرُ أَنَّ أَحَدَ أَسْبَابِ الْغَفْلَةِ عَنْ الْعَدْسَةِ التَّارِيخِيَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُوَ إِرْبَاكُ تَرْكِيْبِ وَتَرْتِيبِ السُّورِ وَالآيَاتِ فِي الْقُرْآنِ، وَأَحَدَ أَسْبَابِ الْإِرْبَاكِ هَذَا هُوَ عَدَمُ جَمْعِ آيَاتِ وَسُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَسَبِ رَوَايَاتِ أَسْبَابِ التَّنْزِيلِ الصَّحِيْحَةِ وَالْوَارِدَةِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِذْ لَوْ أُتْبِعَتْ لَكَانَتْ الْعَدْسَةُ التَّارِيخِيَةَ كَمَا فِي الْمَثَلِ أَوْضَحَ مِنْ شَمْسٍ وَأَبِينِ مِنْ

أمس، وإلّا ما كان هَذَا الالتباس الذى أوقع الأُمَّةَ الإِسْلامِيَّةَ فى متاهات وظُللٍ وطمس كثيرٍ مِنَ الحقائق تعميمها، كَلَّ ذَلِكَ كَانَ ضريبه عدم اتِّباع المنهج الصحيحه والحَقُّه ووقوع أو إيقاع الكثير من أفراد الأُمَّةَ الإِسْلامِيَّةَ فى الزيغ والضلال، إذ لو اتُّبعت المنهج الصحيحه فى قَوَاعِدِ التفسير وأحدها واهمها - هُوَ أسباب النُّزول الَّتِي لها تأثير كبير عَلَى دلاله تفسير القرآن لكشفت وفضحت زيغ الأَقلام الَّتِي استؤجرت من قبل السِّلطات الظالمه كالأمويه والعباسيه وغيرهما، إَلَّا أَنَّهُ وللأسف مَعَ هَذَا الترييف والتظليل؛ لذا نجد الأكثر وللأسف يأخذون بِهَذَا التاريخ أخذ المُسلِّمات من دون تنقيه وتمحيص لرواياته وطرقه اتِّكالا عَلَى تتبع الغير وتحقيقهم فى ذَلِكَ، ولذا حدث ما حدث:

إَلَّا أَنَّهُ والله الحمد بدأت عِنْدَ عَدَّةٍ مِنَ المحققين الخاصه أخيراً بادره جيده وَهِيَ كيفيه قراءه التاريخ من خلال عدسه القرآن الكريم، وإن كَانَ هَذَا قَاعِدِهِ أُخْرَى ستعرض إليها مُستقلاً فى البحوث اللاحقه إن شاء الله - وأحد الأُمور المُهمَّه فيها جداً هِيَ معرفه تاريخ النُّزول الذى سوف يطعلنا عَلَى مسلسل الحدث التاريخى والذى قَدْ يستعرضه القرآن فى سوره واحده، أو فى سور متعدده وَهُوَ الأكثر وَهَذَا مما يجب الالتفات إليه ببركه المنهج التفسيرى المُختار وَهُوَ منهج أمومه الولايه عَلَى المُحكِّمات فضلاً عَنِ المتشابهات فى القرآن، أَى مُحكِّمات السنه النبويه وسنه المعصومين عليهم السلام.

ارتباط قاعده أسباب النزول بقاعده ترتيب آيات القرآن الكريم

فى السوره الواحده فضلاً عن سائر سوره

إن أهم ما ينبغى ملاحظته ومتابعته للباحث الكريم فى قاعده أسباب النزول جملته من الأمور منها:

أولاً- الإلمام بالحوادث التى وقعت فى مکه المكرمه مرتبه بحسب التعاقب الزمنى، والتى نزلت فيها آيات ينبغى المحافظه على ترتيب أسباب نزولها كما هى، ثم ملاحظه سلسله الأحداث التى وقعت فى المدينه المنوره مُرتبه بحسب التعاقب الزمنى من بدء الهجره ونزول الآيات بشأن تلك الحوادث التى حدثت فى المدينه من غزوات وحروب وفتوحات، وتشكيل النبى الأكرم صلى الله عليه وآله للحكومه والمجتمع الإسلامى الجديد وغيرها الكثير من الحوادث التى وقعت فى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله، والتى تشكّل مُنعطفاً كبيراً وحساساً فى حياته صلى الله عليه وآله، وَعَلَيْهِ فإلإلمام بسيرته صلى الله عليه وآله شىء مهم للغاية؛ لأن سيرته المُباركه صلى الله عليه وآله دين متجسّم، وهكذا الإلمام بتاريخ الإسلام فَإِنَّهُ عقيدته مُتجسّمه ومُؤثّره فى معرفه أسباب النزول فى القرآن وترتيب آياته وسوره، وبالتالي نستطيع أن نقول أن أمواج هَذَا البثّ الوحياى، لَهُ لاقطات ومحطّات أرضيه راصده لهذا الوحي وَهِيَ عبارته عن سيره النبى صلى الله عليه وآله وسيره الأئمه عليهم السلام وتاريخ صدر الإسلام وغيرها التى تشكّل بمجموعها أسباب النزول.

ثانياً: الإمام بالسور والآيات التي تتعرض إلى ذكر الاحداث، وأنه في أي سورة تعرضت للحدث الفلاني، وهل توجد سورة أخرى تعرضت لهذا الحدث أو لا؟ وهذا بالتالي يُعطى فائده علميه مهمه جداً، وهو أن يكون لدى الباحث الكريم ميزاناً إجمالياً عاماً لتحديد الصحه والخطأ في مباحث وأبحاث أسباب النزول.

ثالثاً: وعلى ضوء هذا الميزان الإجمالي العام - المتقدم - تبين مدى صحه مرويات الراوى بعيد خضوعها لهذا الميزان الخطير والحساس، وكأنه تحقيق جنائي، فمثلاً: مرويات أبي هريره التي أعدادها بالآلاف إذا عرضت على هذا الميزان الإجمالي العام هل يتناسب هذا الكم الكبير مع عمره ومده لقائه القصير بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله سواء في مكه أو المدينة مع كونه إنساناً عادياً ويتلقى الأحاديث بشكل طبيعي، فهل يتناسب هذا مع ما يدعيه ويرويهِ عن النبي صلى الله عليه وآله وعدد لقاءاته مع النبي صلى الله عليه وآله، وعليه فإن مثل هذه الأحاديث توقف الباحث الكريم على تحقيق نفيس وتدقيق وتمحيص للتراث، يستطيع المُدقق والمُحقق من خلال هذا فرز ما هو صحيح عما هو مُلّفَق ولا واقع له.

ولذا نرى علمائنا الأبرار أمثال الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد، والشيخ الطوسي في جملته وكتبه الأخرى وغيرهما من الأعلام يتحدثون كثيراً عن كتب السيره والآثار ومصادرهما لأنها - السيره - أصل التراث فلا بُدَّ أن يُمحصَّ؛ لذا فإن أحد آليات قدره المُفسِّر على التفسير هو إمامه بسيره النبي صلى الله عليه وآله لما في

الإمام الدقيق بسيره النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ دِينٍ وَعَقِيدَةٍ مُتَجَسِّمَةٍ وَمُؤَثَّرَةٍ فِي مَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَا يَنْحَصِرُ الْأَمْرُ بِالْمُفَسِّرِ بَلْ وَيَتَعَدَّى إِلَى الْفَقِيهِ أَوْ الْبَاحِثِ فِي عِلْمِ الْأَخْلَاقِ أَوْ الْعُلُومِ الْأُخْرَى، فَإِذَا أَرَادَ الْبَاحِثُ أَنْ يَسْتَقِيَ مَعْرِفَتَهُ فِي مَجَالِهِ مِنْ دُونِ أَنْ يُلَمَّ بِسِيرِهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ بَحْثُهُ تَجْرِيدِيًّا وَسَطْحِيًّا وَبَعِيدًا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ الْحَقَائِقِ وَالْوَاقِعِيَّاتِ، وَهَذَا يَكْشِفُ لَنَا أَنَّ الْإِمَامَ بِسِيرِهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَطُوهُ مِنْ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَتَقْرِيرِهِ حُجَّةً وَأَمْتُولَهُ يُحْتَذَى بِهَا، وَكَمْ يَبَيِّنُ أَيْضًا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ الْإِنْحِرَافَ فِي مَذَاهِبِ الْعَامَّةِ فِي الْأَحْكَامِ وَأَبْوَابِ الْفِقْهِ وَقَوَاعِدِ الدِّينِ فَضْلًا عَنِ الْمَعَارِفِ وَالْمَعْتَقَدَاتِ نَشَأَ مِنْ عَدَمِ ضَبْطِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَبِسَبَبِ عَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى حَقَائِقِ وَقَائِعِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

وَكَمْ مِنْ مُعْتَقَدَاتٍ اعْتَقَدُوا بِهَا مَغْلُوطَةً مُنْعَكِسَةً عَلَى فَهْمٍ مَغْلُوطٍ لِمَغْزَى سِيرِهِ أَفْعَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلِلْجَهْلِ بِحَقِيقَتِهِ تَأْوِيلِ كَلِمَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي وَقَائِعِ السِّيَرَةِ الْمُخْتَلَفَةِ، حَتَّى أَنَّ أَيْضًا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَبَيِّنُونَ أَنَّ بَعْضَ خُلُصِ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ نِفَاقًا وَلَا عِدَاوَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بَلْ مَحَبَّةً وَنَصِيرَةً وَوَلَاءً وَتُوفَى شَهِيدًا وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَعِي تَأْوِيلَ مَوْقِفٍ وَمَغْزَى كَلَامٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهِيَ أَيْضًا هِيَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِنَحْوِ تَكُونِ عِبْرَةٍ لِكُلِّ أَجْيَالِ الْبَشَرِ، وَعَلَيْهِ فَالْإِمَامُ بِهَا أَمْرٌ فِي الْبَالِغِ الْأَهْمِيَّةِ.

وَمِنْ خِلالِ ما تَقَدَّمَ يُعْلَمُ أَنَّ التَّارِيخَ لا- يَمكُنُ تَمحِيفَهُ بِأَدواتِ تَاريخِهِ بِحِثِّه فَقطُّ، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلى آلاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ لِمَحِيفَتِهِ وَتَنقِيَتِهِ، فَيَحْتَاجُ إِلى عِلْمِ عَسْكَرِيٍّ فِى البَحْوثِ العَسْكَرِيَّةِ، وَالتَّقْنِيَّةِ العَسْكَرِيَّةِ، وَإِلى عِلْمِ أَمْنِيٍّ فِى البَحْوثِ الأَمْنِيَّةِ، وَعِلْمِ اسْتِراتِيجِيٍّ فِى البَحْوثِ الاسْتِراتِيجِيَّةِ، وَعِلْمِ سِياسِيٍّ فِى البَحْوثِ السِياسِيَّةِ، واجْتِماعِيٍّ فِى العِلْمِ الاجْتِماعِيَّةِ، وَنَفْسِيٍّ فِى العِلْمِ النَفْسَانِيَّةِ، وَعَلَيَّهِ فَالتَّارِيخُ مُشْتَمِلٌ عَلى مِجالِاتٍ وَعِلْمِ ومِبادِينِ كَثِيرَةٍ.

وَذَلِكَ لِارتِباطِ التَّارِيخِ بِمَوْضوعاتٍ مِنْ أَبْوابِ وَعِلْمِ مُخْتَلَفَةٍ وَلا يَمكُنُ الإِحاطَةُ بِحَقِيقَةِ الوَاقِعِ التَّارِيخِيَّةِ وَكُلِّ وَاقِعَةٍ إِلاَّ بِالمَوْضوعِ أَوِ المَوْضوعاتِ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِها تِلْكَ الوَاقِعَةُ، فَقدَّ يَكُونُ حَدَثاً عَسْكَرِيًّا وَقَدَّ يَكُونُ حَدَثاً أَمْنِيًّا، وَقَدَّ يَكُونُ ظاهِرَةً اجْتِماعِيَّةً مُعَيَّنَةً، وَقَدَّ يَكُونُ مَناورَةً سِياسِيَّةً مُعَيَّنَةً، وَقَدَّ يَكُونُ اضْطِراباً رُوحِيًّا وَنَفْسِيًّا مُعَيَّنًا، وَقَدَّ يَكُونُ أَزمَةً اِقْتِصادِيَّةً.

إِلى غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الحَقولِ والبِئِثاتِ المُخْتَلَفَةِ الَّتِي تَحِيطُ بِالمَجْتَمَعِ البَشَرِيِّ، وَعَلى ضِوءِ ذَلِكَ فَالوَاقِعَةُ المُعَيَّنَةُ مِنَ التَّارِيخِ لا يَنبَغُ فَحْصُها

وضبطها وأتقانها بمجرد الرّوايه التاريخيه وسلسله السند والطّرق إلى تلك الوقعه نظراً لارتباط الإحاطه والإلمام بتلك الوقعه بقرائن وقصاصات وشواهد مُرتبطه بالعلم الباحث عَنْ تلك البيئه وَعَنْ ذَلِكَ الحقل المحتف بحياه المجتمع البشرى، وأنى لغير المطلع عَلَى ذَلِكَ العلم المرتبط بذلك الموضوع مِنْ الإلمام بحقيقه وحقائق تلك الوقعه، وَهَذَا ما يُلاحظ عَلَى كثير مِنْ الاعتراضات والتساؤلات والاستبعادات حول واقعه الطّف يَوْم عاشوراء، فَإِنَّهَا تدور حول حقول وبيئات مُعيّنه لا يلم بها المُعترض أو المُستنكر لوقوعها؛ وَذَلِكَ لعدم إلمامه بالمُلابسات الموضوعيّه المأخوذه بعين الاعتبار فِي العلم الباحث فِي تلك البيئه وَذَلِكَ الحَقّ، وَمِنْ ثَمَّ أَنَّ التاريخ وإن كَانَ علماً لبقية العلوم إلّا أَنَّ حقائق التاريخ لا يمكن التوصل إليها بِمُجَرّد هَذَا العلم فَقَطّ، بَلْ لا بُدَّ مِنْ مُشاركه جُمله مِنْ العلوم الأُخْرَى الباحثه عَنْ حقول وبيئات مرتبطه بوقائع ذَلِكَ التاريخ، وَهَذَا دور العقل التجريبي وعقل التجارب وعقل العلوم فِي قراءه التاريخ نظير ما مرَّ مِنْ دور العلوم النقليه للوحى فِي قراءه حقائق التاريخ.

وبالتالى فَإِنَّ علم التاريخ مُجَرّد ركام قصاصات ومواد خام يحتاج فِي استخراج معادن وجواهر حقائقه إلى علوم أُخْرَى عديده، وَهَذَا ما أغفله عُلَمَاء التاريخ وما أغفله عُلَمَاء بَقِيَه العلوم الأُخْرَى فِي استنادهم إلى التاريخ ومروياتهم ورواياتهم فَإِنَّ اللّازم تمحيص وتنقيح وتنسيق تلك المواد للخروج بصفوه صافيه شفافه مِنْ الدلائل الكاشفه عَنْ حقائق التاريخ.

نظريه الشورى وارتباطها بغزوه أحد

نبحث في هذِهِ النَّظْرِيَّةِ كَيْفِيَّةَ التَّحْرِيفِ وَالتَّلْفِيقِ الْحَاصِلِ فِي رِوَايَاتِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَالَّذِي انْطَلَى عَلَى أَكْبَابِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى عَلَى جَمَلِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْخَاصَّةِ، وَكَيْفَ أَثَّرَتْ تِلْكَ التَّلْفِيقَاتُ عَلَى الْاسْتِظْهَارَاتِ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ.

مَدْرَكُ النَّظْرِيَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ... وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ١ .

بِتَقْرِيْبٍ: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: (وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ) فَإِنَّ (وَشَاوِرُهُمْ) أَمْرٌ بِنَحْوِ الْإِلْزَامِ وَالْوَجُوبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْمَشَاوِرَةِ لِمَنْ لَهُ أَهْلِيَّةُ الْمَشَاوِرَةِ وَالرَّأْيِ.

بَيَانُ مَعْنَى الشُّورَى: وَأَلْجَلُ أَنْ يَتَّضِحَ الْمُرَادُ مِنَ الشُّورَى وَالْمَشَاوِرَةِ فِي الْأَمْرِ، لِأَبْدٍ مِنْ بَيَانِهَا عَلَى وَفْقِ اتِّجَاهَيْنِ: -

الِاتِّجَاهِ الْأَوَّلِ: مِنَ الْأَسَاسِ التَّشْرِيْعِيِّ الثَّابِتِ هُوَ الْمَشَارَكَةُ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِقَاعِدَةِ الشُّورَى لَا بِالْمَعْنَى الَّتِي انْتَهَجَ فِي السِّيَاقِ فِيهِ وَمَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَنِ، بَلْ

بالمعنى المُتَبَيَّنِ عِنْدَ مَذْهَبِ الإِمَامِيَّةِ، فَإِنَّ مَوَادِّهَا تَحْكِيمُ الْحَقِيقَةِ وَالْوَصُولُ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ الْمُدَلَّلِ وَالْمُبْرَهَنِ عَلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي يُحَكِّمُ عَلَى الآرَاءِ سِوَاهُ كَمَا نَتَّ أَكْثَرِيَّةً أَوْ أَقْلِيَّةً فَقَاعِدَهُ الشُّورَى فِي مَذْهَبِ الإِمَامِيَّةِ: هِيَ حَاكِمِيَّةُ الْعِلْمِ وَالْفَحْصِ عَنِ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى الآرَاءِ وَالْمِيُولِ وَالْأَهْوَاءِ وَحَاكِمِيَّةُ الْعَقْلِ كَذَلِكَ وَهُوَ عَيْنُ مَفَادِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «أَعْقِلِ النَّاسَ مَنْ جَمَعَ عُقُولَ النَّاسِ إِلَى عَقْلِهِ» وَهُوَ شِعَارُ آخِرِ الْحَضَارَاتِ الَّتِي تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا الْبَشَرِيَّةُ وَالنَّمْطُ التَّمَدُّنِي الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ حَضَارَةُ الْمَعْلُومَاتِ وَالْعِلْمِ الْجَمْعِيِّ وَالْعَقْلِ الْجَمْعِيِّ لِـالـالـاهْوَاءِ وَالْمِيُولِ الْجَمْعِيِّهِ وَالنَّزْعَاتِ الْهَيْجَانِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ الْجَمْعِيَّةِ، يَلُ الْمَدَارَ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ الْمَتَوَزَّعِ فِي الْمَجْمُوعِ وَهَذَا الْمَفَادُ لِقَاعِدِهِ الشُّورَى فِي مَذْهَبِ الإِمَامِيَّةِ يُطَابِقُ قَاعِدَهُ أُخْرَى لَدَيْهِمْ وَهِيَ:

الْحُسْنُ وَالْقُبْحُ الْعَقْلِيَانِ الذَّاتِيَانِ لِلْأَشْيَاءِ:

حَيْثُ إِنَّ مُؤَدَى هَيْدَةِ الْقَاعِدَةِ الثَّانِيَةِ هُوَ الْحُسْنُ لِلْوَاقِعِيَّاتِ أَوْ الْقُبْحُ لِـالـالـاهْوَاءِ وَالْمِيُولِ وَالْقُبْحُ هُمَا أَمْرَانِ تُصَادِقُ عَلَيْهِمَا الْأَكْثَرِيَّةُ، وَلَا يَتَوَلَّدُ مِنْ تَبَانِي الْأَكْثَرِيَّةِ عَلَيْهِمَا، بَلْ هُمَا يَنْبَعَانِ مِنْ حَاقِّ الْوَاقِعِ، فَمَثَلًا النِّظَامُ الْمَالِي الْعَادِلُ حَسَنٌ وَإِنْ صَوَّبَتْ الْأَكْثَرِيَّةُ بِمَا يَخَالِفُهُ، وَكَذَلِكَ فِي مِثْلِ النِّظَامِ النَّقْدِيِّ وَالْقَضَائِيِّ وَالْحَقُوقِيِّ، فَعَدَالَةُ الْأَشْيَاءِ لَا تَرْتَهِنُ بِرَأْيِ وَلَا بِإِدْرَاكِ الْأَكْثَرِيَّةِ وَلَا الْأَقْلِيَّةِ، بَلْ بِحَسَبِ الْوَاقِعِ الْخَارِجِيِّ لِلْحَقَائِقِ، وَمِنْ ثَمَّ اعْتَرَفَ الْغَرْبُ فِي الْأَزْمَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الَّتِي عَصَفَتْ بِهِمْ طَوَالَ عَشْرَاتِ السَّنِينَ وَلَا زَالَتْ مُسْتَمِرَّةً تَلْكَ الْأَزْمَةَ الَّتِي بَرَكْتَ وَزَلَزَلْتَ أَعْمَدَةَ الْاِقْتِصَادِ

لديهم هي تراكم أنظمه خاطئه عديده في الاقتصاد سواء في نظام النقد المالى واكتشف أنه غير عادل، أو النظام المصرفى، أو نظام الضريبه الكمرگى أو نظام التجاره أو غيرها.

وخطأ هذه الأنظمة أنها غير عادله ومُجحفه، وهادمه للطاقه المالىه مَعَ أَنَّهَا قَدْ صُوِّبَتْ بِأَكْثَرِيَةِ الآراء ومالوا إليها واستهوتهم.

وَيَتِمُّ اكْتِشَافُ الْوَاقِعِ وَالْوَاقِعِيَّاتِ مِنْ خِلالِ إِجْرَاءِ تَحْقِيقٍ عِبْرِ اتِّخَاذِ هَيْكَلِ وَقِنَوَاتٍ وَآلِيَّاتٍ مُتَنَاسِبَةٍ مَعَ كُلِّ عَصْرِ وَمَكَادٍ وَبِلَادٍ (١).

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ اتِّجَاهَ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ، وَنَظَرِيَّةِ الْإِمَامِيَّةِ فِي نَظَرِيَّةِ الشُّورَى تَقُومُ عَلَى دَعَائِمٍ مِنْهَا: -

أَوَّلًا: لَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ الشُّورَى بِمَعْنَى حَاكِمِيَّةِ وَسُلْطَةِ الْأَكْثَرِيَّةِ، وَإِنَّمَا بِمَعْنَى الْعَقْلِ الْجَمْعِيِّ وَالانْفِتَاحِ أَمَامَ الْمَعْلُومَاتِ انْفِتَاحًا وَاسِعًا وَرَجْبًا، وَانْطِلَاقًا مِمَّا وَرَدَ فِي الرِّوَايَاتِ: «أَعْقَلَ النَّاسَ مَنْ جَمَعَ عُقُولَ النَّاسِ إِلَى عَقْلِهِ، وَاعْلَمَ النَّاسَ مَنْ عَلِمَ بِاخْتِلَافِ النَّاسِ».

ص: ٩٩

١- (١) أسس النظام السياسى عند الإماميه للشيخ محمد السند: ج ١، ص ٣٤. وقد بسط شيخنا الأستاذ محمد السند - حفظه الله - فى كتاب الإمامه الإلهيه: ج ١، ص ١١١ الفصل الثانى فى مبحث نظريه الحكم على ضوء الإمامه الإلهيه فى المبحث الثانى: ص ١١٩-١٨٩ والكلام حول النظريات المختلفه فى إداره شؤون الحكم ودور الشورى، وكذلك بشكل أكثر تبسيطاً فى النظام السياسى. وكذا فى كتاب الحاكميّه بين النصّ والديمقراطيه للشيخ السند - حفظه الله - ج ٢، الفصل الأول: ص ١١٩-٤٠ ومنه أراد الإحاطه بالموضوع أكثر ومزيد البسط والتفصيل وبرأى شيخنا السند حفظه الله، مراجعه المصدرين المذكورين.

ثانياً: إِنَّ مَعْنَى الشورى هِيَ مراقبة الأُمَّه لِكُلِّ نظام الحكم مِنْ رأسه إلى طبقاته المُتوسِّطه إلى تفرّعات قاعدته وشُعْبها أَى حس المسؤوليه تجاه الشأن العام، حيثُ نجد هَذَا التّشريع مُتأصِّلاً في النهج الديني بدءاً بأولى خطواته، فَإِنَّ الاعتقاد بالنبوه والإمامه والمُتابعه والإنقياد لهذين الأصلين المُقدّسين مشروط بإحراز الأُمَّه لمواصفات النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله والإمام عبر المعجزه والدليل العلمى واتّصافهما بهذين العنوانين فضلاً عن بَقِيَّه مراحل النهج الديني.

نماذج مِنْ أنحاء مراقبه الأُمَّه:

ومما يُشير إلى هَذِهِ الصّلاحيه للأُمَّه ما قُرّرَ في مباحث المعارف الدّينيّه مِنْ حجّيه العقل ولو بنحو محدود ومُفيد باليقينيّات، فَإِنَّ ذَلِكَ يُعطى مُؤدّى نحو مشاركه للأُمَّه بما لهم مِنْ عقل في النظام بما لهم مِنْ عقل في النظام الديني على صعيد التنظير والتطبيق.

وَمِنْ النماذج الأولى لمشاركه ومحاسبتها ومُتابعتها لمسيره الحكم، هِيَ ما صرّحت به الآيه الكريمة (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) ١.

بتقريب: - إِنَّ الآيه المُبارَكه فيها إشاره إلى عموم ولايه النَّاس، لا- إعطاء الحاكم الولاية؛ فَإِنَّ ولاية الحاكم بمقتضى الآيات العديده لله ولرسوله والأولى الأمر مِنْ ذى القُربى، بل ولا يتّهم في المراقبه والمحاسبه

والنظاره على مسير الحكم، وهو ما قد يُعبّر عنه بالنصيحه... ولا-ريب أن شكّل وأدوات وآليات المراقبة هي خاضعه للعقل التجريبي والخبروي التي تتبادلها المجتمعات البشرية في ما بين بعضها مع البعض الآخر، واستخدام الآليات المناسبة العصرية هو الجانب المتغير في مقام الأداء لما هو الثابت الديني(1).

وعليه فإنّ اتّخاذ الآليات من تجارب العقلاء والأمم، سواء على صعيد الحكم، أو صعيد آليات المراقبة والنظاره؛ ما دامت الثوابت الدينية قابله للانحفاظ في شكل تلك الآليات.

الشورى عند أهل البيت عليهم السلام:

إذن الشورى حسب فكر ومنهج مدرسه أهل البيت عليهم السلام معناها عدم الاستبداد بالرأى النابع من ضيق المعلومات الفرديّة، وتوقع النفس في معلوماتها فقط وحدود قدره العقليه للباحث الكريم، بل تحثّ على جمع وضمّ العقول المختلفه إلى عقلك بضوابط وموازن علميه، وهذا البحث غير بحث حاكميه الأ-كثريه، وإنما هو بحث كيفي ويدعو إلى جمع المعلومات الدقيقه والتي فيها جنبه شموليه، ولذلك نرى بوضوح تأثير جانب الخبره والخبرويه والنخبه والنخبويه على هذه المدرسه الشريفه، فالعالم فيها ليس الكمي وإنما المنظور العامل الكيفي، ولا يعنى هذا إهمال العامل الكمي،

ص: ١٠١

١- (١) أسس النظام السياسي: ج ١، ص ٣٧-٣٨ الشيخ محمد السند.

وإنما يُنظر العامل الكمي من جهة توسعه الأفق لا من جهة أن الكم بما هو كم له دور، وإنما من جانب الانفتاح على أكبر قدر من المعلومات ومن التجارب، هكذا يكون الفضاء رحباً وسيعاً لنظريته الشورى في نظر مدرسه أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا حتى لو نظرنا إلى شعار الحضارات الحديثه المعبر عنها بثوره المعلومات تارة، وبوسائل شبكه الاتصال الجمعي لتبادل المعلومات تارة أخرى، وإن كانت شعاراتهم السابقيه الديمقراطيه والأكثرية إلا أنهم عدلوا عنها ورفعوا مكانها شعار آخر، وهو تحكيم ثوره المعلومات والدلائل وإن كان هناك جدلاً يجري الآن حتى في شعار الديمقراطيه وأنه هل المحكم هو الكم - أي صفوه الأكثرية، أو آراء الأكثرية، أو الرأي العلمى الذى يستند إلى معلومات ودلائل، وعليه بالتالى هناك فرق بين حقوق الأكثر، وآراء الأكثرية والرأى العلمى.

فإن المحكم هو الرأى العلمى والنخب العلميه، ويشهد له أنه إلى الآن حتى النظام الانتخابى الرئاسى العالمى فى الدول الكبرى لا يقوم على أكثرية الأصوات بقدر ما يقوم على انتخاب النخب العلميه التى هى صمام الأمان فى انتخاب الأكفأ والأصلح... الخ وبالتالى حتى أصحاب المدرسه الأخرى يبل والمدارس القديمه أو الجديده الديمقراطيه لم يكن لهم بيد من تحكيم نظريه ومنهاج واتجاه أهل البيت عليهم السلام فى نظريه الشورى وهو تحكيم جانب خبرويه والنخبويه.

الاتجاه الثانى: اتجاه مدرسه أهل سنه الخلاف فى نظريه الشورى

القائله بأن «السلطان ظل الله في الأرض» (١) ولا يصح التمرد عليه إلا أن يُعلن المباح، وأن الأ-كثريه هي الحاكمه وإذا اختارت الأ-كثريه للحاكم فهو يمثل ظل الله في أرضه، وهَذَا بخلاف ما تذهب إليه مدرسه أهل البيت عليهم السلام - كما مرَّ بيانه في الاتجاه الأول - وأن من عناصره أن تراقب الأمة أعضاء حكومتها انطلاقاً من حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» (٢).

بتقريب: أن الحديث الشريف يُؤكِّد على تحمّل الجميع مسؤوليه الحدث دون أن تُحمّل جهة مُعيّنه مسؤوليه ذلك الحدث، وَعَلَيْهِ إِذَا حُمِّلَ بَعْضُ مَسْئُولِيهِ ذَلِكَ الْحَدِيثَ لَوْحْدِهِ، فَهَذَا تَبْرِيرٌ خَاطِئٌ حَسَبَ مَنطِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمِنْ قَبْلِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

أما أن درجات تحمّل المسؤوليه تختلف من زمان ومكان إلى آخر فذاك بحث آخر، وأن مسؤوليه الرقابهِ مفتوحٌ للجميع.

عوده إلى صلب الموضوع، وربط وصياغه أسباب النزول وفق المعتقد في الشورى.

وهو أن الآيات النازله في غزوه أُجيد لُفقت لها أسباب النزول ودوّنت بنمط يُثبت الشورى بالمعنى والاتجاه الثاني لا بالاتجاه الأول،

ص: ١٠٣

١- (١) السنن الكبرى للبيهقي: ١٦/٨ أمالي الطوسي.

٢- (٢) عوالي اللثالي ابن أبي جمهور الأحسائي: ج ١ ص ١٢٩؛ بحار الأنوار، للمجلسي: ج ٧٢ ص ٣٨.

ولكن وللأسف انطلى هَذَا التزوير عَلَى كِبَارٍ مِنْ مُحَقِّقِي الْخِصَّصَةِ، وَأَنَّ أَسْبَابَ التُّزْوِلِ الَّتِي زُوِّرَتْ حَسَبَ الرِّوَايَاتِ الْمَزْعُومَةِ
وَالْمَكْذُوبَةِ وَالْمُخْتَلَقَةِ الَّتِي صَوَّرَتْ أَنَّ رَأْيَ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ أَنَّ يَمْكُثَ وَيَلْبُدُ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ هَمَّةٌ لِلخُرُوجِ وَمَقَاتِلَةِ الْكُفَّارِ مِنْ قَرِيشٍ، وَإِنَّمَا يُحَارِبُ قَرِيشَ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ وَفِي سَكَّحِهَا وَبِيُوتِهَا وَشَوَارِعِهَا
هَذَا مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى كَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ أَبِي سَلُولٍ رَأْسَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَدَمِ الخُرُوجِ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ إِذَا لَمْ يَخْرُجْ سَوْفَ يَكُونُ النَّصْرُ حَلِيفَهُمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ رَأْيُ عَلَيْهِ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنْ الَّذِي أَكْرَهَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
عَلَى الخُرُوجِ هُوَ رَأْيُ الْأَكْثَرِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ بِالشَّبَابِ الْمُتَحَمِّسِ وَالْمُنْدَفِعِ إِلَى الخُرُوجِ وَمَقَاتِلَةِ قَرِيشٍ، وَأَنَّهُمْ لَا يَتَهَيَّبُونَ الْمَوْتَ إِلَّا
أَنَّهُمْ قَلِيلُو الْحِنْكَه، وَكَانَ سَبَبُ انْدِفَاعِ الشَّبَابِ هُوَ بِسَبَبِ عَدَمِ تَوْفِيقِهِمْ لِلشَّهَادَةِ فِي بَدْرِ لِعَدَمِ مِشَارَكَتِهِمْ فِيهَا وَرَأْوَا مَدِيحَ الْقُرْآنِ
وَتَعْظِيمَهُ لِمَكَانِهِ مَنْ اسْتَشْهَدَ فَأَرَادُوا أَنْ يَنْدَفِعُوا إِلَى الشَّهَادَةِ وَاسْتَجَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِرَأْيِ الْأَكْثَرِيَّةِ وَلبَسَ لَامَتَهُ إِلَّا
أَنَّهُمْ اعْتَدَرُوا - الشَّبَابِ - لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَعَلَّنَا أَكْرَهْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى الخُرُوجِ، فَقَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ «لِأَنَّهُ لَا يَتَّبِعُنِي لِلنَّبِيِّ وَلَا لِلْوَصِيِّ إِذَا لَبَسَ لَامَتَهُ وَقَصِدَ لِعَدُوِّهِ وَقَصِدَ لِعَدُوِّهِ أَنْ يَرْجِعَ أَوْ يَنْتَنِي حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ
يَفْتَحَ اللَّهُ لَهُ» (١) وكذا مَا وَرَدَ فِي مَنَاقِبِ آلِ أَبِي طَالِبٍ: «وَكَأَنَّ إِذَا لَبَسَ لَامَتَهُ لَمْ يَنْزَعِهَا حَتَّى يُقَاتَلَ، وَلَا يَرْجِعَ إِذَا خَرَجَ، وَلَا
يَنْهَزِمَ إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ وَإِنْ كَثُرُوا عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ أَفْرَسَ

ص: ١٠٤

١- (١) كتاب سُلَيْمِ بْنِ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ: ص ٢١٨.

العالمين وخصَّ بالجمي» (١) وهو حكم خاص بالأنبياء.

وأما أهل الحجا والحنكه فأشاروا على النبي صلى الله عليه وآله بالمكث في المدينة؛ لأنه في الحروب السابقة في المدينة لم يهزم لأن النساء والولدان تساعد الجيش والمقاتلين برمي الحجارة ومشاعل القصب و... الخ ونحن نحتمي بالسكك والبيوت ولا يستطيع العدو آنذاك أن يظفر بنا، هكذا مذكور في الروايات العامه الزاعمه لذلك إلا أنهم تحيروا بعد ذلك في كيفية هيكله ما ذكروه مع ما يتناسب ومبدأ الشورى في الاتجاه الثاني.

الأكثرية لها موضوعيه في مبدأ نظريه الشورى

في مدرسه الخلافه:

والخلافه من كل هذا أن رأى مدرسه الخلاف في مبدأ نظريه الشورى هي تحكيم رأى الأكثرية وأن الأكثرية لها موضوعيه، وأن رأى الأقلية هو المحكم وهو المنبع فإذا اتفق رأى الأقلية على شيء فإن ذلك الشيء هو المتبع وإن كان مخالفاً لرأى رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أن هذا مجرد ادعاء - ودعوى - يحتاج إلى مثبت.

وفي مقابل هذه الدعوى - وهو الصحيح - هو أن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله كان على الخروج من أول الأمر وسنذكر له عدده شواهد قرآنيه وروائيه، نعم رأى كبار الصحابه كان منعقداً على خلاف رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو

ص: ١٠٥

١- (١) مناقب آل أبي طالب بن شهر آشوب: ج ١، ص ١٢٤-١٢٥.

عدم الخروج من المدينة، وكانَ نظر هؤلاء الكبار من الصحابة مُنصباً وتابِعاً إلى رأى رأس المُنافقين عبد الله بن أبي بن أبي السلول لا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله.

سؤال: ما هو السبب الرئيسى فى هزيمة المسلمين فى وسط معركة أُحد؟

الجواب: إنَّ الاتِّباع لغير رأى رسول الله صلى الله عليه وآله والتمرد وعصيان أمر الرسول صلى الله عليه وآله وعدم اتِّباع خطِّته العسكريه بتجافى الرُّماه عن مواقعهم هو السبب الرئيسى فى هزيمة المسلمين فى وسط غزوه أُحد، مُضافاً إلى فرار كُلِّ صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله عدا على بن أبى طالب عليه السلام وعكاشه ونفر واحد من الصحابة ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإلَّا فالصحابه فرّوا أو بعض ولى مُدبراً وذهب بها عريضه و... الخ.

الأسباب المزعومه لفشل المسلمين وسط معركة أُحد:

إنَّ التوثيق والتثبت من أسباب النزول أمرٌ بالغ الأهميه والخطوره فى تفسير القرآن، ولربما الفقيه أو المتكلم فى علم الفقه أو العقائد أو فى أى علم من علوم المعرفه الدينيه يضل عن الحقيقه فى البحث إذا اعتمد على أسباب نزول مُحرفه؛ ولذا نذكر بعض أهم الأسباب التى ادُّعت وزُعمت ولا مثبت لها، وسنذكر بعد ذلك بعض النماذج القرآنيه على العكس من ذلك وتدحضها.

ومن بعض أهم تلك الأسباب المزعومه لفشل المسلمين وسط

معركه أحد وهزيمه وتضعع جيش المسلمين بأمر تشبثوا فيها منها.

السبب الأول: استجابه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لرأى الأكتريه وهم الشباب المتحمس، أى ادعى أن النبي صلى الله عليه وآله كان رأيه الشريف على البقاء والمكث فى المدينه المنوره فى معركه أحد، بينما كان رأى أكتريه الأنصار على الذهاب خارج المدينه للدفاع عنها ومقاتله كفار قريش، ورغم ذلك تنزل سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله عند رأى الأكتريه، وأنه دال على أن رأى الأكتريه ملزم للأخذ به.

وفيه:

أولاً: إن هذا الرأى غير حصيد ولا سديد للتشبت به فى معنى الشورى بالمعنى الثانى، فإنه مجرد دعوى ولا مثبت لها، بل لدينا شواهد قرآنيه وغيرها - ستأتى بعد قليل ذكرها - تثبت وتدلل على العكس.

ثانياً: إن مثل هكذا قرائن كالأكتريه وغيرها لا تصلح لتثبيت اتجاه أو منهاج مدرسه وغيرها؛ ولذا كان من الضرورى جداً بيان الآيات والزوايات التى تفند نظريه الشورى بالمعنى الثانى.

السبب الثانى: عدم تكامل ونضوج الخطه العسكريه المرسومه فى المعركه.

وفيه: أن النبي صلى الله عليه وآله كانت خطته مُحكمه إلا أنه تخاذل بعض المسلمين وعدم الاستجابه لأوامر النبي صلى الله عليه وآله أدى إلى الانهزام فى وسط المعركه.

السبب الثالث: عدم استجابه النبي صلى الله عليه وآله لرأى واقترح عليه الصحابه الذى كان يدعو إلى عدم خروج النبي صلى الله عليه وآله والمكث فى المدينه ويحارب كفار

ص: ١٠٧

قريش في سببك وطرق المدينة، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ كَانَ النَّصِيرُ حَلِيفَهُ، وَكَانَ هَذَا الرَّأْيُ أَيْضًا يَذْهَبُ إِلَيْهِ رَأْسُ الْمَنَافِقِينَ عَبْدُ اللهِ بْنِ أَبِي بِنِ أَبِي سَلُولٍ، وَقَدْ اسْتَجَابَ لِرَأْيِ هَذَا الْمَنَافِقِ مَا يَقْرَبُ مِنْ ثَلَاثِ جِيْشِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ.

وفيه:

أَوْلَا: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَمَا خَرَجَ مَعَ الْجَيْشِ لِمَقَاتِلَةِ الْكُفَّارِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ لِأَجْلِ أَنْ يُجَنَّبَ الْمَدِينَةَ وَأَهْلَهَا الَّذِينَ فِيهِمُ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ وَالطِّفْلُ الصَّغِيرُ وَالْمَرِيضُ وَذِي الْأَعْدَارِ وَغَيْرِهِمْ، ضَرَرَ الْحَرْبُ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ؛ لِأَنَّ الْحَرْبَ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ تُؤَدِّي إِلَى أَضْرَارٍ بَلِيغَةٍ بِالْمُمْتَلِكَاتِ وَبِغَيْرِ الْمَقَاتِلِينَ فَأَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَجْنِبَهُمْ كُلَّ ذَلِكَ.

ثَانِيًا: إِنَّهُ لَوْ بَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاسْمَحَ لِكُفَّارِ قَرِيْشٍ بِالدَّخُولِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَعَلَّ الْأَضْرَارَ تَكُونُ أَكْثَرَ، وَتَحْصِيْنَ الْكُفَّارِ وَتَتَرَسَّهُمْ بِالْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ يَجِدُ الْكُفَّارُ مِنْ قَرِيْشٍ أَنْصَارًا لَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ؛ لِأَنَّ الْمَدِينَةَ كَانَتْ حَدِيثَهُ عَهْدٍ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ تَكُنْ كُلَّهَا تَابِعَهُ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَطَوَائِفُ وَأَدْيَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَلَعَلَّهُ وَجَدَتْ جِيْوبَ مَعَارِضَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يُحْسَمَ مَعَهُمُ الْأَمْرَ بَعِيدًا، فَلَعَلَّ هُوَ لَاءِ إِذَا دَخَلَ جَيْشُ الْكُفَّارِ إِلَى الْمَدِينَةِ تَوَاطَؤُوا وَتَعَاوَنُوا مَعَهُمْ، وَأَنْذَاكَ يَصْعَبُ الظَّفَرَ بِالنَّصْرِ.

السبب الرابع: تمرد وعصيان الصحابة لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله إلَّا أمير المؤمنين عليه السلام ومعه نفرٌ قليلٌ جدًّا من الصحابة ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأما

ص: ١٠٨

باقى الصحابه اتبعوا رأى رأس المنافقين عبدالله بن أبى بن أبى السلول حتى أن بعض كبار أصحاب النبى صلى الله عليه وآله ذهب بها عريضه وانهزم.

وعليه فما تشبثوا به لترسيخ مبدأ الشورى بمعنى تحكيم رأى الأ-كثريه على حساب ترسيخ هذا المبدأ بالمعنى الثانى، تحمّل الرسول صلى الله عليه وآله الضريبه الكبيره لانكسار وانهزام عسكر المسلمين وسط معركة أُحُد، وهذا يدل على أن مبدأ الشورى بالمعنى الثانى كم هو غير متأصل وخطير حتى لو أدى إلى مثل هكذا زعم خطير.

تطبيق عملى للجبهه الأولى من قاعده أسباب النزول:

الشواهد والنماذج القرآنيه التى تفند أسباب النزول المزعومه:

وغرضنا الأساسى من استعراض هذه الشواهد القرآنيه هو بالحقيقه تطبيق عملى للجبهه الأولى من قاعده أسباب النزول، ورغم ما مر من تأكيد على أهميتها إلا أن أهميته الإحساس العملى التطبيقي كلما كانت أكثر كلما كان يشعُر الإنسان بمدى خطوره هذه الخطوه وكثره الابتلاء بهذه الجبهه فى أسباب النزول، وهى الروايات المزيفه، ولا- يظنُّ أحدٌ أن الروايات المزيفه قليله بل هى كثيره وجُلها من مدرسه الطرف الآخر.

نعم، قد يحصل فى بعض الأحيان تطابق بين روايات أسباب النزول الوارده عن أهل البيت عليهم السلام مع روايات الطرف الآخر المزيفه تقيّه، إلا أنه تخفى فى أغلب الأحيان على كثير من الباحثين ما لم يتقيد الباحث الكريم

بمنهج تحكيم مفاد مجموع الآيات والسور والروايات ويخرج بنتيجته قد تُطابق الطرف الآخر أو تخالفه ولا نقصد بأسباب النزول الملقّقه والمزيفه أنّها كذلك من جميع الجوانب والزوايا، فإنّها من بعض الجهات ليست مزيفه، إلّا إنّهُ بحسب الممارسه والتتبع الدقيقين لسور وآيات عديده في القرآن حول عرض مسلسل أحداث سيره النّبى الأكرم صلى الله عليه وآله وأحداث صدر الإسلام، فمن النادر جداً أن تقف على موردٍ من موارد روايات أسباب النزول للطرف الآخر وليس فيها تزييف ولو من زاويه، ولا أقل فإنّهم يحاولون عدم إظهار بعض الملفات التي لا يروق لهم الإفصاح عنها ويفتضحون بعرض تلك الملفات؛ لان كلّ روايات أسباب النزول كانت مرتبطه ولا تزال بكتل بشريّه في عهد الرسول صلى الله عليه وآله؛ ولذا من الصعوبه بمكان نشرها.

ولذا سوف نخرج بنتيجته نحن على قناعه تامه بها - إن شاء الله - هو أنّه: لا- تأمنن ولا تطمئن في كلّ مورد تكون فيه روايات أسباب النزول من الطرف الآخر هي صادقه ومطابقه وسليمه تماماً، فإنّ من يعتقد بصحتها ويطمئن بها عنده نوع من الغفله.

أمثله وشواهد قرآنيه على دحض نماذج من أسباب النزول الملفقه

وسندكر على الترتيب التي بينت نماذجاً من سورة آل عمران بما يتعلق بمعركه أُحُد، ومن سورة الأنفال ما يتعلق بمعركه بدر، ومن سورة براءه ما يتعلق باعتراض عمر على النبي صلى الله عليه وآله.

أولاً: نماذج من سورة آل عمران ما يتعلق بمعركه أحد:

إن مفاد الآيات القرآنيه التي بينت غزوه أُحُد فيها وعدُّ إلهي بالنصر، إلا أن هذا النصر الإلهي لم يستمر إلى آخر الغزوه، وإنما إلى وسطها وانقطع ثم عاد هذا النصر الإلهي في آخر المعركه، وهذا ليس خلف من الله لوعده - حاشاه الله - وإنما فرط به بعض المسلمين وتمردوا وعصوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله؛ ولذا هُزموا وسط المعركه بسبب ذلك العصيان والتمرد وعدم إطاعه أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وعدم انصياعهم لوصاياہ العسكرية، فالسبب في الهزيمه كما تبينه الآيات ليس هو الخروج من المدينه، بل الخروج من المدينه هو سبب لنصرهم في أول المعركه، وإنما تُعزى الآيات سبب الهزيمه إلى تفريط بعض

المسلمين وَهُمْ الرُّمَاهُ حَيْثُ غَادَرُوا مَوَاقِعَهُمْ مِنْ فَوْقِ الْجَبَلِ وَطَمَعُوا فِي الْغَنَائِمِ، وَهَيْدًا دَاخِضٌ لِمَا زَعَمُوهُ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ فِي آيَةِ الشُّورَى كَمَا سَيَأْتِي.

وَبَعِيدَ مَعْرِفِهِ هَيْدًا فَكَيْفَ يَدْعُونَ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ - بِحَسَبِ طَرُقِ الْعَامَّةِ - أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ انْصَاعَ لِرَأْيِ الْأَكْثَرِيَّةِ، وَأَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَرَجَ مُكْرَهًا عَلَى خِلَافِ رَأْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالَّذِي كَانَ عَلَى عَدَمِ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَمَا هَذَا إِلَّا تَنَاقُضٌ وَتَدَافُعٌ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ مَعَ مَفَادِ الْآيَاتِ.

النموذج الأول:

قوله تَعَالَى: (وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) .

بتقريب: إِنَّ الْقُرْآنَ يَمْدَحُ الْخُرُوجَ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ وَيَصِفُ النِّعْمَةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ وَهِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ (يُبَوِّئُ) أَيَّ يَنْشُرُ الْجَيْشَ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، أَوْ لَا أَقْلَ فِي ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ لِمُوَاجَهَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ نِعْمَةٌ لَا نَكْسَةَ، وَكَيْفَ تَدْعَى رَوَايَاتُ الْعَامَّةِ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ خِلَافَ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَتَنَاقُضَ وَتَدَافُعَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ.

ويستمر القرآن في تصوير الحدث (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) .

ص: ١١٢

بتقريب: إِنَّ أسبابَ التُّزولِ فِي القرآنِ الكَرِيمِ بَيَّنَّتْ سببَ الفشلِ (إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَ اللَّهُ وَ لِيُهِما وَ عَلَيَّ اللَّهُ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يَتنازَعُ جِماعُهُ عِبادَ اللَّهِ بِنِ أُمِّي بِنِ أُمِّي سِلاولِ وَسِطِ الطَّرِيقِ وَرِجوعِهِمُ إِلى المَدِينَةِ وإِصرارِهِمُ عَلَيَّ القِتالِ داخِلِ المَدِينَةِ. وَخِذلانِهِمُ جِيشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآلِهِ قِبلَ المَعْرَكَةِ؛ وَلِذا ذَمَّ القرآنُ فِعْلَ عِبادِ اللَّهِ بِنِ أُمِّي بِنِ أُمِّي سِلاولِ بِقولِهِ تَعَالَى: (إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ...) ، وَبِقولِهِ تَعَالَى: (وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرى لَكُمْ وَ لَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ ما النَّصْرُ إِلا مِنْ عِندِ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ ۱(١٢٦).

هَذا الأَياتِ القرآنِيهِ الكَرِيمِهِ وَغَيرِها فِي النَّموذجِ الأَوَّلِ تُفَنِّدُ أسبابَ التُّزولِ المَزعومِهِ وَالمُلفَّقِهِ مِنْ قِبلِ العامَّةِ، وَعَلَيَّ فَالهِزيمَةِ لِيستَ بِالخُروجِ خارِجِ المَدِينَةِ وَالجانبِ الجِغرافيِّ كَما يُدَّعى فِي أسبابِ التُّزولِ المُلفَّقِهِ المَزعومِهِ.

وَأمَّا مَسأَلَةُ النَّصْرِ فَهُمُ موعودونَ بِها مِنْ قِبلِ السَّماءِ، وَعَلَيَّ فَإِنَّ سببَ الهِزيمَةِ شِئٌ آخَرَ غَيرَ ما لُفِّقَ فِي أسبابِ التُّزولِ لِتَحريفِ مَعانِي الأَياتِ القرآنِيهِ الكَرِيمِهِ، وَهَذا أَمْرٌ بِالغِ الخُطورِهِ فِي أسبابِ التُّزولِ فِينبغى أَخذُ الحِذرِ وَمتابَعَتِهِ بِدَقَّةٍ.

التَّمييزُ بَينَ مَدِرسَةِ أَهلِ البَيتِ عَلَیهِمُ السَّلَامِ وَالمَدارسِ الأَخرى فِي مَبدا الشُّورى عَلَيَّ مَسْتوى الفِقهِ السِّياسِيِّ وَالاقتِصادِيِّ وَالعقائِدِيِّ:

إِنَّ مِنْ أَهمِّ الفِوارِقِ بَينَ نَظريهِ الشُّورى فِي مَدِرسَةِ أَهلِ البَيتِ عَلَیهِمُ السَّلَامِ وَبَينَ نَظريهِ الشُّورى فِي مَدِرسَةِ السِّقيفِهِ يَتلَخَّصُ بِما يَلى:

أن طابع الشورى في مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو طابع علمي وفكري، بينما طابع الشورى في الطرف الآخر، أو مدرسه السقيفه هو طابع الغلبه والقهر والقوه؛ وذلك لأن عنوان الشورى والمشاوره حسب النظرية الأولى - عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام - مأخوذه مادّه ومفهوماً من مداوله الآراء والانفتاح على التجارب والعقول كبنك معلومات، وكدعاء تجتمع فيه روافد المعلومات وقواعد البيانات بغية الوصول إلى الصورة الواسعه عن الحقيقه والواقعيه المتسعه، ومن الواضح أن النظر في هذا القالب لا ينظر إلى الأ-كثريه كعامل كمي دخیل في القوه والقهر والغلبه، بل ينظر إلى العامل الكمي كنظرتة إلى العامل الكيفي بغية تحصيل أكبر عدد من المعلومات والخبرات والتجارب وطرق الاستكشاف الواقعيه والحقيقه.

نعم، النظرية الأولى - على منهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام - يلاحظ فيها بعد آخر للأكثريه وهي حقوق واستحقاقات الأ-كثريه وهي من ضمن الحقيقه والواقعيه، بينما في النظرية الثانيه - على منهج السقيفه - تلاحظ الأ-كثريه لا- من حيث البعد الحقوقي، بل من بعد الغلبه والقوه والقهر، ويترتب على هذا الفارق جملة من الفوارق الكثيره منها: -

أولاً: إن القوه والقهر والغلبه هو الأصل في مشروعيه الشورى في النظرية الثانيه - نظريه السقيفه - بينما في النظرية الأولى - منهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام - لا- يُنظر إلى الأ-كثريه من جهة القوه والغلبه والقهر، بل ينظر إليهم من أبعاد أخرى ترتبط بإدراك الواقعيه والحقيقه، أي أن الأصل في

مشروعيه الشورى الذى تعتمد عليه نظريه أهل البيت عليهم السلام هو العلم والمعلوم.

ثانياً: إنه فى نظريه الشورى عند أهل البيت عليهم السلام يُنظر إلى الأكثرية إما من جهة رعايه حقوق الأكثرية، وحيث إن النظر إلى الأكثرية من جهة حقوقه لا من جهة الكثرة والقهر والغلبه، فيراعى نحو توازن بين حقوق الأكثر وحقوق الأقليات بنحو عادل ومتوازن، وهو غير مرعى فى نظريه الشورى عند مدرسه السقيفه.

وإما من جهة كثره التجارب عند الأكثرية وكثره الخزائن العقلية، ومن ثم يُراعى فى ذلك أيضاً الجانب والعامل الكيفى من الخبرويه والنخبويه والأعلميه أو من جهات أخرى ستأتى - إن شاء الله تعالى -.

ثالثاً: إنه بمقتضى أساس القوه والغلبه فإنه يشرعن كل آليه وأسلوب يحقق القوه والغلبه والقهر، ومن ثم ذهبوا إلى مشروعيه المتغلب بالسيف، ومن ثم أن طابع القدره والغلبه والقهر هو طابع مشروع فى تلك النظرية - أى نظريه السقيفه - بخلاف نظريه أهل البيت عليهم السلام فإن طابع الاستحقاق من الخبرويه والكمال هو الأصل فى المشروعيه.

وعليه فمن الضرورى جداً تسليط الأضواء على التمايز بين مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وبين المدارس الأخرى على المستوى النظرى والعملى فى مبدأ الشورى، علماً أن بينهما بوناً كبيراً يتضح ههنا الفرق الشاسع بين النهجين فى أحد الفوارق المتقدمه وفى مثل فرق أسباب النزول فى الآيات النازله فى غزوه أحد، كما فى سوره آل عمران إذ لفتت وزورت مدرسه

الطرف الآخر - مدرسه السقيفه - أسباب النزول بما يتماشى ويتلائم مع تثبيت مبدأ نظريه الشورى لديهم الذى انطلق هَذَا وللأسف حتى على كبار مُفسري الخاصه أمثال على بن إبراهيم بن هاشم القمى صاحب التفسير المعروف، والشَّيخ الطوسى فى التبيان، والشَّيخ الطبرسى صاحب تفسير مجمع البيان وغيرهم، وما ارتضوه مِن أقوال العامه فى النزول وأخذهم منهم أخذ المُسلمات، فإنَّ هَذَا يحتاج إلى تحقيق وفرز الأسباب النزول للآيات الواره فى الحوادث والوقائع كغزوه أُحد التى لفقت أسباب النزول العامه مبدأ نظريه الشورى بما يتلائم ومبدأ الأ-كثريه ويتماشى مع مقولتهم القائله: - بأنَّ الحاكم ظلَّ الله فى أرضه و... وتحقيق كَمَل هَذَا موكول إلى الأخوه الباحثين فى هَذَا المجال فى فرز ما وَرَدَ عَنْ طريق أهل البيت عليهم السلام وَهُوَ الصحيح دون ما وَرَدَ عَنْ غيرهم.

فمثلاً معنى مبدأ نظريه الشورى عند أهل البيت عليهم السلام: - إِنَّهُ يجب على كَلِّ المسلمين أن يتحملوا ويساهموا فى مسؤوليته الرقابه وَأَنَّهُ يجب على الكل أن يكونوا مطلعين ومرتبطين بمصير الأُمَّه وَالِدِّين، فَهَذِهِ هِيَ الشورى التى أوجدها النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وربى الأُمَّه عَلَيْهَا، وكذلك مِن بعده أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام والأئمه المعصومين عليهم السلام، حتى وصل الأمر ذات يَوْم بمعاويه أن قال لامرأه «تجرات وانتقدت أداء أعمال وسياسه معاويه وعماله الأخلاقيه والدمويه وأن الذى جرأكم على الولاه وانتقاد أدائهم هو على بن أبى طالب عليه السلام وهَذِهِ حقيقه وينبغى تسليط الأضواء عَلَيْهَا وهى: - تربيته النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله للأمه فى مُحاسبه ومُراقبه الولاه».

النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَبِّي الْأُمَّةَ عَلَى الْجِرَاءِ

فِي مُحَاسَبِهِ وَمُرَاقَبَةِ الْوَلَاةِ (١):

هُنَاكَ حَقِيقَةٌ لَا بُدَّ مِنْ تَسْلِيْطِ الْأَضْوَاءِ عَلَيْهَا أَلَا وَهِيَ تَعْلِيمٌ وَتَدْرِيبٌ الْأُمَّةَ عَلَى انْتِخَابِ الْأَصْلَحِ وَالْأَكْفَأِ وَالَّذِي يَهْتَمُّ بِشَأْنِ الرَّعِيَةِ وَانْتِظَافًا مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «كَلِّمُوا رَاعٍ وَكَلِّمُوا مَسْئُولَ عَنِّ رَعِيَّتِهِ» (٢). وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الرَّاعِي وَالْمَعْلَمُ الْأَوَّلُ لِأُمَّتِهِ، وَمِنْ بَعْدِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْأُمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّ مِنْهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَائِمٌ عَلَى تَجْدِيرِ مَبْدَأِ نَظَرِيَةِ الشُّورَى عَلَى رِقَابِهِ الْأُمَّةَ، وَهَذَا مِمَّا يُزِيلُ وَيُقَوِّضُ بِنَاءَ حُكُومِهِ بَيْنَ أَمِيهِ وَالْعَبَاسِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ جَدُورِهَا شَيْئًا فَشَيْئًا.

وَمِمَّا يُؤَكِّدُ هَذَا الْمَعْنَى مَا قَالَهُ الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَنَدِهِ عَنِّ جَدِّهِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «مَنْ اغْتَصَبَ أَمْرَ الْخِلَافَةِ فَاقْتُلُوهُ» (٣).

بِتَقْرِيبٍ: إِنَّ مَنْ يَلْجِئُ الْأُمَّةَ عَلَى شَيْءٍ وَيَكْرَهُهَا عَلَيْهِ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا الْفَرْضِ لَيْسَ مَشْرُوعًا بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْأُمَّةَ لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْمُسَاهَمَةِ فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ لَا التَّسَلُّطَ عَلَيْهَا بِالْإِسْتِبْدَادِ وَالْإِنْفِرَادِ دُونِهَا بِالِدِكْتَاتُورِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ مَهْمَيْنِ:

ص: ١١٧

١- (١) وَإِنْ كَانَ التَّعْبِيرُ بِالْجِرَاءِ لَعَلَّهُ يَتَبَادَرُ مِنْهُ الْمَعْنَى السَّلْبِيَّةُ، إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ هُنَا تَرْبِيَةَ الْأُمَّةِ عَلَى مُحَاسَبِهِ وَمُرَاقَبَةِ الْحَاكِمِ وَالَّذِي لَا يَقُومُ بِأَدَاءِ مَسْئُولِيَّتِهِ بِالْوَجْهِ الصَّحِيحِ وَالْمَطْلُوبِ.

٢- (٢) قَدْ فَصَّلَ شَيْخُنَا الْأَسْتَاذُ السَّنَدُ حَفْظَهُ اللَّهُ ذَلِكَ فِي الْإِمَامَةِ الْإِلَهِيَّةِ ج ١، الْفَصْلُ الثَّانِي نَظَرِيَّةَ الْحُكْمِ عَلَى ضَوْءِ الْإِمَامَةِ الْإِلَهِيَّةِ: ص ١١٣ ط الثَّانِيَّةِ.

٣- (٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ١٧٢.

الأمر الأول: مساهمة الأمة ودخالتها في مراقبه ومحاسبه الحاكم إذا قَصَرَ في واجباته.

الأمر الثاني: حقوق الأكثر.

وخلصه ذَلِكَ إِنَّ الواجب عَلَى الأمة تمكين الواجد المتوفر عَلَى شرائط وصفات الحاكم الأصلح وَهُوَ المنصوص عَلَيْهِ مِنْ قبل السَّمَاء بتوفر صفات الكمال اللازمه للقائم والحاكم والوالى لا سيما إِذَا اتَّسَعَتْ صلاحيته وارتفعت وتصاعدت رتبه ولايته وَهُوَ مَنْ يَكُون إماماً للمسلمين وإماماً للأمة فَإِنَّ خطوره المسؤليه والصلاحية تقتضى عقلاً وكتاباً وسنه ووجداناً توفر الحاكم والوالى عَلَى صفات وأهليه وكفاءه وإمانه عاليه جداً، تفوق ما عِنْدَ الجميع، وَإِنَّمَا يَتِمُّ الكشف عَنْ توفر الشخص مِنْ خلال وبواسطه الوحي، وَهَذَا هُوَ فحوى نظريه النص والإمامه الإلهيه، فاللازم عَلَى الأمة تمكين مَنْ نَصَّتْ عَلَيْهِ السَّيِّئَاء والمساهمه فى إقامه المشروع الإلهى والممانعه عَنْ تصدى العتاه والمُستأثرين والفاقرين للكفاءه والأهليه لَيْسَ عَلَى صعيد القمه والرأس فحسب، بَلْ كَذَلِكَ الحال فى بَقِيَّةِ المواضع والمراتب الَّتِي هِيَ دون ذَلِكَ مِنْ مواقع الصلاحيات والدرجات المتوسطه الكثيره، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى النصيحة لإمام المسلمين العادل أَى جهاز الدول، فَأَلُومُهُ واجبها تمكين الأصلح والممانعه عَنْ تسلُّط العتاه والظلمه وإزالتهم فى حاله تسلُّطهم عَلَى مقاليد الأُمُور، وَهَذِهِ أحد المسؤوليات العظيمه الملفات عَلَى عاتق الامه، سواءً فى أصل التوليه للولاه،

ص: ١١٨

أو ممانعه غير المؤهلين وإزاحتهم عن مواقعهم، أو مراقبه سير أعمالهم، هَذَا كُلُّهُ بلحاظ مساهمه الأُمَّه ودخالتهَا فِي مراقبه ومحاسبه الحاكم إِذَا قَصَّر فِي واجباته.

وَأَمَّا بلحاظ حقوق الأ-كثريه فاللازم مراعاة التوازن بين حقوق الأ-كثريه سواء بلحاظ الحق العام أو بلحاظ حق الأ-كثريه وحق الأقلية، أو حق الفرد مع الحق العام، فَإِنَّ هُنَاكَ معادله توازن لا يُحيف فِيهَا الطرف الآخر.

وَهَذَا بخلاف مَعْنَى مبدأ نظريه الشورى الجديد فِي مدرسه الخلفاء - مدرسه الطرف الآخر - أو الديمقراطيه الغربيه القائله: - بأنَّ الأصل المتجدد عندهم هُوَ عدم الاعتراض عَلَى الحاكم بشيء ومماشاته؛ لِأَنَّ الحاكم ظل الله فِي أرضه، هَذَا حسب ما تعتقده مدرسه الطرف الآخر.

خطوره كتب السير والتاريخ...

أسباب التزول عَلَى الاستنباط فِي العلوم الدينيه:

يجب اعتماد مصادر مدرسه أهل البيت عليهم السلام

فِي أسباب التزول:

نلاحظ كثيراً مِنْ الدراسات فِي الفقه السياسى أو الاقتصادى، بَلْ حَتَّى العقائدى للحكومهِ الإسلاميه صدرت استناداً إِلَى أسباب التزول ورواياتها الملقه الموضوعه والمدسوسه، وَقَدْ غفل عَنْ ذَلِكَ جملة مِنْ كبار

المحققين - كما تقدّم - منهم امثال صاحب تفسير القمى على ابن إبراهيم بن هاشم القمى والشّخ الطوسى فى بيانّه، والشّخ الطبرسى فى بيانّه و... الخ أخذوا واعتمدوا بعض أسباب النّزول على ما ذكرته مصادر العامّه أخذ المسلمّات؛ ولذا يحتاج هذا الثّراث لمزيد من التحقيق والتصفيه لأسباب النّزول وغيرها المأخوذ من مصادر العامّه، وليس بالأمر الهين وإنما يحتاج إلى تضافر جهود المحققين فى هذا المجال؛ ولذا من أخذ من مصادر العامّه تحيّر فى كيفيه هيكله مبدأ الشورى وأنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه وآله كان مأموراً من الله عزّ وجلّ بأخذ رأى الأكثريه وملزماً به بدليل ما وجدناه فى أسباب النّزول للآيات الخاصه بغزوه أُحُد كما فى سورة آل عمران، وإنّ كان الرسول صلى الله عليه وآله قد خولف رأيه الصائب الذى كان يقول بالمكث بالمدينه وعدم الخروج لمقاتله كفّار قريش خارج المدينه المنوره، وذكرت مصادر العامّه أنّ هذا الذى كانت عليه كبار الصحابه.

وعليه فإنّ أعمده بناء أسباب النّزول فى منهج التفسير يجب بناؤه على وفق الحقائق القرآنيه ومصادر مدرسه أهل البيت عليهم السلام لا على مصادر غيرهم، فإنّ هذه المصادر موجوده فى تراث أهل البيت عليهم السلام إلّا أنّها تحتاج إلى بذل المزيد من الجهود وتضافرها فى سبيل استكشاف هذه الحقائق لا أنّها غير موجوده أصلاً؛ ولذا كان الاعتماد على أسباب النّزول الوارده من جهه العامّه وإرسالها إرسال المسلمّات فى بعض الآيات أحد أسباب تغييب جملة من الحقائق الثابته على أرض الواقع ممّا تقدّم ذكره فى غزوه أُحُد وتغييب

بَعْضُ مَقَاتِعِهَا الْحَيَوِيَّةِ خَاصَّةً الْمَقْطَعُ الْآخِرُ الَّذِي كَانَ فِيهِ مَنْقِبُهُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي تَغْيِبِ كَثِيرٍ مِنَ الْحَقَائِقِ فِي تَارِيخِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَسِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَشَاهِدِ الْأَحْدَاثِ، وَمِنْ ثَمَّ تَغْيِيبِ الْحَقَائِقِ.

وَأَحَدُ الشُّوَاهِدِ عَلَى ذَلِكَ مَا نَقَرَاهُ فِي زِيَارَةِ الْإِمَامِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْغَدِيرِ «... يَوْمَ أُحُدٍ إِذْ يَصْعَدُونَ وَلَا يَلْوُونَ عَلَى أُحُدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوهُمْ فِي أُخْرَاهُمْ وَأَنْتَ تَدُودُ بِهِمُ الْمُشْرِكِينَ عَنْ النَّبِيِّ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ حَتَّى رَدَّاهُمْ اللَّهُ عَنْكُمْ خَافِينَ وَنَصْرَ بَكِ الْخَاذِلِينَ...» (١).

بِتَقْرِيْبٍ: إِنَّ الضَّمِيرَ الْمُتَّفَصِّلَ (أَنْتَ) الْمُرَادُ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَالضَّمِيرَ (عَنْكُمْ) أَيَّ رَسُولِ اللَّهِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَصِيِّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَنَصْرَ (بِكِ) أَيَّ وَنَصْرَ اللَّهِ بِكَ يَا عَلِيُّ الْخَاذِلِينَ.

و«... شَهِدْتَ مَعَ النَّبِيِّ جَمِيعَ حُرُوبِهِ وَمَغَازِيهِ تَحْمِلُ الرَّايَةَ أَمَامَهُ تَضْرِبُ بِالسَّيْفِ قَدَّامَهُ ثُمَّ لِحَزْمِكَ الْمَشْهُورِ وَبَصِيرَتِكَ فِي الْأُمُورِ أَمَرَكَ فِي الْمَوَاطِنِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ أَمِيرٌ وَكَمْ مِنْ أَمْرٍ صَدَّدَكَ عَنْ إِمْضَاءِ عَزْمِكَ فِيهِ التَّقْيُّ وَأَتَّبَعَ غَيْرَكَ فِي مِثْلِهِ الْهَوَى، فَظَنَّ الْجَاهِلُونَ أَنَّكَ عَجَزْتَ عَمَّا إِلَيْهِ انْتَهَى، ضَلَّ وَاللَّهُ الظَّانُّ لَذَلِكَ وَمَا اهْتَدَى، وَلَقَدْ أَوْضَحْتَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ تَوَهَّمْ وَامْتَرَى بِقَوْلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ قَدْ يَرَى الْحَوْلَ وَالْقَلْبَ وَجِهَ الْحَيْلَةَ وَدُونَهَا حَاجِزٌ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ فَيَدْعُهَا رَأْيَ الْعَيْنِ وَيَنْتَهِزُ فِرْصَتَهَا

ص: ١٢١

مَنْ لَا حَرِيْجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ صَدَقَتْ وَخَسِرَ الْمُبْلُطُونَ...» (١).

بتقريب: إننا نجد هذه الزيارة المباركة اشتملت على بيان جملة من أسرار التاريخ المطموسه والممحيه وأن أحد الأمور التي أقدم عليها أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام وأول شيء خطط له عسكرياً في معركة أحد هو مواجهه الفارين من المعركة قبل مواجهه قريش: «... والله لأنتم أحق بالقتل من كفار قريش»

وقد بين لنا القرآن الكريم أسباب الهزيمة أولاً، ثم أسباب النصر الذي تحقق بعد الهزيمة وبذلك يلاحظ كيفية التلفيق لأسباب النزول هذه، ولوقوع التلفيق والتحريف والتزييف وقلب الحقائق وغرله روايات أسباب النزول المُلَفَّقه من قبل مدرسه السقيفه وبنو أمية وبنو العباس يكون التدبر في دلاله الآيات والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ميزاناً بالغ الأهميه في اكتشاف خيوط التلفيق والتحريف، ومن ثم الوصول إلى خيوط وقصصات الحقيقه.

والحاصل: إن غرله وتنقيه كتب السيرة والتاريخ بما في ذلك تاريخ أسباب النزول بالغ الخطوره والتأثير على استظهارات الفقيه في الفقه السياسي والفقه القضائي والاجتماعي فضلاً عن الفقه الفردي، وكذلك مؤثر على استظهارات المتكلم وما يستنتجه.

ص: ١٢٢

وكذلك في ما يكتبه المُفسِّر من تفسير للآيات والسُّور، وكذلك في استظهارات على الأخلاق والآداب وغيرهم من علماء العلوم الدِّينية.

والطَّامَّة الخطيره استرسال كثير من الباحثين سواء في الأوساط العلميَّة الدِّينية أو الأكاديميَّة مع تلك المصادر وأخذها إرسال المُسلِّمات من دون وقفه تمحيص وتدقيق وبحث وتنقيب جنائي، وتمحيص مختبرى للقصاصات والشواهد والبصمات وكيفيه تناسبها وتناسبها، فاليقظه والانتباه والاستطلاع والتنقيب من الضروره بمكان.

وَعَلَيْهِ لِأَجْلِ التَّغْلِبِ عَلَى هَكَذَا ظَاهِرِهِ - أَيْ ظَاهِرِهِ طَمَسِ الْحَقَائِقِ وَتَثَبَّتِ مَا هُوَ الْحَقُّ مِنْهَا وَالْوَاقِعُ فِعْلًا - لِأَبْيَدٍ مِنْ اتِّبَاعِ شَرَايِطِ خَاصِهِ فِي تَمْحِيصِ وَتَنْقِيهِ أَسْبَابِ النَّزُولِ، وَهَذَا مَا سَنَتَعَرَّضُ لَهُ فِي الْعُنْوَانِ التَّالِي.

منهج أمومه ولايه أهل البيت عليهم السَّلام على المُحكِّمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن هو المحور لكلِّ قواعد التفسير، وَمِنْهَا أَسْبَابُ النَّزُولِ:

[يُشْتَرَطُ فِي تَحْقِيقِ وَتَنْقِيهِ أَسْبَابِ النَّزُولِ]:

إِنَّ مِنْ أَمِّ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْبَغِي مُرَاعَاتُهَا فِي تَحْقِيقِ وَتَمْحِيصِ مَنَهْجِ أَسْبَابِ النَّزُولِ مَا يَلِي:

الأمر الأوَّل: العرض على آيات الكتاب الكريم:

إِنَّ مِنْ أَمِّ شَرَايِطِ التَّحْقِيقِ لِرَوَايَاتِ أَسْبَابِ النَّزُولِ هُوَ عَرْضُهَا عَلَى

نفس آيات القرآن الكريم، وإن كَانَ لَعَلَّهُ لِأَوَّلِ وَهَلَهُ قَدْ يُتَسَاءَلُ أَنَّهُ كَيْفَ تَعْرَضُ رَوَايَاتُ أَسْبَابِ النُّزُولِ عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ مِنْ دُونَ لَزُومِ مَحْذُورِ الدُّورِ، وَالحَالُ أَنَّ دَلَالَةَ الْآيَاتِ إِنَّمَا تَسْتَحْصِلُ الْاسْتِعَانَةَ بِقِرَائِنِ أَسْبَابِ النُّزُولِ، بَعْدَ اعْتِرَافِنَا أَنَّ أَسْبَابَ النُّزُولِ لَهَا تَأْثِيرُهَا الْفَاعِلُ فِي تَفْسِيرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَكَيْفَ الْآنَ نَجْعَلُ الْعَرَضَ عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ شَرْطًا فِي تَنْقِيهِ أَسْبَابِ النُّزُولِ مِنْ دُونَ الْإِصْطِدَامِ بِمَحْذُورِ الدُّورِ؟ وَهَذَا إِلَى حَدِّ مَا يَشْبَهُ عَرَضَ الْآيَاتِ عَلَى السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ وَرَوَايَاتِ سَنَةِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ أَوْ عَرَضَ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ وَرَوَايَاتِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ دُونَ حُصُولِ تَدَاوُعِ، بِدَلِيلِ أَنَّ نَفْسَ الْقُرْآنِ يَقُولُ: (... وَ أُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) ١ .

بتقريب: أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَدْعُو إِلَى عَرَضِ تَأْوِيلِ الْمُتَشَابِهَةِ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ وَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَهَذَا أَيْضًا مَا أَرَادَ إِثْبَاتَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَعْرَكَةِ صَفِّينَ وَأَنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ تَفْسِيرَ مُتَشَابِهَةِ الْقُرْآنِ لَوْ حُدِّكُمْ وَالْإِسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعَرَضِ عَلَى الْمَعْصُومِ فَإِنَّ الْمَعْلَمَ الْإِلَهِيَّ الْوَحِيدَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْلُلَ مُتَشَابِهَاتِ الْقُرْآنِ وَإِرْجَاعَهَا إِلَى الْمُحْكَمَاتِ أَوْ يَخْصُصَ الْعُمُومَاتِ أَوْ يُقَيِّدَ

المُطلقات أو... في القرآن هُمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَعَلَيْهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ عَرْضِ الْآيَاتِ فِي الْقُرْآنِ الصَّامِتِ عَلَى الْقُرْآنِ النَّاطِقِ الْمُتَمَثِّلِ بِالْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامِ.

ص: ١٢٥

محكمات القرآن والسنة والعقل والوجدان

يعرض عليها متشابهات القرآن والسنة والعقل والوجدان

ولأجل رفع غائله الدور إن كان نذكر أمور لرفعه.

أولاً: إن حديث النبي صلى الله عليه وآله والزوايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام بطرق قصيرة همياً كذلك يُعرضان على كتاب الله فإن كتاب الله نورٌ وبيانٌ وهدى، فإذا كان هناك تدافع في الأحاديث والزوايات فعند عرضها على كتاب الله فإنه سوف يُدفع ويرفع ذلك التدافع من خلال عرض مجموع متشابهات القرآن والسنة على مجموع محكمات القرآن والسنة.

ولا يستطيع أحد أن يقوم بهذا العرض الذي وصفه القرآن الكريم إلا بالاستعانة بالراسخين في العلم وهم النبي صلى الله عليه وآله: (إنما يتذكر أولوا الألباب) ١ و (و ما يعقلها إلا العالمون) (١) هَذَا النِّسْبَةُ إِلَى عَرْضِ مُتَشَابِهَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ عَلَى مُحْكَمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ.

ص: ١٢٧

كَذَلِكَ النِّسْبَةُ إِلَى مُتَشَابِهَاتِ الْعَقْلِ وَالْوَجْدَانِ فَإِنَّ الْعَقْلَ وَالْوَجْدَانَ كَذَلِكَ فِيهَا مُتَشَابِهَاتٌ مُتَمَثِّلَةٌ بِالظَّنِّيَّاتِ وَالْأُمُورِ النَّظَرِيَّةِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ الْبَدِيهِيَّةِ، وَمِثْلُ هَذِهِ عَادَةً يَحْصُلُ فِيهَا اخْتِلَافٌ؛ وَلِذَا الْمَرْجِعُ الْوَحِيدُ لِحُلِّ كُلِّ مُتَشَابِهَاتِ الْعَقْلِ هُوَ الرَّجُوعُ إِلَى مُحْكَمَاتِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ.

ثانياً: لو تنزلنا وسلمنا بوجود محذور الدور والتدافع بين الأحاديث والروايات والآيات القرآن، فإنه عندنا طريق آخر لرفع التهاافت والتدافع من خلال وجود نافذه أخرى من نوافذ العلم غير الوحي الإلهي والعقل ألاً- وهي بديهيات الوجدان، فإن نافذه المشاهدات والمكاشفات هي أيضاً فيها بديهيات وفيها متشابهات، أما الوجدانيات الضرورية هي المحكمات التي تجدها في نفسك ومما يقضى بها قلبك فإنه بديهي عند الكل، وهذا مما وصفه القرآن بالفطره (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) ١ .

ثالثاً: اكتشاف وحيد النظم ووحده الاتساع فإن الحاكم والقانون القاهر في التكوين هو وحده النظم ووحده الاتساق فالتناقض والتهاافت والتدافع لا يمكن افتراضه بخلاف الاتساق والنسق والوحده في تأليف وتوليف القصاصات والشواهد لترسم صورته كامله واضحه لا يتخللها بقع وفراغات مبهمه.

الأمر الثاني: عرض أسباب النزول على روايات أهل البيت عليهم السلام المُعتبره والمُستفيضه، بيل والطرق الضعيفه لتلك الروايات، فإن استعراض الروايات لأسباب النزول للآيات لا يقتصر على ذكر الروايات الوارده في ذيل الآيات أي المُتضمَّنه للتعرض لألفاظ الآيات بيل إن في كثير من الروايات التعرض إلى أحداث تاريخ الإسلام وسيره النبي صلى الله عليه وآله والمُتقدمين من أئمه أهل البيت عليهم السلام من دون التعرض إلى ألفاظ الآيات، بل قد لا تتعرض إلى العناوين والأحداث الكبيره للحدث، لكنّها تتعرض إلى فصول أو زوايا هي من أبعاض وبغض ذلك الحدث، ومن تجميعها يتمكن من لملمه مجموع فقرات الحدث، ولربما يستغرب الباحث عندما نشير إلى أن الكتب الأربعة فضلاً عن غيرها رغم أن المعروف عنها كتب الحديث في فقه الفروع إلا أنها تشتمل على الكثير الكثير من بحوث السيره النبويه وسيره حياه المعصومين، بل الكثير الكثير من أبواب معرفه رغم أن أسئلة الرواه في تلك الروايات متجه ابتداءً إلى أسئلة في فقه الفروع، هذا فضلاً عما في بعض مجلداتها من أبواب وفصول في السيره وأحداث المكي والمدني من تاريخ الإسلام.

الأمر الثالث: العرض على بديهيات العقل لا نظرياته فإنها - النظريات - استبعادات ظنيه لا قيمه علميه لها، وهذا التفصيل ضابطه مهمه في التمييز بين القراءه التي هي على طبق الاستذواق الظني القاصر لإدراكات العقل، فإن الكثير من الأحكام التي تُطلق عند من يتمشّدق بعنوان البحث العلمي

هِيَ أَحْكَامٌ مَبْتِئَةٌ عَلَى قُصُورٍ عِلْمِيَّةٍ عَنِ الْإِحْاطَةِ بِأَبْوَابِ أَوْ فُصُولِ أَوْ مَسَائِلِ مِنْ عُلُومٍ مُخْتَلَفَةٍ ذَاتِ صَلَاحٍ بِقِرَاءَةِ ذَلِكَ الْوَجْهِ، وَلَقَدْ بَضَاعَهُ ذَلِكَ الْبَاحِثُ الْمُتَقَدِّمُ عَنِ الْإِطْلَاقِ عَلَى تِلْكَ الْمَسَائِلِ مِنْ تِلْكَ الْعُلُومِ تَرَاهُ يَبْنِي تَصَوُّرَاتِهِ وَأَحْكَامَهُ عَلَى مَجْهُولَاتٍ كَثِيرَةٍ لَدَيْهِ، يَلْ يَرَى هَذَا الْحَالِ حَتَّى بِالنَّسْبِ إِلَى الْعُلُومِ الْحَدِيثَةِ الْعَصْرِيَّةِ فَلَا يَوَاقِبُ الْمَسْتَجِدَّاتِ مِنَ النَّظَرِيَّاتِ وَالْاِكْتِشَافَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فِيهَا وَيَبْقَى يَشْتَرِ مَعْلُومَاتٍ ثِقَافِيَّةٍ سَالَفَةٍ فِي تَحْصِيلِهِ الْعِلْمِيَّ مِنْ دُونَ أَنْ يَجِدَّ تِلْكَ الْمَعْلُومَاتِ، فَضَلًّا عَنِ عَدَمِ الْإِطْلَاقِ عَلَى الْعُلُومِ النَّقْلِيَّةِ، وَكَمْ غَفْلَةٌ تَقَعُ عِنْدَ جَمَلَةٍ مِنَ الْبَاحِثِينَ مِنَ التَّفَرُّقِ بَيْنَ مَا هُوَ حَقِيقَةٌ عِلْمِيَّةٌ وَبَيْنَ مَا هُوَ نَظَرِيَّةٌ وَبَيْنَ مَا هُوَ فَرْضِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ، وَبَيْنَ مَا هُوَ خِيَالٌ عِلْمِيٌّ.

مؤامره واغتيال حمزه بن عبدالمطلب

في معركة أحد:

إِنَّ هُنَاكَ جَمَلَةً مِنَ التَّسْأُولَاتِ الَّتِي تَسْتَعْرِى انْتِبَاهَ ذَهْنِ الْبَاحِثِ عِنْدَمَا يَقِفُ عَلَى حَادِثَةِ اسْتِشْهَادِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَقُودُهُ هَذِهِ التَّسْأُولَاتُ إِلَى نَظَرِيَّةِ الْقَوْلِ بِأَنَّ اسْتِشْهَادَ حَمْزَةَ لَمْ يَكُنْ يَتَّبِعُ بِفِعْلِ الْمَقَاتِلِ وَحَشَى وَرَمِيَهُ لَهُ بِالْحَرْبَةِ فَقَطُّ، بَلْ إِنَّ هُنَاكَ تَوَاطِيءَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي مَعْسَكِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَمَّ التَّنْسِيقُ وَالتَّوَاطِيُّ مَعَهُمْ وَبَنَى أُمَّيَّةٌ لِلْقِيَامِ بِعَمَلِيَّةِ اغْتِيَالِ حَمْزَةَ أَثْنَاءَ الْمَعْرَكَةِ.

أَوَّلًا: إِنَّهُ كَيْفَ تَمَّ اخْتِرَاقُ وَحَشَى لَصُوفِ الْمُسْلِمِينَ وَرَمَى حَمْزَةَ

ص: ١٣٠

بحرته من الجانب في بدايات المعركة قبل أن ينتصر المسلمون في البدايه، فإن جيش المسلمين في البدايه لم يكن منهزماً، لا سيما وأنه كان في عنفوان قوته، وقد حقق النصر أولاً. بعيداً استشهد حمزه فكيف يتعقل اختراقه في بدايات المعركة من قبل العدو.

ثانياً: إن القرآن الكريم فضلاً عن مصادر السير ومصادر الحديث يشير إلى أن ثلث جيش رسول الله صلى الله عليه وآله رجعوا تخاذلاً. عن المعركة قبل وقوعها بعيداً خروجهم من المدينة المنورة معه صلى الله عليه وآله وأتبعوا ابن أبي سلول وغيره من رؤساء المنافقين.

ثالثاً: إنه قد وقع قتل أحد المسلمين غيلة في جيش رسول الله صلى الله عليه وآله من منافق كميلاً ذكرته فصادر العامه كنقل الواقدي في تفصيل قصه قتل المجذر بن زياد لسويد بن الصامت، قال: - جاء خضير الكتائب إلى أبي لُبابه ابن عبدالمندر وخوات بن جبير وسويد الصامت بن الصيامت، فقال لهم تزوروني فأنحر لكم وأسقيكم وتقيمون أياماً، فقالوا: نأتيك يوم كذا وكذا فلما كان ذلك اليوم جازوه فنحر لهم جزوراً فأقاموا عنده ثلاثه أيام حتى تغير اللحم، فقالوا لارجع إلى أهلنا، وكان سويداً شيخاً كبيراً، وكان خضير قد سقاهاهم خمراً مخرج أبو لُبابه وخوات يحملان سويداً من الثمل حتى كانوا قريباً من بنى عصبته تجاه بنى سالم فجلس سويد يبول، وهو سكران فبصر به إنسان من الخزرج فذهب إلى المجذر بن زياد، وقال له هذا سويد ثمل أعزل لا سلاح له وكان سويد قد قتل معاذ بن عفراء فخرج

مجدراً مُصَلِّتاً سيفه، فلما رآه أبو لبابه وخوات وهما أعزلان لا سلاح معهما فانصرفا سريعين وثبت سويد لا حراك به فوقف عليه المجدر، وقال: قد أمكن الله منك! فقال ما تريد مني؟ قال أقتلك فقتله، فكان قتله هو الذي هيج وقعه بُعات، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة أسلم المجدر والحارث بن سويد وشهدا بدرأ، وجعل الحارث يطلب مجدراً ليقتله فلم يقدر عليه يومئذ.

فلما جاء يوم أُحُد وجال المسلمون تلك الجوله أتاه الحارث من خلفه فضرب عنقه ونظر إليه حبيب بن يساف فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبره، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حمراء الأسد أتاه جبرائيل فأخبره بأن الحارث بن سويد قتل مجدراً غيلة وأمره بقتله، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي قباء كل يوم سبتِ واثنين، وركب إليه في اليوم الذي أخبره جبرئيل - وكان يوماً حاراً لا يُذهب فيه إلى قباء - فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مسجد قباء صلى فيه وسمعت الأنصار فجاءت تسلم عليه فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله يتحدث ويتصفح الناس حتى طلع الحارث بن سويد في ملحفه مؤرسه (أي مصبوغه باللورس، وهذا هو نبات أصفر كان يُصبغ به) فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عويم بن ساعده، فقال له: قدّم الحارث ابن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجدّر بن زياد فإنه قتله يوم أحد، فأخذه عويم، فقال الحارث، دعني أكلم رسول الله صلى الله عليه وآله ونهض رسول الله صلى الله عليه وآله يريد أن يركب ودعا بحجاره فجعل الحارث يقول: قد والله قتله يا رسول الله والله

مَا كَانَ قَتْلَى أَيَّاهُ رَجوعاً عَنِ الْإِسْلَامِ وَلَا ارْتِيَاباً فِيهِ، وَلَكِنَّهُ حَمِيَّةَ الشَّيْطَانِ وَأَمْرٌ وَكَلْتُ فِيهِ إِلَى نَفْسِي وَإِنِّي عَدِي وَرَدَّ الرَّسُولُ فِيهِ عَلَيْهِ فَيَجْبِرُ بِهِدَا كَسْرَهُ بِذَلِكَ، وَلَعَلَّهُ يُدْرِكُ كَذَلِكَ فَضْلَ مَا وَسَمَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَمَلُ ابْنِ عَدِي.

رابعاً: إِنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَمْ تَكُنْ جِثَّتَهُ مَضْرُوبَةً بِحَرْبِهِ وَحَشٍ، بَلْ كَانَ عَلَى جِسْمِهِ جِرَاحَاتٌ وَضَرْبَاتٌ عَدِيدَةٌ مِمَّا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ جَمَاعَةً اشْتَرَكُوا فِي قَتْلِهِ وَلَمْ يَكُنْ وَحْشِيٌّ بِحَرْبَتِهِ فَقَطُّ.

خامساً: أَنَّ الْقَتْلَ فِي الْمَعْسُكِرِ الْوَاحِدِ لَيْسَ بِالْغَرِيبِ، يَلُ مَعْهُودٌ فِي الْحُرُوبِ الْعَسْكَرِيَّةِ كَمَا حَصَلَ فِي مَعْرَكَةِ الْجَمَلِ مِنْ قَتْلِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ لَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ.

سادساً: إِنَّ الرُّمَاهُ الَّذِينَ أَوْصَاهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُمْ فَوْقَ الْجَبَلِ كَانُوا حَمَايَةَ قَبْلِ نَزُولِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ فِي بَدَايَةِ الْمَعْرَكَةِ قَدْ نَزَلُوا عَنْ مَوَاقِعِهِمْ فَكَيْفَ تَمَّ الْإِخْتِرَاقُ.

سابعاً: إِنَّهُ قَدْ عُرِفَتْ أَنَّ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ طُمِسَتْ حَقِيقَةُ نَهَايَةِ الْمَعْرَكَةِ مِنْ انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ ذَلِكَ بِمَرَأَى الْمِئَاتِ الْمِئَاتِ وَالْفِئَامِ وَرَغْمَ ذَلِكَ طَمَسُوا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فَمَا بِالْكَ بَاغْتِيَالِ حَمْزَةَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ لَا سِيَّمَا فِي اشْتِبَاكِ الْمَعْرَكَةِ تَخْتَلِطُ الْأُورَاقُ وَتَلْتَبِسُ الْحَقِيقَةُ.

وبالتالى فَإِنَّ كُلَّ هَيْدِهِ الْقِرَائِنِ وَغَيْرِهَا تُؤَثِّرُ بِمَجْمُوعِهَا أَنْ تَوَاطَأَ حَصَلَ بَيْنَ الْمُنَافِقِينَ فِي جَيْشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ بَنِي أُمَيَّةِ فِي جَيْشِ الْكُفَّارِ، وَقَدْ تَمَّ تَدْبِيرُهُ، وَهَذِهِ مِنْ الْمَلَفَاتِ الَّتِي طُمَسَتْ حَقِيقَتُهَا فِي طَيِّبَاتِ التَّعْتِيمِ وَالْإِخْفَاءِ لِحَقَائِقِ الْأَحْدَاثِ، وَكَمْ مِنْ حَقِيقَةٍ طُمَسَتْ فِي أَحْدَاثِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَغَيَّبَ أَصْحَابُ السَّقِيفَةِ وَبَنُو أُمَيَّةِ صَفْحَاتِهَا وَخِيُوطُهَا.

الأمر الرَّابِعُ: العَرَضُ أَوْ مَوَافِقُهُ مُحْكَمَاتُ الْوَجْدَانِ أَيْ بَدِيهَاتِ وَضُرُورِيَّاتِ الْوَجْدَانِ وَلَا يُخْفَى أَنَّ هُنَاكَ عُنَاصِرَ مُؤَثِّرَةٍ فِي تَحْلِيلِ الْأَحْدَاثِ وَالْوُصُولِ إِلَى مَا وَرَاءَهَا تَتَوَقَّفُ عَلَى شُعُورِ وَجْدَانِي يقرأ الكثير من الأمور غير المرئية مما هي مؤثره في فهم صورته حقيقته الحدث فَإِنَّ الْجَانِبَ الْغَيْرَ الْمَرْتِيَّ فِي الْأَحْدَاثِ غَيْرُ مُبْصِرٍ وَلَا مَسْمُوعٍ لَكِنَّهُ دَاخِلٌ فِي عَمَقِ الْحَدَثِ وَالْغَفْلَةَ عَنْهُ قِرَاءَهُ سَطْحِيَّةً قِشْرِيَّةً مِنْ دُونَ إِمَامِ بَرُوحِ الْحَدَثِ، وَلِكَ أَنْ تَقُولَ أَنَّ الْاِقْتِصَارَ عَلَى الْجَانِبِ الْمَرْتِيَّ مِنْ الْحَدَثِ مِنْ قِبَلِ الْاِقْتِصَارِ عَلَى بَيِّنَاتِ الْحَدَثِ مِنْ دُونَ الْإِدْرَاكِ لِرُوحِ الْحَدَثِ وَحَقِيقَتِهِ وَكَمْ يَعْتَلِجُ مِنْ أُمُورٍ فِي الرُّوحِ وَالْمَشَاعِرِ وَالْقَوَى مَا لَا يَطْفَحُ عَلَى سَطْحِ الْبَدَنِ.

وَعَلَيْهِ فَيَصْبِحُ مَجْمُوعُ الْمَوَاصِرِ الَّتِي يُعْرَضُ عَلَيْهَا مُتَشَابِهَاتِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ وَالْعَقْلِ وَالْوَجْدَانِ أَرْبَعٌ وَهِيَ: - مُحْكَمَاتِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ وَالْعَقْلِ وَالْوَجْدَانِ، هَكَذَا حُرِّرَ فِي مَوَاصِرِ الْمَعْرِفَةِ الدِّينِيَّةِ أَحْيَرًا.

كَذَلِكَ فِي مَحَلِّ بَحْثِنَا فِي قَاعِدِهِ أَسْبَابُ التُّزُولِ، فَإِنَّهَا تُؤَثِّرُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ التَّثْبِتَ مِنْ أَسْبَابِ التُّزُولِ الصَّحِيحِ الْمُحْكَمِ وَفِرْزَاهَا عَنْ

أسباب النزول الكاذبه والمُتشابهه لها تأثيرها الفعّال في صحه تفسير القرآن الكريم؛ فَإِنَّ بَعْضَ أسباب النزول نريد أن نُفسّرَها عَلَى ضوء أسباب النزول بمقدارِ مِنَ الظهور تكون دلالاته صريحه وواضحه ونصّيّه، وبعضها الآخر دلالاته خفيّه أو مُتشابهه، فَإِنَّ المُتشابهه فيها يُعرّضُ عَلَى المُحكّم لكي تمحص وتدقق وتُنقّى مِنْ دون زيغ المُتشابهه والموضوع؛ ولذا يعتمد في أسباب النزول عَلَى المصدر الأوّل ذو الدلاله الصّريحه والبيّنه للآيات وَالَّتِي مِنْ خلالها تُمحصّ صحه ووثوق أسباب النزول مِنْ خطأها، ومنهج العرض هَذَا مِنْ التحقيق والتدقيق لَيْسَ مختصاً بأسباب النزول، وَإِنَّمَا يشمل هَذَا المنهج تمحيص التاريخ مِنْ جديد لا بمجرد تليفق التاريخ كلا وَإِنَّمَا المُراد مِنْ تحقيق التاريخ وفق هَذَا المنهج هُوَ لأجل اكتشاف المغيبِ مِنَ الحقائق الضروريّه الصحيحه.

وَعَلَيْهِ لو اعتمدنا هذه المنهجيه في تحقيق أسباب النزول سوف ترى كيف تكشف لنا زيغ وتليفق ما حاولته الأقلام المأجوره في أسباب النزول المزعومه مِنْ تغييب مقطع رئيسي ثالث في معركه أُحُد مِنْ أَنَّ المسلمين كيف خسروا المعركه، إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ تمحيص أسباب النزول نجد أَنَّ ما ذكرته آيات سوره آل عمران في خصوص معركه أُحُد أَنَّ الصحيح هُوَ أَنَّ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَ عَلَى الخروجِ مِنَ المدينه للحرب لا- عَلَى المكث في المدينه المنوره، هَذَا ما حاولت الأقلام المأجوره إبرازه في أسباب النزول، وَقَدْ نال رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وَهُوَ الصحيح موافقه الشباب المُتحمّس في المدينه

المنوره ورجالات المدينة الكبار المخلصين لرسول الله صلى الله عليه وآله ورأى جمهور الأنصار كذلك الممثل بالسعد بن سعد بن عباد، وسعد بن معاذ و... الخ، الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: «اخرج معك كيف كنا في الجاهلية لا نحارب في عقر دارنا، ولا في بساتينا، بل نخرج إليهم ولا نجعلهم يصلون إلى ضواحي المدينة، هَذَا في الجاهلية فكيف الآن وَقَدْ أعزنا الله بك وبالإسلام وَقَالَ إياس بن أوس بن عتيك: يا رسول الله، نَحْنُ بنو عبد الأشهل من البقر المذبح، نرجو يا رسول الله أَنْ نذبح في القوم ويذبح فينا، فنصير إلى الجنة، ويصيرون إلى النار، مَعَ إني يا رسول الله لا أحب أَنْ ترجع قريش إلى قومها، فتقول حصرنا مُحَمَّد في صياصي يثرب وأطامها، فتكون هذه جراه لقريش، وَقَدْ وَطَّنا سَعَفنا، فإذا لَمْ نذب عَنْ عَرْضنا، فَلَمْ ندرع وَقَدْ كُنَّا يا رسول الله في جاهليتنا، والعرب يأتوننا، فلا يطمعون بِهَذَا مَنَّا حَتَّى نخرج إليهم بأسيا فَنَذِبْهم عَنَّا، فَنَحْنُ اليوم أَحَقُّ إِذْ أمدنا الله بك، وعرفنا مصيرنا، لا نحصر أنفسنا في بيوتنا.

فقام سعد بن معاذ وغيره من الأوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا أحد من العرب وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ نعبد الأصنام فكيف يطمعون فينا وَأَنْتَ فينا، لا، حَتَّى نخرج إليهم فنقاتلهم فَمَنْ قتل منا كَانَ شهِيداً وَمَنْ نجى مَنَّا كَانَ قَدْ جَاهَدَ في سبيل الله، فقبل رسول الله قوله وخرج مَعَ نفر من أصحابه يتبعون موضع القتال، كَمَا قَالَ الله: «وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تَبوءُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى قَوْلِهِ - إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا» يعنى عبدالله بن

أبى وأصحابه، فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله معسكره ممّا يلي من طريق العراق، وقعد عبد الله بن أبى وقومه من الخزرج اتّبعوا رأيه، ووافت قريش إلى أحد، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله عد أصحابه وكانوا سبعمائه رجلاً، فوضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرّماه على باب الشعب وأشفق أن يأتي كمينهم في ذلك المكان، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعبد الله بن جبير وأصحابه أن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تخرجوا من هذا المكان وإن رأيتمومهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا ترحوا والزموا مراكزكم، ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً، وقال لهم إذا رأيتمونا قد اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا من ورائهم فلما أقبلت الخيل واصطفوا وعبأ رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه دفع الراية إلى أمير المؤمنين فحملت الأنصار على مشركي قريش فانهمزوا هزيمه قبيحه ووقع أصحاب رسول الله في سوادهم وانحط خالد بن الوليد في مأتي فارس، فلقي عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهم فرجعوا ونظر أصحاب عبد الله بن جبير إلى أصحاب رسول الله يذهبون سواد القوم، قالوا لعبد الله بن جبير تقيمنا ههنا وقد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمه، فقال لهم عبد الله اتقوا الله فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد تقدّم إلينا أن لا نبرح، فلم يقبلوا منه وأقبل ينسل رجل فرجل حتى أخلوا من مركزهم وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلاً، وقد كانت رايه قريش مع طلحه بن أبى طلحه العدو من بنى عبدالدار فبرز ونادى يا محمد! تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيافكم إلى النار

ونجهزكم بأسيافنا إلى الجَنَّةِ فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَلْحَقَ بِجَنَّتِهِ فَلْيَبْرِزْ إِلَيَّ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ:

يَا طَلْحُ إِنَّ كُنْتُ كَمَا تَقُولُ لَنَا خِيُولٌ وَلَكُمْ نَصُولٌ

فَأَثَبْتُ لِنَنْظَرِ أَيْنَا الْمَقْتُولِ وَأَيْنَا أَوْلَىٰ بِمَا تَقُولُ

فَقَدْ أَتَاكَ الْأَسَدُ الصُّوْلُ بِصَارِمٍ لَيْسَ بِهِ فُلُولٌ

بنصره القاهر والرسول»(١)

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ مَوْجُودٌ فِي كَلَامِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا أَنَّهُ مُبَعَثَرٌ فِي الْمَصَادِرِ سِوَاءِ مَصَادِرِ الْعَامَّةِ أَوْ الْخَاصَّةِ، فَيَحْتَاجُ إِلَىٰ جَمْعٍ وَتَنْقِيهِ وَتَدْقِيقٍ حَتَّىٰ تَخْرُجَ الصُّورَةُ مُتَكَامِلَةً الْجَوَانِبَ، فَمِثْلًا فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ إِظْهَارُ الْمَقْطَعِ الْمُغَيَّبِ وَهُوَ الْمَقْطَعُ الْأَخِيرُ مِنَ الْمَعْرَكَةِ الَّتِي حَذَفَتْهُ أَسَابِغُ التُّزُولِ الْمُتَلَفِّقَةِ وَالْمُزَيَّفَةِ وَهُوَ كَيْفَ كَانَتْ نَتِيجَةُ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ هُوَ انْتِصَارُ الْمُسْلِمِينَ بِإِرْسَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَجَمَاعِهِ لِمَتَابَعِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْهَزِمِينَ الْفَارِّينَ مِنْ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ وَقَتْلِ مَا قُتِلَ مِنْهُمْ وَفِرَارِ مَا فَرَّ مِنْهُمْ.

وَمِنْ خِلَالِ بَيَانِ هَذَا الْمَقْطَعِ الْمُغَيَّبِ مِنْ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ يَتَّضِحُ أَنَّ سَبَبَ هَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَسُوطِ الْمَعْرَكَةِ - كَمَا بَيَّنَّا سَابِقًا - هُوَ لَيْسَ الْخُرُوجُ مِنَ الْمَدِينَةِ كَمَا حَاوَلَ الْبَعْضُ إِظْهَارَهُ وَبَيَانَهُ وَإِعْطَائَهُ الصَّخْبَ الْإِعْلَامِيَّ الْمَزُوقَ، لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا سَبَبُ الْهَزِيمَةِ أَشْيَاءٌ أُخْرَىٰ مِثْلُ:

ص: ١٣٨

١- (١) تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي: ١١٢/١.

أولاً عصيان أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل الرّماه فوق الجبل.

ثانياً: وعدم اتّباع الخطّ الحربي والعسكريه التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثالثاً: وأمورٍ أُخرى عصوا وتمردوا فيها على رسول الله صلى الله عليه وآله.

المنهج الأسلم

الذي يستعان به لتمحيص أسباب النّزول:

وَمِنْ خِلالِ هَذَا كُلُّهُ تَبَيَّنَ:

أولاً: أنّ المنهج الأسلم الذي يُستعان به للتمحيص وتدقيق أسباب النّزول - والتي هي ذات خطوره وتأثير على تفسير القرآن - هو التّقيّد بمُحكّمات دلالة الآيات والزوايات وحيثُ لا يلزم من هذا تدافع ولا دورٌ في مساحه دلالة الآيات المُحكّمه فإنّها بيّنه.

ثانياً: وبهذا تبيّن اختلاف تأثير منطق دلالة الآيات التي يُستعان بها على تمحيص أسباب النّزول وبين قسم آخر من دلالة الآيات التي تتأثر لدلالته بأسباب النّزول.

ثالثاً: وتبيّن أيضاً أنّه ليسَ قسماً واحداً في البين حتّى يكون هناك تدافعاً أو دوراً.

ولذا لاحظنا والله الحمد أنّ الإطار العام لمنهجنا التفسيري المختار - منهج أمومه الولايه على المُحكّمات فضلاً عن المُتشابهات في القرآن الكريم

- يُضفي بظلاله على كلِّ قاعده من قواعد التفسير ويترك بصمته وتأثيره عليها، ومن ضمن تلك القواعد قاعده أسباب النزول.

ص: ١٤٠

أسباب النصر لا تقتصر على الجانب المادى بل المعنوى والروحى

تَقَدَّمَ أَنَّ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ كَانَ عَلَى الْخُرُوجِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَالِدَّفَاعِ عَنْهَا وَمَقَالَتهِ كَفَّارِ قَرِيشٍ، وَأَنَّ رَأْيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ مُطَابِقاً لِرَأْيِ الْأَكْثَرِيهِ مِنْ كِبَارِ الصَّيْحَابِهِ وَفِيهِمْ بَعْضُ عُمِدِ السَّقِيْفَةِ وَدُعَاتِهَا، وَهَكَذَا رَأَى السَّعْدِيْنَ: سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، بَلْ ثَلَاثِي جَيْشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى ذَلِكَ وَيُؤَاوِلُ اسْتِمْرَارَ الْقِتَالِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَوَعَدَهُمُ اللَّهُ بِالنَّصْرِ بِاسْتِجَابِهِ أَوْامِرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَنْفِيذِ خَطَّتِهِ الْعَسْكَرِيهِ فِي يَوْمِ أُحُدٍ (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ) ١ .

وَهَذَا يَصْلُحُ شَاهِدًا إِضَافِيًّا عَلَى عَكْسِ مَا ادَّعَوْهُ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرَادَ الْمَكَّةَ فِي الْمَدِينَةِ، بَلْ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَعَهُ الْأَكْثَرِيهِ وَقَاتَلَ وَامْتَدَحَهُمُ الْقُرْآنَ عَلَى ذَلِكَ.

مُضَافًا إِلَى مَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ عَلَى مَا سَيَأْتِي فِي مَحَلِّهِ (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (١٢٣) ٢ .

فَإِنَّ الْقُوَّةَ الْعَسْكَرِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ يَمْتَلِكُهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ كَمَا نَتُّ أَشَدَّ ضَعْفًا مِنْ أَحَدٍ حَسَبِ الصُّورَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ الظَّاهِرِيَّةِ.

والشيء المهم الذي تُريد التوصل إليه هو أنَّ النَّصْرَ لَيْسَ وَلِيدَ الْأَسْبَابِ الْمَادِيَةِ فَقَطُّ مِنْ نَاحِيَةِ مَلَاظَمَةِ الْكَثْرَةِ أَوْ الْقَلَّةِ كَمَا يَدَّعُوهُ فِي أُسْبَابِ التَّنْزُولِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْقُرْآنُ أَنْ يُخْبِرَهُمْ أَنَّ أُسْبَابَ النَّصْرِ وَالْهَزِيمَةِ أَشْيَاءٌ أُخْرَ غَيْرِ الْأُمُورِ الْمَادِيَةِ، كَالْأُمُورِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ، وَحَتَّى فِي الْعُلُومِ الْحَدِيثَةِ قُرِّرَ بِأَنَّ مَا يَقْرَبُ مِنْ الْإِلَهِيِّاتِ يَرْجِعُ إِلَى الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ الْمُتَقَدِّمَةِ بِالْإِعْلَامِ وَالِدَّعَايَةِ وَصَلَابَةِ الْإِرَادَةِ وَضَعْفَتِهَا، وَأَمَّا الْجَانِبُ الْمَادِيَّ وَالْآلِيَّ وَاللُّوجِسْتِيَّ كَمَا يُعْبَّرُ عَنْ ذَلِكَ فِي مُصْطَلَحِ عِلْمِ الْأَسْتِرَاتِيْجِيَّاتِ لَهُ تَأْثِيرٌ بِنِسْبَةِ ٢٠٪ وَعَلَيْهِ مَا يَذْكُرُهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ أُسْبَابِ الْهَزِيمَةِ وَالنَّصْرِ فِي أَحَدٍ لَيْسَ رَاجِعًا إِلَى جَانِبِ الْقَلَّةِ وَالْكَثْرَةِ فَقَطُّ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ فِي بَدْرٍ كَمَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَلَّةٌ وَنَصْرَهُمُ اللَّهُ وَإِنَّمَا أُسْبَابُ الْهَزِيمَةِ وَالنَّصْرِ لَيْسَتْ مَادِيَةً فَقَطُّ كَمَا يَدَّعُوهُ فِي أُسْبَابِ التَّنْزُولِ الْمُتَّفَقَةِ تَمَامًا، بِدَلِيلِ أَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤)١، (وَبَلَى إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥)٢ .

بتقريب: إِنَّ الْمَدَدَ الْإِلَهِيَّ مُوجُودٌ بِشَرَطِ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ صِلَابَةٌ

وإرادته ويقين وهمه عاليه فإن منظومه الكون الإلهي مرتبه على هَذَا النمط بأن تكون هُنَاكَ ملائكه منزليين وملائكه مسومين ففي بدر ثلاثه آلاف مِنْ الملائكه وفي أُحُد خمسه الآلاف و... هَذِهِ وغيرها مِنْ المعادلات الكونيه لا نعلم أسرارها لكنّها رهينه اليقين بالطّاعه والإرادته والتسليم لأمر الله بأنّ النَّصْرَ مِنْ الله وحده.

وَعَلَيْهِ فالمدد الإلهي موجود وبشرط صلاحِيهِ الإراده والهمه واليقين - فَإِنَّ المدد الإلهي - يَكُون ملائماً ومتناسباً مَعَ المنظومه الكونيه القائمه على هَذَا الترتيب مِنْ أنّ الطّاعه والامتثال للأوامر الإلهيه حليفها النَّصْر عاجلاً أم آجلاً، لا كَمَا صورته مدرسه الطرف الآخر - العامه - مِنْ أسباب التُّزول أنّ الهزيمة كَانَتْ معلوله لخروج النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَتْ مِنْ المدينه المنوره لمقاتله قريش كيف وَقَدْ تحقّق النصر أولاً والاهتمام بالجانب الجغرافي واللوجستي والعده والعدد و... الخ فَإِنَّ مثل هَذِهِ الأسباب ليست صحيحه، بَلْ مُلَفَّقَه، وَعَلَيْهِ فأصل النَّصْر كَانَ المسلمون موعدين به، وأنّ سبب الانهزام وسط المعركه بسبب عدم الإطاعه والتخلف عَنْ أوامر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ العسكريه، وَهَذَا غَيْرَ مَا لَفَّقَ لَهُ فِي أسباب التُّزول لتحريف معاني آيات القرآن.

ليس على النصر والهزيمة العسكريه وإنما على إظهار الحق والحقيقه والإيمان

النموذج الثاني: قوله تَعَالَى: (إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) ١ .

بتقريب: إنكم أيها المسلمون إن كنتم جزعتم لمصابكم بالهزيمة، وسط معركة أُحُد أو أصابكم قرح بمعنى خسرتم شهداء من صفوفكم فإنه قد أصاب الكافرين قتلى من قريش، فإن عدد الشهداء من المسلمين في أُحُد بعدد قتلى الكفار من قريش في بدر (فقد مس القوم قرح مثله) ٢ ، وعليه فلماذا هذا الجزع أيها المسلمون (و تلك الأيام نداولها بين الناس) ٣ .

بتقريب: إن طبيعه الأيام هي تدويل - من الأداله وهي مصدر

أدال، أدال يُدِيل فَهُوَ مَدِيل والمفعول مُدال، وأدالَ بشيء: جعله مداوله أى تاره لهؤلاء وتاره للآخرين (١) - تاره للمؤمنين على الكافرين وأخرى بالعكس إلا أن هذِهِ ليست علامه على الغلبه والنصر، فإنَّ منطق القرآن يُنادى بأعلى صوته: - إنَّ الغلبه العسكريه أو الماديه فى الدُّنيا ليست دليلاً على الحقِّ، فَإِنَّهُ لو لاحظنا على مَرَّ العصور كَانَت الغلبه العسكريه والماديه لأعداء الله على أولياء الله، فَإِنَّ هزيمة المؤمنين من الكافرين ليست دليلاً على بُطلان مسار المؤمنين أو أن نفس خروجهم من المدينة إلى خارجها لَيْسَ أماره على الانهزام، ولا ننسى أنَّ الحكمة الإلهيه اقتضت أن تكون الدُّنيا دار ابتلاء وامتحان حسب التعبير القرآنى كقوله تَعَالَى: (وَ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) ٢ (وَلِيُعَلِّمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) ٣(١٤٠) ليستخرج الله من آمن ممن كفر وأن الظالمين وإن انتصروا بحسب الحسابات الماديه ولكنهم ليسوا على قرب ورضى ومحبه من الله ممقوتون، وأمَّا المؤمنون فَهُمْ وَإِنْ ظَلَمُوا فَإِنَّهُمْ محبوبون عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

ومِمَّا تَقَدَّمَ يُعَلِّمُ أَنَّ المدرا لَيْسَ عَلَى النَّصْرِ والهزيمة وَإِنَّمَا فى النجاح والفلاح، حسب المفهوم القرآنى، وَيَكُون الميزان والمدار على إظهار الحقِّ والحقيقه والإيمان والكفر، وَمِنْ هَذَا القِيبِلِ قوله تَعَالَى فى صلح الحديبيه

ص: ١٤٦

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) ١ .

بتقريب: إِنَّهُ تَعَالَى وصف الصلح بأنه فتح مُبِين مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَحْصُل فِيهِ نَصْرٌ وَلَا حَسْمٌ عَسْكَرِيٌّ، بَلْ ظَاهِرُهُ اسْتِجَابُهُ مِنْ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِمَمَانَعِهِ قَرِيْشٍ حَتَّى اعْتَرَضَ الثَّانِي - عمر بن الخطّاب - وَأَلْبَ بَقِيَّةَ الصَّحَابَةِ عَلَى الصَّلْحِ، وَكَانُوا يَظُنُّونَهُ انْكَسَارًا وَفِشْلًا مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَصِفُهُ بِالْفَتْحِ، بَيْلٌ وَالْمَبِينُ، بَلْ أَكَّدَ ذَلِكَ وَكَرَّرَ مَا دَهَ الْفَتْحِ - فَحْتِنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا، فِي حِينِ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَمْ يَصِفْ فَتْحَ مَكَّةَ بِالْفَتْحِ الْمَبِينِ وَلَمْ يُؤَكِّدْ عَلَى كَوْنِهِ فَتْحًا بَلْ سَمَّاهُ نَصْرًا وَفَتْحًا وَلَمْ يُسَيِّمِهِ بِالْمَبِينِ، وَلَا بِالْفَتْحِ الْمُؤَكَّدِ، وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ مَنْطِقَ الْفَتْحِ فِي الْقُرْآنِ مُغَايِرٌ مِنَ النِّصْرِ وَأَعْظَمُ مِنْهُ، وَأَنَّ الْعُمْدَةَ فِي الْإِنْجَازِ هُوَ الْفَتْحُ وَالنَّصْرُ مُقَدَّمَةٌ وَآلِيهِ لَهُ وَعَبْرَ مَقْدَمِهِ حَصْرِيَّةٌ، بَلْ لِلْفَتْحِ آيَاتٌ عَدِيدَةٌ، وَفِي الصَّحِيحِ إِلَى ابْنِ مَجُوبٍ عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي الْأَخْوَصِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ... فَقَالَ: «... أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ أَمَارَهُ بَنِي أُمَيَّةَ بِالسَّيْفِ وَالْفَسْقِ وَالْجَوْرِ، وَأَنَّ إِمَامَتَنَا - أَمَارَتَنَا - بِالرَّفْقِ وَالتَّأَلُّفِ وَالْوَقَارِ وَالتَّقِيَّةِ وَحَسَنِ الْخُلُقِ وَالْوَرَعِ وَالْاجْتِهَادِ فَرَعَّبُوا النَّاسَ فِي دِينِكُمْ وَفِي مَا أَنْتُمْ فِيهِ»(١).

بتقريب: حَيْثُ يُشِيرُ الْإِمَامُ إِلَى أَنَّ دَوْلَتَهُمْ وَإِمَارَتَهُمْ تَنْتَشِرُ بِمَا يُعْرَفُ بِالْعَصْرِ الْحَدِيثِ بِالْقُوَّةِ النَّاعِمَةِ مِنْ قَبِيلِ الرَّفْقِ وَالْمَرْوَنَةِ وَاللِّيُونَةِ وَالسِّيَاسَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْوَقَارِ وَمَتَانَةِ السَّلُوكِ وَالْوَعْيِ الْأَمْنِيِّ وَحَسَنِ التَّعَامُلِ

ص: ١٤٧

١- (٢) الوسائل، أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ب ١٤، ح ٩.

والمصداقيه البالغه فى التقوى وتجسيدها فى الذات وأنه عبر الترغيب لا الترهيب.

العلاقة التى يذكرها القرآن للتمييز بين الحق والباطل:

إن من أهم العلامات التى يُركّز القرآن الكريم على ذكرها للتمييز بين الحق والباطل، هو أن المتيقن دائماً مستضعفون، والمتقون دائماً تكون لهم النهايه الحسنه وعاقبه الأمور الحسنى، وأنهم لا يكسبون الجوله لا فى البدايه ولا فى الوسط، وإنما يكسبون العاقبه والأمر بخواتيمها (و نريد أن نمّن على الذين استضعفوا فى الأرض و نجعلهم أئمةً و نجعلهم الوارثين) ١ .

وعلى المؤمنين أن يصبروا ويرابطوا إن اضطهدوا (و ليُمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين) (١٤١) ٢ .

وقوله تعالى: (أم حسبكم أن تدخلوا الجنة و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين) (١٤٢) ٣ .

وقوله تعالى: (و لقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه و أنتم تنظرون) (١٤٣) ٤ .

بتقريب: أوليس تتمنون الشهاده فلماذا تجزعون؟! (و ما محمد إلا

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا) ١ .

عدم إيمان بعض البدرين:

حال المسلمين في غزوه أحد:

إنَّ العَدَسَةَ الْقُرْآنِيَةَ اسْتَعْرَضَتْ فِي آيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ سُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ مَوَاقِفَ بَعْضِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَخْتَلَفِ حُرُوبِهِ وَغَزَوَاتِهِ وَفَتْوحَاتِهِ... وَقَسَّمْتَهُمْ إِلَى أَصْنَافٍ وَطَبَقَاتٍ، فَمَثَلًا مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ مِنْ آيَةِ ٤١-٤٤ (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ ... (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَى وَ الرِّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ لَوْ...)) وَالَّتِي سَبَقَتْ هَيْذِهِ الْآيَاتِ نَبَأَ عَظِيمٍ وَإِفْصَاحَ خَطِيرٍ، هُوَ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي رِكْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي غَزْوِهِ بَدْرٍ وَأَثْنَاءَ الْقِتَالِ كَانُوا عَلَى ثَلَاثِ فَنَاتٍ.

١ - فته مؤمنه. ٢ - وفته منافقه. ٣ - وفته اللذين في قلوبهم مرض.

كَمَا وَصَفَهُمُ الْقُرْآنُ (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هُوَلَاءُ دِينَهُمْ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ٢(٤٩).

بتقريب: أنَّ عَدَسَةَ الْقُرْآنِ تَشِيرُ بِوَضُوحٍ إِلَى وَجُودِ فَتْنَيْنِ مَلْعُونَتَيْنِ مَذْمُومَتَيْنِ مَتَخَفِيَتَيْنِ فِي الصَّحَابَةِ الْبَدْرِيِّينَ، وَ لَا يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ

ص: ١٤٩

المنافقين بالآيه المباركه هُمْ فَقَطْ كَفَّارُ قُرَيْشِ الْمُتَجَاهِرُونَ بِالْكَفْرِ فِي صُفُوفِ الْبَدْرِيِّينَ، وَلَيْسَ فَقَطْ مَنَافِقُوا الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ، بَلِ الْمَرَادُ مِنَ الْمَنَافِقِينَ أَيْ الْحَاضِرُونَ مِنْهُمْ فِي أَرْضِ بَدْرٍ، وَمَشْهُدٌ مَعْرَكُهُ بَدْرٌ، وَكَانَ مَنْطِقُ الْفَتْنَيْنِ - أَيْ هَؤُلَاءِ الْمَنَافِقُونَ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ تَجَاهُ الْفِرْقَةِ الْأُولَى الْمُؤْمِنَةَ الثَّابِتَةَ أَنْ قَالَتْ لَمَّا رَأَتْهَا حَشْدٌ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَبَطْرَهُمْ وَخِيْلَاءَهُمْ فِي غَزْوِهِ بَدْرًا، أَنَّ الْفِتْنَةَ الْأُولَى مَغْرُورَةٌ بِسَبَبِ دِينِهِمْ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَنْسَبُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَى الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَإِنَّمَا جَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى دِينِ الْمُشْرِكِينَ!

وإفصاح هذه السوره الميمَارَكه عَنْ انْقِاسِمِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ أَوْ فُتَاتٍ يُبْطَلُ كُلُّ الزَّوَايَاتِ الَّتِي يَرُويهَا الْعَامَّةُ حَوْلَ قَدْسِيَةِ الْبَدْرِيِّينَ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهُمْ وَإِنْ عَمِلُوا مَا عَمِلُوا، فَضَلًّا عَنْ ذَلِكَ مَنَاقِضَ لِلآيَاتِ وَالسُّورِ الْعَدِيدَةِ الْمُشْتَرَطَةِ لِلْوَفَاءِ حَتَّى حُلُولِ الْأَجْلِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، كَمَا يُبْطَلُ مَقُولُهُ كُلِّ بَدْرِيٍّ أَوْ إِحْدَى فَهَوَّ مُؤْمِنٌ وَمَمْدُوحٌ وَمَرْضَى حَالُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

وهكذا ما ذكرته الآيات المباركات من نفس سوره الأنفال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) .

بتقريب: ذكر ابن كثير في تفسيره عن السدي: نزلت هذه الآيات في أهل بدر خاصه فأصابتهم يوم الجمل فاقتلوا(١).

وفي هذه الآيات إشاره واضحه إلى أن المسلمين البدرين سيُفتنون بفتنه تصيب الجميع، وأنهم سيمتحنون بها وفيهم الظالمون، وأن من يخون الله ورسوله والأمانات المأخوذه عليهم فإن الله شديد العقاب، وهذه الآيات الكريمة هي كذلك صريحه في تقسيم وتمييز من صيحب النبي صلى الله عليه وآله في بدر وفي أوائل الهجره إلى المدينة، وأنهم يفتنون ويكون بعضهم ظالما، ويخون الله ورسوله والأمانات المأخوذه عليهم هذا حال بعض البدرين.

وأما حال المسلمين في أحد: - فقد رسمت وقسمت آيات سور آل عمران في مواضع متعدده حالهم ووضعهم: - منها: -

قوله تعالى: (إِذْ تُضَيِّعُ عِدْوَنَا وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ

(٢).

بتقريب: إن الآيه المباركه بينت طائفه ثالته في معركة أحد وهم «قد أهتمتهم أنفسهم ومحورهم ذواتهم» وهكذا الحال في باقى معارك وفتوحات وغزوات النبي صلى الله عليه وآله.

ص: ١٥١

١- (١) تفسير ابن كثير: ج ٢، ص ٢٨٦.

٢- (٢) سورة آل عمران: الآيه ١٥٣-١٥٤.

ضوابط القرآن في تقسيم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله واحده:

إن ضوابط القرآن في تقسيم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله كافه هي واحده، فإن قسماً منهم مدحهم القرآن سواء كانوا بدرين أو أحدين أو حنينين أو... الخ.

وقسماً آخر يعاتبهم القرآن ويحاسبهم ويؤدبهم، وبالتالي فهذا الصحابي وإن كان قد شارك مع رسول الله في غزواته وحروبه إلا أنه بالتالي في أي قسم يدرج هل في قسم الممدوحين أم المذمومين، إلا أن أسباب النزول المُحرِّفه تحاول أن تغطي ولا تُظهر هذا التقسيم، وأن كل من شارك من الصحابة مع رسول الله فله الأجر والثواب وأنه ممدوح، إلا أن هذا ليس بصحيح، وإنما الصحيح هو أسباب النزول ما بيناه من أن صريح القرآن يقسمهم في مواضع مُتعدده إلى أقسام عديده: -

منهم: من يريد الدنيا، ومنهم: - من يريد الآخرة، ومنهم: من همته نفسه ومنهم... الخ، فإن جمهور العامه إلى الآن لا يعون هذا المعنى.

ومن خلال هذا تبين أن القرآن الكريم يستعرض هذا الحكم ويبيِّن الواقع الصحيح الذي لا يأتيه الباطل لا ما كتبه المؤرِّخون أو أصحاب السير تحت ظل حكومات مُعَيَّنه. وَعَلَيْهِ فَوْقُ الْفِرَارِ فِي صَفُوفٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ مَا شَاهَدُوا النَّصْرَ بِاسْتِرْلَالِ الشَّيْطَانِ لَهُمْ كُلِّ ذَلِكِ كَمَا نَبَّأَ بِسَبَبِ بَعْضِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ السَّابِقَةِ، وَأَنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ كَانُوا يَطْنُونَ بِاللَّهِ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ وَيُخْفُونَ كُلَّ ذَلِكِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَهَذَا دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى أَنَّ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْقِتَالِ مِنْهُمْ الطَّيِّبُ وَمِنْهُمْ الْخَبِيثُ وَأَنَّ وَقْعَهُ أُحُدٌ كَانَتْ

للتمييز بين الطيب والخبيث، وَهَذَا مَا صَرَّحَتْ بِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ مِنْهَا:

قوله تَعَالَى: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ...١).

وقوله تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)) (١).

وقوله تَعَالَى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ...٣).

وقوله تَعَالَى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ...٤).

هَذِهِ الْآيَاتُ الْمُبَارَكَةُ وَغَيْرُهَا كَشَفَتْ زَيْغَ مَنْ يَدْعَى التَّعْمِيمَ وَالْمَسَاوَاتِ وَالْعَدْلَ لِكُلِّ مَنْ صَحِبَ وَلَازِمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ أَنْ التَّمْيِيزَ وَقَعَ فِي مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِوَاءِ أَكَانَ أُحَدِيًّا أَوْ بَدْرِيًّا أَوْ خَيْبَرِيًّا أَوْ... الخ.

ص: ١٥٣

نعم وصف الشخص بكونه بدرياً أو أُحدياً أو خيرياً أو... إنما يكون ذا منقبه ويمتدح فيما إذا كان من فئة المؤمنين، لا ما إذا كان من الفئات الأخرى التي ذمها القرآن بفعل ما صدر منهم سابقاً وفي زمان صحبه النبي صلى الله عليه وآله كل ذلك ما بينته أسباب النزول في سورتي الأنفال وآل عمران كما تقدم (١).

ثم إن الآيه المباركه (و ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ...) حذرت من وقوع انقلاب في صفوف المسلمين على الأعقاب برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ذكرت بعض كتب السير أن جماعة من المسلمين لما شاهدوا الهزيمة وظنوا أن الرسول صلى الله عليه وآله قد قتل لاذوا بالفرار وصعدوا الجبل واجتمعوا حول صيخره - عرفوا بعيد ذلك بجماعه الصيخره - وقالوا: - «إنا على دين الآباء» (٢) كي يكون ذلك شافعاً لهم عند قريش وفي ما سطر في السير ما يلوح أنهم ممن يعدون من أعيان القوم ووجوههم.

والمُتأمل في السور الحاكيه لغزوات النبي صلى الله عليه وآله كما في سورة الأحزاب عن غزوه الخندق وفي سورة التوبة عن غزوه تبوك، وحنين وغيرها، يجدها ناطقه بلسان التمييز والتقسيم والتصنيف لمن صحب النبي صلى الله عليه وآله وشارك في القتال، منهم الفئة الصالحه الثابته والمؤمنه بدين النبي صلى الله عليه وآله، ومنهم الفئة

ص: ١٥٤

١- (١) الصحابه بين العداله والعصمه/ الشيخ محمد السند: ص ٩٠-١١٤.

٢- (٢) السير الحلييه: ج ٢، ص ٥٠٤، السير النبويه لابن كثير: ج ٣، ص ٤٤.

الطالحة وأصناف أهل النفاق ومُحترفيه الَّذِينَ فِي قلوبهم مَرَضٌ (١).

وَبِرْكَه إِعمال موازين التَّحقيق والتَّدقيق فِي أسباب التُّزول بَيَّنَّتْ لَنَا كِيف حَاولت الأَقلام المَاجوره والمسمومه مِنْ طمس الحقائق إِلاَّ أَنهم ما استطاعوا ولن يستطيعوا بِرْكَه أَتباع المنهج الذى رسمه لَنَا النَّبِيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمه أهل البيت عليهم السلام الَّذِينَ هُم المَعْلَمون الإلهيون، وإعمال موازين التَّحقيق هَذِهِ لا- يُقتصر فيه عَلَى أسباب التُّزول لِنفس آيات القرآن، بَلْ يُتعدى بِإعمالها إِلى سيره النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، بَلْ وتاريخ الإسلام ولا يمكن الأخذ به عَلَى عواهنه، بَلْ حَتَّى الحديث النبوى الشَّرِيف الذى يُنسب لرسول الله صلى الله عليه وآله تُحكَّم فيه مُحكمات القرآن، فإذا جاءنا الحديث النبوى الشَّرِيف الذى يقول مضمونه كِيف يُطابق القرآن الذى فيه آيات مُحكمات تَدَمِّ جماعه بدر وأُحُد وُحْنين والخندق وتبوك و... الخ وأنَّ بعضهم انقلب عَلَى عقبه وتصوير القرآن لهم دقيق ويصوِّر الخفايا الَّتى يعجز البشر عَنْ رصدها، وَالقرآن يرصد ويُراقب حَتَّى النَّوايا (يَعْلَم السِّرَّ وَأخْفى) ٢ مَعَ أَنهم مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

والذى نُريد تسليط الأَضواء عَلَيْهِ هُوَ أَنَّ عدسه القرآن عظيمه ودقيقه جداً لا- يمكن التفريط بها بحال مِنْ الأحوال، حَتَّى فِي تمحيص التاريخ وَمِنهُ أسباب التُّزول.

ص: ١٥٥

١- (١) الصحابه بين العداله والعصمه للشيخ السند: ص ٩٠-١١٤ بتصرف.

دعوى ارتداد وانقلاب أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله:

ليس ممتنع:

والمتحصل مما تقدم: أن مسألة انقلاب أو ارتداد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله سواء كانوا بدرين أو أُحديين أو حُنينين أو تبوكيين أو... الخ ليست بممتنع بعد تصريح القرآن لها، كما في قوله تعالى: (وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ١ .

وهذا ما أكدته الزهراء عليها السلام أيضاً في خطبتها المعروفة: «وما هي إلا بنازله أنبأكم الله بها وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل...»(١).

وكما هو الحال في شأن جملة من الصحابة في نفس بدر وأحد وتبوك وحُنين التي نص القرآن على فعالهم.

دخاله الحاله النفسيه والمعنويه

في الانتصار والهزيمه:

ذكر الخبراء والمختصون في مراكز الدراسات الأولية حول الحرب العسكريه والسياسيه في هذا المجال أن نسبة ٨٠٪ من النصر أو الهزيمه في المعركه يعود إلى الجانب النفسي والحالات المعنويه التي يتحلّى بها المقاتل

ص: ١٥٦

١- (٢) خطبه الزهراء:

والشخص المنتخب للقيادة، فَإِنَّ القيادة الَّتِي ليست لها استعداداً للتَّضحية هِيَ قيادة غَيْرَ مسؤوله وَغَيْرَ مأمونه عَلَى قياده أَى أُمَّه مِنْ الأُمَّم لا سيما الأُمَّه الإِسْلامِيَّة، وقياده السُّدَيْن، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الذى يَفْرُّ فى غزوات وحروب مُتتاليه وعديده كيف يَكُون مأموناً، عَلَى مُقَدِّرات السُّدَيْن والإِسْلام كَمَا حصل فى حروب الرسول صلى الله عليه وآله وغزواته كَمَا فى غزوه بدر وأُحُد وحُنين والخندق وتبوك وغيرها.

فمثلاً ما حصل فى بدايه معركة أُحُد مِنْ هزيمه ليست سببه كَمَا لَفَّقَ لَهُ حسب أسباب التُّزول المُلَفَّقَه والمُزَيَّفَه مِنْ طرق العامه مِنْ أَنَّ سبب الهزيمه هُوَ الخروج مِنْ المدينه، كلا وَإِنَّمَا كَانَ السبب هُوَ الضعف النفسى والمعنوى لنفوس الصَّحابه عدا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله إِذْ كَانَ عليه السلام ذا إيمانٍ راسخٍ وَلَمْ يُصَبِّه بِهِ جَزَعٌ أَوْ هَلَعٌ أَوْ قَلَقٌ، ولا يُفهم مِنْ هَذَا إِنَّا نُريدُ أَنْ نُترجم شجاعه على بالإيمان الراسخ والثبات فى تحمُّلِ المسؤوليه لقوّه القدره فى تدبير معالجه الأزمات مَعَ جرأه الخوض فى غمرات مخاطر الاحتمالات، فَإِنَّ تفسير الشجاعه بلغه العلم بالمسؤوليه والقدره عَلَى القيام بها، وبلغه الشجاعه فى موضع القيادة والإداره وقوه الرُّوح وقوه الإيمان المُنتفح عَلَى مفاجئات الغيب يرتبط وينصب بالإمامه وكفاءه القيادة والخلافه؛ فَإِنَّ عموم الفضائل ترتبط بالإيمان والرُّوح، وَعَلَيْهِ فلا يُعزى النَّصر إلى الأسباب المادِيه مِنْ تهيئه العَدَّة والعُدَد وغيرها، فَإِنَّ هَذَا لوحده لا يكفى، بَلْ لا بُدَّ أَنْ يملكك المقاتل استعداداً نفسياً

وروحياً وإيمانياً عالياً، وَهَذَا ما أشارت إليه الآية (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ...) ١ .

فإذا ملك المقاتل تلك المقومات استطاع تحقيق النَّصر، وَهَذَا الاستعداد النفسى والرُّوحى والإيمانى ما رَبَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله أصحابه المسلمين، وَإِلَّا لما استطاعوا أَنْ يفتحوا البُلدان، أو يواجهوا جيوش كسرى أو جيوش قيصر الرُّوم.

وهكذا برنامج أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام الذى رَبَّى عَلَيْهِ الثَّله الصالحه مِنْ أصحابه وحواريه كمالك الأشر وعَمَّار بن ياسر وحذيفه اليمانى والأصبغ بن نُبَّاته وغيرهم هؤلاء الَّذِينَ رَبَّاهم أمير المؤمنين على عليه السلام تلك التَّربيه الرُّوحية الإيمانية العالیه وزرع فى نفوسهم الثَّقه وكيفية مواجهه الأعداء والصَّمود بوجههم وعدم الانهزام والفرار؛ لذا كَانَ هؤلاء يُطَلَّبون مِنْ قبل الخلفاء كقيادات عسكريه وَعَلَى رأس التنظيم العسكري لجيس المسلمين فى المواجهات العسكريه، وشعار تلك التَّربيه الَّتِي رَبَّاهَا عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وزرعها فى نفوسهم هِيَ التكبير بصوت عالٍ بوجه العدو عِنْدَ مواجهته.

وَهَذَا مما يجعل الأعداء يشعرون كأنَّما الأرض تتزلزل مِنْ تحت أقدامهم كَمَا شهدت لذلك معركة اليرموك بَعْدَمَا أخفق قاده
العسكر

ص: ١٥٨

أمثال: - خالد بن الوليد وعبيد بن الجراح وغيرهما حسب ما ذكرته كتب التاريخ إلى أن استنجدوا بشمل على بن أبي طالب عليه السلام مالك الأشتر رضى الله عنه فانبرى إليهم بإداره عسكريه وإيمانيه وروحيه عاليه فكتب لهم النصر كل ذلك ببركه أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، وهكذا الأمر فى أكبر وأضخم معركتين مع كسرى خاضها المسلمون وكلت بالنصر وهما معركة القادسية ومعركة نهاوند ببركه الخطط والبرامج التي وضعها أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام وذلك الرباط الروحي الذي أوجده عليه السلام مع الله عز وجل، هكذا ينبغي للمسلم أن يتوكل على الله ويتسلح بقوه معرفيه بالله؛ ولذا فإن من أحد صفات الصحابي الممدوح هو التمتع بعلو معرفته بالله عز وجل.

وعلى الإنسان إذا واجه الضعف والانهزام فى أى أمر من الأمور عليه أن لا يُربكه الضعف والاضطراب ولا يكون هلوياً جزوعاً ولا يتوجه إلى نفسه فإنها مضطربه ومُرتبكه، بل عليه أن يتوجه إلى قدره الله وقضائه وليطمئن بقدره الله تعالى الذى لا يعنى ولا يفوته شىء لا فى السماء ولا فى الأرض ولا... الخ (إن كل من فى السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) (٩٣) ١.

ويطمئن نفسه بذلك (وما كان لِنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً) ومن يرد ثواب الدنيا نُوتِه منها) ٢.

ولذا فَإِنَّ عَدَسَةَ الْقُرْآنِ تَابَعَتِ الْاضْطِرَابَ الَّذِي حَصَلَ فِي نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ (وَكَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ) ١ .

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قُوَّةَ النَّفْسِ وَشَجَاعَتَهَا وَسُؤُدُودَهَا لَا تَتَرَجَّمُ فَقَطُّ بِجَانِبِ الْكِرَامِ الْفَرْدِيِّ وَالْفُرُوسِيَّةِ وَالْعَضَلَاتِ فِي الْقِيَادَةِ وَالْإِمَامَةِ وَغَيْرِهَا، وَإِنَّمَا يُشْتَرَطُ انْضِمَامُ شَرَطٍ وَمَعْنَى آخَرَ وَهُوَ تَحْمَلُ الْمَسْئُولِيَّةِ إِلَى آخِرِ الْمَطَافِ وَلَوْ قَطَعَ صَاحِبُهَا إِرْبًا، وَمِثْلَ هَذَا شَخْصٌ قَدْ يَتَمَتَّعُ بِمِثْلِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَمَّلَ أَعْيَاءَ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَيُؤْتَمِنُ عَلَى دِينِ الْأُمَّةِ وَمَقَدَّرَاتِهَا وَيُصَلِّحُ أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةً، وَمَا تَوَفَّرَتْ هَذِهِ الْأَوْصَافُ فِي شَخْصٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا فِي شَخْصٍ وَصِيَّهِ وَخَلِيفَتِهِ بِالْحَقِّ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ الْكَرَّارُ غَيْرُ الْفَرَّارِ أَيْ أَنَّهُ رَجُلٌ لِمُوَاجَهَةِ الْأَزْمَاتِ قَوِيٌّ فِي تَدْبِيرِ حَلِّهَا وَمُعَالَجَتِهَا خَبِيرٌ وَطَبِيبٌ فِي تَدْبِيرِ حَلِّهَا عَقْدَتِهَا، بِخِلَافِ الْآخَرِينَ فَإِنَّ الْفِرَارَ بِسَبَبِ الْعِزْزِ وَالتَّخَاذُلِ وَالْهَزِيمَةَ تَشْهَدُ لَهُمْ فِي كُلِّ حَرْبٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ لَا يُمْكِنُ لَهُمْ تَسَلُّمُ زِمَامِ قِيَادَةِ الْمُسْلِمِينَ لِضَعْفِ نَفُوسِهِمْ وَعَدَمِ صِلَاحِيَّتِهَا وَتَأْهَلِهَا وَتَرَدَّى الْحَالُ الْمَعْنَوِيُّ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ.

وَمِنْ خِلَالِ هَذَا كُلِّهِ اتَّضَحَ الْفَرْقُ بَيْنَ مَا يَعْزُونَهُ الْعَامَّةُ فِي أَسْبَابِ التُّزُولِ الْمُتَلَفِّقَةِ فِي غَزْوِهِ أُحُدٍ إِلَى الْأَسْبَابِ الْمَادِّيَّةِ، وَبَيْنَ الصَّحِيحِ الَّذِي عَلَيْهِ مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي أَسْبَابِ التُّزُولِ الَّتِي يَذْكُرُهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَإِنْ

كَانَ لَا يُنْكَرُ الْأَسْبَابَ الْمَادِّيَّةَ، وَلَكِنْ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى تَرَكَّزَ عَدْسُهُ الْقُرْآنَ عَلَى الْجَانِبِ الْمَعْنَوِيِّ وَالرُّوحِيِّ وَهُوَ الْأَهْمُ (إِنْ يَنْصُرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) ١.

أسباب النزول الصحيحه - مدرسه أهل البيت عليهم السلام

وَعَنْ الْعَامَةِ التَّحَاكُمِ إِلَى الْقُرْآنِ:

وفى أسباب النزول المُلَفَّقَه لَمْ تُسَلِّطِ الْأَضْوَاءَ عَلَى تَمَّتِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ (وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْ يَغْلِبُ) ٢ .

بتقريب: أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اتَّهَمُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْخِيَانَةِ فِي الْغَنَائِمِ، وَوَجَّهُوا الطَّعُونَ إِلَى السِّيَاحَةِ الْمُطَهَّرَةِ وَالْمُقَدَّسَةِ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَدَّعُونَ أَنَّ هَيْدَهُ هِيَ أَحَدُ سَبَابِ الْهَزِيمَةِ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ، وَلَمْ يَخَوْضُوا فِي التَّفَاصِيلِ الْخَطِيرَةِ وَحَاطُوا تَغْيِيبَهَا؛ وَلِذَا دَعَتْ سَبَابِ النَّزُولِ الصَّحِيحَةِ الْعَامَّةِ التَّحَاكُمِ إِلَى الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ مِيزَانَ عَظِيمٍ فِي الْبَحْثِ التَّيَّارِيخِيِّ؛ وَلِذَا إِذَا أَرَادَ الْبَاحِثُ أَنْ يَبْحَثَ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَعَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَبِقَطْعِيَّاتِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ وَسُنَنِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّهَا مُحْكَمَةٌ حَتَّى تَفْضَحَ مَا حَاطَتْهُ سَبَابِ النَّزُولِ الْمُلَفَّقَةِ وَالْمُحَرَّفَةِ - لِلْعَامَةِ - أَنْ تُغْفَلَ الذَّهْنَ الْبَشَرِيَّ وَالْإِسْلَامِيَّ عَنْهُ، إِلَّا أَنَّهُ وَلِلْأَسْفِ قَلِيلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ قِرَاءَةً تَارِيخِيَّةً وَبَلَّغَهُ سِيَاسِيَّةً - وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ قَرَاءَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَقَعُ عَلَى وَتَأْتِرُ

ص: ١٦١

وطرق مختلفه ستعرض لها إن شاء الله في قواعده لاحقه، فإن هناك من يقرأ القرآن بلغه أمنيّه، وآخر بلغه إداريّه وثالث بلغه عسكريّه ورابع بلغه اقتصاديّه وخامسه سياسيّه وسادس باجتماعيّه وسابع بأخلاقيّه وثامن بتاريخيه وغيرها، فإن هذه العلوم وغيرها موجوده في القرآن الكريم وحينئذ نستطيع ومن الممكن أن ننهل من ماء القرآن الكريم.

إعاده قراءه جملته من العلوم الإنسانيّه والاجتماعيّه:

كالتاريخ وغيره من خلال القرآن:

تنبيه: إن تغيب مثل هكذا ثقافه إسلاميّه وقرآنيّه كقراءه التاريخ وغيره من خلال القرآن أمر خطير في الثقافه القرآنيّه، وعليه فلاجل أن نفتح أبواب البصائر من جديد فمن الضروري أن نعيد قراءه التاريخ من خلال القرآن أي نقرأ التاريخ بلغه قرآنيّه، فإن هذا حياة وإحياء للقرآن الكريم، بخلاف العزوف - لا سامح الله - عن ذلك فإنه فيه إماتة للقرآن والدين - والعياذ بالله.

لا- سيما بعيد تقرّر قاعده أن القرآن فيه تبيان لكل شيء (و نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء و هدى و رحمته و بُشرى للمؤمنين) ١ .

وإن ما من غائبه في السماء ولا في الأرض إلا في كتاب مبين، وأن الوحي لم يقتصر على التشريع والتهذيب والإيمان بحقائق الغيب، وإن

ص: ١٦٢

كَانَتْ هَٰذِهِ الْأُمُورُ هِيَ الْأَصْلُ وَمَا بَقِيَ هُوَ فَضْلٌ كَمَا فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ: «الْعِلْمُ كُلُّهُ فَضْلٌ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ أَوْ سَنَةٌ قَائِمَةٌ» إِلَّا أَنَّهُ رَغِمَ ذَلِكَ فَإِنَّ وَقَوْلَهُ تَعَالَى (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) ١ وَقَوْلَهُ تَعَالَى: (وَلَا حِجَابَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩) ٢ وَقَوْلَهُ تَعَالَى (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) ٣ وَقَوْلَهُ تَعَالَى (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) ٤ ، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) ٥.

بتقريب: إِنَّ كُلَّ مَا فِي لَوْحِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ يَنْزِلُ بِتَوْسِطِ طَبَقَاتٍ وَمَقَامَاتٍ وَمَنَازِلِ الْقُرْآنِ، كَمَا فِي الْآيَةِ (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (١) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) ٦.

والقضاء والقدر يعُمُّ كُلَّ شَيْءٍ.

نعم هَذِهِ الْعُلُومُ جُلُّهَا هِيَ فِي بَاطِنٍ وَبَطُونِ الْقُرْآنِ وَلَا- يُهْتَدَى إِلَيْهَا عَیْبَرُ ظَاهِرِهِ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ وَهُمْ الْأَئِمَّةُ
وَالْمَعْصُومِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - وَمِنْ ثَمَّ تَعَرَّضَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِأَسْسٍ كَثِيرٍ مِنْ حَقَائِقِ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ وَغَيْرِهَا كَمَا
اسْتَعْرَضْتُ ذَلِكَ جَمَلَهُ مِنْ كِتَابِ التَّفْسِيرِ.

أحد أسباب هزيمة المسلمين في وسط المعركة

هو الوهن والضعف النفسى لبعض الصحابه:

النموذج الرابع: قوله تعالى: (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَ
اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) (١).

بتقريب: بَيَّنَّتِ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ أَنَّ أَحَدَ سَبَابِ الْهَزِيمَةِ فِي وَسْطِ مَعْرَكَةٍ أُحْدِ وَعْدَمُ الثَّبَاتِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ هُوَ بِسَبَبِ الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ
النَّفْسِيِّ وَالْإِسْتِكَانَةِ الَّتِي أَصَابَتْ نَفُوسَ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي سَبَابِ التُّزُولِ وَهُوَ مَا عَلَيَّهِ مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ لَا كَمَا صَوَّرَهُ فِي سَبَابِ التُّزُولِ الْمُلَفَّقَةِ وَالْمُحَرَّفَةِ، وَأَنَّ سَبَبَ الْهَزِيمَةِ كَانَ عَلَى أَنَّ رَأَى أَكْثَرَ الصَّحَابَةِ هُوَ الْمَكْثُ وَرَأَى
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ عَلَى الْخُرُوجِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ مِثْلَ مَا مَرَّ بَيَانُهُ سَابِقًا.

وكذا قوله تعالى: (وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ

ص: ١٤٤

١- (١) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

يَاذِيهِ حَتَّى إِذَا فِشَلْتُمْ وَ تَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعِيدٍ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَ لَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) ... الشَّيْطَانُ بِيَغْضٍ مَا كَسَبُوا (١).

الشجاعه أحد صفات الإمامه في مدرسه أهل البيت عليهم السلام:

إنَّ أحدَ شرائطِ الأصلِ الثَّالثِ في أصولِ الإسلامِ والأولِ مِنْ أصولِ الإيمانِ هُوَ الإمامه في مدرسه أهل البيت عليهم السلام أنْ يَكُونَ الإمامَ شجاعاً بنصِّ القرآنِ الكريمِ كَمَا في قوله تَعَالَى: (وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ) (٢).

وقوله تَعَالَى: (وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ) (٣).

هَذَا مُضَافًا لِلرُّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ عَنْ أئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى تَأْكِيدِ شَرْطِ الشَّجَاعَةِ فِي الْإِمَامَةِ، كَمَا فِي زِيَارَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «... أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تَنْكُلْ وَأَنَّكَ مَضِيَتْ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ الْبَدْرِيُّونَ».

وَأَنَّ الْإِمَامَ لَا يُدَّى وَأَنْ يَتَمَتَّعَ بِنَفْسٍ وَهَمَّهَ عَالِيَهُ وَ لَيْسَتْ وَاهِنَهُ أَوْ مَوْهِنَهُ لِلْآخِرِينَ وَلَا تَضَعُضُ تِلْكَ الشَّجَاعَةُ بِخَطُورِهِ تَحْمِلُ ثِقْلَ الْمَسْئُولِيَةِ وَمَعْرِفَهُ

ص: ١٦٥

١- (١) سورة آل عمران: الآيه ١٥٢-١٥٥.

٢- (٢) سورة البقره: الآيه ٢٤٧.

٣- (٣) سورة البقره: الآيه ٢٥١.

كيفية إداره الأُمُور في الأزمات، وكيفيه حلها «وأشهد أنك لم تجبن والذي لا- يجبن وصف لمن لا يرتبك في معركه مخرج التدبير» وحل الأزمه، ومن الواضح أن سبب الجبن في الأزمات هو الإرباك والإرتباك الذي يقع في تدبير الإداره ومعالجه الخلل؛ ولذا يقع من لا- خبزه له في الأُمُور ولا- قدره له على تحمّل المسؤوليه ما في التهور أو الجبن إذا ما عالج الموقف بالإجراءات الصّحيحة والمنضبطه، وعليه فالجبان هو من لا قدره له على تحمّل المسؤوليه، وأما الشجاعه بالأصل التي هي اتقان لتدبير ومعالجه الأُمُور بما يناسبها بحكمه، فالغلظه في موضع الغلظه واللين في موضع اللين، وهَذَا هو المراد من الشجاعه في الإمامه التي تعنى القيادة.

ولذا عُدَّت الشجاعه شرطاً في الإمامه وأنَّ الشجاع هو من يتقن الإداره في الأزمات؛ ولذا قال المُستولي الثاني على الخلافه عندما أطلق هَيْدَه المقوله المشهوره والمعروفه والمليئه بها مصادر المسلمين، كما ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته: «... لا أبقاني الله لمعضله ليس لها أبو الحسن»(١).

أو بتعبير آخر: «... لا أبقاني الله في أرض ليست بها أبا الحسن»(٢).

وقد فصلنا ذلك كله في كتابنا الصحابه بين العداله والعصمه(٣).

ص: ١٦٦

١- (١) طبقات بن سعد، والترغيب في فضائل الأعمال وثوابها لابن شاهين: ج ١، ص ١٠٢، ح ٣٣٥.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) الصحابه بين العداله والعصمه للشيخ محمد السند: ص ٣٤٥ محطه الفتوحات.

وإطلاق هكذا عبارة من المستولى الثاني على الخلافة ليست اعتباطاً بَعْدَ مَا وجد الحاجه المُلَحَّه في قيام الإسلام بتدبير على عليه السلام، وعندها يقف المُحلِّلون ملياً لأنها صادرة من شخص يدعى أَنَّهُ خليفه للمسلمين، فيتبيَّن أَنَّ السبب الرئيسي الذي دعاه إلى إطلاق هكذا عبارة في حقِّ أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام هُوَ لِإِنَّه ما يمتلكه عليه السلام من قدره اتقان إداره الأزمات وحلّ المشكلات الَّتِي تعصف بالإسلام والمسلمين وكيفيه مُعالجتها وتدبير الخروج مِنْهَا بانتصار ونجاح لا بهزيمة وفرار، وَهَذِهِ هِيَ مُوهَلَات القيادة والكفاءه والإمامه؛ ولذا يصف القرآن مثل هكذا أمر بقوله تَعَالَى: (وَكَأَيُّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا) (١).

والفرق اللغوي بين المُفردات الثلاثة: -

الوهن: ضَعْفٌ، وَيُقَالُ: وَهَنَ الرَّجُلُ أَي دَخَلَ فِي الْوَهْنِ مِنَ اللَّيْلِ (٢) وَالْمُرَادُ بِهِ الضَّعْفُ النَّفْسِي.

الاستكانه: وَهِيَ مِمَّنْ (استكن) إِذَا خَضَعَ وَذَلَّ، وَتُرَادُ الْأَلْفُ، فَيُقَالُ: اسْتَكَانَ إِذَا خَضَعَ (٣) وَالْمُرَادُ بِهَا عَدَمُ الْحَرَكَةِ وَالْفَتْوَرِ وَالْجُمُودِ.

الضَّعْفُ: وَالضَّعِيفُ خِلَافُ الْقُوَّةِ، وَقِيلَ الضُّعْفُ بِالضَّمِّ فِي الْجَسَدِ وَالْقُوَى الْمَادِيَّةِ، وَالْفَتْحُ، الضُّعْفُ فِي الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ، وَقِيلَ جَائِزَانِ فِي كُلِّ

ص: ١٤٧

١- (١) سورة آل عمران: الآية ١٤٧.

٢- (٢) أقرب الموارد، مادّه وَهْنٌ.

٣- (٣) الفيومي، مادّه السكين، ولسان العرب، مادّه سكن.

وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْمَفْرَدَاتِ الثَّلَاثَةِ مَعْنَى يَخْتَلِفُ عَنِ الْآخَرِ.

وهكذا قوله تعالى: (وَ مَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَ ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَ انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَ حُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) ٢.

بتقريب: أن القرآن الكريم وصف الربيبين بأنه يستحثون همهم ويشحذون إرادتهم عبر الشعور بالتقصير لثلاث- يصيبهم الغرور والعجب بما قاموا به من جهود وجهاد، كما أنهم يتصلّبون في إرادتهم بالدعاء والإصرار على الثبات والسعي إلى النصر على العدو.

النموذج الخامس: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْدُوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) (٢).

بتقريب: إن الآية المباركة فيها تعريض لبعض الصحابة الذين قالوا سنطيع أهلنا وعشيرتنا وقومنا من قريش في ملتهم بعد ما سمعوا ما أشيع من نبا كاذب، وهو مقتل رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الموقف يُدينه القرآن في قوله تعالى: (وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ

ص: ١٤٨

١- (١) لسان العرب لابن منظور، مادّه ضَعْفَ.

٢- (٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٩.

وقوله تَعَالَى: (بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (٢١٥٠) ٢.

وقوله تَعَالَى: (سَيُنْفِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ)
٣(١٥١).

ولذا عرفوا أمثال هؤلاء الصّحابة الذين قالوا مثل هذا القول باسم أصحاب الصخره، علماً أنّ هؤلاء الصّحابة هم من عليه القوم وأسماءهم لامعه، وهذا مؤشّر قرآني على أنّ هؤلاء غير مبتدئين بالمشروع الإلهي وأنّه يحيطونه ما دام لهم طمع دنيوي من رئاسه وجاه وغنائم، فما أن تنقطع الأطماع ينكصون على الأعقاب وينقلبون عن دينهم.

فأسباب النزول المُلَفَّقه تُؤكّد أنّ سبب الهزيمة لجيش المسلمين هيو الخروج من المدينه لمقاتله كفّار قريش، على عكس ما يذكره القرآن الكريم من سبب للهزيمة وهُو الفرار و الوهن والضعف النفسى.

وهذا مما يؤسف له فإنّه مصادره للمعرفه الإِسْلامِيّه وَالدِّينِيّه عبر المعرفه القرآنيه وعبر عدم التوثق والتثبت من أسباب النزول المُلَفَّقه الّتي يتلقاها كما هى، وللأسف المُفَسِّر أو الباحث ويبنى على صحتها وأنّها موثوق بها،

ص: ١٦٩

ويأخذ بها أخذ المسلمات، وأنها ليس فيها أى تلاعب، وهذا يُشكل خطراً كبيراً على المعنى التفسيري للآيه والسوره القرآنيه، وَعَلَيْهِ فَكَيْفَ تُرِيدُ مِنَّا أَنْ نَبْتَعِدَ عَنْ ذَلِكَ الصَّوْتِ المَدْوِيِّ، أَلَا وَهُوَ صَوْتُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي يَسْرِدُ لَنَا الْحَقَائِقَ وَنَتْرِكُهُ وَلَا نَأْخُذُ بِمَفَادِ الْآيَاتِ وَالْأَخْذُ بِهَكَذَا أَسْبَابٌ لِلنُّزُولِ غَيْرِ مَعْلُومِهِ الْوَثَاقِهِ، وَأَجْعَلُهَا هِيَ الْحَاكِمَةُ عَلَى الْمَفَادَاتِ الْوَاضِحَةِ لَا سِيَّمَا مَعَ تَنْبِيهِ رَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ بَيِّنَاتٍ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا يُعْتَبَرُ غُلُوً وَإِسْرَافًا فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ غَيْرِ الْمُؤْتَقَةِ، وَلَكِنْ وَلِلْأَسْفِ وَقَعَ فِيهَا الْكَثِيرُ مِنْ مُفَسِّرِي الْفَرِيقَيْنِ.

ثُمَّ تَذَكُرُ الْآيَةَ: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ) (١).

بتقريب: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا عَلَى مَوْعِدٍ بِالنَّصْرِ مِنَ اللَّهِ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَوْفَاهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ النَّصْرَ وَكَانَ النَّصْرُ حَلِيفَتَهُمْ مِنْ بَدَايَةِ مَعْرَكَةِ أَحَدٍ، فَكَيْفَ يَدْعَى الْخُرُوجَ سَبَبًا لِلْهَزِيمَةِ إِذْ تَحْسُونَهُمْ كَمَا يُحَسُّ الْمَرْقُ وَلَا تَبْقُونَ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ هَذَا مَشْرُوطٌ بِشَرَايِطٍ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا وَبَعْدَ كُلِّ هَذَا كَيْفَ تَقَلَّبَ الْحَقِيقَةُ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ الْمُحَرَّفَةِ وَالْمَأْجُورَةِ وَصَوَّرَتْ تِلْكَ الْأَسْبَابَ الْمُحَرَّفَةَ وَالْمُيَدْلَسَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ انْتَهَى وَتَنَازَلَ عَنْ رَايَةِ لِرَأْيِ الشُّورَى الَّذِي يَرَى أَنَّ الْبَقَاءَ فِي الْمَدِينَةِ هُوَ أَكْثَرُ ثِبَاتًا وَنَصْرًا، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَلْفِيقَاتٌ تَحْتَاجُ إِلَى تَنْقِيهِ وَغَرْبَلِهِ وَعَرْضِ عَلَى مُحْكَمَاتِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ الشَّرِيفَةِ.

ص: ١٧٠

ثُمَّ تَقُولُ الْآيَةَ: (حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ وَ تَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ) (١).

بتقريب: أَنَّ لآيَةِ الْمُبَارَكَةِ بَيَّنَّتْ أَنَّ سَبَبَ نَزُولِ الْآيَةِ حَوْلَ بَيَانِ مَوْضُوعِ سَبَبِ فُشْلِ وَهَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ هُوَ عَصِيَانَةُ الرُّمَاهِ الذِّي أَوْقَفَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى جَبَلِ أُحُدٍ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَنَزَلَ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْجَبَلِ لِأَجْلِ الْغَنَائِمِ فَهَؤُلَاءِ أَسْمَاءُ لَامِعَةٍ فِي صَحَابِهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأُحْدِيَيْنِ وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَهْوَتْهُمُ الدُّنْيَا كَمَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ السَّابِقَةُ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، وَهَذَا امْتِحَانٌ إِلَهِي وَهُوَ لَيْسَ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ، نَسَأَلُهُ تَعَالَى الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ثُمَّ قَالَتْ الْآيَةُ: (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ) (٢).

بتقريب: أَنَّ حَرْفَ الْجَرِّ (مِنْ) يُفِيدُ التَّبَعِيضَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (مِنْكُمْ) أَيُّ مِنْ بَعْضِ صَحَابِهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْأُحْدِيَيْنِ، بِوَصْفِ الْقُرْآنِ لَهُمْ مِنْهُمْ - بَعْضُهُمْ - يُرِيدُ الدُّنْيَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ (ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ) وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) (٢) أَيُّ حَقَّقَ لَكُمْ النَّصْرَ وَلَمْ يَسْتَوْلِ كُفَّارُ قُرَيْشٍ عَلَيْكُمْ وَأَعَادَ اللَّهُ لَكُمْ النَّصْرَ وَعَفَا عَنِ الْفِرَارِ وَالْهَزِيمَةِ الَّتِي وَقَعَتْ مِنْ أَسْمَاءِ لَامِعَةٍ وَمِنْ عَلَيْهِ الْأَصْحَابُ (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي

ص: ١٧١

١- (١) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

٢- (٢) المصدر السابق.

أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بَعْمًا لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ١.

بتقريب: إذ تصعدون وتركبون الجبال وأعالى الأودية فارزين ولا- تلون: أي لا تواجهون أحداً (وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ) إلى أين تفرون؟ (وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ) ٢ .

إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَقْطَعِ الْأَخِيرِ مِنْ مَعْرَكِهِ أُحْدِ مُغَيَّبٌ تَمَامًا وَلَمْ تُسَلِّطْ عَلَيْهِ الْأَضْوَاءُ سَبَابِ النَّزُولِ الْمُحَرَّفَةِ وَالْمُلَفَّقَةِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَرَسُّمٌ بَوْضُوحٍ أَنَّ الصِّحَابَةَ فَرَّوْا وَلَا ذَوَا الْفِرَارِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثَبَتَ فِي الْمَيْدَانِ وَلَمْ يَصْعَدْ الْجِبَالَ وَلَمْ يَهْرَبْ وَلَمْ يَفُزْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا ادَّعَى فِي سَبَابِ النَّزُولِ الْمُلَفَّقَةِ الَّتِي تُرِيدُ أَنْ تُبَرِّرَ لِأَصْحَابِ السَّقِيْفَةِ هُرُوبَهُمْ وَفِرَارَهُمْ وَخِذْلَانَهُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَفَعَلْتَهُمُ الشُّوَهَاءَ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مَسْأَلَةَ عَرْضِ سَبَابِ النَّزُولِ عَلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الْقَطْعِيَّةِ لَا السُّنَةَ الظَّنِّيَّةَ مَسْأَلَةٌ لَا يَبْدَأُ مِنْهَا وَلَهَا تَأْثِيرٌ عَلَى بَيَانِ الْحَقَائِقِ وَالْوَقَائِعِ؛ وَلِذَا مَحَاوَلَةٌ بَعْضُ سَبَابِ النَّزُولِ الْمُلَفَّقَةِ مِنْ قَبْلِ بَعْضِ الْأَقْلَامِ الْمَأْجُورِ لَوْعَاظِ السِّبْلِيِّينَ بَاءتْ بِالْفِشْلِ فِي تَغْيِيبِ بَعْضِ الْحَقَائِقِ بِبِرْكَهِ الْعَرْضِ عَلَى مُحْكَمَاتِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ خَفِيَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ حَتَّى مِنْ الْخَاصَّةِ وَأَخَذَ الْبَعْضُ مِنْهُمْ بِسَبَابِ النَّزُولِ الْمُلَفَّقَةِ أَخَذَ

المُسلّمات، وَبَعْدَ العَرَضِ عَلَى مُحْكَمَاتِ الكِتَابِ وَالسُّنَنِ تَبَيَّنَ مَا غُيِّبَ مِنْ وَقَائِعِ وَأَحْدَاثٍ مُهِمَّةٍ وَخَطِيرَةٍ وَبِاللَّهِ الحَمْدُ.

وَمِنْ هَذَا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِلْمُفَسِّرِ وَالبَاحِثِ فِي المَعْرِفَةِ الدِّينِيَّةِ بَلْ وَغَيْرِهَا الِاسْتِغْنَاءَ بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ عَنِ مَسْأَلَةِ عَرَضِ أسبابِ النُّزُولِ عَلَى مُحْكَمَاتِ الكِتَابِ وَالسُّنَنِ لِأَجْلِ التَّوَصُّلِ إِلَى حَقَائِقِ كَثِيرَةٍ قَدْ خُفِيَتْ عَلَى غَيْرِ أَهْلِ العِلْمِ فَضلاً عَنِ أَهْلِهِ، وَيَظْهَرُ تِلْكَ الحَقِيقَةَ سَوْفَ تَتَّضِحُ الصُّورَةَ وَيَتَمُّ المَطْلَبُ.

تقسيم القرآن لفئات صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله:

النموذج السادس: قوله تعالى: (وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) ١ . قَسَمَ القرآن الكريم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الدِّينَ خَرَجُوا مَعَهُ فِي حُرُوبِهِ وَغَزَوَاتِهِ وَفَتْوحَاتِهِ إِلَى عِمَدَةِ فَنَاتٍ، وَالغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ هَذَا التَّقْسِيمِ فِي هَذَا الشَّاهِدِ وَإِنْ كَانَ تَقَدَّمَ فَحِوَاهُ وَرُوحَهُ - هُوَ لِبيانِ أَنَّ أسبابَ النُّزُولِ المُلَفَّقَةَ وَالمُحَرَّفَةَ حَاولتِ التَّقْسِيمَ - مَعَ المَحَافِظَةِ عَلَى مَنَظَرِ القُدَّاسَةِ لِأَصْحَابِ الرِّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى أَسَاسِ أَنَّ كُلَّ صَحَابِيٍّ لِمَجْرَدِ الصَّحْبَةِ يَغْتَفِرُ لَهُ فِعْلُ مَا فَعَلَ، إِلَّا أَنَّهُ وَلِلْأَسْفِ هَذَا المَعْنَى أَخَذَهُ البَعْضُ حَتَّى مِنْ الخَاصَّةِ فَضلاً عَنِ العَامَّةِ أَخَذَ المُسَلِّمَاتِ، إِلَّا أَنَّ الوَاقِعَ الصَّحِيحَ فِي أسبابِ النُّزُولِ الصَّحِيحِهِ وَفَقِ مَنهجنا المُخْتارَ أُمُومِهِ

الولاية على المحكمات هو أن القرآن الكريم يقسم الصحابه إلى عدّه فئات، كما تقدّمت الشواهد القرآنيه على ذكر فئتين وهما:

الفئه الأولى: تُريد عَرَضَ الحياه الدُّنيا.

الفئه الثانيه: تُريد عَرَضَ الحياه الآخِرَه.

والآن في هذا الشاهد تسلط الآيه القرآنيه الأضواء على الفئه الثالثه: (وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ).

بتقريب: أن هذه الفئه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محورهم أنفسهم، ومن الواضح أن القرآن الكريم ذمّ عدّه فئات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فئه من البدرين وفئه من الأُحديين وفئه من الحنينيين و... الخ.

وينبغي أن نأخذ بنظر الاعتبار أن الذمّ لم يكن وارداً في كتاب عادى بل في أعظم الكتب ألا وهو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل وأنه كتاب يُتلى إلى يوم القيامة، وهنا يُريد القرآن التأسيس والتأكيد على مساله بالغه الخطوره والأهميه وهى: -

«أن الميزان ولاضابط في الصحبه لرسول الله صلى الله عليه وآله ليس مجرد صِرْف الصحبه لرسول الله صلى الله عليه وآله فقط، والعيش معه صلى الله عليه وآله؛ فإن مثل هذه الصحبه ليست كافيه للنجاه».

ولذا جعل القرآن بعض آياته التى يتلوها كل مسلم فى أن هناك طائفه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله (قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير

الْحَقُّ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ) وَيَقُولُونَ هَيْلٌ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ (١) أَيْ لَيْسَ بِيَدِنَا شَيْءٌ إِلَّا أَنْ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُجِيبُهُمْ (قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) ٢ .

بتقريب: - إِنَّ النَّصْرَ وَالْهَزِيمَةَ أَوْ كُلَّ تَدْبِيرٍ فَهُوَ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وصف القرآن لتيات وخواطر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله:

وصف آخر لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله:

تَرَصَّدَ الْعَدَسَةُ الْقُرْآنِيَّةُ لَتِيَاتٍ وَخَوَاطِرِ فَتَنَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْأَخْيَارِ وَتَصَفَّهُمْ بِوَصْفٍ آخَرَ وَهُوَ: - حَالُهُ النَّفَاقَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا الْبَعْضُ: (يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) ٣ .

ولذا عِنْدَمَا أَمَرْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالرَّجُوعِ إِلَى الْقُرْآنِ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ كِتَابُ هِدَايَةٍ فَإِنَّهُ لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرِثَ حَالَهُ التِّيَاتِ وَالْخَوَاطِرِ إِلَّا الْخَالِقَ عَزَّ وَجَلَّ .

فالحكم العدل الوحيد والميزان القويم في تحقيق وتمحيص التاريخ وسيره النبي صلى الله عليه وآله وآله وَمَنْ كَانَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْأَصْحَابِ هُوَ الرَّجُوعُ إِلَى مُحْكَمَاتِ الْقُرْآنِ وَلَا أَحَقَّ مِنَ الْقُرْآنِ وَالرَّاسِخِينَ أَنْ يُبَيِّنَ الْحَقَائِقَ .

وقوله تَعَالَى: (... يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَغِي اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) .

بتقريب: تقدّم ذكر شواهد عديده على أنّ سبب هزيمة المسلمين في أحد أمور أخرى غير الهزيمة العسكريه والماديّه وإنّما هي ضعف نفوس الصّحابه وعصيانهم للرسول صلى الله عليه وآله ورغبتهم في الدُّنيا، وفي هذه الآيه المباركه توجد مقابله بين القتال الذي هو خارج المدينه الذي هو سبب للهزيمه وبين البقاء داخل المدينه والتحصّن ببيوتها لكان أقوى لنا ولا يحدث القتل وندفع الخساره الماديّه والمعنويّه، هكذا صوّرت أسباب التّزول المزعومه والمُلفقه بينما القرآن الكريم فنّد ذلك وأنّ سبب الانهزام في وسط المعركه - كما تقدّم - هو التمرّد وعصيان أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وضعف النفوس و... الخ.

وهكذا الآيه الأخرى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ) ٢ .

هَذَا شاهد آخر يبيّن أسباب التّزول المُلفقه وأنّ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله كان على البقاء في المدينه وأنّ رأى الأكثرية كان على الخروج والرسول صلى الله عليه وآله

تَسَلَّمَ آخِرَ الْأَمْرِ لِرَأْيِ الْأَكْثَرِ وَخَرَجَ، وَهَذَا يُفَنِّدُهُ الْقُرْآنُ إِذْ لَوْ كَانَ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الْبَقَاءُ فِي الْمَدِينَةِ كَيْفَ يُفَنِّدُهُ الْقُرْآنُ.

امتحان القلب وما فى الصدور هُوَ أعظم الامتحانات الإلهيه:

الامتحانات والابتلاءات الإلهيه

يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَبْلَ عَالَمِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ:

هُنَاكَ جُمْلَةٌ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ تُبَيِّنُ أَنَّ أَحَدَ حِكْمِ الْامْتِحَانَاتِ وَالْإِبْتِلَاءَاتِ الْإِلَهِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي هُوَ عَالَمُ قَبْلِ عَالَمِ الْجَنَّةِ وَعَالَمِ النَّارِ هُوَ حِكْمُهُ إِخْرَاجُ مَا فِي الصَّدُورِ مِنْ نَوَايَا وَخَوَاطِرٍ، وَهَذَا الْأَمْرُ لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ اسْتِخْرَاجَهُ وَكَشْفَهُ وَالْإِطْلَاقَ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ وَلِذَا فَحَرَى بِالْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَسْتَسْهَلُ بِقُوَى الْخَاطِرِ وَالنِّيَّةِ وَيَتَحَمَّلُ الْمَسْئُولِيَّةَ تَجَاهَ الْخَوَاطِرِ وَالنِّيَّاتِ، وَهَذَا مَوْضُوعٌ مَهْمٌ وَخَطِيرٌ، فَإِنَّهُ حَسَبَ مَا وَرَدَ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى» (١) فَإِنْ أَضْمَرَ الْمَرْءُ نِيَّتَهُ الْخَيْرَ أَظْهَرَهَا اللَّهُ لَهُ، وَإِنْ أَضْمَرَ سُوءًا أَظْهَرَهَا لَهُ كَذَلِكَ، عَنْ أَبِي عُرْوَةَ السَّيْلَمِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى نِيَّتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢)؛ وَلِذَا فِي مَنْطِقِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: إِنَّ أَعْظَمَ امْتِحَانَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْإِنْسَانِ هُوَ امْتِحَانُ الْقَلْبِ وَامْتِحَانُ مَا فِي الصَّدُورِ، وَتَمَامُ الْكَلَامِ مَوْكُولٌ إِلَى بَحْثِ الْعُقَائِدِ.

ص: ١٧٧

١- (١) الوسائل: ج ١، أبواب مُقَدِّمَاتِ الْعِبَادَاتِ: ب ٥، ح ١٠.

٢- (٢) المصدر السابق: ح ٥.

والخلاصه: مِنْ كَلِّ هَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُبَيِّنُ لَنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُتَبَارَكَةِ أَنَّ فَتْنَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْأُحْدِيثِ لَمْ يَكُونُوا بِالْمَسْتَوَى الْمَطْلُوبِ، بَلْ كَانُوا بِالْمَسْتَوَى الْمُتَرَدِّى وَأَنْهَمُ شَرِيحَهُ مُوهِنَةً ضَعِيفَةً، وَمَعَ هَذَا الْبَيَانِ الْوَاضِحِ لِلآيَةِ تَحَاوَلَ بَعْضُ الْأَقْلَامِ الْمَاجُورَةِ فِي أَسْبَابِ التَّنْزِيلِ تَغْطِيهِ الْمَلَفَاتِ الَّتِي فِيهَا فَضَائِحٌ وَمَسَاوِيءٌ، وَعَدَمَ مَلَاظَمَةِ هَذَا مِنْ قَبْلِ الْمُفَسِّرِ لَهُ تَأْثِيرَهُ الْفَاعِلِ عَلَى الْمَعْنَى التَّفْسِيرِي لِلآيَةِ، فَإِنَّ لَهُ أَمَمِيَّةً فِي كَشْفِ خَرِيْطَةِ الْأَحْدَاثِ وَوَاقِعِ الْأَطْرَافِ مِنْ حَيْثُ مَسَاهَمَتِهَا سَلْبًا أَوْ إِيْجَابًا.

فِرَارُ الْعَلِيَّةِ الْمَزْعُومَةِ لِلْقَوْمِ:

النموذج السابع: قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا... الخ) (١).

بتقريب: أَنَّ الشَّيْطَانَ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى أَنْ يَسْتَزِلَّ الْعِبَادَ إِذَا ارْتَكَبُوا الْمَعَاصِيَ وَمَهَّدُوا الطَّرِيقَ فِي نَفْسِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ لِدُخُولِ الشَّيْطَانِ وَيَسْتَنْزِلُ وَيَسِيْطِرُ، وَصَرِيحُ الْقُرْآنِ يَقُولُ: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢٩٩) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ

ص: ١٧٨

عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (١٦٥) وفعلاً استزل الشيطان جمعاً من العلية المزعومة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في معركة أحد بسبب ما ارتكبه سابقاً من المعاصي، فإن ارتكاب الذنوب له آثاره الوضعيه التي تنعكس على مرتكبها بأن تورثه القساوه والعصيان والتمرد على المولى - والعياذ بالله - ولذا يعزوا القرآن الكريم أسباب هزيمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في معركة أحد عصيانهم وأمر الرسول صلى الله عليه وآله والتمرد عليه، إلا أن حصر الأسباب بالأسباب ليس صحيحاً.

ولذا بينت بعض الأحاديث النبويه أنه لو يفتح باب الشيطان معناه الاعتراض على قضاء الله وقدره وما شابه ذلك هو فتح لباب الشيطان (الأمر كله لله) ٢ أمّا أنه تُعزى النتائج والمسببات وحصرها فقط بالأسباب الماديه أو الأسباب الكونيه، فهذا معناه خروج وإنكار لوجود قدره مهيمنه وراء الأسباب ومُحيطه بها، ومنطق ورؤيه القرآن لا- يريد التنكر للأسباب إلا أن حصر الأسباب بالأسباب الماديه والحسيه الكونيه فقط ليس بالصحيح.

وهذا أحد فلسفات عظمه الاعتقاد بالبداء.

عقيدته البداء في مدرسه أهل البيت عليهم السلام:

إن كثيراً من الأخوه الباحثين والمفسرين وغيرهم من المذاهب الأخرى لعلمهم لم يفهموا عقيدته البداء في منظور مدرسه أهل البيت عليهم السلام ولم

يفطنوا إليه ولو باختصار فَإِنَّهُ: - عبارته عَن الاعتقاد والإذعان بأنَّ قدره الله وراء الأسباب، وذكرنا في كتابنا: خلاصه معرفيه وكتاب رؤى جهاديه في مشهد الطّف (١) كلاماً حول البدء ما حصله: إِنَّ البدء هُوَ المحو والتغيير في التقدير والقضاء الإلهي لا عَن جهل منه تَعَالَى بخواتم الأُمور ومحكمات التدبير، بَلْ هُوَ مِنْ إطلاَق قدرته تَعَالَى المُستعليه عَلى كافه الأسباب التكوينية حتَّى الملكوتيه مِنْهَا والغيبية والإبداعيه فضلاً عما دونها مِنَ العوالم التكوينية؛ إذ كَلَّ الأُمور المخلوقه مُنقادَه لمشيئته فلا يُحتم ظرف تكويني عَلى الله يَبْلُ الله المشيئه والله يحكم عَلى كُلِّ شئء لا- جبر ولا- تفويض أمر بين أمرين، وليست الأُمور والأحداث كُلَّهَا مفوضه إلى الأسباب والجعل فَإِنَّ مَنْ تَوَهَّم ذَلِكَ فَقَدْ أَخْطَأَ.

فَإِنَّ حَلَّ الفلاسفه أو المُتكلِّمين أو... قَدْ حَصَرُوا قَاعِدَةَ الاختيار «لا جبر ولا تفويض» بالأفعال الاختياريه دون الأسباب التكوينية، وَهَذَا خَطَأً، فَإِنَّ هَذِهِ قَاعِدَةَ شريفه عامه كوتيه خطيره مُهممه استفيدت مِنْ بركات كنوز مدرسه أهل البيت عليهم السلام وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ الكوتيه العامه الرابطة بين الخالق والمخلوق وَلَيْسَ فَقَطْ كَمَا تَوَهَّمه بعضُ بَأَنَّهَا رابطة بين الخالق وبين أفعال الإنسان الاختيارية فَقَطْ، بَلْ رابطة بين الخالق وبين كُلِّ جوهر وعرض مِنَ المخلوقات، بَلْ ويتعدى حتَّى إلى مبحث القضاء والقدر، وَأَنَّ مَعْنَى القضاء والقدر لَيْسَ هُوَ مِنْ فعل الإنسان فَإِنَّهُ لا جبر ولا نفى ولا

ص: ١٨٠

١- (١) خلاصه معرفيه للشيخ محمد السند: ج ٢، ص ١٩٧، ورؤى جهاديه من مشهد الطّف للشيخ السند: ص ١١-١٩ بتصرُّف.

حصر، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أُمِّي إِلَّا أَنْ يُجْرَى الْأُمُورُ بِأَسْبَابِهَا، فَإِنَّ هَذَا صَحِيحٌ وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءَهُمْ مُحِيطٌ.

هَذَا كُلُّهُ عَلَى خِلَافِ مَقَالَةِ الْيَهُودِ الَّتِي يَسْتَعْرِضُهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ حَيْثُ قَالُوا إِنَّ الْقَلَمَ وَاللُّوْحَ بِمَا كَانَا وَيَكُونُ وَلَا- يَجْرَى فِيهِ التَّبْدِيلُ وَعَلَيْهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ الْبَارِي تَغْيِيرَ الْمَقَادِيرِ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) ١ .

فَبَقْدَرْتَهُ عَلَى تَغْيِيرِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَتِمُّ الْإِعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَنْفَتِحُ بَابُ الْأَمَلِ أَمَامَ الْعَبْدِ تَجَاهَ رَبِّهِ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَلَا يَلْتَجِي إِلَّا لِلَّهِ وَيَفُوضُ أَمْرَهُ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَمِنْ ثَمَّ قَدْ وَرَدَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَمَا فِي صَحِيحِ زُرَّارَةَ عَنْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «مَا عُبدَ بِشَيْءٍ مِثْلَ الْبِدَاءِ» (١).

وَفِي صَحِيحِ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا عَظَّمَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْبِدَاءِ» (٢).

فَإِنَّ بَيْنَ الْحَتْمِيَّةِ الْجَبْرِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ وَالتَّفْوِيضِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى هُنَاكَ حَقِيقَةٌ وَنَظَرِيَّةٌ ثَالِثَةٌ، وَهِيَ حَتْمِيَّةُ الْبِدَاءِ وَبِدَائِيَّةُ الْحَتْمِ.

وَهُنَا نَكْتَهُ لَطِيفَةً يَنْبَغِي الْإِلْتِفَاتُ إِلَيْهَا وَهِيَ: - أَنَّ حَتْمِيَّةَ الْبِدَاءِ لَا تُرَى حَتْمًا وَحَسْمًا فِي شَيْءٍ، إِلَّا لِلْبِدَاءِ فَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ خَاضِعًا لِحَتْمِيَّةِ الْبِدَاءِ

ص: ١٨١

١- (٢) الكافي، للكلياني محمد بن يعقوب: ج ١، ص ١٤٦؛ التوحيد للصدوق: ص ٣٣٢.

٢- (٣) الكافي: ج ١، ص ١٤٦.

فلا حتميه إلا له أو بعبارة أخرى: إن الحتميات الصغرى تنصهر في الحتمية الكبرى وهي حتمية البداء؛ ولذا فإن الله تبارك يعلم بسجود الملائكة وامتناع إبليس ولكن لا قصاص قبل الجريمه، فالله تبارك وتعالى - لم ولن يطرد إبليس من رحمته قبل صدور المعصية، وإن كان الله يعلم بصدور العصيان، وهذا أصل عظيم وقاعده أساسيه ومن مُحكمات المنظومه الخلقية التأديبه الإلهيه فى تكامل البعض مع البعض الآخر، فإنها مؤسسه على أساس عقيدته البدار، بل وحتى هذه التقية من الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وأصحابه والبرنامج الأمنى المكثف ليس تشكيكاً فى وعد الله المحتوم بالنصر - والعياذ بالله - ولا تشكيكاً فى قدره الله، بل هو على العكس تماماً زياده فى الإيمان بمدى سعه قدره والمشيئه الإلهيه وزياده فى المعرفه بمشيئه الله وسعه قدرته التى هى البداء.

ولذا المخلصون على خطر عظيم ووجل كبير لتهييهم من سعه المشيئه والعلم القدره والبداء فبقدر ما لديهم من رجاء ومعرفه بالجمال لديهم خوف ومعرفه بالجلال، وهذا ما أشار إليه سيد الشهداء عليه السلام فى دعاء عرفه: «إلهى إن اختلاف تدابيرك وسرعه طواء مقادير منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك فى بلاء» (١).

ولذا لم يبعث الله نبياً إلا وقد أخذ عليه الإيمان بالبداء، وقد ورد فى طرق كل من العامه والخاصه، أن الدعاء يحجب القضاء المبرم، ومن هذا

ص: ١٨٢

١- (١) دعاء عرفه، الإقبال: ج ٢، ص ٣٢٩-٣٥٠؛ عنه البحار للمجلسي: ج ٢٢٥/٩٥.

اتّضح أنّ البداءَ لَيْسَ بمعنى أَنَّهُ يبدُرُ اللهُ تَعَالَى شَيْءَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ بِهِ، بَلْ هُوَ إِظْهَارٌ وَإِبْدَاءٌ اللهُ تَعَالَى لِخَلْقِهِ وَأَوْلِيائِهِ شَيْئًا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ بِهِ فَيَبْقَى الْأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِهِ تَعَالَى (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) (١)).

والخلاصه: القرآن يُنادى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا) ٢.

بتقريب: هُنَاكَ إِعْجَابٌ مِنْ خُطَابِ الْقُرْآنِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ عَلَى دَرَجَاتٍ عَالِيَةٍ مِنَ الْإِيمَانِ مَعَ ذَلِكَ يَخَاطَبُهُمُ الْقُرْآنُ وَيَقُولُ لَهُمْ: (لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا)، وَعَلَيْهِ فَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُخْلِصُونَ عَلَى خَطَرٍ، فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنْ تَكُونُوا مِثْلَ الْكَافِرِينَ مَا دَبَّيْنِ أَوْ مَحْصُورَهُ رُؤْيَتِهِمْ فِي الْأَسْبَابِ الْكُونِيَّةِ دُونَ مَا وَرَاءَهَا، بِيَمَّا الْإِيمَانَ هُوَ مَا وَرَدَ فِي الدُّعَاءِ الشَّرِيفِ: «يَا مُسَبِّبَ الْأَسْبَابِ دَلَّتْ عَلَى قُدْرَتِكَ الصَّعَابِ وَيَا مَنْ يَفْتَأُ بِهِ حَدَّ الشَّدَائِدِ»، وَإِنَّمَا هُنَاكَ قُدْرَةُ وَرَاءِ الْكُونِ وَالْأَكْوَانِ تِلْكَ الْقُدْرَةُ هِيَ: (وَ اللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) ٣).

وَهَذَا تَحْذِيرٌ لِلَّذِينَ تَلَاعَبُوا بِأَسْبَابِ النُّزُولِ وَلَفَّقُوهَا وَحَزَفُوهَا عَنْ مَوَاضِعِهَا مِنْ أَنْ مَحَاسِبَتِكُمُ الْمَادِيَّةِ وَمَعَادِلَاتِكُمُ النَّبِيِّ بِرِمَجْتُمُوهَا حَسَبَ مَا تَرِيدُهُ السُّلْطَةُ الْحَاكِمَةُ مَقَابِلَ ثَمَنِ وَأَجْرِ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ لَا تَحْصِرُوهَا بِأَسْبَابِ كُونِيَّةِ أَوْ مَادِيَّةِ أَوْ... الخ وَكَذَلِكَ لَا تَحْصِرُوا الْأَسْبَابَ بِالْأَسْبَابِ

ص: ١٨٣

والدعاء فَقَطْ ولا بالعمل فَقَطْ وَإِنَّمَا أَمْرٌ بَيْنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَلَيْهِ الْعِلَلُ وَسَبَبِ الْأَسْبَابِ وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِهِمْ مُحِيطٌ.

ولذا ما ذكره الْمُؤَلَّفُونَ فِي أسبابِ التُّزُولِ فِي معركةِ أُحُدٍ لَمْ يَكُنْ بِالصَّوَابِ وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُؤَنِّبُهُمْ عَلَى هَذَا الْجَزَعِ، فَالَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا فِي معركةِ أُحُدٍ لَمْ وَلَنْ يَخْسَرُوا وَإِنَّمَا حَصَلُوا عَلَى غَنِيمَةٍ أُخْرَى وَرَبِحُوا إِحْدَى الْحُسَيْنِينَ (وَلَيْسَ مُمْمٌ أَوْ قُتِلْتُمْ لِأَلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) .

بتقريب: إِنَّ أَعْظَمَ غَنِيمَةٍ هِيَ لِقَاءُ اللَّهِ، لَذَا تَأْنِيبُ الْقُرْآنِ عَلَى مَا حَدَثَ مِنْ هَزِيمَةٍ لِبَعْضِ الْأَصْحَابِ عَظِيمٍ، وَلَيْسَ هَذَا التَّأْنِيبُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى ضَوَائِحِهَا - كَمَا ادَّعَى فِي تَلْفِيقِ أسبابِ التُّزُولِ وَلَيْسَ عَلَى فَشْلِ الْخَطِّ الْعَسْكَرِيِّ الَّتِي رَسَمَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَسَبَ مَا يَزْعَمُ فِي أسبابِ التُّزُولِ الْمَزْعُومَةِ، وَإِنَّمَا رَكَزَ الْقُرْآنُ عَلَى تَأْنِيبِ بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّذِينَ اشْتَرَكُوا فِي معركةِ أُحُدٍ لِإِيمَانِهِمْ بِعَقَائِدِ خَاطِئَةٍ انْطَوَتْ عَلَيْهِ سِرَائِرُهُمْ وَعَدَمِ تَهْذِيبِ السَّلُوكِ لَدَيْهِمْ، هَذَا بِحَسَبِ بَيَانِ مَنْطِقِ الْقُرْآنِ، وَبَعْدَ هَذِهِ الشُّوَاهِدِ الْقُرْآنِيَّةِ لَا يَبْقَى مَجَالٌ لِأَحَدٍ لِلتَّشْبِثِ بِرَوَايَاتِ أسبابِ التُّزُولِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي مَصَادِرِ الْعَامَّةِ أَنْ يَقُولَ أَنَّ أسبابَ التُّزُولِ بِهَذَا أَوْ بِذَاكَ الْمَعْنَى ذُكِرَتْ فِي الْمَصْدَرِ الْفُلَانِي، فَلَا كَلَامَ بَعْدَ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

متى يسيطر الشيطان على الإنسان:

لا- يسيطر الشيطان على الإنسان ولا- يقوى على نفس الإنسان إلا إذا ارتكب المعصية - والعياذ بالله - ولذا هُتَاك جملهُ مِن الأمراض النفسِيَّة والروحِيَّة الَّتِي يُصاب بها الإنسان وتترك أثرها السَّلْبِي عَلَيْهِ نتيجة ارتكاب مخالفات شرعية فيسيطر الشيطان عَلَيْهِ نتيجة هَذِهِ المُخالفات، وَيبتلى بأنواع الأمراض النفسِيَّة والروحِيَّة، فمثلاً السَّحَر ومَسَّ الشيطان والصرع و... الخ.

وإن كُنَّا لا نريد الخوض فيها تفصيلاً لأنَّها ليست محل بحثنا وَإِنَّمَا نذكرها استطراداً وبوجاهة - والتفصيل موكول إلى محلِّه المُناسب - وأنَّ أحد العلاجات الناجحة لمُعالجته هكذا أمراض روحِيَّة ونفسِيَّة هُوَ إقلاع المصاب عن تلك المعاصي الَّتِي ارتكبها وإن كَانَ الإنسان مُبتلى بمعاصي كثيرة، ولا يدري كيف يشخَّص المعصية الَّتِي بسببها ابتلى بهذا المرض، فَإِنَّ مثل هَذَا يحتاج إلى عناية الله وتوفيقه في تشخيصها لِأَنَّ الله تَعَالَى أخفى غضبه في معصيته ولا ندري أَيَّ معصية تُغضب الله تَعَالَى.

ص: ١٨٥

معنى الشورى فى أسباب النزول الملفقه:

حاول المؤلفون لأسباب النزول إعطاء الشورى معنى عقائدى وقواعدى فى الفقه السياسى على غير ما يريد القرآن وغير ما تريده مدرسه أهل البيت عليهم السلام(1).

وتقدم أن هؤلاء المحرفون لأسباب النزول حرّفوا معنى الشورى فى معركة أُجِدَ وَهُوَ أَنَّ رأى الأكثرية كَانَ عَلَى الخروج ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَ عَلَى المكث فى المدينة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله نزل إزاماً منهم عَلَى رأى الأ-كثريه حسب زعمهم وترك رأيه صلى الله عليه وآله وقال صلى الله عليه وآله يعلم أن سبب الهزيمة سيكون بالخروج من المدينة، وفيه مخاطر وأضرار تلحق بالمسلمين إلاً أَنَّهُ لِقَدْسِيَّةِ قَاعِدِهِ الشورى ورأى الأكثرية أُلْزِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بذلك مهما كَانَتْ الضريبه - حسب زعمهم - أى فى أسباب النزول المُحَرَّفَه فَهَمْ يرون أَنَّ الشورى أكثرية تُلْزِمُ وتُزَعِّمُ رسول الله صلى الله عليه وآله برأى الأكثرية وإن كَانَ رأى الأكثرية مخالفاً للوحى وللرسول صلى الله عليه وآله.

ص: ١٨٧

١- (١) ذكر الشيخ محمد السند فى كتابه الإمامه الإلهيه: ج ١، ص ١١٩ فى المبحث الثانى والثالث كلاماً مُفصلاً حول النظريات فى إداره شؤون الحكم ودور الشورى فيها - فراجع.

فوق الوحي الإلهي وفوق ولايه الرسول صلى الله عليه وآله:

وَهَيْدًا معناه أَنَّهُ يُعْطَى مدلولاً التزامياً خطيراً للشورى عندهم ألام. وَهُوَ جعل ولايه الشورى فوق ولايه الوحي الإلهي وفوق ولايه الرسول صلى الله عليه وآله وإنَّ الشورى مُلزِمة للرسول فضلاً عَن أَنَّ الحاكمَ غَيْرَ رسول الله صلى الله عليه وآله، وَهَذَا ما سَطَّرَوه في كتب أصول الفقه وكتب مُتَكَلِّمِيهِم - العامه - وَعَلَيْهِ فَأَيْنَ هُمْ مِنْ ولايه الرسول صلى الله عليه وآله (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ) ١ . فهل يا تُرى أَنَّ ولايه الرسول صلى الله عليه وآله مُخْتَصَّه ومُنحصره بتبليغ الوحي، وَهَنَّاكَ فَقَطْ معصوم وما عداه في مثل شؤون التّديبير والإداره و... الخ، فَلَيْسَ بمعصوم وَلَيْسَ لَهُ ولايه - والعياذ بالله مِنْ هَيْدًا المقال - هكذا زعموا، فانظر إلى تسلسل التّدايعيات الباطله المُترتبه على تلفيق أسباب التّزول إلّا أَنَّ الصحيح والحقيقه غَيْرَ ما ذُكِرَ في أسباب التّزول المُلفقه وَذَلِكَ بيان.

الأول: إِنَّ الصّحيح كَانَ عَلَى أَنَّ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى الخروج خارج المدينه لمقاتله المُشركين وكفار قريش وعتاتها، وَلَيْسَ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى البقاء والمكث بالمدينه، وَهَيْدًا معناه أَنَّ رأى الأكثريه كَانَ مُطابِقاً لرأى رسول الله صلى الله عليه وآله، وَأَنَّهُ صلى الله عليه وآله كَانَ هُوَ السّابِق في طرح مسأله الخروج مِنْ المدينه وقتال المُشركين هُنَاكَ.

وَهَيْدًا مَعْنَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الَّذِي أَعَدَّ وَهَيْبًا الْأَرْضِيَّةَ الْمُنَاسِبَةَ لِتَوْعِيهِ الْأَكْثَرِيَّةَ، فَاسْتَجَابَتْ الْأَكْثَرِيَّةَ لِرَأْيِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَفَاعَلَتْ مَعَهُ، وَهَذَا مِمَّا يُدَلِّلُ تَأْثِيرَ رَأْيِ الْقَائِدِ فِي قَاعِدَتِهِ وَتَفَاعُلِهِمْ مَعَهُ.

الثاني: استجابته وتفاعل الأَكْثَرِيَّةِ مَعَ رَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى الْخُرُوجِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ يُدَلِّلُ عَلَى عَدَمِ تَأْثَرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِرَأْيِ الْأَكْثَرِيَّةِ وَبِقَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُتَمَسِكًا بِرَأْيِهِ لَا مِنْ بَابِ التَّعَصُّبِ وَالِاسْتِبْدَادِ بِالرَأْيِ كَلًّا، وَإِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَعْرَفَ النَّاسِ بِمَوَاضِعِ الْمَصْلَحَةِ مِنْ رَأْيِ الْأَكْثَرِيَّةِ؛ وَلِذَا كَمَّ وَكَمَّ مِنْ الْمَوَاقِفِ الَّتِي وَاجَهَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَيَاتِهِ وَكَأَنَّتِ الْأَكْثَرِيَّةُ مُخَالَفَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ وَلَنْ يَتَأَثَّرَ وَلَنْ يَتَرَجَعَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ رَأْيِهِ، فَمِثْلًا فِي بَدْرِ، أَيْضًا كَمَا كَانَ بَعْضُ الصَّيْحَابِ يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَتَرَكَ مَنَازِلَهُ قَرِيشَ فَمَا نَ قَرِيشًا مَعْرُوفَةً بِخِيَلَانِهَا وَمَكْرَهَا وَأَنَّهَا مَا ذَلَّتْ مُيْذُ أَنْ عَزَّتْ وَ... الخ وَأَيُّدِهِ الْأَكْثَرِ؛ إِلَّا أَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَصْغَ لِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ وَلَمْ يَتَأَثَّرْ بِهِ طَرَفَهُ عَيْنَ أَوَّلًا، وَإِلَّا فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَعْلَمُ بِالْحَقِيقَةِ؛ وَلِذَا فَإِنَّ الْقُرْآنَ يُبَيِّنُ لَنَا مِثْلًا فِي بَعْضِ مَعَارِكِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْجَنْبَةَ الْأَخْلَاقِيَّةَ وَالتَّرْبُويَّةَ مِنَ الْقَائِدِ إِلَى الْقَاعِدَةِ (فَبِمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتُ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَاقْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) ١ .

بتقريب: إِنَّ وَجُودَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَهُمْ هُوَ مَوْضِعُ نَزُولِ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَتَحْمُلِكَ لِأَخْلَاقِهِمُ الْخَشَنَةَ وَعَادَاتِهِمُ الْجَاهِلِيَّةَ بِسَعَةِ قَلْبِكَ يَا رَسُولَ

الله صلى الله عليه وآله إذ لو كُنْتُ فُضَّ القلبُ وخُشِنَ الأخلاقُ معهم لتفرَّقوا مِن حولك؛ لِأَنَّ «آلَ الرِّياسة سعه الصِّدر» (١) لا ضيقه.

ثُمَّ إِنَّهُ وَرَدَ فِي الآيَةِ الْمُبَارَكَةِ (وَ شَاوِرُهُمْ) وَفِيهَا أَكْثَرُ مِنْ وَجْهٍ:

الوجه الأول: فإذا فُسِّرَ مَعْنَى الشُّورى بالأكثرية حسب أسباب التُّزول الملقَّقه فَإِنَّهُ سوف يصبح تدافع بين تفسير مَعْنَى الشُّورى بالأكثرية وبين ذَمِّ الْقُرْآنِ لوصف الأكثرية، فَإِنَّ هُنَاكَ مواطنَ كثيره وعديده في الْقُرْآنِ ذَمَّ فِيهَا الأكثرية في الأُمَّة وَأَنَّهَا قَدْ تكون مصدرًا للخطأ والخطيئة فلا يمكن الاعتماد عَلَيْهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ٢ و(أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) ٣ و(أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ٤.

وَبَعِيدَ اتِّضَاحِ هَذَا فَكَيْفَ يُحَكِّمُ رَأْيَ الأكثرية حسب أسباب التُّزول لدى العامَّة؟ إِلَّا اللَّهُمَّ نَقُولُ أَنَّ الشُّورى لها مَعْنَى آخَرٌ، وَهُوَ أَنَّ المَعْنَى الَّتِي اتَّخَذَتْهُ مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِمَعْنَى تَمْحِيطِ الرَّأْيِ وَالتَّنْقِيبِ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَالوَأَقْعِيَةِ الَّتِي هُوَ شِعَارُ الْحَضَارَةِ الْحَدِيثَةِ، وَكَيْسَ مَقْصُودِنَا مِنَ الْحَضَارَةِ الْحَدِيثَةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْهَا الْعِلْمُ الْحَدِيثُ مِنَ حَضَارَةِ التَّكْنُولُجِيَا وَحَضَارَةِ الْعَالَمِ النَّوَوِيِّ أَوْ الْبَابِلُوجِي أَوْ الْإِلِكْتُرُونِيِّ وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُوَ حَضَارَةُ الْإِتِّصَالَاتِ وَالْإِرْتِبَاطَاتِ أَيَّ حَضَارَةِ ثَوْرَةِ الْمَعْلُومَاتِ.

ص: ١٩٠

ما المراد من ثوره المعلومات:

هُنَاكَ ضَابِطٌ قَدْ بَيَّنَّتْهُ رَوَايَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: «عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدِ النُّوفَلِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَيْفِ رَفْعِهِ، قَالَ: سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ أَعْلَمُ النَّاسُ؛ قَالَ: مَنْ جَمَعَ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ»^(١)، «وَأَنَّ أَعْقَلَ النَّاسِ مَنِ جَمَعَ عَقْلَ النَّاسِ إِلَى عَقْلِهِ»^(٢).

بتقريب: أَنَّ مَنْ عِنْدَهُ تَحْقِيقٌ وَتَتَبُّعٌ وَاقِعِيٌّ فِي بِنَاءِ مَرَاكِزِ الدِّرَاسَاتِ وَمَرَاكِزِ الاسْتِشَارِيَّاتِ وَمَرَاكِزِ التَّحْقِيقِ وَالتَّنْقِيبِ الْعِلْمِيِّ مَعَ غَضِّ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِهِ أَكْثَرِيَّةً أَوْ أَقْلِيَّةً، وَسِوَاءِ كَمَا أَنَّ مِنْ نَخْبِ وَاحِدِهِ أَوْ مِنْ نَخْبِ النُّخْبِ، وَالنُّخْبُ هِيَ الْأَخْرَجَى عَلَى دَرَجَاتٍ فِي التَّنْقِيبِ عَنْ الْحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ.

الوجه الثاني: وَأَمَّا إِذَا فَسِّرَتْ لَفْظُهُ «وَشَاوِرَهُمْ» الْوَارِدَةَ فِي الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ هِيَ فِي سِيَاقِ عِنَايَةِ وَرْعَايَةِ الْقَائِدِ وَالْقِيَادَةِ لِلْقَاعِدَةِ لَا الْعَكْسِ [بَأَنَّ تَكُونُ: - الْقِيَادَةَ مَقُودَةً وَمَنْصَاعَةً لِلْقَاعِدَةِ].

وَفِي هَذَا مَطْلَبِ تَرْبُوبِيٍّ وَأَخْلَاقِيٍّ، كَمَا يَنْقُلُ الشَّيْخُ الطَّبْرَسِيُّ صَاحِبَ تَفْسِيرِ مَجْمَعِ الْبَيَانِ عَنْ الشَّيْخِ الْمَفِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَوَائِدَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ (وَ شَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ) ٣ بِأَنَّهُ لَا عِلَاقَةَ لِلشُّورَى أَصْلًا بِرَأْيِ الْأَكْثَرِيَّةِ، وَإِنَّمَا أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِمَشَاوَرَةِ أَصْحَابِهِ هُوَ لِأَجْلِ أَنْ يَمْتَحَنَ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ مِنْ أَفْرَادٍ

ص: ١٩١

١- (١) المحاسن لأحمد بن مُحَمَّد بن خالد البرقي: ج ١، ص ٢٣٠.

٢- (٢) المصدر السابق.

الصَّحَابَهُ، وَيُبْصِرُ أَصْحَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّذِينَ حَوْلَهُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ضَعِيفُ الْهَمِّهِ وَمَنْ كَانَ قَوِيًّا، وَتَفْعِيلُ مَشَارِكْتِهِمْ فِي تَحْمُلِ الْمَسْئُولِيَةِ الْعَامَّةِ.

ثُمَّ قَالَتِ الْآيَةُ (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ) ١، بِتَقْرِيْبٍ: أَيُّ إِذَا عَزَمْتَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ عَزِيمُهُ الْأَكْثَرِيَّةُ، وَعَلَيْهِ فَلَيْسَ الْمُرَادُ عَزَمُوا عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَأَنَّكَ مُلْزَمٌ بِرَأْيِ الْأَكْثَرِيَّةِ، وَأَنَّهُ صَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَابِعًا لِلْقَاعِدَةِ وَهُمْ الْأَكْثَرِيَّةُ فَتَكُونُ الْقَاعِدَةُ هُمْ الْمَتَّبِعُونَ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمُنَاسِبُ فِي تَعْبِيرِ الْآيَةِ [فَإِذَا عَزَمُوا عَلَيْكَ فَاتَّبِعْهُمْ] بَيْنَمَا جَاءَ التَّعْبِيرُ الْقُرْآنِيُّ بِالْعَكْسِ (فَإِذَا عَزَمْتَ) أَيُّ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا عَزَمْتَ وَالْعَزْمُ بِيَدِكَ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الشُّورَى الَّذِي أُسِّسَتْهُ مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَنَّ الَّذِي يُصَيِّمُ وَيَعَزِّمُ هُوَ مَنْ أَوْتِيَ سَيِّدَةَ الْحَاكِمِيَّةِ وَالْوَلَايَةَ بِكِفَاءِهِ، وَلَهُ أَنْ يُمَحِّصَ وَيُدَقِّقَ الْآرَاءَ بِكِفَاءِهِ عِلْمِيَّةً وَيَكُونُ هَذَا فَاضِلًا وَلَيْسَ بِمَفْضُولٍ.

ثُمَّ قَالَتِ الْآيَةُ (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) أَيُّ حَيْتَى لَوْ خَالَفُوكَ وَعَصَوْكَ وَتَمَرَّدُوا عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَظَهَرَ كِ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) ٢.

ثُمَّ قَالَتِ الْآيَةُ: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) ٣.

بِتَقْرِيْبٍ: إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ إِلَى الْمُرَبِّيِّ وَالْهَادِيِ الْأَوَّلِ

وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الرَّأْيُ يَصِفُهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِأَنَّهُ (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) بِالْعَفْوِ فَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ هُنَاكَ خَطَأً صَدَرَ مِنَ الْأَكْثَرِيَّةِ، وَالْقَاعِدَةَ تَجَاهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ الرَّسُولَ بِالْعَفْوِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَكْثَرِيَّةَ وَالْأُمَّةَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مَصْدَرًا لِلخَطَأِ وَلَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الْأَكْثَرِيَّةَ وَالْأُمَّةَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ رَأْيُهَا مُلَازِمًا لِلصَّوَابِ، بَلْ فِي أَكْثَرِهِ مُجَانِبٌ لِلْحَقِيقَةِ وَلِلصَّوَابِ بِدَلِيلِ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَصَفَ حَالَ الْأَكْثَرِيَّةِ بِقَوْلِهِ (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (٣٧) ١ و(أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ٢ و(أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) ٣.

وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ الْقُرْآنُ يَصِفُ الْأَكْثَرِيَّةَ بِهَكَذَا وَصَفٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى يَحْتَجُّ عَلَى نَظَرِيَّةِ وَمَبْدَأِ الشُّورَى، فَلَوْ نَتَمَّاشَى مَعَ أَسْبَابِ النُّزُولِ الْمُحَرَّفَةِ وَالْمُلَفَّقَةِ لِأَصْبَحَ هُنَاكَ تَدَافِعٌ بَيْنَ وَصْفِ الْقُرْآنِ لِلأَكْثَرِيَّةِ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُهُ الْقُرْآنُ مِنْ مَعْنَى الشُّورَى حَتَّى فِي آيَةِ الشُّورَى فَإِنَّ الْقُرْآنَ يُفَنِّدُ رَأْيَ الْأَكْثَرِيَّةِ إِذَا كَانَ مَعْنَى الشُّورَى هُوَ رَأْيُ الْأَكْثَرِيَّةِ حَسَبَ مَا تَدَّعِيهِ أَسْبَابُ النُّزُولِ الْمُحَرَّفَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) ٤ أَيْ اسْتَغْفِرْ لِلأَكْثَرِيَّةِ لِأَنَّهَا عَلَى خَطَأٍ.

وَعَلَيْهِ فَكَيْفَ تَحْكُمُونَ رَأَى الْأَكْثَرِيَّةِ (فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) ١ .

وبالتالى فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ تَدْحُضُ مَعْنَى الشُّورَى الْخَاطِئِ الَّذِى فَسَّرْتَهُ مَدْرَسَةُ الْعَامَّةِ، وَكَذَلِكَ تَدْحُضُ رَوَايَاتُ أَسْبَابِ التَّنْزِيلِ الْمُلَفَّقَةِ.

الْقُرْآنُ يَصِفُ رَأَى الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْفَتْحِ الْمَبِينِ:

الوجه الثالث: مِنْ شَوَاهِدِ مَخَالَفَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِرَأَى الْأَكْثَرِيَّةِ هُوَ مَا حَصَلَ فِي صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ فَإِنَّ عِدَدَ الصَّيْحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا حَاضِرِي الصَّلْحِ مَا يَقْرُبُ عِدْدَهُمْ مِنْ (١٥٠٠) أَلْفٍ وَخَمْسَمِائَةِ صَحَابِي، وَفِيهِمْ كِبَارُ الصَّحَابَةِ فَإِنَّ الْأَكْثَرَ كَانَ رَأْيُهُ عَلَى خِلَافِ رَأَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِدَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَقْدِ صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَنْزِلِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِرَأَى الْأَكْثَرِيَّةِ الْخَاطِئِ، بَلْ الْقُرْآنُ وَصَفَ رَأَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْفَتْحِ الْمَبِينِ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (٢١) ٢ .

بتقريب: إِنَّ رَأَى الْأَكْثَرِيَّةِ وَإِنْ كَانَ عَلَى خِلَافِ رَأَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ عَلَى خَطَأٍ وَلَا يَعْلَمُونَ وَلَا يَبْصُرُونَ وَاقْعِيَاتِ اللَّعْبَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ فَضْلًا عَنِ الْإِسْتِرَاطِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ، وَمِنْ الْوَاضِحِ هُنَا فَرْقٌ بَيْنَ الْفَتْحِ وَبَيْنِ النَّصْرِ.

إِنَّ الْفَتْحَ: هُوَ ظَفَرٌ طَوِيلٌ الْأَمْدِ، وَالنَّصْرَ: ظَفَرٌ قَصِيرٌ الْأَمْدِ وَمَوْقَتٌ.

ولذا وصف القرآن صلح النبي صلى الله عليه وآله الذي عقده في الحديبيه كأن فتحاً مبيناً لأنه ببركه هذا الصلح من آثاره أن قريشاً اعترفت بدين الإسلام ورَكَرَتْ لَبِنَاتِ الإسلامِ الأساسيّه، وأن شجره الإسلام زُرعت في أرض الجزيره العربيّه وأن ما كانت تُدين به قُريش ليس ديناً بَعْدَ ما اعترفت بدين الإسلام، وَعَلَيْهِ فصار دين الإسلام أمرٌ واقعي حقيقي، وَهَذَا فَتْحٌ مُبين.

القرآن يحث على حصر الأمر في القائد والقياده:

المعصومه في جانب تمحيص الرأي لاتخاذ القرار:

الوجه الرابع: قوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ) ١ .

بتقريب: أن رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان يُطِيع رأى الأكثرية المُخالفه له في حياته السياسيّه والعسكريّه والتدبيريه لوقعتم في المشقه والحرَج والخطأ؛ ولذا لَمْ ينصاع إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله (وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ) باتّباع رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو الإيمان، وَعَلَيْهِ لو كَانَ الْمُحَكَّم في الساحة هو رأى الأكثرية، فلماذا يصف القرآن بأن مَنْ يخالف رسول الله صلى الله عليه وآله يقع في المشقه والحرَج والخطأ؟ ولماذا يحثهم القرآن على اتّباع رأى رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وَهَذَا يُستفاد منه حصر الأمر في القائد والقياده المعصومه في جانب تمحيص الرأي لاتخاذ القرار وأهميه رأى نُخب النُخب التي لديها رؤيه كافيه حول الموضوع؛ ولذا لَمْ تُعْطَ الأكثرية حقّ المشاركة في الإراده والعزم

عَلَى الامور، نعم لا بأس بمشاركه الأَكثَرِيَه فِي الجَانِبِ الْعَمَلِي وَجَانِبِ مُرَاقِبَةِ الْمَسْئُولِ.

كَمَا فِي آيَةِ السُّورَى وَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مِمَّنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦) .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَ مَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦) ٢ .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) ٣ .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّمَا وَثَّقْتُمُ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ...) ٤ .

الْقُرْآنُ يَذِمُّ التَّنَازُعَ

وَلَا يَنْهَى عَنِ التَّعَدُّدِ فِي الْأَرَاءِ وَالْأَنْظَارِ:

الْوَجْهَ الْخَامِسَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا...) ٥ ، وَقَوْلُهُ فِي آيَاتِ وَقَعِهِ بَدْر (وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَا تَنَازَعُوا

ص: ١٩٦

فَتَفَشَّلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَاضْبُرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٤٦).

بتقريب: أن القرآن دائماً يدعو إلى تعدد الرؤى والأنظار وينهى عن التنازع والتناحر والتنازع غير تعدد وجهات النظر.

فإن التنازع معناه وجود مُصادمات سواء على صعيد المجتمع أو على صعيد الأسره أو على صعيد مجموعه أصدقاء، فهذا الالتحام والمصارعه والمجابهه هي تنازع ذمه القرآن بخلاف تعدد وجهات النظر فإنه غير مذموم (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) ٢ أى يتبعون مطلق جنس القول، بل بالعكس تعدد وجهات النظر هو مبدأ الشورى الذى هو مبدأ قرآنى إسلامى فإن مبدأ الشورى فى القرآن يرتكز على تعدد وجهات النظر.

مبدأ الشورى فى القرآن يرتكز على تعدد وجهات النظر:

إن مبدأ الشورى فى القرآن على تفسير مدرسه أهل البيت عليهم السلام عبارته عن انفتاح الإنسان أو انفتاح الحاكم على وجهات نظر مختلفه كى يستقرى المعلومه الصائبه والسديده.

وهذا المعنى ما أكدته روايات أهل البيت عليهم السلام: «ما حار من استخار ولا ندم من استشار» (١) أو «البركه فى الاستشاره».

بتقريب: إن انفتاح الإنسان على آراء ومعلومات الآخرين فيه تكامل

ص: ١٩٧

ولا مانع منه وفيه تلاقح للآراء وتكامل للرؤى، بخلاف التنازع والاشتباك فإنَّ التعادى والعدوان مذمومٌ بين بعض الفئات وبين البعض الآخر.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نَتِيجَةَ التَّنَازُعِ هُوَ الإخْفَاقُ وَالضَّعْفُ وَعَدَمُ الوَصُولِ إِلَى الغَايَاتِ وَالتَّنَاجِجِ المَرْجُوِّهِ.

أحد مناقشء النزاع هُوَ تعدد وجهات النظر:

إِنَّ مَبْدَأَ تَعَدُّدِ وَجْهَاتِ النِّظَرِ لَا يَنْهَى عَنْهُ الْقُرْآنُ، بَلْ نَظَرْتُهُ إِلَيْهِ بِكُلِّ شَفَافِيَةٍ وَحِيَادِيَّةٍ وَعَدَمِ تَعْصَبٍ، وَهَذَا لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ لِإِنَّهُ يُعَبَّرُ عَنْ وَجْهِهِ نَظَرِ صَاحِبِهِ مَا لَمْ تَكُنْ مَخَالَفَهُ لِلثَّوَابِتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمُرْتَكِرَاتِ الْعُقُلَاءِ، وَإِنَّمَا يَنْهَى الْقُرْآنُ وَيَذِمُّ التَّنَازُعَ الَّذِي قَدْ يَتَوَلَّدُ مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى وَجْهَاتِ النِّظَرِ.

ولذا فَإِنَّ مَبْدَأَ الشُّورَى حَسَبَ تَفْسِيرِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَعْنَى الشَّفَافِيَةِ وَالْحِيَادِيَّةِ وَمِنْ دُونَ تَعْصَبٍ وَمِنْ دُونَ النِّظَرِ إِلَى قَضِيَّةِ الْأَكْثَرِيَّةِ وَالْأَقْلِيَّةِ، فَإِنَّ قَضِيَّةَ الْأَكْثَرِيَّةِ وَالْأَقْلِيَّةِ هِيَ تَحْكِيمُ الْإِرَادَةِ، وَصِرَاعُ الْإِرَادَاتِ دَائِمًا مَالَهَا إِلَى الْفِشْلِ وَالتَّعْطِيلِ وَالضَّعْفِ.

بِخِلَافِ الْحَوَارِ بِلَا تَعْصَبٍ فَإِنَّهُ يَقُودُ إِلَى الْوَحْدَةِ وَالقَّوَّةِ؛ لِذَا هُنَاكَ فَرْقٌ جَوْهَرِيٌّ وَسِنْخِيٌّ فِي مَعْنَى الشُّورَى عِنْدَ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عِنْدَ فِي الْمَدَارِسِ الْأُخْرَى كَمَدْرَسَةِ أَوْ نَهْجِ الْعَامَّةِ - فَإِنَّ مَبْدَأَ الشُّورَى عِنْدَ الْعَامَّةِ لِسَانَهُ تَحْكِيمُ الْقَّوَّةِ وَالسِّيفِ وَالقِّدْرَةِ وَالبَطْشِ لِمَنْ يُبَايِعُ... الخ، وَهَذَا مَا حَدَّثَتْ مِنْهُ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ: (وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا

وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ) ١ .

بينما حقيقه الشورى فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام هى مشاوره ومحاوره وانفتاح على الآراء والحقائق بحياديته وبلا إصرار وتعصب، وتجريد العلم عن لسان القوه والقدرة و... الخ، هذه هى الشورى الحقيقه التى باتت اليوم أنشوده تُنشد نسمعها فقد ولا تعيشها بشريه إلا فى ظل حكم أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا نلاحظ أن حكومه الرسول صلى الله عليه وآله وحكومه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، والأئمه عليهم السلام ليست حكومه إرغام وتهديد، بل كُلفتها حكومه تعليم لأجل أن يعيش الناس الحقيقه وينسقون إليها تلقائياً (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمه) ٢ .

وقوله تعالى: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٢٢) ٣ . فهذه طبيعه علاقه الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام مع الناس باختلاف مذاهبهم سواء المسلمين أو غيرهم هى علاقه ذكر وتذكير ولين، لا علاقه تهديد وإرهاب وبطش ورشوه وإغراء وحمل للذره التى كان يحملها بعض عليه صحابه الرسول صلى الله عليه وآله أيام خلافته يضرب بها الناس: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) ٤ .

ص: ١٩٩

وقوله تَعَالَى: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ) ١ .

فَهَذَا هُوَ مَبْدَأُ الشُّورَى فِي رُؤْيِهِ مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَكَيْفَ تُرْسِّخُ آلُهُ الرِّيَاسَةَ الَّتِي هِيَ سَعَةُ الصَّدْرِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْمَسْئُولِ وَالْحَاكِمِ أَنْ يَفْتَحَ قَلْبَهُ وَذَهَنَهُ أَمَامَ آرَاءِ الْآخَرِينَ بِلَا لُجَاجٍ وَتَعْصَبٍ بَلْ بِحَيَادِيَّةٍ بِخِلَافِ مَبْدَأِ الشُّورَى عِنْدَ الطَّرْفِ الْآخَرِ الَّذِي مَبْدَأُهُمْ تَحْكُمُ صِرَاعُ الْإِرَادَاتِ وَفِرَاضُ قُوَّةِ وَإِرْغَامِ، وَبِالتَّالِيِ الْإِكْرَاهُ وَالْقُوَّةُ لَا تَدُومُ، بَلْ وَحَتَّى الْهَدْفُ الْعَسْكَرِيُّ لِلدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْحَاكِمِ الْإِسْلَامِيِّ لَيْسَ هُوَ الطَّغْيَانُ وَالغَطْرَسَةُ وَإِرْعَابُ وَإِرْهَابُ الْآخَرِينَ، كَمَا يَصِفُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ جَابِرَهُ قَرِيشَ الْكَافِرَةَ عِنْدَمَا خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ مُتَجَبِّرِينَ مُتَعَتِّينَ مُتَغَطَّرِسِينَ يَرْدُدُونَ كَلِمَاتِ طَغْيَانٍ وَتَكْبَرٍ (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٢(٤٧) .

فَإِنَّ الْوَسْطَ الْإِعْلَامِيَّ وَالِدَّعَايَةَ الْإِعْلَامِيَّةَ لَهَا دَوْرَهَا الْمُؤَثِّرُ، وَلَيْسَ غَرَضُهُمْ إِقَامَةُ الْعَدْلِ وَطَرِيقَ اللَّهِ.

الوجه السادس: إِذَا كَانَ رَأْيُ الْأَكْثَرِيَّةِ هُوَ الْمُحَكَّمُ بِحَسَبِ مَا تَذَكَرَهُ أَسْبَابُ النُّزُولِ الْمُحَرَّفَةِ فَكَيْفَ يُفَسِّرُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى: (وَ شَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ) (١) بِالْإِزْمَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - أَيْ الْقَائِدِ - بِرَأْيِ الْقَاعِدَةِ عُلَمَاءَ أَنَّ الْقُرْآنَ يَصِفُ النَّبِيَّ

ص: ٢٠٠

الأ-كرم صلى الله عليه وآله: (ما ضلَّ صاحبكم و ما غوى (٢) ١ بتقريب: أن العصمه والتدبير في هذِهِ الآيه المباركه وغيرها مُنحصره بالنبي صلى الله عليه وآله - أئى بالقائد - لا بالقاعده وهى الأكثرية، وهذا شاهد على عكس المفهوم المقلوب للشورى الذى ذكر معناه فى أسباب النزول المُلَفَّقه.

وهكذا قوله تعالى الآ-خر فى الرجوع إلى النبي صلى الله عليه وآله: (وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) ٢ .

بتقريب: إنهُ إذا جاءهم أمر مرتبط بالوضع العام السياسى أو العسكرى أو الأمنى سواء الأمن الاقتصادى أو الأمن الأخلاقى أو الأمن السياسى أو الأمن الاجتماعى أو... الخ أو ما يرتبط بالخوف سواء الخوف الأمنى أو الخوف الأخلاقى أو الخوف الاقتصادى أو الخوف العسكرى أو الخوف الفكرى أو... الخ، فإنَّ القرآن الكريم يُؤكِّد على أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ حَقِّ أَحَدٍ أَنْ يَتَفَوَّه بتفسيره أو تأويله أو يُرَوِّج لَهُ أو يُذيعه إِلَّا عَنْ طَرِيقٍ مَنْ وَصَفَهُمُ الْقُرْآنُ بِالْمُطَهَّرِينَ (لا- يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٣٧٩) . والعلماء الراسخون فى العلم (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) ٤ .

والخلاصه: أنَّ مبدأ الشورى الذى يدعو إليه القرآن الكريم لا مبدأ

الأ-كثريه وتحكيم عموم الناس، وَكَمَا يَنْبَغِي الْإِلْتِفَاتِ إِلَى التَّفْكِيكِ وَالتَّفْرِقَةِ بَيْنَ تَحْكِيمِ الْأ-كثريه وعموم الناس وَالْأُمَّه وَبَيْنَ منظومه حقوق الأ-كثريه، وَهَذَا لِأَبِيْدٍ مِنَ التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا وَأَنَّ الْأَكْثَرِيَّةَ لَهَا حَقٌّ غَيْرُ حَقِّ الْأَقْلِيَّةِ أَوْ حَقِّ عَامَّةِ النَّاسِ، وَهَكَذَا غَيْرَ تَحْمَلُ عَامَّةُ النَّاسِ مَسْئُولِيَّتَهُمْ فِي الرِّقَابَةِ، فَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ وَغَيْرِهَا هُوَ مَطْلَبٌ وَحَقٌّ مُسْتَقِلٌّ بِرَأْسِهِ، وَإِنَّمَا بَحْثُنَا فِي اسْتِصْوَابِ الرَّأْيِ، وَمِثْلَ هَذَا لَا يَعْتَمِدُ عَلَى قَلْبِهِ أَوْ كَثْرِهِ وَإِنَّمَا يَعْتَمِدُ عَلَى كَيْفِيَّةِ دِرَاسَةِ آيَاتِ الْإِحْاطَةِ بِالْوَقْعِ.

وَعَلَيْهِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) صَرِيحٌ فِي دَحْضِ رَوَايَاتِ أَسْبَابِ التُّزُولِ الَّتِي لُفِّتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ارْتَأَى رَأْيًا غَيْرَ رَأْيِ الْأَكْثَرِيَّةِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَ رَأْيِ الْأَكْثَرِيَّةِ مَعَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَعْلَمُ أَنَّ رَأْيَ الْأَكْثَرِيَّةِ فَاسِدٌ وَكَاسِدٌ وَحَاشَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ ذَلِكَ.

الوجه السابع: قوله تعالى: (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ) (١).

بتقريب: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَأْمُورٌ بِتَنْفِيذِ بَرْنَامِجِ الْإِلَهِيِّ يَقُومُ بِهِ وَلَوْ مُنْفَرِدًا فِي حَالِهِ مُخَالَفَهُ عَمُومِ الْأ-كثريه وَالْأُمَّه الْإِسْلَامِيَّةِ، وَعَلَيْهِ فَايُنَ تَحْكِيمِ رَأْيِ الْأَكْثَرِيَّةِ؟

وَقَدْ وَاجَهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حُرُوبِهِ وَغَزَوَاتِهِ مَوَاقِفَ عَدِيدَةٍ، فَمِثْلًا- فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ أَكْثَرَ صَحَابَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَشَارُوا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِشَيْءٍ، بَيْنَمَا مِثْلُ

ص: ٢٠٢

الصحابى الجليل سلمان المحمدي قَالَ برأى آخر غير رأى الأ-كثر للنبي صلى الله عليه وآله مَعَ أَنَّ سلمان رضى الله عنه مِنْ الأقلية، وأخذ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله برأيه ومشورته، علماً أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله غير محتاج إلى رأى ولا يعير أهميته ممثل هَيْدِه الأُمُور إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله أراد أَنَّ يُبَيِّنَ أَنَّ الحَرَى والأحق اتِّباعه والأخذ به هُوَ الصَّواب الصائب لا رأى الفاسد ولو كَانَ رأى الأكثرية.

الوجه الثامن: قوله تَعَالَى: (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) ١).

بتقريب: إِنَّ منطق القرآن الكريم فى بيان المواجهه العسكرية والحريه والسياسيه و... الخ يُؤكِّد عَلَى مبدأ مهم جداً ألا وهُو مبدأ الارتباط الرُوحى بالله تَعَالَى لا جبر ولا تفويض أمر بين أمرين، فمنطق القرآن هُو التوكُّل عَلَى الله لا التواكل عَلَى الله، فَإِنَّ مَعْنَى التواكل عَلَى الله هُو ترك الأسباب الماديه وَالقرآن الكريم يُؤكِّد وبإصرار عَلَى عدم ترك الأسباب الماديه (وَاعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعِيدُوا اللَّهَ وَعِيدُواكُمْ...٢) وفى نفس الوقت يُوصى القرآن الكريم بعدم الاغترار بالأسباب الماديه والتغافل عَن التوكُّل عَلَى الله تَعَالَى فَإِنَّ الارتباط الرُوحى مَعَ الله مما لا يَدَّ مِنْهُ وَأَنَّهُ مهما كَانَ عندكم مِنْ قُوَّةٍ وَعِدَّةٍ وعدد فليَسْ هُوَ سبب النَّصر، وَإِنَّمَا سبب النَّصر الذى يُبَيِّنُه القرآن الكريم

شئ آخر (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَمَا قُرَّيْتُمْ فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً) ١ تَقَدَّمَ سَابِقاً - أَنَّهُ فِي تَقْرِيرِ بَعْضِ مَرَاكِزِ الدِّرَاسَاتِ الدَّوْلِيَّةِ حَوْلَ الحَرْبِ العَسْكَرِيَّةِ وَالحَرْبِ السِّيَاسِيَّةِ، يَعْتَرِفُ البَاحِثُونَ وَالمُتَخَصِّصُونَ بِأَنَّ مَا يَقْرَبُ مِنْ ال - ٨٠٪ مِنَ الحَرْبِ العَسْكَرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ هِيَ حَرْبٌ نَفْسِيَّةٌ أَيْ حَرْبٌ رُوحِيَّةٌ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ حَرْبٌ مَادِّيَّةٌ، فَبِقَدْرِ مَا عِنْدَكَ مِنْ يَقِينٍ وَثَبَاتٍ عَلَى المَبْدَأِ يَكُونُ انْتِصَارَكَ بِقَدْرِهِ، وَلا يَسْتَطِيعُ العَدُوُّ أَنْ يُزَلِّزَ ذَلِكَ اليَقِينَ الرَّاسِخَ عَلَى المَبْدَأِ، فَالمُسْلِمُ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَيَتَسَلَّحُ بِقُوَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِاللَّهِ، وَهَيْذًا بَحْدٍ نَفْسِهِ يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ بُرْهَانًا عَلَى ضَرُورَةِ الإِمَامَةِ وَالعَصْمَةِ، فَإِنَّ الصَّحَابِيَّ المَمْدُوحَ لِابْتِدَائِهِ وَأَنْ يَتَمَتَّعَ بِعُلُوِّ مَعْرِفَتِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَعُلُوِّ إِيمَانِهِ وَصَدْقِهِ وَإِخْلَاصِهِ وَنُبْلِهِ وَطَهَارَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ، فَإِنَّ الجَبَانَ يَكُونُ ضَعِيفًا وَلا يَمْتَلِكُ قُوَّةَ إِيمَانٍ تُوَهِّلُهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ بِمَرْتَبَةِ صَحَابِيٍّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِنَّ غَيْرَ المُؤْمِنِ يَكُونُ فَرَارًا خَائِفًا هَابِطَ الإِيمَانِ فَكَيْفَ يَصْبِحُ رَائِدًا وَقَائِدًا وَمُؤْتَمِنًا عَلَى قِيَادَاتِ الأُمَّةِ وَالدِّينِ؟

فَإِنَّ أَدْنَى زَلْزَلَةٍ وَهَزَّةٍ تَهْزُهُ يَسْقُطُ مَا بِيَدِهِ مِنَ الأَمْرِ، وَهَيْذًا هُوَ مَعْنَى تَفْسِيرِ الشَّجَاعَةِ بِلُغَةِ رُوحِيَّةِ إِيمَانِيَّةِ لَاحِدِيَّةِ مَادِّيَّةِ، وَهَيْذًا مَا أَكَّدَتْهُ سُورَةُ هُودٍ (فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) ٢).

الوجه التاسع: قوله تَعَالَى: (أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ

مِنَ اللَّهِ وَ مِأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ بُئِسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) ١ وقوله تَعَالَى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (١٦٤) (١).

بتقريب: إِنَّ وجود رسول الله صلى الله عليه وآله وبعثته هِيَ مَنَّهُ عَظْمَى مِنْ الله تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا المعنى قريب أو شبيهه مما تَقَدَّمَ مِنْ قوله تَعَالَى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ) ٣.

فَإِنَّ هَذَا يدحض دعوى مبدأ الشورى بالمعنى المقلوب فى أسباب التزول المُلقَّقه فى المدارس الأخرى غير مدرسه أهل البيت عليهم السلام وَعَلَيْهِ فَمُرَاد الشورى فى مدرسه أهل البيت كَمَا تَقَدَّمَ لَيْسَ هُوَ رَأْيَ الْأَكْثَرِيَّةِ عَلَى حَسَابِ نَخْبَةِ النَّخْبِ سَيِّمًا إِذَا كَانَتْ النُّخْبَةُ الْبَيْهِيَّةُ تِلْكَ النُّخْبَةُ الَّتِي اصْطَفَيْتَ مِنْ الله تَعَالَى، مُضَافًا إِلَى أَنَّ الْآيَةَ ذَكَرْتَ أَنَّ مَجْمُوعَ الْأُمَّةِ بَرَمَتْهَا مُحْتَاجَةٌ إِلَى تَرْكِيهِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعَلَيْهِ فَكَيْفَ يَكُونُ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ مُلْزَمًا وَتَابِعًا لِلْأَكْثَرِيَّةِ حَسَبَ مَا صَوَّرْتَهُ أَسْبَابَ التَّزْوِلِ الْمُحَرَّفَةِ وَالْمُلَقَّقه، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الْمَتَّبِعُ وَالْأُمَّةُ وَالْأَكْثَرِيَّةُ هِيَ التَّابِعَةُ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

ثُمَّ ذَكَرْتَ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ إِنَّ أَحَدَ أَهْمِ وَظَائِفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَحَاكِمٍ وَدَاعِيَةٍ سَمَاوِيٍّ إِلَى النَّاسِ عَلَى مُخْتَلَفِ الْأَصْعَدِ وَالنُّظْمِ سِوَا نِظَامِ أَوْ عَالَمِ الدِّينِ أَوْ

ص: ٢٠٥

المرجعيه أو أى موقع من مواقع تحمّل المسؤوليه الأولى الأ- وهى التّربيه والتعليم (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) (١) أى تعليم ابتدائى أى مبسط (وَيُزَكِّيهِمْ) ، أى يربيهم فإنّ مهمّه التّربيه والتعليم حاكمه حتّى على (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) ٢ .

فإنّ هَذَا خطابٌ موجّه لربّ الأسره سواء كان على مستوى الأسره العائليه الصغيره أو على مستوى الأسره الكبيره أى أسره المجتمع، ثمّ بعِد التّربيه والتعليم يأتى دور تعليم الكتاب والحكمه وهَذَا التّعليم (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (٢) وهَذَا التّعليم أوغل من التّعليم الأوّل فإنّ الحكمه فيها تدبير نظام سياسى ونظام أُسرى ومجتمعى و... الخ، وتعليم الكتاب غير تعليم الحكمه.

ويتلخّص من هَذَا أنّ هُنَاكَ مراحل استراتيجيه أربعه يرسمها لنا القرآن الكريم: -

المرحله الأولى: تعليم عام مُبسط.

المرحله الثانيه: تربيه.

المرحله الثالثه: تعليم كلى أعمق من السابق.

ص: ٢٠٦

١- (١) سوره الجمعه: الآيه ٢.

٢- (٣) سوره الجمعه: الآيه ٢.

المرحلة الرابعة: الحكمه أى مرحله الإدارة والتدبير.

وَقَدْ كَرَّرَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هَذِهِ الْمَرَاهِلَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْهَا سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَمِنْهَا فِي سُورَةِ الْجُمُعَةِ وَغَيْرِهَا.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مَسْئُولِيهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْأَسْتِرَاتِيغِيَّةَ فِي هَذِهِ الْمَرَاهِلِ الْأَرْبَعَةِ فِي الْحَضَارَةِ الْإِلَهِيَّةِ لَهَا دَوْرٌ الرَّئِيسِيُّ لِكَيْ يَنْعَمَ الْمُسْلِمُونَ بِالْكَامِلِ وَالسَّعَادَةِ فِي ظِلِّ تَرْبِيَةِ الْمَعْلَمِ الْإِلَهِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَتْ أَحَدُ مَقَامَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ مُرَبِّيٌّ وَمُعَلِّمٌ بِتَعْلِيمٍ خَفِيفٍ وَابْتِدَائِيٍّ ثُمَّ بِتَعْلِيمٍ أَعْمَقٍ ثُمَّ سَائِسٌ وَمُيَدَّبِّرٌ، وَهَذِهِ هِيَ اصْطِلَاحَاتُ الْقُرْآنِ فِي وَصْفِ مَقَامَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَعَلَيْهِ وَبَعْدَ كُلِّ هَذِهِ الْأَوْصَافِ فِي الْقُرْآنِ لِمَقَامَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَيْفَ يَكُونُ مُحْكَمًا مِنْ قَبْلِ الْأُمَّةِ وَالْأَكْثَرِيَّةِ حَسَبَ أَسْبَابِ التَّنْزِيلِ الْمُتَّفَقَةِ، بَلْ بِالْعَكْسِ فَإِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَسَبَ مَنْطِقِ الْقُرْآنِ هُوَ الْحَاكِمُ عَلَى الْأُمَّةِ وَالْأَكْثَرِيَّةِ حَسَبَ أَسْبَابِ التَّنْزِيلِ الْمُتَّفَقَةِ، بَلْ بِالْعَكْسِ فَإِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَسَبَ مَنْطِقِ الْقُرْآنِ هُوَ الْحَاكِمُ عَلَى الْأُمَّةِ وَالْأَكْثَرِيَّةِ حَسَبَ أَسْبَابِ التَّنْزِيلِ الصَّحِيحَةِ، وَفِي هَذَا دَحْضٌ لِأَسْبَابِ التَّنْزِيلِ الْمُتَّفَقَةِ فِي مَعْنَى الشُّرُوحِ الْمَقْلُوبَةِ.

الوجه العاشر: قوله تعالى: (أَوَلَمْ أَصَابْتُكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) ١.

بتقريب: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ صَرِيحَةٌ جَدًّا وَوَاضِحَةٌ فِي دَحْضِ أَسْبَابِ

التُّزول المزعومه، إذ تبين أسباب التُّزول المزعومه سبب هزيمة المسلمين في وسط معركة أُحُد هو انصياح النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِرَأْيِ الْأَكْثَرِيَّةِ، وخرج صلى الله عليه وآله لقتال المشركين خارج المدينة، هكذا ادعى في أسباب التُّزول المُلفَّقه.

والآية المباركة دحضت ذلك وبيّنت - كما ذكرنا سابقاً - أن سبب الهزيمة والتراجع في وسط معركة أُحُد كان بسبب الخوار والضعف النفسى، وضعضعه النفس وحب الدُّنيا عند بعض الصَّحابة وظنهم بالله سوءاً، كما وصف كل ذلك القرآن (أ) ولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شئ قدير (١٦٥) وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين (١٦٦) وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا... الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا) ١.

بتقريب: أن هؤلاء المنافقين ثبت قربهم النسبى للإيمان ولكن هم أقرب للكفر يومئذٍ منهم للإيمان، وهذه الآية المباركة وغيرها صريحه في أن سبب القتل والهزيمة ليس هو الخروج للقتال خارج المدينة في معركة أُحُد، ورغم هذه الصراحة إلا أن الكثير من المُفسرين ومن الفريقين غفلوا عن هذه البيانات القرآنية التي أشارت إليها روايات أهل البيت عليهم السلام كانت هذه الغفلة الخطيرة عن عدم الاخذ بروايات أهل البيت عليهم السلام واتباعهم سبباً في وقوع أكثر المُفسرين في هذه الأخطاء باتباعهم أسباب التُّزول المُلفَّقه من الطرف الآخر وبنوا عليها مفاد الآيات في مختلف السُّور، فمثلاً ما ورد في

سوره آل عمران الّتي كانت بعض آياتها ترتبط بالعقائد ومقامات سيد الأنبياء، وبعضها كان يرتبط بقاعده الفقه السياسي أي قاعده الشورى و... الخ.

ولم يرجعوا إلى نفس آيات القرآن الكريم، والرؤيات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهذا يدل على أنه من الآليات المهمه لتمحيص أسباب النزول هي مراجعه نفس الآيات بأنها هل تتناغم مع الرؤيات الواردة في أسباب النزول أو تتناقض وتتعارض معها فتطرح الرؤيات المعارضه لمفاد الآيات ولا سيما هي من مصدر الطرف الآخر.

بل على العكس تقول الآيه: (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا) ١ .

بتقريب: أن رأى بعض كبار صحابه الرسول صلى الله عليه وآله كما هو مذكور في كتبهم التاريخيه كالطبرى وابن الأثير و... الخ كان على البقاء في المدينه إلا أن القرآن يدحض ذلك (قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨) ٢ .

ولذا تتواصل الآيات في مدح ومجازات من أصابه جرح أو قرح من الصحابه سواء أكان في معركة بدر أو أُحُد أو حنين أو تبوك أو... الخ

ص: ٢٠٩

فمثلاً- فنه الصّحابه الَّذِينَ امتدحهم القرآن نتيجة ثباتهم على المبدأ وشاركوا في معركة بدرهم أنفسهم امتدحهم القرآن في موضع آخر نتيجة ثباتهم وعدم تزلزلهم في أحد وغيرها وواعدهم القرآن بالثواب والحسنى والجنه نتيجة تضحيتهم واستشهادهم بقوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) ١ .

وهناك طائفه أخرى لم يستشهدوا وإنما أصابهم الجرح أو القرع (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا) (١).

بتقريب: أن القرآن الكريم لا- يمدح الكل وإنما يمدح فقط الَّذِينَ استشهدوا وأما الَّذِينَ جرحوا ثم أصابهم قرع ولم يُعروا ووصفهم ومدحهم القرآن بشكل آخر حتى يتبين حالهم فإن حال بعضهم لم يستقم على الحسنى أو التقوى فمثل هؤلاء لم يمدحهم القرآن إلا أنهم بدلوا بدل الله معهم فلا يُغير الله حتى يُغيروا.

وليس شرط المدح في منطق القرآن مُجرّد أن الممدوح من صرف السابقين والمشاركين كلا وإنما القرآن يمدح من ينال درجه الشّهاده ويُختم له بالعاقبه الحسنه.

ص: ٢١٠

والأمر المهم الذي يزيد تسليط الأضواء عَلَيْهِ هُوَ أَنَّ منطق القرآن ينصب عَلَى تقنين قانون لكل البشر بما فيهم الصّحابه وَلِكُلِّ الأزمنه والأمكنه ألاً وَهُوَ التركيز عَلَى خواتيم الأمور وعاقبتها مِنْ منطلق إنّما الأمور بخواتيمها لا بمبدايها(١).

فلربما إنسان تكون بدايته حسنه وموقفه للطاعه إلاً أَنَّهُ سرعان ما يختم لنفسه بالعاقبه السيئه - أعاذنا الله جميعاً - وَيَكُون فِي نهايه أمره مِنَ المبدلين أو المُحْدِثِينَ؛ ولذا يُرَكِّزُ القرآن وَيُؤَكِّدُ عَلَى ذكر بَعْضِ المواقف والحالات الَّتِي حصلت لبعضهم (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ٢ .

بتقريب: أَنَّ هؤلاء الَّذِينَ شاركوا مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله فِي معركة بدر وَأُخِيدَ رُخْصَ لَهُمْ بمعركه ثالته وَهِيَ معركة بدر الصغرى فِي حمراء الأسد موضع قريب مِنَ المدينه بموضع أبعد مِنْ موضع معركة أُحُد، عِنْدَمَا

١- (١) تَقَدَّمَ بحث هَذِهِ القَاعِدَه فِي تفسير أمومه الولايه: ج ٢، للشيخ مُحَمَّد السَّنَد (الألفاظ وضعت للغايات لا للمبداي)، وكذا تَقَدَّمَ بحثها فِي القَاعِدَه الخامسه الجرى والتطبيق تحت عنوان القَاعِدَه الأولى.

هددت قريش بالهجوم والغارة على المدينة، وكان ذلك التوصيف لرسول الله صلى الله عليه وآله بمعركة ثالثة بأمر من السماء، إذ هبط الأمين جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا مُحَمَّد إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ فِي أَثَرِ الْقَوْمِ وَلَا يَخْرُجَ مَعَكَ إِلَّا مَنْ بِهِ جُرَاحٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُنَادِيَهُ أَنْ يُنَادِيَ بِذَلِكَ (١).

وفي خبر الطبرسي عن كتاب أبان البجلي الكوفي، قال: فلما كان الغد من يوم أُحد نادى مُنادي رسول الله صلى الله عليه وآله في المسلمين أن يخرجوا على علتهم وما أصابهم من القرع والجرح.

وفي خبر آخر للطبرسي: ألا- لا- يخرجن أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، فانتدبت عصابه منهم مع ما بهم من القراح والجراح الذين أصابهم يوم أُحد وقدم علي برايه المهاجرين حتى انتهوا إلى صحراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال، وأقام بها النبي صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء، وكان النبي صلى الله عليه وآله قد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم (٢).

(فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ٣ فبذل أن يتضعضوا وتضعف همّتهم باعتبارهم الآن خرجوا من حرب ومعركة ثم تفصل ساعات عن المعركة الثالثة، بل ازداد إيمانهم واشتد إصرارهم واستقامتهم.

ص: ٢١٢

١- (١) تفسير القمّي: ج ١، ص ١٢٥ وعنه البحار: ج ٢، ص ٦٤.

٢- (٢) إعلام الوري للطبرسي: ج ١، ص ١٨٤.

ويتلخص ممّا تقدّم أنّه إذا كانت غزوه واحده من غزوات النبي صلى الله عليه وآله كغزوه أُحُد مثلاً حدث فيها هكذا تعميم وتزوير وتلفيق وحذف الحقائق وأبعدت حسب أسباب النزول المُلفَّقه فكيف يطمئن بعِد هَذَا والأخذ بها وإرسالها إرسال المُسلمات وهى واضحة البطلان والكذب والتدليس وطمس الحقائق وحذف مقطعاً كاملاً من غزوه أُحُد وانتهت المعركة بزعم أسباب النزول المُلفَّقه بانتصار قريش.

إلّا أنّه وبالتحقيق يُقال لهؤلاء لماذا عادت قريش بمعركة ثالثة فصلتها ساعات عن معركة أُحُد ألا وهى معركة بدر الصغرى، فإذا كان قريش قد انتصرت في معركة أُحُد فعلام المعاوذه؟

وهذا ما بينته أسباب النزول الصحيحه والوارده عن أئمه أهل البيت عليهم السلام أن قريشاً ما كانت منتصرة في معركة أُحُد؛ ولذا أرادت قريش الإغاره على المدينة نتيجة خسرتهم وهزيمتهم في معركة أُحُد وانتصار المسلمين في نهايه المعركة؛ ولأجل أن تزد قريش ماء وجهها الذى سلبه المسلمون منها في معركة أُحُد، بينما ما ذكرته كتب التاريخ كابن الأثير والطبرى والسيره لابن هشام و... الخ أن قريش عادت إلى المدينة بعد معركة أُحُد لأجل أن تصفح وتعفوا بعد ما هزم المسلمون وفر النبي صلى الله عليه وآله إلى الجبل - وحاشاه من ذلك - وكل ما ذكرته مصادر العامه في هذا المجال هو عار عن الصيحه تماماً، إنما الصحيح هو تحقق النصر مرة أخرى على يد رسول الله صلى الله عليه وآله ويد سيد الأوصياء على بن أبى طالب عليه السلام مع ثلثه قليله جداً بعضهم نال الشهاده وبعضهم جرح وثالث بقى

ثابتاً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلِذَا فَزَّتْ قَرِيشٌ وَتَرَاجَعَتْ وَابْتَعَدَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ وَغَنَائِمِهَا.

وَمِنْ خِلَالِ هَذَا يَتَّضِحُ أَنَّ مُلَابَسَاتِ الْحَدِيثِ كُلَّهَا تَدْحُضُ مَا رُقِّمَ وَسُيِّطِرَ وَكُتِبَ فِي التَّأْرِيخِ مِنْ عِبْثٍ وَتَلَاعَبٍ فِي الْحَقَائِقِ، وَلِذَا لَمْ يُرَخَّصِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِكِبَارِ الصَّيْحَابِ فِي الْجِهَادِ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرِ الصَّيْغَرَى وَهِيَ الْمَعْرَكَةُ الثَّلَاثَةُ بِسَبَبِ انْهِزَامِهِمْ وَلَمْ يُحْضُوا بِوَسَامِ الثَّبَاتِ وَالتَّضْحِيهِ الْحَقِيقِيهِ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ الْحَمَاسِيُونَ الَّذِينَ أَزْدَادَ إِيمَانَهُمْ وَشَرَفَهُمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِالشَّهَادَةِ وَالْإِيمَانِ وَرِبَاطَةِ الْجَاشِ، وَهَذَا التَّخْصِيصُ وَالتَّشْرِيفُ الَّذِي خَصَّهُ الْقُرْآنُ بِهِؤُلَاءِ لَمْ يُعْطِهِ لِكِبَارِ الصَّيْحَابِ الَّذِينَ أَشَارُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْبَقَاءِ فِي الْمَدِينَةِ قَبْلَ غَزْوِهِ أُحُدَ.

ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ رُخِّصَ لَهُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَى حِمْرَاءِ الْأَسَدِ وَصَابِرٍ وَرَابِطُوا فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ (فَمَا نَقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ) أَيْ غَنَائِمٍ (لَمْ يَمَسْسِيهِمْ سُيُوءٌ) لِأَنَّ قَرِيشاً خَشِيَتْ مِنْهُمْ كَمِياً فِي رِوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقَمِّيِّ فِي تَفْسِيرِهِ: «فَوَافَاهُمْ رَجُلٌ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَسَأَلُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: تَرَكْتُ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ بِحِمْرَاءِ الْأَسَدِ يُطَلِّبُونَكُمْ جَدًّا الطَّلِ» (١).

وَفِي خَبَرِ الطَّبْرَسِيِّ: «... وَقَدْ وَاللَّهِ تَرَكْتُ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ وَهُمْ يُحَرِّقُونَ عَلَيْكُمْ، وَهَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيَّ مَقْدَمَتَهُ فِي النَّاسِ...» (٢).

فَلَوْ كَانَتْ قَرِيشٌ هِيَ الْمُنْتَصِرَةُ وَالْغَالِبَةُ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ فَكَيْفَ تَخْشَى مِنْ

ص: ٢١٤

١- (١) تَفْسِيرُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقَمِّيِّ: ج ١، ص ١٢٥.

٢- (٢) إِعْلَامُ الْوَرِيِّ لِلطَّبْرَسِيِّ: ج ١، ص ١٨٤.

المسلمين والمؤمنين عَلَى قَلْبِهِمْ فَإِنَّهُ حَسْبُ الرُّوَايَةِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْمَجَالِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَرَجَ ب - (٧٠)
سبعين مقاتلاً وَلَمْ يَأْذَنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَعْرَكَةِ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ أَنْ يَخْرُجَ كُلُّ مَنْ شَارَكَ فِي أُحُدٍ، وَإِنَّمَا أُذِنَ لِلَّذِينَ
جُرِحُوا وَثَبَتُوا وَلَمْ يَنْهَزُوا وَيَفْرُوا، وَمَعَ ذَلِكَ خَشِيَتْ وَخَافَتْ قَرِيشٌ مِنَ الْمَوَاجِهِهِ ثَانِيَةً مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَانْهَزَتْ وَقَرَّتْ إِذْ لَوْ كَانَ
مَنْتَصِرَةً لَمَا انْهَزَتْ وَوَلَّتْ.

ثُمَّ قَالَتْ الْآيَةُ (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) (١٧٥) ١ .

بتقريب: أَنَّ طَبِيعَةَ عَمَلِ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُوا أَوْ لَا يَشْعُرُوا بِعَيْدٍ أَنْ يَضْلَهُمْ وَيَمْنِيَهُمْ، فَإِذَا صَبَرَ الْعَبْدُ وَأَذَاقَ
الشَّيْطَانُ مَرَارَهُ تَحَمَّلَ الصَّبْرَ فَإِنَّهُ سَوْفَ يَنْهَزُ الشَّيْطَانَ وَيِيَّاسُ (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)
٢(٤٢) وَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣(٩٩) .

وَهُنَاكَ رَوَاهُ كَشَاهِدٌ فِي الْمَقَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكَشِّيُّ فِي كِتَابِ (الرِّجَالِ) قَالَ: وَجَدْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِي عَنْ مُحَمَّدِ
بْنِ عَيْسَى، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَيْسَى عَنْ ابْنِ مَسْكَانٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ، قَالَ: كَانَ إِذَا أَصَابَتْهُ هَذِهِ الْأَوْجَاعُ فَإِذَا اشْتَدَّتْ بِهِ شَرِبَ
الْحَسُو مِنْ النَّبِيذِ فَتَسْكُنُ عَنْهُ، فَدَخَلَ عَلَى أَبِي

عبدالله عليه السلام إلى أن قال: فأخبره بوجعه وشربه النيذ، فقال له: يا ابن أبي يعفور! لا تشربه فإنه حرام إنما هذا شيطان موكل بك فلو قد يئس منك ذهب، فلما رجع إلى الكوفة هاج به وجع أشد مما كان فأقبل أهله عليه، فقال: لا والله لا أذوق منه قطره فيسوا منه وأشد به الوجع أياماً ثم أذهب الله عنه فما عاد إليه حتى مات (١).

أما أن الشيطان كيف يستطيع أن يصور ويخيل للإنسان حجم الداء بأشد وأعظم حالاً مما هو عليه (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٢٦٦) .

بتقريب: أن الشيطان بطبيعته عمله لا يكون أنيساً للصابرين، وإنما يكون أنيساً للعجوليين؛ ولذا كانت العجلة من الشيطان؛ لأن طبيعته الشياطين أنهم غير صبورين وطبيعتهم الجده والسرع وعدم الصبر.

ومن باب الكلام يجبر الكلام نذكر ما يكون مؤيداً هو أن هناك بعض المصابين بحسد العين أو السحر أو المس أو... الخ فإن وصفه الصبر لهؤلاء دواء عظيم، فإن الشيطان عود أتباعه وأوليائه على عدم الصبر وعلى الجده والجزع و... الخ، فإذا صبر المصاب بالمس أو السحر أو العين أو... الخ معناه أن هذا المصاب قوى جانب التوكل على الله، وإذا توكل على الله معناه قوى عنده جانب الطمأنينه بالله وعدم الخوف من غير الله تعالى فسرعان ما يتشافى بإذن الله عز وجل (ولا يخزئك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً

ص: ٢١٦

١- (١) رجال الكشي، بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٥٩، ص ٥٨؛ وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٢٥ ص ٣٤٧، ب ٢٠ من أبواب الأشربة المحرمة: ح ١١.

يُرِيدُ اللَّهُ الْآلَ- يَجْعَلُ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) ١ .

بتقريب: إِنَّ بَعْضَ مَنْ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُسْلِمِينَ سَرَعَانَ مَا ارْتَدَّوْا عَنِ الْإِيمَانِ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ وَ إِنَّ لَمْ يَرْتَدُّوْا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَ هُنَا الْقُرْآنُ يَشْهَدُ عَلَيَّ أَنَّ جَمَاعَهُ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَصَابَتْهُمْ رَدَّةٌ عَنِ الْإِيمَانِ وَ لَمْ يَسْتَقِرَّ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ وَ إِنَّمَا كَانُوا عَلَيَّ ظَاهِرَ الْإِسْلَامِ.

وَ مَا كَانَ مِنْهُ عَلَيَّ اللِّسَانَ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَلَيَّ أَعْقَابَهُمْ (وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَيَّ عَقْبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ٢ .

وقوله تَعَالَى: (وَ لَا- يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) ٣ ، بتقريب: أَنَّ بَعْضَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُجَرَّدٌ أَنْ سَمِعُوا دَعَايَهُ نَبَأَ مَقْتَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ سَارِعُوا فِي الْكُفْرِ (إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا) ٤ .

الفرق بين الردة في الإيمان والردة عن ظاهر الإسلام:

وَ هَذِهِ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ تَدْحِضُ وَ تُفَنِّدُ مَا رَوَى مِنْ رَوَايَاتٍ يُدَّعَى فِيهَا:

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، وَقَالَ: - لَنْ أَعْقَابَكُمْ أَبَدًا، فَإِنَّ كَثِيرًا وَلِلْأَسْفِ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الرَّدِّهِ وَالْإِيمَانِ وَبَيْنَ الرَّدِّهِ وَالْإِرْتِدَادِ عَنْ ظَاهِرِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ تَذَكُرُ هَذَا الْوَصْفَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا) ١ .

عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانَ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سَتَصِيبُكُمْ شِبْهُهُ فَتَبْقُونَ بِلا عِلْمٍ يُرَى، وَلا إِمَامٍ هَدَى وَلا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا مَنْ دَعَا بِدَعَاءِ الْغَرِيقِ، قُلْتُ: كَيْفَ دَعَاءُ الْغَرِيقِ؟ قَالَ: يَقُولُ: يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» فَقُلْتُ: يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، وَلَكِنْ قُلْ كَمَا أَقُولُ لَكَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» (١).

كُلُّ ذَلِكَ بِلِحَازِ الْقَلْبِ وَأَمْرِهِ الْعَجِيبِ لِإِنَّهُ عَلَى تَقَلُّبِ دَائِمٍ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَقَلُّبِهِ «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبُنَا عَلَى دِينِكَ».

وقوله تَعَالَى: (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ لِيَزِدُوا إِثْمًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨) ٣ .

بتقريب: إِنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ كَانَ مُؤْمِنًا وَالْآنَ كَفَرَ فِي قَلْبِهِ وَيَمْتَحِنُ

ص: ٢١٨

الله هؤلاء الَّذِينَ كانوا مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله فمنهم مَنْ يُبَدَّلُ ويحدث تغيير ومنهم مَنْ ثبت وَلَمْ يُحَدِّثْ تغييراً فى نفسه ودينه ومعتقده وَلَمْ يَتَزَلَزَلْ.

تحكيم محكمات الكتاب

والسنه النبويه القطعيه وأهل البيت عليهم السَّلامُ:

والنتيجه بَعْدَ ذكر هَذِهِ النماذج والشواهد القرآنيه عَلَى دحض أسباب التُّزول المُلَفَّقَه والمُحَرَّفَه وفى تحقيق المنهج التاريخى وغيره هُوَ الخروج بقاعده عظيمه أَلَا وَهِيَ «تحكيم محكمات القرآن والسنه النبويه القطعيه وأهل البيت عليهم السلام».

فَإِنَّ هَذِهِ القَاعِدَه تُعَدُّ ميزاناً لتحقيق وتنقيح التاريخ خاصه التاريخ الذى لَهُ صِلَمَه بسيد الأنبياء مُحَمَّدَ صلى الله عليه وآله وبالقرآن وتاريخ نزوله وبالإسلام، فَإِنَّ هَذَا أمر بالغ الأهميه.

ومثل هَذِهِ الشواهد المُحَرَّفَه والمُلَفَّقَه لأسباب التُّزول تُدِلُّ الباحث الكريم عَلَى كيفيه انقلاب التاريخ وكشف عبث الأقلام المأجوره عَلَى يد السَّلطه الأمويه والعباسيه أو الطرف الآخر عبثاً صَوَّرت به انتهاء المسلمين بالهزيمه والخساره فَقَطْ فى معركة أحد، والواقع الصحيح الذى عَلَيْهِ المسلمون فى معركة أُحُدَ عَلَى العكس تماماً، نعم لا ننكر حصول إخفاق وهزيمه للمسلمين فى وسط معركة أُحُدَ إِلَّا أَنَّ المعركة انتهت بانتصار المسلمين وهزيمه قريش؛ ولذا فَإِنَّ معركة أُحُدَ حصل فيها انهزام لكلا

الطرفين المسلمون أولاً ثمَّ المشركون ثانياً في نهايه معركة أُحد في حمراء الأسد أو ما تُسمَّى بدر الصغرى.

هَذَا كَلَّهُ بِلِحَازٍ مَا ذُكِرَ مِنْ شَوَاهِدِ قُرْآنِيَّةٍ لِدَحْضِ أَسْبَابِ التُّزُولِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي غَزْوِهِ أُحُدٍ.

ثانياً: نماذج من سورة الأنفال لدحض أسباب التُّزُولِ

المؤلفه بما يتعلق بمعركه بدر(1):

الشواهد القرآنيه لدحض أسباب التُّزُولِ المؤلفه:

وقبل ذكر الشواهد القرآنيه حول غزوه بدر نذكر:

أولاً:

مقدمه: استعراض القرآن الكريم وفي مواضع عِدَّةٍ جهات وملاحم ومباحث كثيره نتعرَّض إليها بشكل مقتضب مع الاختصار، وتبسيط الأضواء فيها على موضوع بحثنا وهو أسباب التُّزُولِ وَنُبِّئَ كَيْفِيَّةَ رِسُوخِ عَقِيدِهِ مَدْرَسَهُ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَجَاهَ جَمَلِهِ مِنَ الْقَضَايَا، مِنْ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ الْقُرْآنِيَّةِ كَسُورَةِ الْأَنْفَالِ وَاسْتِعْرَاضِ آيَاتِهَا لِمُسْلَسَلِ مَعْرَكَةِ بَدْرِ - فَإِنَّهَا انْفَرَدَتْ مِنْ بَيْنِ سُوَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِعَرْضِ وَبَيَانِ أَحْدَاثِ مَعْرَكَةِ بَدْرِ، بَلْ

ص: ٢٢٠

١- (١) تَقَدَّمَ النَّمُودَجُ الْأَوَّلُ لِدَحْضِ أَسْبَابِ التُّزُولِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِمَعْرَكَةِ أُحُدٍ.

أَنْ شَتَّ سَيِّمَهَا بِسُورِهِ بَدْرٍ، لَمَّا رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ حَيْدَعِ الْأَنْوْفِ»^(١).

كَمَا فِي وَيَنْبَغِي التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الْآيَاتِ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ الشَّاهِدِ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ حَوْلَ غَزْوَةِ بَدْرٍ وَالْمُرْتَبَطَةُ بِمَحَلِّ الْبَحْثِ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ تَبْتَدَأُ مِنْ آيَةِ ٦٧-٧٠ مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ، إِلَّا أَنَّهُ مِنْ بَابِ مَنَاسِبِهِ تَعَرَّضَ بِدَايَةِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ إِلَى بَيَانِ أَسْبَابِ غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِجْمَالاً أَدْعَى فِي رِوَايَاتِ أَسْبَابِ النُّزُولِ الْمُؤَلَّفَةِ، أَنَّ الْخَلِيفَةَ الثَّانِيَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ اعْتَرَضَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اعْتِرَاضاً شَدِيداً، واقترح عَلَيْهِ أَنْ يَقْتَلَ أُسْرَى مَعْرَكَةِ بَدْرٍ إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ حَسَبَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الْمَزْعُومَةِ، ثُمَّ نَزَلَتْ آيَاتُ قِرَائَتِهِ تَعَاتِبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِتَاباً إِلهياً شَدِيداً - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - حَسَبَ زَعْمِهِمْ - أَوْ تَصَوُّبِ مَوْقِفِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَتَخَطُّبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعَلَى مِثْلِ هَكَذَا أَسْبَابِ نَزُولِ مُؤَلَّفَةِ بَنِي الْمُتَكَلِّمِينَ فِي مَدْرَسَةِ الْخِلَافِ قَوَاعِدِ اعْتِقَادِيَّةٍ فِي مَعْنَى عَصْمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَلْ لَهُ عَصْمَةٌ أَوْ لَا؟ وَإِذَا كَانَتْ لَهُ عَصْمَةٌ، فَهَلْ عَصْمَتُهُ نَسَبِيَّةٌ أَوْ مُحَدَّدَةٌ، هَذَا مُضَافاً إِلَى ذَلِكَ يُضَمُّ إِلَيْهِ مَا هُوَ الْأَخْطَرُ فِي مَنْظُومَةِ الْجِهَادِ أَوْ الْمَوَاجَهَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي فِقْهِ مَدْرَسَةِ السَّقِيفَةِ، وَهَذَا يَغَايِرُ وَسَيَتَبَيَّنُ أَنَّ قَوَاعِدَ الْجِهَادِ فِي مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَغَايِرُ مَا عِنْدَ مَدْرَسَةِ السَّقِيفَةِ وَالْعَامَّةِ مِنْ غَايَاتٍ وَهَوِيَّةٍ وَأَحْكَامِ الْجِهَادِ.

وَلِذَا فَإِنَّ مَا ظَهَرَ فِي الْآوَنَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ حَرَكَاتٍ وَعَصَابَاتٍ وَقَوَاعِدِ

ص: ٢٢١

١- (١) تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥١، ح ١.

عسكريه لسانها القتل والتهجير والإقصاء والتهميش ما هُوَ إِلَّا إفرازات لنفس فكر مدرسه الخلفاء، بينما التّعايش السّلمى ولغه الحورا والبيان لأتباع أهل البيت عليهم السلام مَعَ كُلِّ مَلَّةٍ وَنَحْلَةٍ وَهَذَا لَمْ يَأْتِ مِنْ بَابِ الصِّدْفِ وَإِنَّمَا جَاءَ مِنْ حَثِّ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَتَأْكِيدِهِمْ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ السَّلْمِيِّ مَرَارًا مِنْ خِلَالِ بَيَانَاتِهِمْ وَحُثِّهِمْ عَلَى ذَلِكَ فِي بَيَانِ فِلْسَفَةِ الْجِهَادِ وَفِلْسَفَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ.

ولذا كَانَ لدراسه أسباب النُّزول بدقّه وتحقيقٍ وفرز الصحيح مِنْهَا عَنْ المُلْفِقِ والمزعومِ ذا أثرٍ بالغ الأهميّة والخطوره عَلَى الدِّينِ؛ لِأَنَّ عَدَمَ فِرْزِهَا والأخذ بما هُوَ موجودٍ مِنْ أسباب النُّزول المُلْفَقِ يُجْرِّئُ إِلَى الوقوعِ فِي الكارثةِ فِي الدِّينِ، بخلافِ ما إِذَا بُيِّنَتْ أسباب النُّزولِ عَلَى التحقيق والتدقيق والرجوعِ إِلَى رواياتِ أهلِ البيتِ عليهم السلام، فَمَإِنَّهُ سَوْفَ يجعلُ الدِّينَ وأهله يعيشون النعيمِ.

وسبب تأكيد القرآن الكريم والرّوايات الواردة عَنْ أهلِ البيتِ عليهم السلام عَلَى الاهتمامِ بِأسبابِ النُّزولِ بشكلٍ دقيقٍ يُشْعِرُنَا بمدى أهميتها وخطورتها فِي جملةِ علومِ كالفقه والكلام والتفسير والتاريخ وغيرها.

مُضَافًا إِلَى أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْمَصْدَرُ الْأَوَّلُ الْعَظِيمُ فِي مَصَادِرِ التَّشْرِيْعِ وَالْمَعْرِفَةِ الدِّينِيَةِ وَصَمَامَ أَمَانِ لَهَا، وَعَلَيْهِ إِذَا اختلفت روايات أسباب النُّزولِ فَإِنَّهُ سَوْفَ يصبحُ اختلافٌ فِي المسارِ المعرفيِّ الدِّينيِّ.

وَهُنَا تَظْهَرُ أَهْمِيَّتُهُ تَأْكِيدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى اقتران العتره بالكتاب لِأَنَّ عَدَمَ قَرْنِ العتره بالكتاب تنتج إفرازات خاطئه، كَمَا هِيَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ مِنْ ظُهُورِ بَعْضِ الحركات المشبوهه المحسوبه عَلَى الإسلام وَهِيَ قَدْ شوّهته وأظهرته بالمظهر

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ بَعْضَ رَوَايَاتِ أَسْبَابِ التُّزُولِ الْمَزْعُومَةِ تَحَاوَلُ أَنْ تُثَبِّتَ مُطْلَباً عَقَائِدِيّاً خَطِيرَ يَمَسُّ الْعَقِيدَةَ وَمَقَامَ النُّبُوَّةِ السَّامِيَّ كَمَا مَرَّ فِي غَزْوِهِ أُحُدٍ فِي آيَاتِ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، كَذَلِكَ فِي آيَاتِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ تَحَاوَلُ أَسْبَابُ التُّزُولِ الْمُؤَلَّفَقَةِ وَالْمُزَيَّفَةِ وَالْمَزْعُومَةِ أَنْ تُسَاوِيَ بَيْنَ مَقَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَغَيْرِهِ وَتَخْطئه كَمَا يَخْطئه الْآخَرُونَ، وَأَنَّ سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيْسَ فِي كُلِّ أَفْعَالِهِ وَحَى مَنْزِلٍ، وَإِنَّمَا يَجْتَهِدُ يَخْطِي وَيَصِيبُ كَبَقِيَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ.

وَتَذَكُرُ أَسْبَابَ التُّزُولِ الْمُحَرَّفَةِ وَالْمَزْعُومَةِ أَنَّهُ تَوْجِدُ رَوَايَاتٍ مِنْ طَرَفِهِمْ تَذَكُرُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَدْ أَشَارَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقْتُلُ أُسَارَى بَدْرِ الْكُبْرَى بَعْدَ انْتِهَاءِ الْمَعْرَكَةِ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَسْتَجِبْ لِمَشُورَتِهِ وَلَنْ يَقْتُلَهُمْ وَنَادَاهُمْ - بِأَنَّ دَفْعَ ذَوِيهِمْ فِدْيَةً لِأَنْقَادِهِمْ مِنَ الْأَسْرِ - ثُمَّ تَذَكُرُ بِحَسَبِ مَا يَدَّعَى بِهَذِهِ الرُّوَايَاتِ الْمَزْعُومَةِ أَنَّ الْآيَاتِ الْمُبَارَكَةَ نَزَلَتْ تُعَاتِبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَتَخْطِيءُ مَوْقِفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتُعَاتِبُهُ وَتُصَحِّحُ مَوْقِفَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

وَالرُّوَايَةُ مِنْ طَرَفِهِمْ - الْعَامَّةُ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرِ وَجِيءَ بِالْأَسْرَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: - مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ، فَاسْتَبَقَهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ قَدَمَهُمْ وَاضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ... وَمِثْلُكَ يَا عُمَرُ مِثْلُ نُوْحٍ إِذْ قَالَ (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً) (٢٦) ١.

ومثل موسى إِذ قَالَ: (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ...١,٢)، وغيرها مِنْ مصادرهْم الَّتِي ذَكَرْت هَذِهِ الرُّوَايَةَ وَغَيْرَهَا الْمَزْعُومَةَ لَدَيْهِمْ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الطَّرْفَ الْآخَرَ غَيْرَ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْمَوْقِفِ يَشْكُلُونَ رُؤْيَهُ عَقَائِدِيَّةً وَهِيَ أَنَّ سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ وَمَسْدُودٍ مِنَ الْوَحْيِ فِي تَدْبِيرِهِ السِّيَاسِيِّ أَوْ الْحُكُومِيِّ أَوْ مَا شَبِهَ ذَلِكَ.

وَعَلَى ضَوْءِ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ الْمَزْعُومَةِ يَحَاوِلُونَ فَتْحَ مَلْفٍ خَطِيرٍ جَدًّا يَمَسُّ الْعَقِيدَةَ بِالنَّبُوَّةِ وَمَقَامَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنَّهُ يَخْطِئُ كَبَقِيَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ.

وَالنَّيْجَةُ: إِذَا كَانَ تَعَامُلُهُمْ مَعَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَكَذَا فَكَيْفَ مَعَ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَدْرَسَةِ الْإِمَامَةِ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ وَتَتَشَدَّقُونَ بِأَنَّ هُنَاكَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرْدٌ بَشَرِيٌّ يُعْصَمُ فِي كُلِّ حَالٍ وَتَرْحَالِهِ، فَهَذَا سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ بِزَعْمِهِمْ يِعَاتَبُ فِي الْقُرْآنِ وَيُخْطَأُ فِي تَدْبِيرِهِ السِّيَاسِيِّ وَحُكُومَتِهِ السِّيَاسِيَّةِ، فَكَيْفَ بِغَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا كَانَ الرَّدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - لَيْسَ خَطَأً فِي قِبَالِ الْوَحْيِ.

وَتَدَّعَى أَسْبَابَ التُّزُولِ الْمَزْعُومَةَ أَنَّهُ تَوْجِدُ أَرْبَعِ مَوَاضِعٍ مُدَّعَاهُ فِي تَخْطِئَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنَّ وَاحِدَهُ مِنْهَا أُيِّدَتِ الْخَلِيفَةُ الثَّانِيَّةُ تَصْوِيبًا لَهُ، وَثَلَاثٌ مِنْهَا خَطَأُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأُيِّدَتِ الْخَلِيفَةُ الثَّانِيَّةُ، وَكُلُّهَا رَوَايَاتٌ مَرْوِيَّةٌ وَمَزْعُومَةٌ حَسَبَ طَرَفِهِمْ وَمَصَادِرِهِمْ، وَرَبَّمَا تَسَرَّبَ هَذَا الْمَلْفُ وَلِلْأَسْفِ حَتَّى إِلَى بَعْضِ كِتَابَاتِ

الخاصه، وَلَعَلَّهُ شَكَلَتْ عِنْدَ بَعْضِ أَصْحَابِهَا رُؤْيَهُ مَعْرِفِيَهُ عَقَائِدِيَهُ هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيْسَ فِي كُلِّ تَدْبِيرِهِ مَعْصُومٌ وَوَحْيٌ مُنَزَّلٌ، وَهُنَاكَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - بَعْضُ الْأَشْتِبَاهَاتِ - إِلَّا أَنَّ مَدْرَسَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَيَّنَّتْ أَنَّ كُلَّ الْمَوَارِدِ الْأَرْبَعَةِ فِي رَوَايَاتِهِمُ الْمُزَيَّفَةِ مَعْكُوسَةٌ وَمَنْكُوسَةٌ وَأَنَّ هَذِهِ الرُّوَايَاتُ مَزْعُومَةٌ وَمَطْعُونَةٌ بِهَا؛ لِأَنَّهَا تَطْعَنُ بِالْعَقِيدَةِ وَمَقَامِ النَّبِيِّ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِشَهَادَةِ التَّنَاقُضِ الْمَوْجُودِ فِيهَا، وَأَنَّ هَذِهِ الْمَوَارِدِ الْأَرْبَعَةَ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ مَوَارِدٌ أَخْطَأَ فِيهَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَلِأَجْلِ التَّغْطِيَةِ عَلَى هَذَا الْخَطِّاءِ قَلَبَتِ الْأَقْلَامُ الْأُمَوِيَّةُ وَالْعَبَّاسِيَّةُ الْأَمْرَ وَعَكَسُوهُ وَخَطَّأُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنَّ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ هُوَ الصَّائِبُ فِي رَايِهِ وَالَّذِي يَنْطِقُ الْحَقُّ عَلَى لِسَانِهِ، فَيَا أَيُّهَا الْبَاحِثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ الْمُنْصَفِ انْظُرْ بَدَقَهُ إِلَى كَيْفِيَةِ قَلْبِ الْحَقَائِقِ بَوْضُوحٍ فِي أَسْبَابِ التُّزُولِ الْمُتَلَفِّقَةِ، وَأَنَّهُمْ كَيْفَ تَجَرَّأُوا وَتَجَنَّنُوا عَلَى مَقَامِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ لِأَجْلِ سِيَاسَاتٍ مُعَيَّنَةٍ.

بَلْ وَإِلَى سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَأَنَّ يَسْتَشْهَدُ بِبَعْضِ كَلَامِهِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ فِي ثَالِثِ يَوْمٍ مِنَ الْبَيْعَةِ لِعَلِيِّ أَنَّهُ خَطَبَ فِي الْمَدِينَةِ وَقَالَ عَلِيُّ أَشِيرُوا عَلَيَّ أَوْ «وَإِنِّي لَسْتُ فَوْقَ أَنْ أُخْطَأَ» (١).

وَفُسِّرَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ لَا يَقْصِدُ نَفْسَهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ فِعْلَ حُكُومَتِهِ وَجِهَازَهُ أَيْ يَقْصِدُ أَنَّ أَفْرَادَ الْجِهَازِ، يَقْصِدُ أَنَّ أَفْرَادَ الْجِهَازِ الْحُكُومِيِّ فِي حُكُومَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ وَأَنَّهُمْ بَشَرٌ وَيَخْطِئُونَ كِبَاقِي وَعَادَى النَّاسِ.

ص: ٢٢٥

١- (١) نهج البلاغه.

ولذا كَانَ مِنْ مَنَاصِرِهِ الأُمَّةَ وَمَنَاصِحَتِهَا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَأَوْصِيَاءِهِ أَنَّ الكُلَّ يُرَاقَبُ أَغْضَاءَ الجِهَازِ الحُكُومِيِّ البَشَرِيِّ غَيْرَ المَعْصُومِ وَيُرفَعُ التَّقَارِيرُ وَحَمَايَةِ القَانُونِ وَالدِّسْتُورِ الإِسْلَامِيِّ مَسْئُولِيَّتِهِ تَقَعُ عَلَيَّ عَاتِقِ الجَمِيعِ.

وَعَلَى فِرْضِ وِرُودِ هَكَذَا رَوَايَاتٍ فِيهَا نَقْدُ لِبَعْضِ الجِهَاتِ المُقَصِّرَةِ، فَلِمَاذَا لَا- تُفَسِّرُهَا وَتُحَلِّلُهَا بِالتَّحْلِيلِ العِلْمِيِّ المَوْضُوعِيِّ المُنَاسِبِ، لَا- أَنْ نَأْخُذَ رَوَايَاتِ أَسْبَابِ التَّنْزِيلِ المُتَّفِقَةِ وَالمُزَيَّفَةِ أَخْذَ المُسْلِمَاتِ وَيُشَكَّلَ عَلَيْهَا رُؤْيَاهُ عَقَائِدِيَّةً وَقَوَاعِدِيَّةً فِي الفِئَةِ السِّيَاسِيَّةِ.

وَالمُخَلَّصُ: إِنَّ الآيَاتِ الَّتِي اسْتَعْرَضَهَا القُرْآنُ الكَرِيمُ فِي سُورَةِ الأَنْفَالِ فِيمَا يَخْصُ مَعْرَكَةَ بَدْرِ الكُبْرَى تَدْحِضُ رَوَايَاتِ أَسْبَابِ التَّنْزِيلِ المُتَّفِقَةِ حَيْثُ تَدَّعَى أَنَّ الآيَاتِ النَازِلَةَ فِي بَدْرِ الكُبْرَى تَحْمَلُ عِتَاباً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيمَا يَخْصُ الأَسْرَى بَعْدَ المَعْرَكَةِ، هَكَذَا قِيلَ.

آيَاتِ وَرَوَايَاتِ بَدْرِ الكُبْرَى

مَعْلَمٌ عَظِيمٌ لَوْلَايَةِ أَهْلِ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

إِنَّ الآيَاتِ الأُولَى فِي سُورَةِ الأَنْفَالِ جَاءَتْ رَدًّا وَجَوَابًا لِنِزَاعِ عَظِيمٍ حَصَلَ بَيْنَ البَدْرِيِّينَ حَوْلَ مَلَكيَةِ الغَنَائِمِ وَأَنَّهَا مِلْكُ مَنْ؟

إِنَّهَا مِلْكُ اللَّهِ (يَسْتَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١) .

ص: ٢٢٤

والغنائم حسب ما بينته روايات أهل البيت عليهم السلام تارةً يَتِمُّ الحصول عَلَيَّهَا بسعى وحرب وغزوٌ وبذل جهد وجهاد وقتال من المسلمين ووقوف عَلَيَّهَا بخيل وركاب، وَأُخْرَى ما يُصطَلح عَلَيَّهَا بالأنفال.

وأما القسم الأول: الذى يوقف عَلَيَّه بخيل وركاب وقوه، فَإِنَّ هَذِهِ الغنائم أربعة أحماسها للمقاتلين توزع فيما بينهم كما بينته الآية المباركة: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ) ١.

وأما القسم الثانى: من الأنفال فَقَدْ بَيَّنَّ الإمام الصادق عليه السلام حكمه وأنَّ هَذَا القسم فيه إرغام لأنف من يتناول ويُجدد وينكر مقام الولاية لأهل البيت عليهم السلام لما أكَّده سورة الحشر (١). (... ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ).

والنفل: عبارته عن زياده الفىء أى الراجح، ومصطلح الأنفال يشمل كُُلَّ الأموال والثروات العامه فى الأرض وأنَّ ولاية ملكيتها الحقيقيه وتديرها تعود لله أو رسوله أو ذى القربى.

ملحوظه: أن الآية المباركة (يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) فيها قراءتان:

القراءة الأولى: إنَّ الفعل (سأل) إذا تعدى ب - (عِنْ) فَيَأْتِيهِ يُفِيد استعمال الحكم والخبر بَعْدَ مَا حصل نزاع بينهم لِمَنْ ملكيه الأنفال؟ (قُل)

ص: ٢٢٧

الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) وَلَا يُشَارِكُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فِيهَا أَحَدٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ سِوَاكَ فِي ذَلِكَ الْغَنِيمَةِ أَوْ الْفِيءِ.

القراءة الثانية: إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَلَكيَهُ سَهْمٍ مِنْهَا وَأَنَّ الْفِعْلَ (سَأَلَ) إِذَا تَعَدَّى بِنَفْسِهِ فَيَكُونُ بِمَعْنَى الْإِسْتِعْطَافِ وَأَنَّهُمْ يَطْلُبُوا مَلَكيَهُ سَهْمٍ مِنْهَا.

وسياتى فى مبحث القراءات - إن شاء الله تعالى - أى القراءتين أصح.

هَذَا مُضَافًا إِلَى أَنَّ اللَّامَ فِي لَفْظِ الْجَلَالَةِ فِي الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ هِيَ لِلْمَلَكيِهِ وَالتَّديِيرِ وَالْوَلَايَةِ وَليست مَلَكيَهُ سَهْمٍ وَأَسْهَامٍ وَهُمَا: (... قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) ١ و(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى) ٢.

الشواهد على دفع أسباب النزول المزعومة

من قبل العامة حول آيات حكم الأسير:

تأثير أسباب النزول المزيفه على حقيقه الجهاد

الابتدائى عند الفريقين:

الشاهد الأول: مَعْنَى الْجِهَادِ الْإِبْتِدَائِيِّ غَايَهُ وَهُوِيَّهٌ وَمَوْضِعُهُ لَدَى مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

تُقَسَّمُ مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْجِهَادِ إِلَى قَسْمَيْنِ رَئِيسِيَيْنِ وَهُمَا:

ومفهوم الجهاد الابتدائي عند مدرسه أهل البيت عليهم السلام ليس بمعنى ابتداء عدوان، بل أن الجهاد الابتدائي له غطاء دفاعي.

وذلك بيان: أن غزوه بدر لم تكن بالمصطلح القانوني: ابتداء عدوان من سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وإن قام صلى الله عليه وآله بمبادره عسكريه للاستيلاء على قافله قريش التجاريه، ولكن خلفيات هذا القرار والعزم من رسول الله صلى الله عليه وآله كانت في الحقيقة أسباب دفاعيه، فغزوه بدر وإن كان يصدق عليها بالمصطلح الفقهي بالجهاد الابتدائي باعتبار أن ضابط الجهاد الابتدائي مُتَحَقِّق بقيام رسول الله صلى الله عليه وآله ومبادرته وإعداد الجيش بالعمل العسكري، إلا أن ذلك ليس معناه ابتداء عدوان؛ لأن هذا القرار من رسول الله صلى الله عليه وآله كانت خلفياته أن قريشاً صادرت كل أموال المسلمين في مكة غضباً، ثم أخذت قريش وحلفائها في الإغاره على المدينة المنوره ليلاً ومباغته، وهذا الفعل من قريش ولد للنبي صلى الله عليه وآله وللمسلمين مزيد من الاستحقاقات من القصاص وغيره، وردعاً من النبي صلى الله عليه وآله لقريش المتغترسه أراد المبادره بالاستيلاء على أموال قريش في القافله التجاريه بقياده أبي سفيان القادمه من الشام إلى مكة.

ص: ٢٢٩

١- (١) التوحيد في المشهد الحسيني: ص ٣٤٨ للشيخ محمد السند (دام ظله) وأسس النظام السياسي عند الإماميه: ج ١، للشيخ السند دام ظله وتعرض سماحته إلى ذكر أنواع الجهاد الدفاعي وأقسامه التي قد تصل إلى ثمانية أقسام.

وَمِنْ هَـٰذَا يُعْلَمُ أَنَّ الْأَسْبَابَ الْمَوْجِبَةَ أَوْ الْمُحَرِّكَهَ لِعِزْوِهِ بَدْرٌ كَمَا أَنَّ مِنْ مَنْطِقٍ وَمَنْطِقٍ دَفَاعِيٍّ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْإِصْطِلَاحِ الْقَانُونِيِّ، وَإِنْ كَانَ يَصْدُقُ عَلَيْهِ الْجِهَادُ الْإِبْتِدَائِيُّ بِالصِّطْلَاحِ الْفِقْهِيِّ وَلَكِنْ بِمَنْطِقٍ وَمَنْطِقٍ دَفَاعِيٍّ، هَـٰذَا كُلُّهُ بِحَسَبِ مَنَهِاجِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَّا أَنَّ هَـٰذِهِ النِّقْطَةَ قَدْ تَكُونُ غَائِبَةً عَنْ ذَهْنِ الْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُخْرَى غَيْرِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَكَأَنَّمَا تُتْرَجَمُ الْجِهَادُ الْإِبْتِدَائِيُّ بِمَنْطِقِ عِدْوَانِيٍّ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمَنْطِقٍ دَفَاعِيٍّ.

وَمِنْ هُنَا يَتَّضِحُ أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ تَفْسِيرِ مَعْنَى الْجِهَادِ الْإِبْتِدَائِيِّ وَأَنَّهُ قِبَالَ الْجِهَادِ الدَّفَاعِيِّ فِي مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَبَيْنَ تَفْسِيرِ الْمَدَارِسِ الْأُخْرَى وَأَنَّ الْجِهَادَ الْإِبْتِدَائِيَّ لَيْسَ بِمَنْطِقٍ دَفَاعِيٍّ عِنْدَهُمْ، وَهَـٰذَا يَحْتُنَّا عَلَى مَلَاظَمِهِ وَتَوْحَى الدَّقَّةَ أَكْثَرَ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ وَأَخْذِهَا مِنْ مَنَبَعِهَا الصَّحِيحِ وَذَلِكَ بِالِاتِّفَاتِ إِلَى مَا وَرَدَ مِنَ الْآيَاتِ حَوْلِ أُسَارَى بَدْرِ الَّتِي تَبَيَّنَ فِلْسَفَهُ الْجِهَادِ الْإِبْتِدَائِيِّ بِحَسَبِ مَا تَبَيَّنَتْ عَلَيْهِ رَوَايَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ بَيَانِ ظَاهِرِ أَلْفَاظِ تِلْكَ الْآيَاتِ، وَهَـٰذَا عَلَى خِلَافِ مَا بَيَّنَّتْهُ رَوَايَاتُ أَسْبَابِ النُّزُولِ الْمُزَيَّفَةِ وَالْمُلَفَّقَةِ لَدَى الْعَامَّةِ لآيَاتِ الْأُسَارَى فِي مَعْرَكَةِ بَدْرِ - كَمَا مَرَّ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ - وَعُطِّفَتْ فِي ذَلِكَ عِنْدَهُمْ آيَاتُ أُخْرَى فِي الْأُسَارَى فِي سُورَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

إِذْ رَأَيْنَا كَيْفَ تُؤَثِّرُ أَسْبَابُ النُّزُولِ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي تَغْيِيرِ مَنْظُومَةِ الْفِقْهِ وَالْعُقَائِدِ وَالتَّفْسِيرِ وَحَقَائِقِ التَّأْرِيخِ وَسِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَضْلًا عَنْ سِيرَةِ أَهْلِ

ورأينا كيف لفقت أسباب التُّزول المُحرِّفه وترجمت أسباب غزوه بدر بالجهاد الابتدائي بمنطق عدواني، بخلاف أسباب التُّزول الصحيحه الوارده عن طرق أهل البيت، فإنَّها ذكرت أنَّ مُبادره النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَتْ مُطَابِقَهُ لِمَا وَرَدَ فِي سَبَابِ التُّزول، وَأَنَّهَا - مُبَادِرُهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَلَوْ بِهِذِهِ الْحَرْبِ الْاسْتِبَاقِيهِ فِي غَزْوِهِ بِدْرٍ عَلَى قَافِلِهِ قَرِيْشِ التَّجَارِيهِ هِيَ فِي الْحَقِيْقَةِ لَهَا غَطَاءُهَا الشَّرْعِي وَالِدَّفَاعِي وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ اسْتِعَادَاتِ الْحَقُوقِ الْمَالِيَةِ الَّتِي سَلَبَتْهَا قَرِيْشٌ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ اسْتِبَاقَ الْحَرْبِ فِي مِثْلِ هَكَذَا مُورِدٌ لَا يَعْنِي الْعُدْوَانَ إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ خَلْفِيَّاتٌ حَقُوقِيَّةٌ مُبَرَّرَةٌ لِهَذِهِ الْحَرْبِ مِنْ كَوْنِ الطَّرْفِ عُدْوَانِيًّا مُبَيَّنًّا لِلِاسْتِمْرَارِ فِي الْعُدْوَانِ.

فَلَيْسَ الْمَدَارُ فِي دِفَاعِيهِ الْحَرْبِ أَوْ عُدْوَانِيَّتِهَا عَلَى مَنْ يُبَادِرُ بِالْحَرْبِ يَلُ الْمَدْرَا عَلَى مَنْ يَكُونُ صَاحِبَ حَقِّ مَسْلُوبٍ فِي قِبَالِ الْمَفْرُطِ فِي حَقُوقِ الْآخَرِيْنَ وَمِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ جَمِيْعَ حُرُوبِ وَغَزَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَتْ كُلُّهَا حُرُوبٌ دِفَاعِيَّةٌ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ وَاكْتَشَفَهُ بَعْضُ الْكُتَّابِ (١) وَمُنْذُ عَدَّةِ عَقُودٍ مِنَ الزَّمَانِ وَعَلَى قَنَاعِهِ تَامَهُ أَنَّ كُلَّ حُرُوبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِلِحَازِ الْمُنْطِقِ الْقَانُونِيِّ الْبَشَرِيِّ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ كُلُّهَا كَانَتْ حُرُوبٌ دِفَاعِيَّةٌ ابْتِدَاءً مِنْ غَزْوِهِ بِدْرٍ وَمَعْرَكَةٍ

أحد والأحزاب التي تحزبت فيها اليهود وقريش والنصارى والقبائل الأخرى والمُشركين ضدَّ النَّبِيِّ والمُسلمين، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ واضحاً بسبب عدوان أهل مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا رسول الله صلى الله عليه وآله إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله لَمْ يَسْتَعْمِدِ الحَرْبَ الفَعْلِيَّةَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ مَا عَدَا اسْتِعْرَاضَهُ صلى الله عليه وآله لِقَوِّهِ عَسْكَرِيَّةَ ثَقِيلِهِ كَرَدِ عَدُوَانِ العَدُوِّ فِي فَتْحِهَا.

ولهذا فَإِنَّ غزوات النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله الثمانين كَانَتْ كُلُّهَا ذَاتَ غَطَاءٍ دَفَاعِيٍّ، فَمِثْلًا فِي أَوَّلِ مَعْرَكَةٍ فِي الإِسْلَامِ وَهِيَ مَعْرَكَةُ بدر الكبرى وصفها القرآن (وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ (١٧)).

بتقريب: أَنَّ الله تَعَالَى وَعَدَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله والمُسلمين بالظفر عَلَى الأعداءِ إِمَّا بِالاقتصاصِ مِنْ قافلِهِ قريشِ التِّجَارِيَّةِ وَيَسْتَرْجِعُونَ أَمْوَالَهُمُ المَسْلُوبَةَ والمَغْضُوبَةَ فِي مَكَّةَ أَوْ يَهْزِمُونَ قريشاً عَسْكَرِيًّا، فِقريشِ الَّتِي خَرَجَتْ مُدْجِجَةً بِالسَّلَاحِ وَكَأَنَّ قَصْدَهَا العَدُوَانِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله والمُسلمين بِدليلٍ، بَعْدَ مَا رَجَعَتْ إِلَى مَكَّةَ قَالَ بَعْضُ رِجَالِهَا وَهُوَ عَتَبَةُ لِمَاذَا تَقَاتَلُونَ هَذَا الرَّجُلَ أَيُّ سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ صلى الله عليه وآله وَصَدُورِ مِثْلِ هَكَذَا كَلَامٍ مِنْ عَدُوِّ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله بَعْدَ أَنْ سَلِمَتْ قافلِهِ قريشِ مِنَ المُسلمين وَعَوْدَتِهَا إِلَى مَكَّةَ أَنَّهُ لَا مُبْرَرَ لِهَذَا القِتَالِ سِوَى العَدُوَانِ، وَهَذَا يُوَلِّدُ حَقًّا لِلنَّبِيِّ والمُسلمين فِي الدَّفَاعِ عَنِ

أموالهم وأنفسهم وحمایه المدینه وأعراضهم.

الشاهد الثانی: ولذا بعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قريش من يقول لهم عنه صلى الله عليه وآله (١) «يا معشر قريش ما أحد من العرب أبغض إليّ ممن بدأ بكم خلونى والعرب فإن آك - كان - صادقاً فأنتم أعلى بى عيناً، وأن آك - كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمرى فارجعوا» (٢). وهذا المقطع دالٌّ بوضوح أنّ الجهاد الابتدائى فلسفته وغايته استرداد الحقوق لا المبادره ابتداءً لغرض إكراه الطرف الآخر، كما هو مقرّر من غرض تشريع الجهاد الابتدائى لدى العامه، فقال عتبه: والله ما أفلح قوم قعد ردوا هيداً! وأقبل يقول: يا معشر قريش: أطيعونى اليوم واعصونى الدهر وارجعوا إلى مكّه... ولا تنبذوا رأى، وإنما تطالبون محمداً بالغير التى أخذها محمد بنخيله ودم ابن الحضرمى، وهو حليفى وعلى عقله - أى ديتته - فلما سمع أبو جهل ذلك غاضه، وقال: إنّ عتبه أطول الناس لساناً وأبلغهم فى الكلام، ولئن رجعت قريش بقوله ليكونن سيد قريش آخر الدهر، ثم قال - أبو جهل - يا عتبه نظرت إلى سيف بنى عبدالمطلب وجبنت وانتفخ سحر ك - والسحر: هو الرّيه والجوف منه سحر الليل أى جوفه، وانتفخ سحر ك أى ريتك أو جوفك من الخوف - وتأمّر الناس بالرجوع وقعد رأينا ثارنا بأعيننا! فنزل عتبه عن جملة وحمل على أبى جهل وهو على فرسه فعرق فرسه وأخذ

ص: ٢٣٣

-
- ١- (١) يقول الواقدى: ج ١، ص ٦١ أرسل النبى صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب إلى قريش.
- ٢- (٢) أى ليس هناك فى العرب من يكون أكثر مبعوضاً عندى ممن يبدأ القتال معكم، فأنا أبغض أن أبدا بالقتال معكم إن لم تقاتلونى.

يشعر، وَقَالَ لِي أَمْثَلِي يُجَبَّنُ؟! وستعلم قريشاً اليوم أيُّنا ألثم وأجبن؟ وأيُّنا المُفسدُ لقومه لا يمشى إلى الموت عياناً إلَّا أنا وَأَنْتَ ثُمَّ أَخَذَهُ يَجْرَهُ بِشَعْرِهِ! فاجتمع النَّاسُ يقولون: يا أبا الوليد! الله الله! لا- تَفُتَّ فِي أَعْضَادِ النَّاسِ تَنْهَى عَنْ شَيْءٍ وَتَكُونُ أَوَّلَهُ... حَتَّى خَلَّصُوا أَبَا جَهْلٍ مِنْ يَدِهِ.

ولذا عِنْدَمَا نَزَلَ عُبيدَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ وَالْحَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُمْ عْتَبَهُ انْتَسَبُوا لِنَعْرِفْكُمْ، وَقَالَ عُبيدَةَ لَعْتَبَهُ: هُمَا حَمْزَةُ ابْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ عْتَبَهُ كِفْوَانِ كَرِيمَانَ، لَعْنُ اللَّهِ مَنْ أَوْقَفَنَا هَذَا الْمَوْقِفَ.

وفى خبر آخر: أَنَّ عْتَبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَسَدِي نَصِيحَةَ لِقُرَيْشٍ بَعْدَ مُنَاجَزَتِهِمُ الْحَرْبِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَدَمَ فَتْحِ بَابِ الْحَرْبِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ قَائِلًا: إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ لَا تَصْلُونَ إِلَيْهِمْ... يَا قَوْمَ أَعْصَبُوا يَوْمَ بَرَأْسِي وَقُولُوا جَبُنَ عْتَبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَيْسْتُ بِأَجْبِنِكُمْ... وَكَانَ عْتَبَةَ أَرْشَدَ قَوْمَهُ وَأَكْثَرَهُمْ وَعِيًّا وَقَدْ نَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «إِنْ يَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ إِنْ يَطِيعُوهُ يُرْشِدُوا...».

وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الْآخِرُ نَصٌّ وَاضِحٌ فِي هَوِيَّةِ وَعَايَةِ تَشْرِيعِ الْجِهَادِ الْإِبْتِدَائِيِّ، أَنَّهُ لَا اسْتِرْجَاعَ الْحَقِّ الْمَسْلُوبِ لَا الْإِبْتِدَاءَ بِالْحَرْبِ لِإِكْرَاهِ الطَّرْفِ الْآخَرَ، وَمِنْ ثَمَّ وَصَفَ عَدَمَ الْحَرْبِ رَشْدًا، أَيْ لَيْسَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ فِي نَفْسِهِ لِإِكْرَاهِ وَكَسْرِ الطَّرْفِ الْآخَرَ وَهُوَ بِنَفْسِهِ غَايَةُ لِلْجِهَادِ الْإِبْتِدَائِيِّ؛

ولذا تذكر بعض المصادر أن عتبه، قال: إن من سنن إبراهيم عليه السلام لن يُفْلَحَ مَنْ يبتدأ الحرب بعدوان، مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذى جَهَّزَ الجيش قبل تجهيز قريش، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يجهز الجيش لأجل العدوان وإنما لاسترداد الحقوق المسلوبة فقط.

ومن هذا يُعرف أن أحد منازل إحقاق الحق هو نفس الظفر العسكرى أو اتخاذ الخطوات السياسيّة والعسكريّة المناسبه لاسترجاع الحقّ وكذلك نفس هذه التدبيرات العسكريّة والسياسيّة والأمنيّة قد تكون باطله على الصعيد الفكرى والسياسى لأجل التيه السيئه التى انطوت علىها قلوب عليه القوم من قريش وإحقاق الخسائر بالمسلمين ونشر الفساد.

الشاهد الثالث: ما تقدّم فى الشاهد الثانى مُطابق لقوله تعالى: (وَاعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) ١ .

حيث تبين الآيه المباركه أن فلسفه القوه العسكريه وغيرها هو ردع للعدوان وليس لابتداء العدوان على الآخرين.

الشاهد الرابع: قوله تعالى: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (١٠) وقوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ

طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) ١ .

فلسفه تشريع الجهاد الابتدائي:

إِنَّ فِلسفَه هَذَا التَّشْرِيعَ لِلجِهَادِ الْإِبْتِدَائِيِّ كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مَجْمُوعُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ الْمُتَعَرِّضُ لِلجِهَادِ الْإِبْتِدَائِيِّ - وَالَّتِي تَقَدَّمتُ الْإِشَارَةَ إِلَى بَعْضِهَا - فِي الدِّينِ الْحَنِيفِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) ٢(٩٤) .

فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تُحَدِّدُ مَعْلَمًا مُهِمًّا مِنْ مَعَالِمِ الْجِهَادِ، وَإِنَّ الْغَرَضَ فِيهِ لَيْسَ جَمْعُ الْغَنَائِمِ وَالْأَمْوَالِ وَالْإِسْتِرْقَاقِ، بَلْ قِيَادَةُ الْجَمْعِ الْبَشَرِيِّ وَهَدَايَتُهَا إِلَى طَرِيقِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ.

وكذا قوله تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا

ص: ٢٣٦

يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) ١ .

وَهَيْدِهِ مَلْحَمَةٌ قَرَأْنِيهِ عَمَّنْ هُوَ فِي الصَّفُوفِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ عَسِيلُ اللِّسَانِ وَالْكَلَامِ، وَلَكِنْ قَلْبُهُ مُخَالَفٌ تَمَامًا لِمَا يَظْهَرُهُ عَلَى لِسَانِهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْعِدَاوَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَالْآيَةِ تُخْبِرُ أَنَّهُ إِذْ تَوَلَّى الْأُمُورَ فَسُوفَ يَكُونُ سَعِيهِ فِي وِلَايَتِهِ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ وَإِهْلَاكًا لِلحَرِثِ وَالنَّسْلِ البَشَرِيِّ وَالْحَالُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَحِبُّ الْفَسَادَ فِي التَّكْوِينِ، وَأَنَّ خَاصِيَهُ هَذَا الْمَتَوَلَّى التَّعَصُّبَ لِفِعْلِهِ أَمَامَ تَضْحِيهِ الْآخِرِينَ لَهُ، كَمَا أَنَّ هَيْدَةَ الْآيَةِ تُحَدِّدُ أَغْرَاضَ الدِّينِ - بِمَا فِيهِ الْجِهَادَ الْإِبْتِدَائِيَّ - بِأَنَّهُ لَيْسَ لِلْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ وَإِهْلَاكِ الْمَوَارِدِ الطَّبِيعِيِّهِ أَوْ الْإِنجَازَاتِ الْمَدْنِيَةِ الَّتِي حَقَّقَهَا الْبَشَرُ وَلَا الْهَدَفِ تَبْدِيدِ النَّسْلِ الْبَشَرِيِّ.

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَوْ لَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ...) ٢ .

فَهَذِهِ الْآيَاتُ تَرَسِّمُ مَلْحَمَةً مُسْتَقْبَلِيَةً لَجَمَاعِهِ (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) وَهَذَا الْجَمَاعَةُ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي سُورَةِ الْمَدَّثَرِ رَابِعِ سُورَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَوَائِلِ الْبَعْثَةِ الشَّرِيفَةِ فِي مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ، وَأَعْلَنَ وَجُودَهَا فِي صَفُوفِ الثَّلَاةِ الْأُولَى الَّتِي أَسْلَمَتْ، قَالَ تَعَالَى: (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ...) ٣ .

فَإِنَّ الْآيَاتِ تُبَيِّنُ أَنَّ الْمُخَاطَبَ الَّذِي تَعَدَّهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِالنَّارِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: الْأُولَى: (الَّذِينَ آمَنُوا) وَالثَّانِي: (الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ) الثَّلَاثُ: (الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) وَالرَّابِعُ: (الْكَافِرُونَ) وَتَخْبِرُ أَنَّ الَّذِي سَيَحْصِلُ لَهُ الْإِيمَانُ هُمَا الْقِسْمَانِ الْأُولَانِ أَمَّا الْقِسْمَانِ الْآخِرَانِ فَسَيَحْصِلُ لِكِلَيْهِمَا الْإِرْتِيَابُ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْمَرَضَ الَّذِي فِي الْقَلْبِ نَحْوُ مِنَ النِّفَاقِ الْخَفِيِّ جِدًّا، أَيْ الَّذِي لَا يَظْهَرُ عَلَى صَاحِبِهِ، يَلُجُّ فِي قَلْبِهِ وَخَفَاءُ أَعْمَالِهِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ تَتَابَعُ هَذِهِ الْفِتْنَةَ وَالْجَمَاعَةَ فِي كَثِيرٍ مِنَ السُّورِ، تَحْتَ هَذَا الْعِنَاوَانِ، وَبِهَذَا الْاسْمِ إِلَى آخِرِ حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَزُولِ الْقُرْآنِ.

وَالْآيَاتِ هُنَا مِنْ سُورَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تُبَيِّنُ أَنَّ غَرَضَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ هُوَ تَوَلَّى الْأُمُورِ وَالْأَخْذُ بِزَمَامِهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ الْغَرَضُ هُوَ وَرَاءَ انْضِمَامِهَا إِلَى صَفُوفِ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ: إِذْ إِنَّ خَبَرَ ظَفَرِ النَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ مُنْتَشِرًا قَبْلَ الْبَعْثِ كَمَا يَشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) .

فَقَدْ أَشَارَتْ الْآيَةُ إِلَى أَنَّ أَهْلَ الْآيَةِ إِلَى أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ وَيَنْتَظِرُونَ وَيَطْلُبُونَ الْفَتْحَ وَالنَّصْرَ وَالظَّفَرَ بِالنَّبِيِّ - الَّذِي سَيَبْعَثُ خَاتَمًا - عَلَى الْكَافِرِينَ مِنْ مُشْرِكِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَلَمَّا عَرَفُوا ذَلِكَ وَأَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ بُعِثَ كَفَرُوا بِرِسَالَتِهِ، فَالسُّورَةُ تُبَيِّنُ أَنَّ غَرَضَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ (الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) هُوَ تَسْلِيمُ مَقَالِيدِ الْأُمُورِ هُوَ تَسْلِيمُ مَقَالِيدِ الْأُمُورِ، وَأَنَّهَا كَانَتْ عَلَى اتِّصَالٍ فِي الْخَفَاءِ وَارْتِبَاطٍ مَعَ فِتْنَاتٍ مُعَادِيَةٍ عَلَنًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

قالوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا... وكذلك بَقِيَهُ السُّورِ الْمُتَعَرِّضُ لِهَذِهِ الْفِتْنَةِ بِهَذَا الْاسْمِ تُشِيرُ إِلَى هَذِهِ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَبَيْنَ بَقِيَةِ الْفِتْنَاتِ الْأُخْرَى، ثُمَّ أَنَّ السُّورَةَ تُبَيِّنُ أَنَّ طَائِعَ سِيَاسَةِ الدَّوْلَةِ الَّتِي يَقِيمُهَا أَفْرَادُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ هُوَ الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ وَقَطْعُ الصَّلَةِ بِمَنْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِوَصْلِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ كَالَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ آيَةُ ٢٠٥ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ (وَ إِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) (٢٠٥) فَهَذِهِ الْآيَاتُ تُحَدِّدُ أَنَّ أَغْرَاضَ الشَّرِيعَةِ - فِي أَحْكَامِهَا وَقَوَانِينِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَأَبْوَابِ فَهْمِ النُّظَامِ وَالسِّيَاسَةِ الشَّامِلَةِ لِلْجِهَادِ الْإِبْتِدَائِيِّ - لَيْسَ الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ وَإِهْلَاكُ الْحَدِيثِ وَتَبْدِيدُ النَّسْلِ الْبَشَرِيِّ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ صِلَاحَ الْأَرْضِ وَأَهْلِهَا وَعِمَارَتَهَا، فَهَذَا هُوَ سَبِيلُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَمَرَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْعَدِيدَةَ بِالْقِتَالِ فِيهِ وَفِي سَبِيلِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لِأَجْلِ إِزَالَةِ اسْتِضْعَافِهِمْ وَإِرْجَاعِ حَقُوقِهِمْ الْمَغْتَصَبَةِ (١).

ثَانِيًا: وَبَعْدَ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ نَعُودُ لِنَذِكْرِ عِدَّةِ نَمَازِجٍ وَقُرْآنِيَّةِ عَلَى إِبْطَالِ نَمَازِجٍ مِنْ رَوَايَاتٍ أَسْبَابَ التَّنْزِيلِ الْمُحَرَّفَةِ فِي خُصُوصِ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ.

النموذج الأول: قوله تَعَالَى: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) (٢٠٥) .

بتقريب: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْرَجَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوِهِ أُحُدٍ مِنْ

ص: ٢٣٩

١- (١) الصحابه بين العدالة والعصمه، الشَّيْخُ مُحَمَّدُ السَّنْدُ: ص ١٢٢.

المدينة المنورة إلى ضواحي بدر(١) ونفس هَذَا الإخراج مِنْ المدينة شكَّلَ عامل نصر للنبي صلى الله عليه وآله وللمسلمين لا عامل هزيمه، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الشَّوَاهِدِ الْقُرْآنِيَةِ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ لِدَحْضِ بَعْضِ رَوَايَاتِ أَسْبَابِ التُّزُولِ الْمُتَّفَقَةِ وَالْمُزَيَّفَةِ وَالْمَزْعُومَةِ مِنْ قَبْلِ الْعَامَّةِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ وَالتِّي أَدْعَى فِيهَا أَنَّ سَبَبَ الْهَزِيمَةِ لِلْمُسْلِمِينَ هُوَ الْخُرُوجُ مِنَ الْمَدِينَةِ، كَذَلِكَ الْحَالُ فِي آيَاتِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ الدَّالَّةِ وَبِصِرَاحِهِ عَلَى أَنَّ نَفْسَ خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ هُوَ عَامِلٌ نَصَرَ لَهُمْ وَلَيْسَ سَبَبُ الْهَزِيمَةِ هُوَ الْقِتَالُ خَارِجَ جِدْرَانِهَا وَعِمْرَانِهَا وَأَنَّ سَبَبَ النَّصْرِ كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَوَاللَّهِ مَا غَزَى قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذُلُّوا»(٢).

وَهَذَا بَيَانٌ آخَرَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِدَحْضِ أَسْبَابِ التُّزُولِ الْمُتَّفَقَةِ.

وَالآيَةُ الْمُبَارَكَةُ تَدْمُ وَصِفَ حَالِ فَرِيقٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ:

الفريق الأول: بَأَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ كَارِهًا لِلْخُرُوجِ لِلْقِتَالِ فِي بَدْرِ وَلَيْسَ كُلَّهُمْ.

الفريق الثاني: (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) (٦) .

وَمِنْ هَذَا يَتَّضِحُ أَنَّ الْقُرْآنَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْخُرُوجَ إِلَى مَعْرَكَةِ بَدْرِ هُوَ سَبَبٌ لِلنَّصْرِ، وَأَنَّ جَمْلَةً مِنَ الصَّحَابَةِ وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ

ص: ٢٤٠

١- (١) بدر: - بئر يبعد عن المدينة حوالي (١٥٠ كم) وهو الموضع الذي مرَّتْ به قافلته أبي سفيان.

٢- (٢) نهج البلاغه، خطب الإمام على عليه السلام: ج ١، ص ٦٨.

كانوا كارهين للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف يفرض حسب روايات أسباب النزول المُلفَّقه والمزعومه وكتب السير أن عمر أحرص بغايات الحرب والجهاد من غيره، علماً أن عمر كان خائفاً من أصل الحرب والجهاد.

تأثير الحرب النفسية على المقاتل:

النموذج الثاني: قوله تعالى (و ما جعله الله إلا بُشْرَى وَ لَتَطْمَئِنَّ بِه قُلُوبُكُمْ وَ ما النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَ لِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوجِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) .

بتقريب: إن أحد أسباب النصر الإلهي الذي أمده الله للمؤمنين والمسلمين هو مسأله تأثير الحرب النفسية على الكفار. (سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب) وعليه فالرعب سلاح فتياك، يشير القرآن الكريم إلى أهميته، وأن الشجاعه لها دور كبير في الظفر والنصر لأن لها جانب روحي ونفسي؛ ولذا أحد شرائط الإمام أو الخليفه يجب أن يكون شجاعاً - كما تقدم تفصيله - لأن الخليفه أو القيادي إذا كان جباناً وفزأراً فإنه يوحى بعدم الظفر والهزيمة للمسلمين، وسيؤذيهم في الهاويه وتوحى اليأس؛ لأن العدو

دائماً يُناجز المسلمون بحربه الرُّعب والإرهاب.

إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سِيَأَلُنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ ... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ... بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ بُنِيَ الْمَصِيرُ) ١ .

بتقريب: هذه الآيات المباركة تُشير إلى أن فرقه من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله في بدر فزوا وانهزموا، ومع كونهم بدريين إلا أنهم ارتكبوا الفرار والحاله أن الأول والثاني لم يكونا على جراه نفسه من الحرب كما مر، بل ولا من نتائج الحرب.

ثم قالت الآية (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ... إِنَّ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَ إِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ... ٢)

بتقريب: إن نفس معركة بدر تبين أن أسباب النصر ليست كلها ماديته وإلا لیس هناك موازنه ماديته بين جيش المسلمين وجيش قريش، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ب - (٣١٣) ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان في عسكره فرسان، فرس للزبير بين العوام وفرس للمقداد بن عمر، وكان لهم سبعون جماً (١) يتعاقبون عليها لملاحقه قافلة قريش التي يقودها رأس الشرك والنفاق أبو سفيان، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى بن أبي طالب ومرثد

ص: ٢٤٢

١- (٣) وفي أعلام الوري للطبرسي: ج ١، ص ١٦٨ معهم ثمانون بعيراً.

بن أبي مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل مرثد(١).

بينما حزمت قريش لاستنقاذ قافلتهما التجاريه بأعداد مضاعفه وكبيره جداً من العده والعدد.

وهذا مما يدل أن الأسباب الروحيه والمعنويه والعقائديه لها دخل عظيم من صنع النصر سواء كان النصر عسكرياً أو أمنياً أو اقتصادياً أو سياسياً أو ثقافياً؛ ولذا الهزيمه الفكرية تشكل خطراً كبيراً جداً.

وبالتالي يتطابق هذا الشاهد مع مفاد الشاهد السابق.

ليس كل ملفات الحدث الأرضي حسيه:

الملفات الغيبية في غزوات النبي صلى الله عليه وآله

وكيفيه إداره الدوله الإلهيه:

هناك الكثير من الملفات الغيبية في حياه النبي صلى الله عليه وآله كانت إدارتها بيد الدوله الإلهيه الغيبية، فإن عدم علمنا بها وعدم اطلاعنا عليها وعلى أسرارها لا يعنى عدم وجودها؛ لأنه ليس من الضروري علمنا بها، وكذا ليس من الضروري الوقوف على الأسرار الإداريه في إداره استراتيجيات الدوله الإلهيه، ويكفى للمسلم والمؤمن ملاحظه ما جاء في القرآن الكريم بخصوص غزوه بدر وجود الملفات الغيبية وغير المرئيه إدارتها الدوله الإلهيه من دون أن يشعر بها المسلمون وغيرهم، فالآيه تقول: (و يُقَلِّلُكُمْ فِي

ص: ٢٤٣

١- (١) تقسيم القمى: ج ١، ص ٢٦٢ لعل بن إبراهيم بن هاشم القمى.

أَعْيَنَهُمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) ١ .

وَمِنْ خِلالِ هَذَا يُعْلَمُ أَنَّه لَيْسَ كُلُّ مِلفاتِ إدارَةِ الحِداثِ هِيَ بِأسبابِ مادِّيَةٍ ظاهِرَةٍ كِلا، وَإِنَّمَا بَعْضُها مادِّيَةٍ، فِفي الغِزواتِ والحِروبِ تُسَلِّطُ الأضواءَ والاهتماماتِ بِالجانِبِ المادِّيِ مِنْ تَهيئَةِ العِمدَةِ والعَدَدِ وما يَحْتَاجُهُ العِساكِرُ، هَذَا بِالنِسبَةِ لِلجانِبِ المادِّيِ والمرئِي والمَحسوبِ، وَأَمَّا الجِهَةُ غَيرَ المرئِيَةِ والغِيبِيَةِ، فَهَناكَ يَدُّ غِيبِيَةٍ تُدَبِّرُ بَعْضَ المِلفاتِ مِنْ حَيْثُ لا يَشعرونَ.

ولِذا كَما أَنَّ البَعْضَ يَسْتَشكِلُ وَيَعترضُ عَلَي ما كَتَبَهُ بَعْضُ عِلمائِنا الأعلامِ مِنَ الفُقاهاِ وغيرِهِم حِولِ واقِعِهِ عاشِوراءَ ومِصرِجِ سَيدِ الشَهادَةِ أِبي عَبْدِاللهِ الحَسَنِ عَلِيهِ السَلامِ وَأَنَّ فِي هَذَا المِقتِلِ إِسفافٌ وَأُمُورٌ خِاليَةٍ.

إِلاَّ أَننا نَقولُ لِما هِوَ لِلمِعتَرِضِينَ: - مَنْ قالَ لِكُم: - إِنَّ كُلَّ مِلفاءِ الحِداثِ الأَرْضِي حَسِيَهُ ظاهِرُهُ ومادِّيَهُ، فَمِثْلاً بَعْضُ ما قالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وآلِهِ فِي واقِعِهِ بَدْرٍ... سَيروا وابشِروا فَإِنَّ اللهُ قَدُ وَعَدَنِي إِحدى الطائِفَتينِ، وَاللهُ لَكَأني الآنَ أَنظرُ مِصارِعَ القومِ».

وَهَذا الكِلامُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وآلِهِ قِبلِ واقِعِهِ بَدْرٍ، وبِالفِعلِ قَدُ تَحَقَّقَ ما تَنبأ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وآلِهِ، فَلَمَّ تَمَضَى حِفنُهُ مِنَ الأيامِ وَإِذا بَعِيونَ القَرشِيِّينَ وزِعمائِهِم صَرَعي وأَلقيتِ جِيفَهُم فِي القَلِيبِ تَلاحِقَهُمُ اللَعنَةُ والعِذابُ الأليمُ.

أو عَلَي رِوايَةٍ أُخَرَى بِأَنَّ رِساولَ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وآلِهِ قالَ: «... كَأَني بِمِصرِجِ فلانِ هَنا وبِمِصرِجِ فلانِ

ها هُنَا وبمصرع أبي جهل، وعته بن ربيعه، وشبيه بن ربيعه و... فَإِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ الْمِعْيَادَ» (١).

ولا يقتصر الجانب الغيبي عَلَى أنباء النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَا عَلَى إنزال النَّعَاسِ عَلَى أصحاب النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَنَامُوا، وَإِنَّمَا هُنَاكَ أُمُورٌ أُخْرَى غَيْبِيَّةٌ تُشَكِّلُ جِزَاءً مِنَ الْحَدَثِ الْأَرْضِيِّ، فَهَذِهِ الْمَلَفَاتُ الْغَيْبِيَّةُ الَّتِي شَارَكَتْ فِي إِدَارَةِ الْحَدَثِ لَا يَعْلَمُ بِهَا حَتَّى الْمُقَاتِلِينَ مِنَ الطَّرْفَيْنِ - الْمُسْلِمِينَ وَالْمَشْرُكِينَ - وَلَا يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ نَكُونَ غَيْبِيِّينَ فَقَطُ وَإِنَّمَا الْحَدَثُ يَشْتَمِلُ عَلَى جَنْبِهِ غَيْبِيَّةً وَأَمْوَاجَ غَيْرَ مُحَسَّوسَةٍ، وَعَلَى جَنْبِهِ، جَنْبَهُ مَادِّيَّةً مُحَسَّوسَةً، كَمَا ذَكَرْتُ سُورَةَ الْأَنْفَالِ كَثِيرًا مِنَ اللَّقَطَاتِ الْغَيْبِيَّةِ غَيْرِ الْمَرْتِيَةِ فِي وَقَعِهِ بَدْرٍ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ فِي وَقَعِهِ أُحُدٍ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ وَمُحَمَّدٍ حَوْلَ وَقَعِهِ الْخَنْدَقِ، وَكَذَلِكَ مَا فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ حَوْلَ وَقَعِهِ حَنِينَ ٢٤/٢٥.

إِذَنْ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَفْتَحُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَلَفَاتِ الْغَيْبِيَّةِ فِي مَشَاهِدِ غَزَوَاتٍ وَحُرُوبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيُؤَكِّدُ عَلَى وَجُودِ مَشْهَدٍ غَيْبِيٍّ يُزَامِنُ وَيُقَارِنُ الْمَشْهَدَ الْحَسْرِيِّ وَأَنَّ هَذَا مِنْ صَمِيمِ الْإِيمَانِ وَالْإِعْتِقَادِ وَالْإِرْتِبَاطِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ هَذَا خُرَافَةً وَكَسَلًا وَفِشَلًا بَلْ هُوَ تَرْجِمَانُ الْحَقِيقَةِ وَعَقِيدَةُ لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ فَلَيْسَ الْأَمْرُ غَيْبِيًّا مُحَضًّا وَلَا مَادِّيًّا مَرْتِيًّا مُحَضًّا، بَلْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ.

ص: ٢٤٥

وَهَذِهِ الْمَلَفَاتِ الْغَيْبِيَّةِ لَمْ يُعْطِهَا اللهُ تَعَالَى مَجَانًّا لِلْمُسْلِمِينَ بَلْ أَعْطَاهَا لِصَبْرٍ مَنْ صَبَرَ وَثَبَّتَ وَصِدْقٍ مَنْ صَدَقَ فِي صَفُوفِ الْمُسْلِمِينَ لَا لِأَجْلِ مَنْ فَرَّ وَانْهَزَمَ.

وَلِذَا فَإِنَّ مَا كُتِبَ أَعْلَامُنَا وَفَقَهَاؤُنَا حَوْلَ مَقْتَلِ وَمَصْرَعِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ أَوْ حَوْلَ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ مِنْ أَغْرَاضِ مَا كُتِبَ هُوَ لِأَجْلِ بَيَانِ أُمُورٍ مِنْهَا: التَّغْيِيرَ وَالْإِصْلَاحَ الْاجْتِمَاعِيَّ، لِثَلَا يُظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ يُوْعِزُّ إِلَى الْأَسْبَابِ الْمَادِّيَّةِ فَقَطُّ، بَلْ إِلَى أَسْبَابٍ مَعْنَوِيَّةٍ أَيْضًا وَهُوَ الصَّحِيحُ.

وَلِذَا تَضَرَّعَ خُلُصِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ وَالْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِلَّهِ تَعَالَى وَعَمَلُوا بَعْضَ الْأَعْمَالِ كَالصَّلَاةِ أَوْ الصَّدَقَةِ أَوْ الدُّعَاءِ أَوْ... السَّخِّ، هَذِهِ وَغَيْرَهَا سَاعَدَتْ عَلَيَّ أَنْزَالَ الْمَدَدَ الْغَيْبِيَّ، وَأَنَّ هُنَاكَ أَسْبَابًا خَفِيَّةً لَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ تُؤَثِّرُ فِي عَالَمِ الْمَادَّةِ وَالسَّيْطَرَةِ عَلَيَّ بِرِمَجَّتِهَا، فَمِثْلًا: - كَثِيرًا مَا يُؤَكِّدُ الْقُرْآنُ وَأَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَيَّ الْإِهْتِمَامَ بِالزَّرَاعَةِ وَأَنَّهَا عَصَبُ الْحَيَاةِ وَتَشَكَّلَ الْعُمُودَ الْفَقْرَى لِاِقْتِصَادِ الشُّعُوبِ وَالتَّأَكِيدَ مِنْ قَبْلِ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَيَّ الْجَانِبِ الْمَادِّيَّ وَتَهْيِئَةَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَالْبَذُورِ وَالْأَسْمَدِ وَغَيْرَهَا وَبِنَفْسِ الْوَقْتِ، لِمَاذَا يَأْمُرُ الْقُرْآنُ، وَكَذَا هَلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يُؤَكِّدَانِ عَلَيَّ الْإِتْيَانَ بِصَلَاةِ الْاسْتِسْقَاءِ، وَمَا هَذَا إِلَّا أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِأَمْرٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، فَمِنْ جِهَةٍ يَأْمُرُونَا بِالْأَسْبَابِ الْمَادِّيَّةِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبِي إِلَّا أَنْ يُجْرَى الْأُمُورُ بِأَسْبَابِهَا الْمَادِّيَّةِ مِنْ جِهَةٍ وَالْغَيْبِ

والخفيته من جهة أخرى.

إذن مثلما توجد هناك أسباب ماديّة في أيّ حدث تُركّز عليّها وتتعضّ منها، ولكن الجانب الرّوحي كذالك يجب أن نعتبر منه وأنّ له دور كبير في النّصر والظفر؛ ولذا نلاحظ القرآن يهتم بكلّ الجانبين المادّي والمعنوي والرّوحي ولا يُفترط بأحد منهما ويُعطى كلاً حقّه (يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون (١٤٥) .

بتقريب: إنّه من الجانب المادّي فاثبتوا ولا تنهزموا وتسلموا إلى الأعداء، وامسكوا الأرض ولا تتراجعوا وتقدّموا بعددكم وعدتكم نحوهم وربطوا هذا من الجانب المادّي، وأمّا من الجانب المعنوي والرّوحي واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون ، وبانضمام العالم المادّي إلى المعنوي والرّوحي فإنّه بالنتيجة يتحقّق الظفر والنّصر ولا يتّم النّصر بالاهتمام بأحدهما دون الآخر.

القرآن يذكر العامل المادّي والمعنوي

في جانب الشر كذالك:

هذا مضافاً إلى أن القرآن الكريم يذكر كلا العاملين - أيّ المادّي الحسيّ، والغيبيّ غير المرئيّ وغير الحسيّ - في معسكر الشرّ كذالك ولا- يقتصر ذكره لهما في معسكر الخير، بقوله تعالى: (وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا

ص: ٢٤٧

تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَنَا... ١ .

بتقريب: إِنَّ الْقُرْآنَ يُبَيِّنُنا بوجود مشهد غيبى ملكوتى شيطانى فى معسكر الشَّرِّ (وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ...).

وإنَّ نفس الشَّيْطَانِ يرى الجانبَ غَيْرَ المرئى فى معسكر الحَقِّ وَعَلَى ما جاء فى جملة من المصادر أَنَّ حامل رايه قريش فى معركة بدر هُوَ إبليس فى صورته شيرَاقه بن مالك، فَقَالَ لَهُم: اذفَعُوا إِلَيَّ رايَتكم فذفَعوها إليه... ونظر إبليس إلى جبرئيل فترجع ورمى باللواء! فأخذ منبه بن الحجاج بمجامع ثوبه، ثُمَّ قَالَ لَهُ: - ويلك يا سراقه تَفَتَّ فى أعضاء النَّاسِ! فركله إبليس ركلةً فى صدره، وَقَالَ: إِنِّي أرى ما لا ترون إِنِّي أخاف الله(١).

وَعَلَيْهِ فما من معسكر سواء كَانَ معسكر فكرى أو سياسى أو اقتصادى أو... الخ إلَّا وفيه جنبه حَقٌّ وجنبه باطل يلتقيان، وكذلك يوجد جانب غير مرئى حق وجانب غير مرئى باطل.

إِذْ مَضَّا لِلْأَسْبَابِ المادِّيَّةِ يوجد جانب غير مرئى بقسميه الحَقِّ

ص: ٢٤٨

١- (٢) تفسير العياشى: ج ٢، ص ٥٢-٦٥؛ والطوسى فى التبيان: ج ٥، ص ١٣٥؛ وبحار الأنوار: ج ١٩، ص ٢٧٠ عَنْ جَابِر.

والباطل، وهَيِّدِهِ وَغَيْرَهَا كُلَّهَا حَقَائِقُ قُرْآنِيهِ تَكْوِينِيهِ بَاهِرَةٌ يَذْكُرُهَا الْقُرْآنُ، وَمِنْ هُنَا يَنْبَغِي عَلَيَّ الْمُحَلِّلُ التَّأْرِيخِي وَالْإِسْتِرَاتِيْجِي إِذَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ تَحْلِيلُهُ نَاجِحًا وَمُسَدَّدًا فِي نَتَائِجِهِ وَرِسْمِ خَطِّهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ كِلَا الْمَشْهَدَيْنِ الْغَيْبِيِّ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّوَكُّلِ عَلَيَّ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَمُرَاعَاةِ الْمَشْهَدِ الْمَادِّي الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ وَإِنَّمَا أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ.

وَمِنْ خِلَالِ مَا تَقَدَّمَ تَبَيَّنَ أَنَّ أَيْ حَدِيثٍ يَحْصُلُ سِوَاءِ فِي مَعْسَكَرِ الْحَقِّ أَوْ الْبَاطِلِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ يُبَيِّنُ أَسْبَابَهُ الْمَادِّيَّةَ وَالْغَيْبِيَّةَ.

وَلَا يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ أَنَّ الْقُرْآنَ يَذْكُرُ فَقَطُّ الْأَسْبَابَ الْمَادِّيَّةَ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ التَّامَةَ لِلْحَدِيثِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالْإِلْمَامِ بِكِلَا الْجِهَتَيْنِ الْمَادِّيَّةِ وَالْغَيْبِيَّةِ؛ وَلِذَا يَعْتَرِضُ الْبَعْضُ عَلَيَّ مِنْ كَتَبَ فِي ذِكْرِ الْجَوَانِبِ الْغَيْبِيَّةِ فِي غَزَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَقَعَهُ الطَّفُّ وَالطَّرْفُ الْمَقَابِلِ مَعْسَكَرِ الْبَاطِلِ وَأَنَّهُ كَيْفَ تَوْثُرُ الْعَوَامِلُ الْغَيْبِيَّةِ أَيْ غَيْرِ الْمَرْتَبَةِ عَلَيَّ مَعْسَكَرِ الْحَقِّ وَمَعْسَكَرِ الْبَاطِلِ أَيْضًا هُوَ مِنْ بَابِ لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ بَلْ الْأَمْرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ.

فِيَتَحْصَلُ أَنَّ الْجَانِبَ الْمَادِّيَ يُمَثِّلُ جَانِبَ الْإِخْتِيَارِ وَالْأَمْرَ الْإِنْسَانِيَّ وَالْجَانِبَ الْغَيْبِيَّ يُمَثِّلُ الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ فَيَحْصُلُ التَّوَازُنُ بَيْنَهُمَا بِالْأَمْرِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ.

بِخِلَافِ نَظَرِهِ الصَّحَابِيِّينَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَّ فَإِنَّهَا كَانَتْ مُقْتَصِرَةً عَلَيَّ الْجَانِبِ الْمَادِّيِّ، وَمِنْ ثَمَّ أَخَذْنَا يَجْبِنَانِ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى الْحَرْبِ مَعَ قُرَيْشٍ فَكَيْفَ يُفْتَرَضُ أَنَّ الثَّانِيَّ سَبَّاقٌ إِلَى مَسْئُولِيَّاتِ الْحَرْبِ وَأَعْبَاءِهَا.

ثُمَّ قَالَتْ آيَةٌ عَلَى لِسَانِ هَؤُلَاءِ: (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ) ١.

بتقريب: أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَنَا وَنَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي أَرْضِ بَدْرٍ.

أَصْنَافُ وَطَوَائِفِ الْمُقَاتِلِينَ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ:

إِنَّ عَدَدَ الْمُقَاتِلِينَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ شَهِدُوا وَحَضَرُوا وَاقِعَهُ بَدْرَ كَانَ عَدَدُهُمْ (٣١٣) ثَلَاثًا وَثَلَاثَةَ عَشَرَ، وَكَانُوا عَلَى أَصْنَافٍ أَوْ طَوَائِفٍ أَوْ فَنَاتٍ ثَلَاثَةً:

الفئة الأولى: المؤمنون.

الفئة الثانية: وهُمُ الْمُنَافِقُونَ.

الفئة الثالثة: وهُمُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ.

والفئة الثانية والثالثة ليستا بمؤمنين، وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَيَّزَ بَيْنَهُمَا وَجَعَلَهُمَا فِئَتَيْنِ لَا فِئَةَ وَاحِدَةً وَذَلِكُمْ:

أَمَّا الْمُنَافِقُ: فَهُوَ الَّذِي يُظْهِرُ شَيْئًا وَيُخْفِي آخَرَ كَالنَّفَقِ.

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: فَقَدْ تَكَلَّفَتْ سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ (١) بَيَانًا

ص: ٢٥٠

١- (٢) قِيلَ إِنَّهَا رَابِعُ سُورَةٍ نَزَلَتْ فِي أَوَائِلِ الْبَعْثَةِ.

أوصافهم وأنَّ هُنَاكَ فَتْنَةٌ مِنَ الصَّيْحَابِ الَّذِينَ اسْلَمُوا فِي أَوَائِلِ الْبَعْثِ، فِيهِمْ فَتْنَةٌ خَطِيرَةٌ جَدًّا تَسْمَى فَتْنَةُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، وَبُنَيْنَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَنْ وُجُودِ أَدْوَارِ خَطِيرَةٍ جَدًّا مَرَّ بِهَا الْإِسْلَامَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ هِيَ السَّبَبُ فِي انْتِكَاسَتِهِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ.

وَلَا يُقَالُ: أَنَّ هَذِهِ مَلَفَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ مَكْتُوبَةٍ مِنْ قَبْلِ طَائِفَةٍ مَعِينَةٍ.

الْجَوَابُ: أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى جَوَابِ الْقُرْآنِ كَيْفَ يَصِفُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا الْإِثْمَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَزْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ... ١).

كَذَلِكَ جَاءَ وَصْفُ هَؤُلَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) ٢).

بِتَقْرِيْبٍ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ إِنْ اسْتَلَمُوا زَمَامَ الْأُمُورِ سَتَكُونُ النَتِيْجَةُ هُنَاكَ فِسَادٌ فِي الْأَرْضِ.

وهكذا قوله تعالى: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) ١ .

وقوله تعالى: (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ) ٢ .

وقوله تعالى: (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ٣ .

وقوله تعالى: (وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ) (١٢٥) ٤ .

وقوله تعالى: (وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) (١٢) ٥ .

وقوله تعالى: (لَيْسَ لَمْ يَتَّبِعِهِ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ) ٦ .

وقوله تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) (٢٩) ٧ .

ولذلك يخاطب القرآن نساء النبي صلى الله عليه وآله: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ

مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ (١).

بتقريب: إنَّ عدسه القرآن والعين الرقابيه فيه بيّنت أنّ هؤلاء الصّحابه الذين في قلوبهم مَرَضٌ همّ ممّن لهم ذهاب وإياب داخل بيت النّبى صلى الله عليه وآله ويتحدّثون مع زوجات النّبى صلى الله عليه وآله، وأمّا المسلم الذى هو من أقاصى البلاد فإنّه ليس له ذهاب وإياب داخل بيت النّبى صلى الله عليه وآله وَعَلَيْهِ فَلَا يَكُونُ خُطَابُ الْقُرْآنِ مَوْجَهًا إِلَيْهِ.

وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُفْصَحُ عَنْ حَقَائِقَ كَثِيرَةٍ بِشَرَطِ أَنْ لَا تَحْجِبْنَا أَسْبَابُ النُّزُولِ الْمُزَيَّفَةِ وَالْمُلَفَّقَةِ عَنْ مَفَادِ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ الْبَيِّنِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ رَوَايَاتِ أَسْبَابِ النُّزُولِ اخْتَلَقَتْ وَدُلِّسَتْ وَزُيِّفَتْ وَكُتِبَتْ بِأَقْلَامِ مَاجُورَةٍ لِحِجْبِ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ بَدَلِ أَنْ تَكُونَ مَفْصَحًا حَقِيقًا لِحَقَائِقِهِ، وَلَيْسَتْ الْمَشْكَلَةُ فِي اخْتِذَاكَ أَحَدٍ مَحْقِقِي الْخَاصَّةِ بِرَوَايَاتِ أَسْبَابِ النُّزُولِ اخْتِذَاكَ الْمُسْلِمَاتِ وَمِنْ دُونِ تَحْقِيقِ، وَإِنَّمَا عَمْدُهُ الْمَشْكَلَةُ تَكْمُنُ فِي أَنَّ هُنَاكَ خَطُّهُ أَوْ مَوَاطِنُهُ حَيْكَةٌ وَأُخْبِكْتُ مِنْ قَبْلِ الْأُمَوِيِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ وَأَتْبَاعِ الطَّرْفِ الْآخِرِ لِحِجْبِ أَنْوَارِ الْقُرْآنِ وَالتَّشْوِيشِ عَلَيْهَا لِثَلَاثِ أَجْيَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَصِيبَةُ الْعَظِيمَةُ مِنْ حِجْبِ أَنْوَارِ الْقُرْآنِ عَنْ عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ.

وَعَلَيْهِ فَلَوْ رَجَعْنَا إِلَى ذَلِكَ فِي آيَةِ ٤٩ مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ: فَإِنَّهَا تُشِيرُ إِلَى

الحقائق التي يُنادى بها القرآن مع أنّ هـذِهِ الحقائق خطيرة جداً حول الصدر الأوّل من تاريخ الإسلام، وحول مشهد عظيم منه يرتسم بناء الإسلام، علماً أنّ العدسه القرآنيّة تلاحق هؤلاء الذين وصّفوا بوصف: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) كما حَقَّقَ هَذَا المطلب بَعْضُ كبار مُحَقِّقِي الخاصّه، وأنّ هؤلاء موجودون مُنذُ أوائل البعثه النبويّه وأوائل بذره الإسلام، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قولهُ تَعَالَى: (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) ١٢).

بتقريب: أنّ هؤلاء يستمر وجودهم إلى ما بَعَدَ رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لِأَنَّ القرآن أعطى لنا صورته واضحه وجليه عن الأحداث التي ستقع بَعْدَ وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وَحَدَّرنا مِنْ فِيهِ خطيره (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) فما بالك هل تريد أن نَعُضَّ الطرفَ عَنْ مثل هؤلاء وَلَمْ نذكر روايات أهل البيت عليهم السلام التي بَيَّنَّتْ أَنَّ القرآن يبيّن حقائق ويبقى هؤلاء المُلَفَّقُونَ يصولون لوحدهم في ساحة التفسير وأسباب النزول مِنْ دون رَدَعِ (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) ٢.

والخلاصه: مِنْ كُلِّ هَذَا أَنَّ هَذِهِ الآيات المَبَارَكَة وغيرها لو تتبعناها بدقّه سوف ترسم لنا خارطه قرآنيه عظيمه وعجيبه التركيب.

هَذَا كُلُّهُ ببركه استعانه الباحث الكريم بالتنبيهات التي تُشير إليها روايات أهل البيت عليهم السلام في أسباب النزول، لا أن نأخذ بها مِنْ باب التعبد

الظنى المُبهم، يَلُ من باب انكشاف العلم من بياناتهم وإرشاداتهم عليهم السلام؛ فإنَّ الباحث في تفسير القرآن حتَّى لو كَانَ لا يؤمن بحجَّيه أهل البيت عليهم السلام - والعياذ بالله - إلَّا أنَّ مراجعه بيانات أهل البيت عليهم السلام تلفته إلى وجود حقائق في القرآن أُسدلت الستار عَلَيْهَا السُّلطات الظالمه والمُتسلطه عَلَى رقاب المسلمين وغيرهم لأجل تعميهِ أجيال المسلمين.

عدم استسهال بحث قَاعِدِه أسباب النُّزول:

ولذا فَإِنَّ بَعْضَ روايات أسباب النُّزول المُؤَلَّفقه والمُزَيِّفه رُويت لتعميهِ حقائق القرآن وأثرت أثرها السلبى وبشكل كبير جعلت بَعْضَ مُحققى الخاصه يتأثر بالمنهج الأموى من حيثُ يشعر أو لا يشعر؛ ولذا ينبغي علينا جميعاً أن لا نستسهل بحث قَاعِدِه أسباب النُّزول وتمحيصها والرجوع إلى مصادرها وطرقها وتدقيقها وتحقيقتها.

ولذا نواجه مشكله أُخرى أَنَّهُ حتَّى في تدوينات بَعْضَ عُلَمَاءِ الخاصه سواء الفقهيِّه وغيرها تأثرت بالشاكله الموجوده في مدرسه الطرف الآخر، وَهَذَا بالتالى أدى إلى الوقوع في كثير من الأخطاء في البنى الفقهيِّه المُتبناه من قبل البعض.

هَذَا بحث علمى لا بُدَّ من عرضه عَلَى الثَّقَلين - مُحكمات الكتاب وأهل البيت عليهم السلام - لكى تمَّحَّص الحقيقه أكثر فأكثر.

ثُمَّ أَنَّهُ لا بُدَّ من التنبيه عَلَى أمر مهم ألا وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ الَّذِينَ في قلوبهم

مَرَضَ قَالُوا كَيْفَ هَؤُلَاءِ الْمَسْلُومُونَ الشُّدْحَ وَالْبُسْطَاءَ أَخْرَجَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِمُوَاجَهَةِ قَرِيشِ الْكَافِرَةِ
وَالْمُدْجَجَةِ بِالسَّلَاحِ وَالَّتِي تَفُوقُهُمْ عَدَّةً وَعَدَدًا، عَلِمًا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَسْلُومُونَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ دِينَهُمْ يَمْتَلِكُ أَكْبَرَ قَدْرِهِ أَرْزَلِيهِ وَعَلَيْهِ كَيْفَ
يَصِفُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ اعْتِقَادَ الْمَسْلُومِينَ بِدِينِهِمْ أَنَّهُ اغْتَرَارٌ.

مُضَافًا إِلَى أَنَّ صَرِيحَ الْقُرْآنِ يَقُولُ: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (١٣) وَإِذْ
يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٩) .

وَفِعْلًا تَحَقُّقَ النَّصْرِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي وَعَدَ النَّبِيُّ الْمَسْلُومِينَ بِهِ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، خِلَافًا لِمَا تَوَهَّمَهُ الْقَائِلُ مِنَ الصَّحَابَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّهَا قَرِيشٌ وَخِيَلَائُهَا مَا آمَنَتْ مُنْذُ أَنْ كَفَرْتَ وَلَا ذَلَّتْ مُنْذُ عَزَّتْ، وَلَمْ تَخْرُجْ أُنْتَ عَلَى هَيْئَةِ الْحَرْبِ (١).

وَبَعْضُهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّ قَرِيشًا مُضَافًا لِمَا تَقَدَّمَ أَنَّهَا لَمْ تُسَلِّمْ عَزَّهَا أَبَدًا وَلِتُقَاتِلَنَّكَ فَاتَهَبْ لَذَلِكَ أَهْبَتَهُ وَأَعَدَّ لَذَلِكَ
عِدَّتَهُ (٢).

ص: ٢٥٦

١- (٣) المغازي لابن إسحاق: ج ٢، ص ٢٦٦.

٢- (٤) الواقدي: ج ١، ص ٤٨؛ وصحيح مسلم: ج ٥، ص ١٧٠؛ والبداية والنهاية لابن الأثير: ج ٣، ص ٢٦٣؛ والسيرة النبوية لابن
كثير: ج ٢، ص ٣٩٤.

بخلاف ما قاله المقداد بن الأسود الكندي لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله إِنَّا قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وشهدنا أَنَّ ما جئت به مِنْ حَقٍّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ولو أمرتنا أَنْ نخوض جمر الغضا - والغضا شجر صلب الأخشاب يتقد طويلاً - وشوك الهراس - الهراس شجر شائك - لخضنا معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ... فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ، ولكن نقول: اذهب أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا- إِنَّا معكما مقاتلون - فجزاه النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله خيراً، ومرجع الضمير (عزَّ هؤلاء) بحسب تركيب الآيه يعود إلى المنافقين وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، وفي هَذَا البحث ملفات أمنيته وتاريخيه وسياسيه خطيره جداً لا يقوى أَحَدٌ عَلَى فتحها إِلَّا بما وَرَدَ مِنْ تعليمات مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهَذِهِ التَّعْلِيمَاتُ لَا يُلْزَمُ الْأَخْذَ بِهَا مِنْ بَابِ التَّعَبُّدِ الظَّنِّي وَإِنَّمَا مِنْ بَابِ الْإِرْشَادِ وَإِلْفَاتِ النَّظَرِ لِأَنَّ مَبْدَأَ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَائِمٌ فِي أُسَاسِهِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ.

النموذج الثالث: قوله تَعَالَى: (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْجِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ... لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَيِّقٌ لِمَسْكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَيْدَابٌ عَظِيمٌ ... إِنَّ يَعْزِمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ١ .

بتقريب: إِنَّهُ حَسَبَ أَسْبَابِ التَّنْزِيلِ الْمُتَّفَقَةِ وَالْمَزْعُومَةِ وَرَدَّتْ رَوَايَاتٌ لَدَيْهِمْ - الْعَامَّةُ - زَعَمَ أَنَّ مَفَادَ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ هُوَ: -

أولاً: عتابُ للنبي صلى الله عليه وآله مِنْ الله وَأَنَّهُ لَمَّا قَتَلَ الْأَسْرَى.

ثانياً: أَنَّ مَوْقِفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ خَطَأً فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَأَنَّ مَوْقِفَ الثَّانِي الَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِقَتْلِ الْأَسْرَى هُوَ الصَّوَابُ.

وإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَحْتَمَلُ فِي أَسْبَابِ التُّزُولِ أَنَّ الْآيَاتِ الْمُبَارَكَةَ فَصَّلَتْ بَيْنَ حَالَتَيْنِ:

الحالة الأولى: يُخَيَّرُ الْمُسْلِمُ الْمُقَاتِلُ بَيْنَ قَتْلِ الْأَسِيرِ وَأَسْرِهِ فِي مَا إِذَا كَانَتْ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةَ ثَابِتَةً وَقَوِيَّةً.

الحالة الثانية: يُقْتَلُ الْأَسِيرُ إِذَا لَمْ تَكُنْ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةَ قَوِيَّةً، وَالسَّرُّ فِي ذَلِكَ هُوَ إِقْدَاءُ الرَّعْبِ.

وَرُتِبَ عَلَى هَذِهِ الرُّوَايَاتِ لِأَسْبَابِ التُّزُولِ الْمُؤَلَّفَةِ أُمُورٌ عَقَائِدِيَّةٌ خَطِيرَةٌ جَدًّا.

مِنْهَا: فَتْحُ بَابِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَجْتَهِدُ وَيَخْطِئُ، وَهُوَ بَابٌ عَجِيبٌ وَكَيْفَ يَجْمَعُونَ بَيْنَ هَذَا الْإِدْعَاءِ وَآيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَادِحَةِ بِالْعَصْمَةِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالتَّدْبِيرِ وَالْأَمْرِ بِاطَاعَتِهِ مِثْلَ (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَابِعُوا لِلرَّسُولِ فَإِنْ تَوَلَّوْا...١).

وقوله تَعَالَى: (وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) ٢

وقوله تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (١) وقوله تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٢) وقوله تَعَالَى: (وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) ٣ .

ولنا أن نوجّه سؤالاً لأصحاب روايات أسباب النزول المُلَفَّقه: - هل في القرآن تناقض وارتباك بين آياته أو لا؟ فإنّ أجابوا: نعم، فأيهما أحقّ بالاتباع: القرآن الذي يقول: (كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ) (١) وقوله تَعَالَى: (وَ إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (٤٢) ٥ .

أم هم أحقّ بالاتباع وأنهم بشرٌ وليسوا بمعصومين من الوقوع بالخطأ؟

وَبَعْدَ اتّضَاحِ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ: - نَسْأَلُ كَيْفَ يُجْمَعُ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ) وَ (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) وَبَيْنَ تَقْدِيمِ اعْتِرَاضِ الصَّحَابِيِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ؟

الجواب: كيف يصحّ هكذا تلفيق ظاهر وواضح للعيان في منظومه

ص: ٢٥٩

١- (١) سورة النساء: الآية ٥٩.

القرآن، علماً أنّ نفس أصحاب أسباب النزول المُلَفَّقه يروون في كتب التفسير أنّه في سورة الحجرات: - أنّ الأوّل والثاني هلكا بسبب تقدّمهما على الله ورسوله لولا أنّ يتوبا، أي أنّ التقدم على الله ورسوله صلى الله عليه وآله منهى عنه، وَعَلَيْهِ فَكَيْفَ يُصَادِقُ الْقُرْآنَ مَرَّةً أُخْرَى تَصْوِيبَ مَوْقِفِ الصَّحَابِيِّ الثَّانِي وَتَخَطُّهُ مَوْقِفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وحاشاه صلى الله عليه وآله من الخطأ - وهل هَيْدًا معناه أنّ منظومه القرآن قد حصل فيها ارتباك وإرباك لا سامح الله بمثل هكذا دعاوى في أسباب النزول المُلَفَّقه؛ ولذا ذكرنا مراراً أنّ أحد المناهج المِهْمَة لتمحيص روايات أسباب النزول هو مجموعته منظومه محكمات القرآن الكريم لا الاقتصار على مفاد الآيات النازله.

ثُمَّ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى أَنَّ مَا وَرَدَ فِي الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الْأَسْرَى مَلَاظِمُهُ مَنْ هُمُ الْأَسْرَى الَّذِينَ أَشَارَ الْخَلِيفَةُ الثَّانِي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِقَتْلِهِمْ؟

حَيْثُ كَانَ ضَمِنَ الْأَسْرَى الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ وَعَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ أُسْرَهُمَا أَبُو الْيَسْرِ الْأَنْصَارِيُّ وَجَاءَ بِهِمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَلْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ؟ قَالَ أَبُو الْيَسْرِ: نَعَمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَاكَ مِنْ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ قَالَ الْعَبَّاسُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: - يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كُنْتُ أَسْلَمْتُ وَلَكِنَّ الْقَوْمَ اسْتَكْرَهُونِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنْ يَكُنْ مَا تَذَكَّرُ حَقًّا فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيكَ عَلَيْهِ... الخ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: - يَا أَبَا يَزِيدَ قَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا جَهْلٍ بَنَ هِشَامٍ، وَعَتَبَةَ ابْنَ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ ابْنَ رَبِيعَةَ، وَثُبَيْهَ وَمَنْبَةَ ابْنِي الْحِجَّاجِ، وَنَوْفَلَ

بن خويلد، وسهيل بن عمر، وفلاناً وفلاناً، فقال عقيل: - فإن كنت قد أخذت القوم إذا لا تنازع في تهامه وإلا فاركب أكتافهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله (١).

وَمِنْ هَذَا يُعَلِّمُ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلِبِ كَانَ مُسْلِمًا لَكِنَّهُ خَفِيَ إِسْلَامَهُ وَأُوتِيَ بِهِ مُرْغَمًا لِلْحَرْبِ، وَهَكَذَا عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلِمًا إِنَّ مَوْقِفَ عَقِيلٍ كَانَ مُتَضَامِنًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعَلَيْهِ فَمَا هِيَ الْأَعْرَاضُ الَّتِي تَقِفُ وَرَاءَهَا أَسْبَابُ النَّزُولِ الْمُلْفَقَةِ مِنْ قَتْلِ هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى، وَكَانَ بَضْمَنَهُمْ مُسْلِمُونَ، أَفْهَلُ يَجُوزُ قَتْلُ الْمُسْلِمِ الْمُكْرَهَ عَلَى الْمَجِيءِ لِأَرْضِ الْمَعْرَكَةِ مِنْ دُونِ أَنْ يُقَاتَلَ؟!.

هَذَا مُضَافًا إِلَى الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ لَيْسَ الْخَطَابُ فِيهَا خَاصٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخَجَرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا) ٢ وَعَلَى فَرَضِ شَمُولِ خَطَابِ (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا) ٣ الْآيَةِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِنَّهُ تَقَدَّمَ أَنَّ صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْبَدْرِيِّينَ عَلَى طَوَائِفِ ثَلَاثَةِ: - طَائِفَهُ مُؤْمِنَهُ، وَأُخْرَى مَنَافِقَهُ وَثَلَاثَةَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، وَهَؤُلَاءِ الْمَنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُرِيدُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

ص: ٢٤١

١- (١) مجمع البيان للطبرسي: ج ٤، ص ٨١٢؛ سيره ابن هشام: ج ٢، ص ٣٩٨؛ والمغازي للواقدي: ج ٢، ص ١٢٥.

والنكته المَهْمَه التي نريد التنبيه عَلَيْهَا هُوَ أَنَّ الخطاب فِي الآيه المُبَارَكه لَيْسَ مَوْجَهًا إِلَى رسول الله صلى الله عليه وآله وَأَنَّهُ صلى الله عليه وآله لَيْسَ مَشْمُولًا بِالخطاب، وَهُوَ الصحيح حسب أسباب النُّزول الصحيحه والوارده عَنْ طريق مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وَهَذَا بخلاف ما ذكرته أسباب النُّزول المُلَفَّقه مِنْ شمول الآيه المُبَارَكه لرسول الله صلى الله عليه وآله.

وهل يا ترى أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يُرِيدُ عَرَضَ الحياه الدُّنْيَا؟! - والعياذ بالله - إِلَّا أَنَّهُ وبحسب أسباب النُّزول الصحيحه والوارده عَنْ أهل البيت عليهم السلام أَنَّهُ توجد عِدَّة قرائن دامغه حاله ومقائله تُدحض ما تدعيه أسباب النُّزول المُلَفَّقه، عَلَى أَنَّ المُخاطب فِي آيه (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا) هُمُ المسلمون فَقَطْ مِنْ دون شمولها للرسول صلى الله عليه وآله وَهِيَ:

القرينه الأولى: قوله تَعَالَى (لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٦٨) .

بتقريب: إِنَّ الله تَعَالَى لا يُعَذِّبُ الأُمَّه الَّتِي فِيها رسول الله صلى الله عليه وآله بدليل صريح قوله تَعَالَى (وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ) ٢ وَعَلَيْهِ فَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وآله مصدر رحمه وعدم معاجله العقوبه مِنْ الله سُبْحَانَهُ إِلَى المسلمین البدرين، ولهذه الأُمَّه هُوَ كرامه لرسول الله صلى الله عليه وآله، وَالْمُرَادُ مِنْ (لَمَسَّكُمْ) أَيْ لَعَجَلت عَلَيْكم العقوبه وَلَمْ يعجل العقوبه ببركه وجود الرسول صلى الله عليه وآله

بينكم.

ولا يعنى هَذَا أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله هُوَ الْمُعَاتَبُ وَمَشْمُولٌ لِلآيَةِ.

حكم الأسارى:

الرسول صلى الله عليه وآله مُخَيَّرٌ بَيْنَ الْفِدَاءِ أَوْ الْمَنِّ:

بحث هام مرتبط بالآية المباركة (ما كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ...١).

بتقريب: أَنَّ الرسول صلى الله عليه وآله يمكن أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَسَبَ قَانُونِ الْجَيْشِ وَالْعَسْكَرِ وَالْحُرُوبِ، وَيَتَعَامَلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ الْأُسْرَى بَعْدَ أَنْ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا - أَيْ سِلَاحَهَا - وَيُلْقَى الْعَدُوَّ سِلَاحَهُ وَيُظْفِرُ بِهِ، وَهُنَا - الْقَائِدُ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّذِي لَهُ أُسْرَى مِنْ الطَّرْفِ الْآخِرِ الْمُشْرِكِينَ - مُخَيَّرٌ بَيْنَ الْفِدَاءِ أَوْ الْمَنِّ «إِمَّا فِدَاءً أَوْ مَنًّا» (١) هَذَا كُلُّهُ بِحَسَبِ أَسْبَابِ النُّزُولِ الصَّحِيحِ.

إِلَّا أَنَّهُ حَسَبَ أَسْبَابِ النُّزُولِ الْمُتَّفَقِ وَالْمَزْعُومِ فَسَّرُوا الْآيَةَ (حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ) بِمَعْنَى أَنَّهُ مَا دَامَ الْإِسْلَامُ فَتَى وَلَمْ يَقَوْ شَوْكَتَهُ بَعِيدٌ وَلَمْ يَنْتَشِرْ فِي الْأَرْضِ فَلَا يُدَّ مِنْ قَتْلِ الْأَسِيرِ. وَهَذَا مَا يُبْطِلُهُ الْقُرْآنُ فِي سُورَةِ مُحْكَمِهِ أُخْرَى (فَإِذَا لَقَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ

ص: ٢٤٣

١- (٢) سورة مُحَمَّد: الآيه ٤.

فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) ١ .

بتقريب: أن موضوع الآيتين المحكمتين واللّتين هُمَا مِنْ أُمّهَات الآيات المُحكّمه واحد ومتطابق وَهُوَ القتال - بحسب أسباب النُّزول الصحيحه - وَهُوَ لا أُسر إلَّا بَعِيد الإِثخَان، وَهَذِهِ الآيه الثَّانِيه (حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمُوهُم فَشَدُّوا الوَثَاقَ...) جعلت للأسر حَدًّا وَهُوَ فيما إِذَا أَثَخْتُمُوهُم أَى أَكثرتم فيهم القتل والقتلى وتمكّنتم منهم وظفرتم بهم واستسلموا وألقوا أسلحتهم، مِنْ هُنَا يبدأ قانون الأسر وكيفيه التعامل معه حسب هَذِهِ الآيه إِمَّا فِدَاءً أَوْ مَنَّا، وَلَمْ تتعرض لمسأله قتل الأسير بَعِيد الإِثخَان وَهُوَ كِنَايه عَنْ انتهاء الحرب.

وَعَلَيْهِ فَالآيه صريحه بعدم جواز قتل الأسير بَعْدَمَا ذكرت الآيه المُبَارَكه حكم الأسير وَهُوَ إِمَّا الفداء أَوْ المن.

إِذْ لو دَقَّقْنَا فِي الآيه المُبَارَكه (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ) بِأَنَّ هَذَا القتل لَهُ غايه، وَهِيَ (حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمُوهُم) بتقريب: أَنَّ مفاد الإِثخَان فِي القرآن هُوَ كِنَايه عَنْ انتهاء الحرب إِذَا ظفرتم بهم.

إِذْنِ الآيه المُبَارَكه بَيَّنَّت نكته لطيفه وَهِيَ أَنَّ ضرب الرِّقَابِ لَيْسَ مُطلقاً وَإِنَّمَا لَهُ غايه مُحدده وَهِيَ فتره انتهاء الحرب، هَذَا بحسب أسباب النُّزول، وَإِنَّمَا لَهُ غايه مُحدده وَهِيَ فتره انتهاء الحرب، هَذَا بحسب أسباب

النُّزول الصحيحه، بخلاف ما ذكرته أسباب النُّزول المُلَفَّقه مِنْ أَنْ فتره قتل الأسرى تمتد وتستمر إلى ما بَعْدَ انتهاء المعركه، بينما الاستمرار غير مذكور في سوره الأنفال: (ما كان لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ) ١، بَلْ التَّقْيِيدُ هُوَ بِالْإِثْخَانِ فِي الْأَرْضِ وَمَعْنَى الْإِثْخَانِ قَدْ ذَكَرَ فِي سوره مُحَمَّد، وَهُوَ وَضْعُ الْحَرْبِ أَوْزَارَهَا، وَمِنْ ثَمَّ حَاوَلَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَرْتَكِبَ دَعْوَى النِّسْخِ بَيْنَ السُّورِ - أَيْ سوره مُحَمَّد ناسخه لسوره الأنفال.

ويدفعه:

أولاً: أَنَّ الْمَذْكُورَ فِي سوره مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَيْضاً هُوَ لَفْظُ الْإِثْخَانِ كَفَيَاهُ كَمَا ذُكِرَ، لَفْظُ (تَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) تَفْسِيرٌ لَهُ - لِلْإِثْخَانِ.

ثانياً: إِنَّ الْإِقْرَارَ بِالنِّسْخِ يَدْفَعُ مَا يَبْنِي عَلَيْهِ الْعَامَّةُ فِي فِقْهِهِمْ مِنْ جَعْلِ غَايَةِ الْجِهَادِ الْإِبْتِدَائِيِّ هُوَ قَتْلُ الْكَافِرِ إِلَّا أَنْ يُسَلَّمَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَارَباً وَلَا مُعْتَدِياً فَإِنَّ الْأَسِيرَ الْكَافِرَ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ لَا يُقْتَلُ عَلَى الْقَوْلِ بِالنِّسْخِ وَإِنْ لَمْ يُسَلَّمْ، بَلْ عَلَى الْقَوْلِ بِالنِّسْخِ يَكُونُ غَايَةُ الْحَرْبِ فِي الْجِهَادِ الْإِبْتِدَائِيِّ هُوَ أَسْلَمَتِ النِّسْخِ لَا أَسْلَمَتِ الْعَقِيدَةَ.

ثالثاً: أَنَّ النِّسْخَ لَا يَتْلَأَمُ مَعَ لِحْنِ مَفَادِ آيَةِ الْأَنْفَالِ مِنْ كَوْنِ ذَلِكَ سُنَّةَ إلهِيَّةٍ لَا تَقْبَلُ التَّبْدِيلَ وَالتَّحْوِيلَ، كَمَا هُوَ مَفَادُ قَوْلِهِ تَعَالَى: (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ...) ٢ .

ص: ٢٤٥

فَتَحْصَلُ: أَنَّ الْإِقْرَارَ بِالنَّسْخِ يَسْتَلْزِمُ الْحُكْمَ بِزَيْفِ أَسْبَابِ النُّزُولِ الْمَزْعُومَةِ عِنْدَهُمْ مِنْ الْأَشْتِغَالِ بِتَأْسِيرِ الْأَسْرَى وَالْحَرْبِ قَائِمَةً فِعْلًا لَيْسَ صَحِيحًا؛ لِأَنَّ هَكَذَا فَعَلَ فِيهِ تَعْرِيزٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْهَزِيمَةِ؛ لِأَنَّهُمْ سَيَنْشَغَلُونَ بِشَأْنِ الْأَسْرَى وَإِنَّمَا الْآيَةُ تَحْتُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَوَاصِلِهِ الْقِتَالِ وَعَدَمِ الْإِنْشِغَالِ صَوْبَ الْغَنَائِمِ حَتَّى تَنْتَهِيَ الْحَرْبُ، وَعَدَمِ أَخْذِ أَسِيرٍ أثنَاءَ قِيَامِ الْمَعْرَكَةِ.

مُضَافًا إِلَى أَنَّ سُورَةَ الْأَنْفَالِ لَيْسَ فِيهَا مَفَادٌ لَا تَأْسِرُونَ الْأَسِيرَ بَعْدَ الْإِثْحَانِ وَإِنَّمَا فِيهَا نَهْيٌ عَنْ أَسْرِ الْأَسِيرِ قَبْلَ الْإِثْحَانِ - أَيْ قَبْلَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ - وَعَلَيْهِ فَالْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ تَنْهَى عَنْ التَّأْسِيرِ أثنَاءَ الْحَرْبِ لَا أَنَّهُ لِمَاذَا لَمْ يُقْتَلِ الْأَسِيرُ بَعْدَ الْحَرْبِ.

إِذَنْ أُيِّهِيَ الْبَاحِثُ الْكَرِيمُ انظُرْ بَعَيْنَ الْإِنْصَافِ إِلَى أَسْبَابِ النُّزُولِ الْمُتَلَفِّقَةِ كَيْفَ قَلَبْتَ الْمَعَانِيَ اللَّغْوِيَّةَ لِلْأَلْفَافِ، بَلْ وَقَلَبْتَ تَرْكِيْبَ الظُّهُورِ لِلآيَةِ الْمُبَارَكَةِ وَظَلَمْتَ مَقْلُوبَهُ فِي أَذْهَانِ جَمَلِهِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْأَجْيَالِ، وَلَا يُظَنُّ أَنَّ التَّلَاعِبَ وَالتَّيْدِيلِيسَ وَالِاخْتِلَاقَ مَخْتَصَّ بِهَذَا الْمَوْرَدِ مِنْ مَعَانِي الْأَلْفَافِ لِلآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، بَلْ جَرَى مِنَ السَّقِيفَةِ وَبَنَى أُمِّيَّةَ وَبَنَى الْعَبَّاسَ مَا جَرَى إِلَى حَدِّ أَشْبَعِ الْعَقْلِ الْإِسْلَامِيِّ وَالذَّهَيْتَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِشَكْلِ مَقْلُوبٍ عَنْ آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، إِلَّا أَنَّ الْمَوْكِبَ يَسِيرُ سَرَّحٍ وَغَفْلَةٍ عَنْ هَذَا، إِلَّا أَنَّ الْبَاحِثَ الْكَرِيمَ إِذَا تَرَوَى قَلِيلًا بِالْأَلْفَافِ الْآيَةِ فَإِنَّهُ سَوْفَ يَدِّقُ عِنْدَهُ جَرَسَ التَّنْبِيهِ، لَا سِيْمَا بَعْدَ مَرَاجَعَةِ الْمَتْبَعِ الرَّئِيسِيِّ فِي هَذَا الْمَجَالِ أَلَا وَهِيَ رَوَايَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَإِنَّهَا ذَكَرَتْ أَنَّهُ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْمَعْرَكَةِ لَا قِتْلَ لِلْأَسِيرِ، وَمَاذَا تَصْنَعُ أَسْبَابُ النُّزُولِ

المُلقَّفه بالآية (فَمَا مَنَّا بَعْدُ) أَيْ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ «أَوْ فِدَاءٍ» لِلْأَسِيرِ يُسْتَفَادُ مِنْهُ مَالِيًّا.

وَعَلَيْهِ فَالْعِتَابُ الشَّدِيدُ الْمَوْجُودُ فِي الْآيَتَيْنِ الْمُبَارَكَتَيْنِ (١) مُوجَّهٌ وَبشكْلٍ وَاضِحٍ إِلَى الْمُسْلِمِينَ لَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِلَّا أَنَّ أَسْبَابَ التُّزُولِ الْمُحَرَّفَةِ الْمَزْعُومَةِ ثَبَتَتْ وَلِلْأَسْفِ الشَّدِيدِ عَلَى هَذَا الْمَطْلَبِ عَدَمُ عَصْمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ يَخْطَأُ كَمَا يَخْطَأُ الْمُجْتَهِدُونَ - وَحَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ - وَأَنَّ مَوْقِفَ الثَّانِي كَانَ عَلَى صَوَابٍ... الخ.

كُلُّ كَافِرٍ عِنْدَ مَدْرَسَةِ الْعَامَّةِ مَهْدُورِ الدَّمِ:

هَذَا مُضَافًا لِمَا تَقَدَّمَ إِلَى أَنَّ كُلَّ كَافِرٍ عِنْدَ مَدْرَسَةِ الْعَامَّةِ مَهْدُورِ الدَّمِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ عِدْوَانِيًّا وَلَا حَرْبِيًّا وَكَانَ مَهَادِنًا، فَإِنَّ هَيْدَهُ الْمَسْأَلَةَ لَيْسَتْ بِالسَّهْلَةِ فَإِنَّ لَهَا حِسَابَهَا الْخَاصَّ بِالْوَضْعِ الرَّاهِنِ فِي الْعَصْرِ الَّذِي نَعِيشُهُ، فِي حِينٍ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَتَبَنَّى أَنَّ الْكَافِرَ الْمَهْدُورِ الدَّمِ هُوَ الْحَرْبِيُّ أَيْ الْمُعْتَدِي الْعِدْوَانِي فَقَطُّ، وَأَمَّا الْكَافِرُ الْمَهَادِنُ وَالْمَسَالِمُ وَالَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَعِيشَ بِسَلَامٍ وَأَمَانٍ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ لَيْسَ مَهْدُورِ الدَّمِ.

وَهَذَا يَعْكَسُ فِلْسَفَةُ الْجِهَادِ وَفِلْسَفَةُ التَّوَسُّعِ فِي بَقْعَةِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَالْفَارِقُ بَيْنَ الْمَدْرَسَتَيْنِ مَدْرَسَةُ السَّقِيفَةِ وَمَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَعَلَيْهِ يَنْبَغِي الْاِلْتِفَاتُ إِلَى أَنَّ نَشْوءَ بَعْضِ الْحَرَكَاتِ وَالْأَحْزَابِ

ص: ٢٦٧

١- (١) سورة الأنفال: الآية ٦٧؛ سورة مُحَمَّد: الآية ٤.

والتيارات المحسوبة على الإسلام بهذه الأعمال الوحشية والممارسات الغريبة التي ليس لها شعار سوى القتل والتهجير والإقصاء والتهميش في شرق الأرض وغربها، ليس من باب الصّيد، وإنما أتت هذه الحركات المشوّهة لصوره الإسلام من المستندات التي أتبعوها من أول الأمر، بخلاف مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهي المدرسة الوحيدة التي ترعى عدم جواز قتل الأسير بعد انتهاء الحرب.

ولم ينظر الإسلام إلى الأسير أنه قبل انتهاء الحرب كان عدوّاً، والآن وبَعْدَ أن وقع بالأسر وأوثق كتافاً سلبت منه العدوانيته بعد انتهاء الحرب، ومع ذلك يتكرم عليه باليمن أو الفداء.

فانظر إلى رحمته ورأفه الإسلام مع هذا الذي كان عدوانياً، فكيف بمن لم يكن عدوانياً أصلاً كما في الناس المدنيين والعزل عن السلاح، فبأي حق تهريق دمه.

ولذا صدور هكذا تصرفات سوداويه وعنجهيته تصدر من بغض ما يحسب على الإسلام سواء كان بفتح أو غزو أو حرب أو غيرها تقف سداً عن انتشار النور الشفيق للقرآن والنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، فإنه بحسب اصطلاحات علم القانون الحديث: أن للحرب ضوابط وقوانين أخلاقيه وأعراف إنسانيه من عدم الغدر وعدم الغيلة وغير ذلك ومع عدم مراعاتها يصبح مفسداً في الأرض.

فتحصّل مما تقدّم أنّ أسباب النزول المزعومه المزيّفة للآيات القرآنيه

تقلب معاني ألفاظ الآيات وفيها نوع من التلاعب الخطير في الذهنه الإنسانيه والذي هُوَ نوع من التسخير الفكرى الكاذب الذى لا يشعر به الإنسان؛ ولذا يجب على الباحث الكريم التوثق من أسباب النزول فإنه أمر مصيرى للغاية وإن كان بعضهم ينظر إليها نظره هينه متساهلاً- فيها إلا أن الواقع أنها عظيمه فى التأثير، لأنه إذا أخذت روايات أسباب النزول من دون توثق فإنها ترسم لك صورته وموقفاً معيناً ولعلك تُسحر به إلا أنه بعد التحقيق تجد أن كل شىء فيها مقلوب وأن العكس هُوَ الصحيح، ولذا ينبغى أخذ الحيطه والحذر من أوّل الأمر.

والخلاصه: أن أسباب النزول المُلفقه تجوز بل توجب قتل الأسير فى بعض الحالات كما فى حاله عدم انتشار الإسلام فى الأرض وضعفه وعدم اشتداد أمره، ولذا يُقتل الأسير لأجل إلقاء الرعب فى قلوب الكفار والمشركين.

وهذا بخلاف منهاج مدرسه أهل البيت عليهم السلام بعيداً عما تقدمت الآيتين المباركتين (1) فهما صريحتان فى عدم جواز قتل الأسير بعيد وضع الحرب أوزارها فأماً فداءً أو مناً، وما ذكرته أسباب النزول المُلفقه إلا قلب للحقائق وإشباع العينين بأمواج روايات مُزيفه كى تكون حجاباً عن إِبصار معاني ألفاظ الآيات المُباركه، وله موارد كثيره ولسنا بمبالغين فى ذلك.

وهناك تساؤل يدور فى الأذهان وهو: ما هى النسبه بين الآيتين المباركتين

ص: ٢٤٩

١- (١) سورة الأنفال: الآيه ٦٧؛ وسوره مُحَمَّد: الآيه ٤.

(ما كان لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسِيرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٦٧) وبين قوله تَعَالَى: (فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ...٢) هل النسبه نسبه النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ أَمْ التَّوَافِقِ أَمْ التَّبَايُنِ أَمْ غَيْرَ ذَلِكَ؟

الجواب: اختلفت كلمات المدارس الإسلاميه - مدارس العامه - في ذلك اختلافاً كبيراً ووقعت بحيص وبيص في الجمع بين الآيتين مع مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وَعَلَى أقوال أهمها: -

القول الأول: ذهبت مدرسه الخلفاء - العامه - إلى أنَّ النسبه بينهما نسبه التباين، أي يوجد تدافع وتنافي وذلك، بأنَّ سوره الأنفال تحكم بقتل الأسير، وسوره مُحَمَّد صلى الله عليه وآله تبين أنَّ حكم الأسير بَعْدَ انتهاء الحرب عدم القتل، وبين القتل وعدمه نسبه التنافي والتعارض.

القول الثاني: إنَّ الآية في سوره مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ناسخه، وفي سوره الأنفال منسوخه.

القول الثالث: عكس القول الثاني بأن تكون سوره مُحَمَّد منسوخه وسوره الأنفال ناسخه، وفيه: أنَّه كيف يَكُونُ الْمُتَأَخَّرُ نَزُولاً مَنْسُوخاً وَالْمُتَقَدِّمُ نَزُولاً نَاسِخاً، وَإِنْ كُنَّا لَا نَمْنَعُ مِنْهُ، إِلَّا أَنَّهُ سَيَأْتِي فِي بَحْثِ قَاعِدِهِ النَّاسِخِ

والمنسوخ، أن الغالب وفي العاده يَكُون النَّاسِخُ هُوَ الْمُتَأَخِّرُ زَمَانًا عَنِ الْمَنْسُوحِ، وَالْمَنْسُوحُ مُتَقَدِّمٌ زَمَانًا.

وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ لِمَدْرَسَةِ الْعَامَّةِ.

القول الرابع: وَهُوَ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ الْمَبَارَكَتَيْنِ تَمَامَ التَّوَافُقِ وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا أَدْنَى تَنَافِي فِي الْمَعْنَى، وَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّ بَيْنَهُمَا - الْآيَتَيْنِ - تَمَامَ التَّوَافُقِ فَسَوْفَ يَتَّضِحُ جَلِيًّا زَيْفَ رَوَايَاتِ أَسْبَابِ النُّزُولِ الْمُتَّفَقَةِ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ، وَلَيْسَ الْغَرَضُ كَذَلِكَ هُوَ جَنَى الْغَنَائِمِ لِإِنَّهُ كَانَ أَحَدَ أَسْبَابِ الْهَزِيمَةِ وَالْفِشْلِ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ مِثْلًا؛ لِأَنَّ الْحِرْصَ وَالطَّمْعَ وَالتَّكَالِبَ وَالشَّرَّ عَلَى الْغَنَائِمِ - حَتَّى الْأَسِيرِ يَعْتَبَرُ غَنِيمَةً وَالِاشْتِغَالَ بِأَسْرِهِ - يُعْطِلُ الْقِتَالَ عَنِ الْمَقَاتِلَةِ؛ إِنَّمَا الْهَدَفُ الْأَصْلِيُّ هُوَ هَزِيمَةُ الْعَدُوِّ.

والعتاب الوارد بالآية بطلب الغنائم والأسرى وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ هُوَ أَحَدُ أَسْبَابِ الْهَزِيمَةِ وَالْفِشْلِ فِي غَزْوِهِ أُحُدٍ، بَلْ وَفِي كُلِّ حَرْبٍ وَغَزْوِهِ وَمَعْرَكَةٍ... السَّخِّ فَبَدَلًا أَنْ تَنْصَبَ هَمَّةُ الْمَقَاتِلِ فِي كَيْفِيَةِ هَزِيمَةِ الْأَعْدَاءِ وَإِيقَاعِ الْخَسَائِرِ فِيهِمْ، تَكُونُ هَمَّةُ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ وَالذُّنُوبِ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَنْصِبُهُ عَلَى طَلَبِ عَرَضِ الدُّنْيَا وَالْغَنَائِمِ وَيَتَلَهَوْنَ عَنِ طَلَبِ النُّصْرِ وَالْحَرْبِ قَائِمَةٍ، بَطْلَبِ عَرَضِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاللَّهُ عِنْدَهُ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ، وَهَذَا كُلُّهُ بِحَسَبِ أَسْبَابِ النُّزُولِ الصَّحِيحَةِ.

والحاصل أن الآيتين في صدد النهي عن أخذ الأسارى أثناء الحرب والطمع في تأسيرهم؛ وأن حكم المقاتل أثناء الحرب يُقتل ولا يُؤسر طمعاً

ص: ٢٧١

بالغنائم، وليست في صدد قتل الأسير بَعْدَ وضع الحرب أوزارها، كَمَا تصف الآيه الكريمة أن أخذ الأسير أثناء الحرب هُوَ لأجل عَرَض الدُّنْيَا أَى الطمع في أخذ المقاتل أسيراً والحرب قائمه الغرض مِنْهُ الطمع في الغنائم وعرض الدُّنْيَا.

وَهَذَا بخلاف أسباب النزول المُملَّقه وَالتى يُرَوِّج فيها أن سبب التُّزول كَانَ منصباً عَلَى معاتبه النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله عَلَى عدم قتل الأسرى وَأَنَّهُمْ لماذا كانوا عَلَى قيد الحياه، وَقَدْ انتهت الحرب ووضعت أوزارها فالمفروض يقتلون هكذا اقترح الثَّانِي.

بيان ضابطه مهمه: هُنَاكَ ضابطه مُهمه بينتها الرُّوايات الوارده عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السلام وعمل عَلَى ضوءها مُفسِّرى الإماميه وسيأتى تفصيلها في مبحث قاعده النسخ - إن شاء الله تَعَالَى - ولكن نشير إليها باختصار: إنَّ الضابط في استعمال مصطلح النَّاسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد يأتى بناءً عَلَى وجود تنافى بين مورد النَّاسخ ومورد المنسوخ، وَذَلِكَ بأن يُعْمَلَ بالمنسوخ زماناً قبل أن يأتى زمان النَّاسخ ثم يأتى النَّاسخ، وَمَعَ وجود التَّنَافى بينهما فينفسخ الأوَّل، أمَّا إِذَا فُرِضَ وجود توافق بينهما فكيف يُفَرِّض النَّسْخ مَعَ عدم تحقُّق شرطه وَهُوَ التَّنَافى؛ ولذا مَعَ الأَسْف الشديد إنَّ مدرسه الطرف الآخِر - العامه - استغلَّت مصطلح وعَلَّقت عَلَيْهِ الكثير مِنْ الأفكار الغريبه والبعيده عَنْ منطق القرآن الكريم لتمريرها ولصقها بالقرآن ليلتبس الأمر بذلك عَلَى أجيال المسلمين، ولتجميد مَعْنَى كثير مِنْ الآيات التى أَدْعَى أَنَّها منسوخه بُغْيَه تعطيلها؛ لِأَنَّ تفعيلها فيه ضرر

وخطوره عَلَى مُدَّعِيَاتِهِمْ، وفيه تداعيات سياسِيَّة عَلَى الأنظمة الظالمة وأصحاب المصالح والمطامع؛ ولذا خيرُ سبيل للتخلص مِنْ هكذَا تداعيات تشكّل خطوره عليهم، دعواهم أَنْ هَذِهِ الآيه منسوخه يعنى معطله ولا يُعمل بها، علماً أَنْ ادّعاء هكذَا أمر خاصّه مسأله النسخ وتعطيل مَعْنَى الآيات لَهُ تداعيات خطيره عَلَى تفسير القرآن وَالفقه والعقائد وَجمله مِنْ المعارف الدّينية.

تنبيه هام: إِنَّ مِنْ أخطر وأعظم أنواع التحريف هُوَ تحريف فَهْم الآيات؛ لِأَنَّ مَعْنَى التحريف - هُوَ إلغاء ستار أمواج ضبابيّه عَلَى ظهور ألفاظ القرآن كى لا- يُبصر المسلمون حقائق القرآن، وسبب عَظْم خطورته؛ لِأَنَّ القرآن أعظم مصدر للمعرفه الإسلامِيّه وَالدّينية، ومثل هكذَا تحريف لسبب نزول آياته معناه المساعده عَلَى إيجاد خطوات ومواطنات مجهضة للعقل الإسلامى، ولعقل أجيال علميّه فاضله للبشر، وفي هَذَا دعوهُ للأخوه الباحثين إِلَى مضاعفه الجهود فى سبيل كشف الحقائق وإزاله الستار والحجاب عَمَّا حُرِّف.

تنبيه: ينبغى التنبيه عَلَى أَنَّ ما جرى فى معركة بدر وَأَنَّ ما مِنْ بيتٍ مِنْ بيوت قريش إلَّا وَقُتِلَ مِنْهُ كافرٌ إلَّا بيت بنى هاشم والسبب هُوَ أَنَّ بنى هاشم قَدْ أُوتِي بِهِمْ قهراً وقسراً وإرهاباً وإرعاباً مِنْ قريش الكافره إِذْ أَلْجَأْتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المدينه لمقاتله النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فى واقعه بدر وَلَمْ يرفع بنو هاشم سلاحاً فى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين ولذا أوصى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ المسلمین بهم قبل معركة بدر أَنْ يَتَجَنَّبُوا بنى هاشم مثل العباس بن

عبدالمطلب وعقيل بن أبي طالب وغيرهما.

كُلِّ ذَلِكْ لِأَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يَرِيدُوا لِرَسُولِ اللَّهِ وَالْمُسْلِمِينَ سُوءًا، بَلْ كَانُوا يَتَمَنُّونَ الظَّفَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيَّ قَرِيشَ، وَلِذَا فَإِنَّ مَنْ وَقَعَ فِي الْأَسْرِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ لَيْسَ مَوْقِفُهُمْ عِدَائِيًّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِ فَمَا وِرَاءَ طَلَبِ الثَّانِي بِقَتْلِهِمْ؟ مَعَ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْحَرْبِ يَطَالِبُ بَعْدَ مَقَاتِلِهِ كُلِّ قَرِيشٍ.

يُظْهِرُ بِالتَّدْبِيرِ أَنَّهُ لَمَّا حُلِقَتْ أَسْبَابُ النُّزُولِ الْمُؤَلَّفَةِ هَذِهِ مِنْهَا وَهِيَ لِأَجْلِ التَّغْطِيَةِ عَلَيَّ الوَصْمَةُ الَّتِي وَصِمَ بِهَا بَعْضُ الصَّحَابَةِ فِي بَدْرِ بِسَبَبِ مَوْقِفِهِ الْعِدَائِيِّ لِبَنِي هَاشِمٍ، وَالْآنَ تَبَيَّنَ بَعْدَ التَّدْبِيرِ وَالْفَحْصِ أَنَّ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْعِتَابَ فِيهَا لَيْسَ عَلَيَّ بِقَاءِ الْأَسْرَى أَحْيَاءَ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ، بَلْ كَانَ الْعِقَابَ عَلَيَّ أَخْذِ الْأَسْرَى أَثْنَاءَ الْحَرْبِ - وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ - وَلِمَاذَا تَلْتَهُونَ بِجَمْعِ الْغَنَائِمِ الَّتِي بَضَمْنَهَا الْأَسْرَى لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا أَفْعَالٌ وَتَصَرُّفَاتٌ تُعَرِّضُ مَعْسَكَرَ الْمُسْلِمِينَ لِلْهَزِيمَةِ وَلَيْسَ الْعِتَابَ عَلَيَّ عَدَمَ قَتْلِ الْأَسْرَى بَعْدَ الْحَرْبِ كَمَا أَدْعَتْهُ رَوَايَاتُ أَسْبَابِ النُّزُولِ الْمُؤَلَّفَةِ، وَهَذَا التَّحْرِيفُ وَالتَّلْفِيقُ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ يُتَعَدَّى فِيهَا مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ إِلَى سُورَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بَيْنَمَا مَعْنَى الْآيَتَيْنِ صَرِيحٌ وَوَاضِحٌ فِي أَنَّ الْأَسِيرَ لَا يُقْتَلُ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ.

فلسفه الجهاد لیس الإرغام علی العقیده الفرديه

أو الباطنه وقتل الأسرى:

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عِنْدَمَا يَذْكَرُ فِلْسَفَةَ الْجِهَادِ نَتِيجَةً لِطَغْيَانِ الْكُفَّارِ وَتَمَرُّدِهِمْ وَعَصْيَانِهِمْ لَا لِأَجْلِ نَفْسِ الْكُفْرِ بِمَا هُوَ كُفْرٌ كَمَا فِي الْآيَاتِ الْمُبَارَكَةِ:

ص: ٢٧٤

الآية الأولى: (الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فِيمَا تَثَقَفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧) ١ .

بتقريب: أن مثل هؤلاء الكفار في كذلك مره يغدرون وذوى غيله فإذا ظفرت بهم فشرّد بهم، أمّا إذا كان الكافر ذمياً لا ينكث العهد ولا يغدر أو كان مسالماً، ففي مثل هذا ليس من أخلاق الإسلام والقرآن أن تشن عليه الحرب ويقتل.

نعم، قد يكون ذلك الكافر حاكماً ظالماً لشعبه مستبدّاً ولو كان الشعب كافراً أو مُستضعفاً، نعم من غايات الجهاد الابتدائي أسلمه الأنظمة لا- إلقاء الأفراد على إسلام العقائد أي أن هدفهم حمايه المُستضعفين كما هو مفاد قوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥) ٢ ، فهذا بحث آخر لا يُبرر أن يصوّر الجهاد بأنه عبارة عن إرغام على العقيدة، فقد يقول قائل: - إن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، فإنه مرّ أن ذكر القرآن لفلسفه الجهاد ليس لأجل كفر الكافر، وإنما لأجل شيء أهم من ذلك وهو لأجل التخوّف من ظهور بوادر الخيانة بالعدو والمباغته بالعدوان، وهو أعظم من الكفر.

الآية الثانية: قوله تعالى: (وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) .

بتقريب: أن المراد بالخوف أي العلم فأنت يا رسول الله وهم على سواء في العلم بنقض العهد، ويكون المعنى إذا كان بينك يا محمد صلى الله عليه وآله وبين قوم عهد وعلمت أنهم خائنون بظهور أمارات قاطعه على أنهم يضمرون الغدر والاعتيال ويتخذون من العهد ستاراً فشدد على أخذ الحيطه والحذر منهم؛ لأنهم يُدبرون من وراءه - العهد - المكر السيء فإذا كان كذلك فألق إليهم عهدهم واعلمهم أنك قد انقضت، بحيث تكون أنت وهم في العلم بالنقض سواء، ولا تبدأهم بقتال قبل أن تعلمهم بذلك كي لا تُنسب إلى الغدر والخيانة (إن الله لا يحب الخائنين) فإن الإسلام يأمر بوجود الوفاء بالعهد لأهل الوفاء، أما الذين يتخذون من العهد وسيله للغدر والخيانة فإن الإسلام يأمر بنقضه لأنه كيد لا عهد حتى يلتزم ويجب العهد به وإنما كيداً (وإن الله لا يهدي كيد الخائنين) ١ .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الوفاء لأهل الغدر غدرٌ، والغدر بأهل الغدر وفاء» (١).

بتقريب: إنه على الحاكم الإسلامي إذ رأى ظهور بوادر الخيانة من هؤلاء الكفار، فالقرآن والمشرع الإلهي يقول له: لا تغدر بهؤلاء الذين

ص: ٢٧٤

١- (٢) خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغه: ج ٤، ص ٥٧؛ بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٩٧.

ظهرت منهم بوادر خيانه، وَإِنَّمَا عَلَيَّ ذَلِكُ الْحَاكِمِ الْإِسْلَامِيِّ أَنْ يَفْكَ عَقْدَ الْأَمَانِ وَالْهُدَيْنَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّوْلَةِ الْكَافِرَةِ بِلا غِيْلِهِ وَلَا غَدْرٍ وَلَا خُدْعَةٍ وَإِنَّمَا بِنَحْوِ مُتْكَافِيٍّ وَعَادِلٍ، وَهَذَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ: أَنَّهُ حَتَّى فِي هَذَا الْمَوْجِدِ عَلَى الْمَسْئُولِ أَنْ يَغْدِلَ وَيَسَاوِيَ بَيْنَ أَفْرَادِ الْبَشَرِ بَغْضَ النَّظَرِ عَنْ مُعْتَقِدِهِمْ.

شعار مدرسه أهل البيت عليهم السَّلامُ

لا للقتل وسفك الدماء، نعم للحوار والعيش بأمان:

وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ الْجِهَادَ مَشْرُوعًا فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ نَفْتَرِضَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ مَنْسُوخَةٌ، وَهِيَ:

الآية الثالثة: قوله تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) ١ .

بتقريب: أَنَّ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ مُطْلَقَةٌ وَتَبَيَّنَ أَحَدُ جِهَاتِ أَخْلَاقِيَّاتِ الْجِهَادِ فِي دِينِ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَخِيَانَةٌ فِي تَحْمَلِ الْمَسْئُولِيَّةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَحَادِثَةٍ.

والغرض من التركيز على ذكر هذه الآيات هو لأجل أَنَّ أسباب التُّزُولِ الْمُؤَلَّفَقَةَ تَدْعَى أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ - الْمَسْتَوْلَى الثَّانِيَّ عَلَى الْخِلَافَةِ - طَالِبٌ بِقَتْلِ الْأَسِيرِ بَعْدَ انْتِهَاءِ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَيُرِيدُونَ بِذَلِكَ تَثْبِيثَ أَنَّ فِلْسَفَةَ الْجِهَادِ هُوَ قَتْلُ الْأَسِيرِ وَالْكَافِرِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُقَاتِلًا وَلَا مُعَادِيًا وَلَا مُحَارِبًا،

وإنما لمجرد كفره، أو يسلم بَعْدَ انتهاء الحرب، فحَرَفُوا - أَى العامه - فلسفه الجهاد فى الإسلام بتحريف مَعْنَى الآيات بتوسيط أسباب التُّزول المُزَيَّفه، كُلِّ ذَلِكَ لأجل التغطية عَلَى موقف عمر العدائى لبنى هاشم، وتغطيه ما وقع مِنْهُ مِنْ موقف خاطئ.

وَهَذِهِ ليست مِنْ أخلاقيات القرآن والإسلام، وَإِنَّمَا فيه تشويه وطمس للحقائق النوريه فى القرآن، بخلاف ما بيّنته أسباب التُّزول الصحيحه الوارده عَنْ طريق أهل البيت عليهم السلام فى كيفية التعامل مَعَ الأسير(فَأَمَّا تَثَقَّفْنَهُمْ فى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) ١

فَهَذِهِ الآيات تدحض دعوى أسباب التُّزول المُلَفَّفه فَإِنَّ فقه مدرسه الخلايف - أَى فقه المدارس الأربعة وغيرها، فَإِنَّهُ يجوز عندهم قتل الأسير بَعْدَ انتهاء الحرب بمرر أَنَّهُ كافر مهذور الدم، بينما الفقه الوحيد مِنْ بين المدارس الإسلاميه بَلْ وَحَتَّى المدارس البشرىه المُتمثل بمدرسه أهل البيت عليهم السلام فضلاً عَنْ المواثيق الدوليه الجديده فى أحكام التعامل مَعَ الأسير أَنَّهُ بَعْدَ انتهاء الحرب لا- يُقْتَل ولا- يُبْرَز هدر دَمِهِ، وَهَذَا يرسم لنا بنوداً عظيمه فى الدوله الإسلاميه، أو المجتمع الإسلامى مَعَ المُجتمعات غَيْر الإسلاميه.

ومما يُؤَيِّد أَنَّ الكافر لمجرد كفره لا يهدر دَمُهُ وجود آيات قرآنيه تدعم

ذَلِكَ.

وهكذا في فقه مدرسه أهل البيت عليهم السلام، يُل الروايات الواردة عن مدرسه أهل البيت عليهم السلام تُؤكّد على هدايه الكافر بالحوار والعقل والعقلانيه، لا بثقافه القتل وسفك الدماء، وَهَذَا هُوَ مَوْضِعُ الْقُوَّةِ فِي أَسْلُوبِ وَمَنْهَجِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَيْسَ إِرْغَامُ النَّاسِ عَلَى الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِلَّا لَوْ كَانَ الْإِرْغَامُ كَمَا تَقُولُهُ الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ لَكَانَ حَكْمُ الْأَسِيرِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا إِذَا مَا أَنْ يَسْلِمَ أَوْ يُقْتَلَ، وَهَذَا بِخِلَافِ الضَّرُورِيِّ الثَّابِتِ فِي مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي أَحْكَامِ التَّعَامُلِ مَعَ الْأَسِيرِ الْكَافِرِ مَعَ بَقَاءِ الْأَسِيرِ إِلَى فِتْرِهِ هُوَ بِالْخِيَارِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِذَا فِدَاءً، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُفَادِي الْأَسْرَى قَدْرَ أَمْوَالِهِمْ، وَكَانَ أَهْلُ مَكَّةَ يَكْتَبُونَ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ لَا يَكْتَبُونَ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِدَاءٌ وَكَانَ يَكْتَبُ يَدْفَعُ إِلَيْهِ عَشْرَةَ مِنْ الَّذِينَ لَا يَكْتَبُونَ مِنْ غُلَمَانِ مَسَلَمُوا الْمَدِينَةَ فَيَعْلَمُهُمْ - الْكِتَابَةُ - فَإِنْ حَذَقُوا - فِي الْكِتَابِ فَهُوَ فِدَاؤُهُ كُلُّ ذَلِكَ نَقَلَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ (١).

أَوْ مَنَّا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَالٌ.

واما بحسب روايات أسباب التُّزُولِ الْمُؤَلَّفَقِهِ فِي غَزْوِهِ بَدْرَ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى بَعْضِ الشَّقُوقِ وَالِاخْتِيَارَاتِ قَتْلَ الْأَسِيرِ الْمُسْلِمِ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ.

ص: ٢٧٩

١- (١) ابن سعد في الطَّبَقَاتِ: ١٤:٢.

وسبب هَذَا الاختلاف بين مدرسه أهل البيت عليهم السلام وغيرها هُوَ بسبب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقه، مما يوجب تباعد بونٍ شاسع بين مسار علاقته المجتمع المسلم والدوله المسلمه مَعَ الدول والمجتمعات البشريه الأُخرى، فتتولَّد نتيجة هَذَا الاختلاف نشوء أحزابٍ وتياراتٍ وقَوَاعِد انتحاريه لقتل البشر تحت غطاء شرعى مُزَيَّف ومُلفَّق محسوب على الإسلام حسب أسباب النُّزول المُلفَّقه، وبين واقع التَّعايش السلمى المدنى والحوار والبيان الذى تدعو إليه مدرسه أهل البيت عليهم السلام هَذَا ما يضمن ويتكفَّل لكافه الأديان السماويه والمذاهب البشريه العيش بأمان مَعَ أتباع مدرسه أهل البيت عليهم السلام؛ لان شعار هَذَا المدرسه المقدسه لا- للقتل وسفك الدماء للمُسالمة، نعم للحوار والعيش بأمان وسلم، وَلَمْ يَأْتِ هَذَا الفرق مِنْ باب الصَّدفه أو نتيجة حدث أو ظرف مُعَيَّن، وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ نصوص ثابتة فى مدرسه أهل البيت فى بيان آيات حكم الأسير وسيره متمرسه لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام لقرون مِنْ الزمن نتيجة اختلاف أسس مدرسه أهل البيت عليهم السلام عَنْ أسس المدارس الأُخرى وبينهما فرق شاسع.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أَحَدَ أسباب الابتعاد عَنْ مدرسه أهل البيت عليهم السلام هُوَ القول بروايات أسباب النُّزول التى رووها - كَمَا تَقَدَّمَ - وتأيداً للشانى فى مسأله قتل الأسير بَعِيد الحرب ومحاولة اختلاق بَعْض المسوِّغات لقتله لكونه كافراً وأنَّ الكافر مهدور الدم حسب أحكام الشريعة الإسلاميه المقدسه إلى غَيْر ذَلِكَ، وتخطأه ومُعاتبته رسول الله صلى الله عليه وآله على عدم قتل

الأسرى بَعْدَ انتهاء الحرب وفيهم المسلم وإن شاع واشتهر في الألسن أَنَّهُ - الكافر - مهدور الدم؛ إِلَّا أَن هَذَا مُقَرَّرٌ فِي فقهه العامه لا في فقه مدرسه أهل البيت عليهم السلام فَإِنَّ الكافر عندهم وإن لَمْ يكن محترم الدم بدرجة المسلم فضلاً عَن المؤمن، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ محترم الدم مِنْ جهه الضمان المالى، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مهدور الدم.

القرآن يُبَيِّنُ فلسفه الجهاد في الإسلام:

فلسفه القوه العسكريه في دين الإسلام:

أحد أهم القَوَاعِدِ الَّتِي تَمَثِّلُ منهاجاً للنشاط الديني السياسي الاجتماعي والعسكري هِيَ قَاعِدَةُ إَعْدَادِ القُوَّةِ الَّتِي تَمَثِّلُ عناصر مشتركة، أو عموماً فوقانيه لِكُلِّ القَوَاعِدِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي رسم خارطة المسؤوليات فِي النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين.

الآيه الرابعه: لا بُدَّ مِنْ ذكر تسلسل لآيات فلسفه الجهاد، ثلاث آيات:

ومدرک ومستنده قَاعِدَةُ إَعْدَادِ القُوَّةِ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الخَيْلِ) ١ .

بتقريب: إِنَّ أحد أهم فلسفات القوه العسكريه في دين الإسلام - لا لسفك الدماء وإرغام الآخرين عَلَى العقيدته - هِيَ لأجل تشكيل قوه رادعه

عَنْ بَغْيٍ وَعَدْوَانٍ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ لَثَلَا يَعْتَدُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَمُقَدَّسَاتِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَ... الخ.

وَهَذِهِ الْفَرِيضَةُ الْقُرْآنِيَّةُ - قَاعِدَةُ إِعْدَادِ الْقُوَّةِ - لَيْسَتْ مَخْتَصَّةً بِبَابِ الْجِهَادِ وَحَالِ مَنَاجَزَةِ الْعَدُوِّ، بَلْ هِيَ مُطْلَقَةٌ عَلَى الدَّوَامِ وَتَشْمَلُ مُطْلَقَ إِعْدَادِ الْقُوَّةِ وَبِنَاءِهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا فِي ذَلِكَ الْقُوَّةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ وَالتَّجَارِيَّةُ وَالصَّنَاعِيَّةُ وَالزَّرَاعِيَّةُ وَالفِكْرِيَّةُ وَالتَّنْمُوِيَّةُ وَ... الخ، غَايَتُهَا قَهْرُ الطَّغْيَانِ وَالتَّكْبَرِ وَالتَّجْبِرِ، وَأَنْ يَبْنِيَ الْمُؤْمِنُونَ أَنْفُسَهُمْ وَقُوَّتَهُمْ صِرْحًا يَهَابُهُ الْعَدُوُّ رَادِعًا لَهُ عَنِ التَّطَاوُلِ (وَاعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) ١ .

أَيُّ الْفَلَسْفَةِ الرَّدِّيَّةِ أَمَامَ التَّعَدَّى وَالْعَدْوَانِ تَرْغَمُونَ وَتَرُدُّعُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَالْإِنْسَانِيَّةِ عَنْ سَفْكَ الدِّمَاءِ وَقَتْلِ النَّفْسِ الْمُحْتَرَمَةِ بِلَا ذَنْبٍ وَالإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ وَرَدِّعَهُمْ بِالتَّخْوِيفِ كَأَسْلُوبِ وَقَائِي لَا هِجُومِي، هَيْدَا هُوَ مَعْنَى تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ فِي مَنْطِقِ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ مَنْطِقُ دِفَاعِي لَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهُ إِرْغَامُ الْآخَرِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ دِينٍ أَوْ مَعْتَقَدٍ، وَهَذَا الْمَعْنَى لِلْإِرْهَابِ فِي مَنْطِقِ الْقُرْآنِ يَخْتَلِفُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الْمَصْطَلَحِ الْعَصْرِيِّ وَالدُّوَلِيِّ لِلْإِرْهَابِ الَّذِي هُوَ عَلَى طَرَفٍ نَقِيضٌ مَعَ مَنْطِقِ الْقُرْآنِ وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ كَبِيرٌ، مُضَافًا إِلَى ذَلِكَ أَنَّ هَيْدَةَ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ (وَاعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) تَرَسُّمٌ أَصْلًا مُحْكَمًا وَقَاعِدَةٌ خَطِيرَةٌ إِسْتِرَاطِيَّةٌ أَلَا

وَهِيَ [أَنَّ بِنَاءَ الْقُوَّةِ لَيْسَ لَهُ سَقْفٌ يَقِفُ عِنْدَهُ، بَلْ هُوَ أَفَقٌ مَفْتُوحٌ لَا يَتَنَاهَى، وَأَنَّ بِنَاءَ الْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ لَيْسَ لَهُ سَقْفٌ فِي دَعْوَةِ الْقُرْآنِ، نَعْمَ اسْتِخْدَامُ الْقُوَّةِ تَجَاهَ الْآخَرِينَ وَلَوْ كَانُوا مِنْ الْأَعْدَاءِ الْمُعْتَدِينَ لَهُ سَقْفٌ وَحَيْدٌ مَحْدُودٌ، كَمَا أَنَّ اسْتِخْدَامَ الْقُوَّةِ تَجَاهَ الْآخَرِينَ حَالُهُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ وَاضْطِرَارِيَّةٌ وَلَيْسَتْ حَالُهُ أَوْلِيَّةٌ فِي مَنْطِقِ الْقُرْآنِ وَمَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ].

وَهَاتَانِ قَاعِدَتَانِ فِي الْفِئَةِ السِّيَاسِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ الْكَثِيرَ يَخْطِئُ بَيْنَ الْقَاعِدَتَيْنِ إِذَا بَحَمَلَ الْأَوْلَى عَلَى الثَّانِيَةِ أَوْ الثَّانِيَةَ عَلَى الْأَوْلَى لَا سِيَّمَا عِنْدَ الْعَامَّةِ.

الدعوة للدين بفتح القلوب عبر الإلْفَه

والمعرفة لا السيف والإرغام:

ثُمَّ قَالَتْ الْآيَةُ: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) ١ .

بِتَقْرِيْبٍ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ حَسَبَ رَوَايَاتٍ أَسْبَابَ التَّنْزِيلِ الْمُتَّفَقَةَ وَالْمَزْعُومَةَ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِخِلَافِ أَسْبَابِ التَّنْزِيلِ الصَّحِيحَةِ الْوَارِدَةِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ وَأَنَّ مَنْطِقَ الْقُرْآنِ يُبَيِّنُ فِلْسَفَةَ الْجِهَادِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَعَرَّضَ لِاعْتِدَاءِ مَنْ قَبْلَ غَيْرِ الْمُسْلِمِ فَعَلَيْكَ بِرُدِّهِ وَالتَّصَدِّي لَّهُ، بِخِلَافِ مَا إِذَا مَدَّ غَيْرُ الْمُسْلِمِ يَدَهُ لِلْسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَّهُ، وَخَيْرُ شَاهِدٍ وَنَمُودَجٍ تَطْبِيقِي لِقَاعِدَةِ السَّلْمِ هُوَ مَا صَنَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَسَبْطَةُ الْإِمَامِ الْحَسَنِ وَالْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِذْ لَمْ يَسْتَخْدِمِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْقُوَّةَ

العسكريه حتّى فى مكّه مع الطرف الآخر ما دام الطرف الآخر سلمىّ وهُو الأهم حيثُ يصف القرآن الكريم ما حصل من تأليف لقلوب المسلمين إبان عصر الرّسالة بَعْدَ أَنْ كانوا أعداءً وإحلال روح الأخوّه بينهم إنّها من نعم الله الّتى من الله سُبحانه بها على المجتمع الإسلامى الأوّل، ووهِبَتْ لهم بركة البعثه النبويه.

وأما الأحاديث والرّوايات فَقَدْ وصف النَّبىّ صلى الله عليه وآله المتألّفون بقوله صلى الله عليه وآله: «خيارُكم أحاسنكم أخلاقاً الَّذين يألّفون ويؤلّفون»^(١).

وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «طوبى لِمَنْ يألّف النَّاسَ ويألّفون على طاعه الله»^(٢).

وقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بشأن أهمىّ صلى الله عليه وآله هذه النعمه: «... فَإِنَّ الله سُبحانه قَدْ أمتنَّ على جماعه هذه الأئمّه فيما عقّدَ بينهم من حَبِيلٍ هذه الألفه الّتى ينتقلون فى ظلّها وياوونَ إلى كنفها، بنعمه لا- يَعرفُ أحدٌ من المخلوقين لها قيمه، لأنها أَرَجَحُ من كُلِّ ثَمَنٍ، وأَجَلُّ من كُلِّ خَطَرٍ...»^(٣).

عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي الْأَحْوَصِ، قَالَ: - قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ... فَأَجَابَهُ - الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٤): «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ أَمَارَهُ بَنَى أُمَّتَهُ كَانَتْ بِالسَّيْفِ وَالْعَسْفِ

ص: ٢٨٤

١- (١) تحف العقول: ص ٤٥، عنه بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٤٩، ح ٧٣.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٨٣ ح ١٧.

٣- (٣) الإمام عليه السلام ليس الرّوايه وإنما ذكرتها للتوضيح.

٤- (٤) الوسائل: ج ١٦، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ب ١٤ ح ٩.

والجور، وأنَّ إمامتنا - أمارتنا - بالرِّفق والتَّألف والوقار والتَّقِيَّة وحسن الخِلطه والورع والاجتهاد فرغَبوا النَّاسَ فِي دينكم وفي ما أنتم فيه» (١).

وقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «حَيُّ أَهْلِ مِلَّتِكَ إِضْمَارُ السِّلامه والرَّحمه لهم والرِّفق بِمُسيئهم وتآلفهم واستصلاحهم» (٢).

بتقريب: إنَّ تأليف القلوب - وبالخصوص المُتَنافِرَه - عمل فيه مشقَّة، وَقَدْ يُصَبِّحُ أحياناً مُتَعَدِّراً وَإِنْ كَانَتْ البشريه اليوم بكافه أديانها ومذاهبها وأشكالها تنشد الإلفه بين قلوب البشر والمُسلمين منهم خاصه؛ ولذا فَإِنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول فِي هَذَا الصدد: «إِزاله الرِّواسي أسهلُّ مِنْ تأليف القلوب المُتَنافِرَه» (٣).

والإلفه عباره عَن أمنٍ وسلامٍ ومصدر الألفه كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآيه المُبارَكه (اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...) هُوَ مصدرٌ إلهي وليست وليده قوّه عسكريه أو أمنيّه أو مُزايدات عسكريه، وَعَلَيْهِ فَإِذَا كَانَ مصدر الإلفه إلهي فَهَذَا معناه مصدرها حصر العظمه والكبرياء والصلاحيات بالباري تَعَالَى شأنه: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) ٤.

بتقريب: إِنَّهُ بالتَّوْحِيدِ يَكُونُ العَدْلُ، وبالعدل يَكُونُ تنسيق القلوب

ص: ٢٨٥

١- (١) نهج البلاغه، الخطبه: ١٩٢؛ بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٤٧٤ ح ٣٧.

٢- (٢) الخصال للصدوق: ج ١، ص ٥٧٠؛ تحف العقول: ص ٢٧١، ح ٤٩.

٣- (٣) الكافي، للكليني: ج ٨، ص ٢ ح ١.

وَأَتَسَاقَهَا - أَيْ تَأَلَّفَهَا - بَلْ وَحَتَّى بَعِيدَ هَجْرِهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَقَرِيَشِ الَّتِي مَا انْفَكَّت تَشَنُّ الْهَجُومِ وَالْغَارَاتِ اللَّيْلِيَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَبْدَأْهُمْ بِقِتَالٍ، وَهَكَذَا صَنَعَ سِبْطُهُ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَجْلَافِ الشَّامِ وَالْكُوفَةِ - «أَكْرَهَ أَنْ أَبْدَأْهُمْ بِقِتَالٍ».

وَلِذَا كَانَ تَجْهِيزُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْجَيْشِ وَالسَّلَاحِ وَمَا يَسْتَلْزِمُهُ الْأَمْرُ هُوَ لِأَجْلِ غَرَضٍ دِفَاعِيٍّ هَذَا بِحَسَبِ مَنْطِقِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَهُوَ غَيْرُ مَنْطِقِ مَدْرَسَةِ الْخُلَفَاءِ.

فَمِثْلًا - فِي مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَخْتَلَفُ فِيهَا مَعَامِلَةُ الْكَافِرِ الْحَرْبِيِّ عَنِ الْكَافِرِ غَيْرِ الْحَرْبِيِّ - الْمَعَاهِدُ أَوْ الذَّمِّيُّ - فَإِنَّ الْكَافِرَ الْحَرْبِيَّ أَيْ الْعِدْوَانِيَّ الْمَعْنَوِيَّ الَّذِي يَرْهَبُونَهُ بِتَهْيِئَةِ الْعِدَّةِ وَالْعُدَدِ وَكُلِّ مَا يَسْتَلْزِمُ دَحْرَهُ، مَعَ أَخْذِ جَانِبِ الْحَيْطَةِ وَالْحَذَرِ مِنْ بَعْضِ الْكُفَّارِ وَإِنْ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ السَّلَامَ وَلَكِنَّهُمْ يُضْمِرُونَ الْغِيلَةَ وَالْغَدْرَ، وَعَلَيْهِ فَهُمْ لَيْسُوا بِصَادِقِينَ فِي سَلْمِهِمْ كَمَا وَصَفَهُمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِقَوْلِهِ: (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبِضْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (١٦٢) .

بِتَقْرِيْبٍ: أَنَّ كُفَّارَ قَرِيْشٍ يَخْبُئُونَ خِدْعَةً فِيهَا عِدْوَانٌ وَغِيلَةٌ وَغَدْرٌ، فَخَذُوا حِذْرَكُمْ وَحَيْطَتَكُمْ مِنْهُمْ، نَعَمْ لَوْ كَانُوا صَادِقِينَ بَطْلِبَهُمُ السَّلَامَ فَاجْنَحْ لَهَا.

وَأَمَّا الْكَافِرُ غَيْرُ الْحَرْبِيِّ - الْمَعَاهِدُ أَوْ الذَّمِّيُّ - فَبِمَنْطِقِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ

البيت عليهم السلام له ما للمسلمين من حقوق وتحمّل بعض المسؤوليات وفق شرائط الذمه التي يتفق معه المسلمون عليها، فيكون له مالهم وعائيه ما عليهم.

وأما بحسب مدرسه الطرف الآخر - العامه - فالأمر مختلف في ذلك.

أسباب الإلفه البشريه ولايه الله وولايه الرسول

وقرّ بها الرسول - أي محبه الله ومحبه الرسول

ومحبه أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله:

البشريه تنشد الإلفه:

من المباحث الأخلاقيه المهمه في الإسلام والتي أكد عليها القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام هو بحث الإلفه الذي فيه تأليف القلوب الذي هو من أهم الأولويات التربويه والسياسيه في المدرسه الإسلاميه.

والإلفه تارة بمعنى: التأليف المادى حيث قال سبحانه وتعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا) ١ .

وأخرى بمعنى التأليف المعنوى: (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ) ٢ .

والمقيم للعدل هو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله (ما أفاء الله على رسوله من

أَهْلُ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللِّرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) ١ .

بتقريب: إنَّه يجب أن تستند ثروات الأرض ويوكل أمرها إلى الله ورسوله الخاتم صلى الله عليه وآله؛ لِأَنَّهُ لَمْ ولن يتحقّق العدل الإلهي المنشود في الأرض بشكل كامل إلّا بالنبي صلى الله عليه وآله وآله صلوات الله عليهم أجمعين؛ لِأَنَّ إسناد أمرها إلى غير الله ورسوله - كما رأته البشريّة - جرّ إلى حروب وويلات ودمار وأدّت إلى الفتن والعداوات بين البشر.

هَذَا كُلُّهُ بحسب البيانات الّتي يذكرها القرآن كملحمه إعجازيّة ونبوءه قرآنيّه، إنَّه بالنبي صلى الله عليه وآله وآله تتسق وتتآلف قلوب جميع البشر فضلاً عن المسلمين.

وَمِنْ لَطِيفٍ وَجَمِيلٍ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ٢ .

بتقريب: أنّ فرض أمر المودّة بأهل البيت عليهم السلام - أيّ قُربى النّبِيّ صلى الله عليه وآله - أمرٌ مفروغ عنه، بلّ القرآن يُطالب بحصر المودّة بأهل البيت عليهم السلام وأنّ (آل) في المودّة للجنس أيّ حصر جنس المودّة والولايه في القُربى فإذا حصّرتم الولايه في القُربى فلسوف تنعم البشريه بحياه طيبه كريمه.

وتعبير الآيه: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) نظير الآيه

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (٥٥) ١ بحصر الولاية بالله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام.

إذن القرآن يُبَيِّنُ ويرسم لنا واقع الإلْفه الحقيقيه والمحبه والتعايش السِّلْمى الذى تنشده البشريه بكافه أطيافها ومذاهبها وأديانها ومنظماتها المدنيه والامنیه، وأنَّ ذَلِكْ لا يتحقَّق إلاَّ عَنْ طريق تحقُّق شيئين وهُمَا الثقلان؛ الكتاب والعترة الطاهره فَهَمَّا كفيلان بتحقق ونشر الأمان فى عالم الوجود، وأمَّا تحقُّق أحدهما دون الآخر فالسَلْم مُؤقت.

ص: ٢٨٩

من نماذج أسباب النزول المحرفه

ما جاء في سورة براه التوبه:

هُنَاكَ مَبْحَثًا هَامًّا تَحْتَ عِنْوَانٍ: - قَاعِدَهُ تَسْمِيَةُ السُّورِ الْقُرْآنِيَةِ - وَقَدْ تَلَاعَبَتْ بِهِ مَدَارِسُ الطَّرْفِ الْآخِرِ - الْعَامَّةِ - الَّتِي تَبَنَّتِ الْفِكْرَ الْأُمَوِيَّ وَالْعَبَّاسِيَّ وَغَيْرَهُمَا تَلَاعِبًا خَطِيرًا، وَاخْتَارُوا مِنْ أَسْمَاءِ السُّورِ مَا يَطْمَسُ حَقَائِقَ خَطِيرَةٍ فِيهَا؛ كَمَا لَا تَنْتَشِرُ فِي الذَّهْنِ الْإِسْلَامِيِّ اسْتِعْمَالُهَا وَصَدَّهَا، وَمِنْ أَسْمَاءِ تِلْكَ السُّورِ الَّتِي تُلَوِّعُ فِيهَا هِيَ سُوْرَةُ - بَرَاءة - أَيْ التَّوْبَةِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا سَمَّتْهَا بِهَذَا الْاسْمِ - التَّوْبَةِ - تَعْمِيهً وَتَغْطِيَةً عَلَى حَقَائِقِ نُوْرِيهِ فِي الْقُرْآنِ، عَلِمًا أَنَّ اسْمَهَا الْحَقِيقِي (سُوْرَةُ بَرَاءة).

وَذَكَرَ صَاحِبُ تَفْسِيرِ مَجْمَعِ الْبَيَانِ الْعَلَّامَةُ الطَّبْرَسِيُّ أَسْمَاءَهَا عَشْرَةَ، سُوْرَةُ بَرَاءة سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا مَفْتَحَةٌ بِهَا، وَنَزَلَتْ بِإِظْهَارِ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْكُفْرَانِ - التَّوْبَةِ - سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ التَّوْبَةِ كَقَوْلِهِ: (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ)، (فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ)، (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ

لِيَتُوبُوا) ، الفاضحه: - عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ سُورَةُ التَّوْبَةِ، فَقَالَ: تِلْكَ الْفَاضِحَةُ مَا زَالَ يَنْزِلُ حَتَّى خَشِينَا أَنْ لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا ذُكِرَ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا فَضَحَتْ الْمُنَافِقِينَ بِإِظْهَارِ نِفَاقِهِمْ، وَالْمَبْعَثَرَةَ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا سَمَّاهَا بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَبْعَثَرُ عَنْ أَسْرَارِ الْمُنَافِقِينَ أَى تَبْحَثُ عَنْهَا: الْمَقْشَقِشَةُ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمَّاهَا بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَبْرِيءُ مَنْ آمَنَ بِهَا مِنَ النِّفَاقِ وَالشَّرْكِ لِمَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاءِ إِلَى الْإِخْلَاصِ، وَفِي الْحَدِيثِ كَانَ يُقَالُ لِسُورَتِي: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ الْمَقْشَقِشَتَانِ سَمِيَتَا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمَا تَبْرِيئَانِ مِنَ الشَّرْكِ وَالنِّفَاقِ يُقَالُ قَشَقَشَ إِذَا بَرَّاهُ وَقَشَقَشَ الْمَرِيضُ مَنْ عُلْتَهُ إِذَا أَفَاقَ وَبَرَّئَ مِنْهَا، الْبِحُوثُ: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ سَمَّاهَا بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَتَضَمَّنُ ذِكْرَ الْمُنَافِقِينَ وَالْبِحْثُ عَنْ سَرَائِرِهِمْ، الْمَدْمَدَمَةُ: - عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَى الْمُهْلِكَةُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ (فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ) ١ .

الحافره: عَنْ الْحَسَنِ لِأَنَّهَا حَفَرَتْ عَنْ قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ مَا كَانُوا يَسْتَرُونَهُ.

المثيره: عَنْ قَتَادَةَ لِأَنَّهَا أَثَارَتْ مَخَازِيهِمْ وَمَقَابِحَهُمْ.

سوره العذاب: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانَ لِأَنَّهَا نَزَلَتْ بِعَذَابِ الْكُفَّارِ، وَرَوَى عَاصِمٌ عَنْ زُرِّ بْنِ حَبِيشٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: يَسْمُوهَا التَّوْبَةَ وَهِيَ سُورَةُ الْعَذَابِ فَهَذِهِ عَشْرَةُ أَسْمَاءٍ (١).

ص: ٢٩٢

فَتَبَيَّنَ أَنَّ لِسُورِهِ بَرَاءً - التَّوْبَةَ - عَشْرَةَ أَسْمَاءَ وَكَلَّمَهَا أَسْمَاءَ غَضَبٍ وَحَمَمٍ إِلَهِيَّةَ عَلَيَّ فَنَاتِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ قَرِيْشٍ وَغَيْرِهَا.

وَعَلَى أَيْ حَالٍ فَإِنَّ التَّلَاعِبَ وَالتَّحْرِيفَ وَالتَّغْيِيرَ، وَصَلَّ بِهِ الْحَالُ إِلَى تَغْيِيرِ أَسْمَاءِ السُّورِ وَتَحْرِيفِهَا وَالِإِتْيَانِ بِغَيْرِهَا، وَلَمْ يَقْتَصِرِ التَّلَاعِبُ وَالتَّحْرِيفُ عَلَى رَوَايَاتِ أَسْبَابِ النُّزُولِ، فَحَسَبَ بَلَّ نَفَذُوهَا بِتَغْيِيرِ أَسْمَاءِ السُّورِ وَهَذَا نَوْعٌ آخَرٌ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّلَاعِبِ.

إِذْ لَيْسَ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ الْمُحَرَّفَةِ تَغْيِيبٌ لِلْحَقَائِقِ وَلِلْبَصَائِرِ وَالْأَنْوَارِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْقُرْآنِ بَلَّ تَعَدَّى الْأَمْرَ إِلَى تَحْرِيفٍ وَتَعْمِيهِ أَسْمَاءِ السُّورِ.

وَعَلَيْهِ فَايُنْ يُظَنُّ حَدْسُكَ أَنْ تَطْمَئِنُّ بِمَا يُبْنَى لَدَيْهِمْ - الْعَامَّةُ!؟

فَإِنَّهُمْ تَلَاعَبُوا حَتَّى بِأَسْمَاءِ السُّورِ عَلَى غَيْرِ مَا كَانَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذْ لَوْ أَبْقَوْهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَأَسْتَفَادَتِ الْأُمَّةُ وَارْتَشَفَتْ مِنْ حَقَائِقِ وَجَوَاهِرِ وَبَصَائِرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

سُورَةُ الْبَرَاءَةِ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

تَعَرَّضْتُ سُورَةَ الْبَرَاءَةِ إِلَى ذِكْرِ (١٣) ثَلَاثَةَ عَشَرَ فَرَقَهُ مَذْمُومَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَوَاخِرِ حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ سُورَةَ الْبَرَاءَةِ هِيَ آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - وَإِنْ كَانَ الصَّحِيحُ عَلَى الْقَوْلِ الْآخَرَ أَنَّ سُورَةَ الْمَائِدَةِ هِيَ آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ -

ولذا مِنْ أسماء سورة البراءه هِيَ سورة الفاضحه لأنها نزلت قبل رحيل رسول الله بسنتين تقريباً وَهِيَ لا زالت تَنْزُلُ بفصائح رجال مِمَّنْ هُمْ مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله، حَتَّى قَالَتِ الرُّوَايَةُ: «حَتَّى خَشِينَا أَنْ لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا ذُكِرَ» (١).

فَإِنَّ العَيْنَ المَجْهَرِيَّةَ لِلْقُرْآنِ الكَرِيمِ رَكَّزَتْ عَلَى أَنَّ جماعات منافقه مِنْ أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله، مِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ الله، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُودَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله، وَمِنْهُمْ منافق، وَمِنْهُمْ مَنْ فِي قلبه مَرَضٌ وَمِنْهُمْ... الخ حَتَّى أَنْ مِنْ بَعْضِ أسماء سورة البراءه هِيَ سورة القارعه؛ لِأَنَّهَا تَقْرَعُ رُؤُوسَهُمْ بِالفصائح والدفائن والمخططات العدوانيَّة الَّتِي أضمروها وانطوت عَلَيْهَا سرائرهم.

النموذج الثالث عَلَى دحض أسباب النُّزول المُلْفَقَه (٢):

ذُكِرَ فِي سورة براءه (التوبه) أنموذجاً ثالثاً لدحض أسباب النُّزول المُلْفَقَه عَلَى غرار النُّمُوذَجِينَ السَّابِقِينَ فِي سورتي آل عمران والأنفال وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) ٣.

بتقريب: أَنَّ روايات أسباب النُّزول المُزَيِّفَه ادَّعَتْ أَنَّ الثَّانِي اعترض عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله بشده أو مسك رداء النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، وَقَالَ لَهُ: كيف تصلى

ص: ٢٩٤

١- (١) مجمع البيان للطبرسي: ج ٥، ص ١.

٢- (٢) تَقَدَّمَ النُّمُوذَجُ الأوَّلُ لدحض أسباب النُّزول المُلْفَقَه وَهُوَ آيات مِنْ سورة آل عمران فِي خصوص معركة أُحُد، والنُّمُوذَجُ الثَّانِي كَانَ فِي آيات مِنْ سورة الأنفال حول معركة بدر، وَهَذَا هُوَ النُّمُوذَجُ الثالث لدحض أسباب النُّزول المُلْفَقَه فِي سورة براءه.

عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ وَتَقُومُ عَلَيَّ قَبْرِهِ... الخ إِلَى أَنْ اضْطَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَقُولَ لِلثَّانِي: «مَا يُدْرِيكَ أَدْعُوا لَهٗ أَوْ أَدْعُوا عَلَيَّ».

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُولٍ حَضَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - جَنَازَتَهُ، فَقَالَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلَمْ يَنْهَكَ اللَّهُ أَنْ تَقُومَ عَلَيَّ قَبْرَهُ؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَمْ يَنْهَكَ اللَّهُ أَنْ تَقُومَ عَلَيَّ قَبْرَهُ؟ فَقَالَ لَهُ: وَيَلِكُ وَمَا يُدْرِيكَ مَا قُلْتَ إِنِّي قُلْتُ: اللَّهُمَّ احْشِ جَوْفَهُ نَارِدًا وَأَمَلًا قَبْرَهُ نَارًا وَأَصْلَهُ نَارًا، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَأَبْدَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَا كَانَ يَكْرَهُ (١) وَأَدَّعَتْ أَسْبَابَ التُّزُولِ الْمُزَيَّفَةِ أَنْ هَيِّذَهُ الْآيَةُ نَزَلَتْ دَعْمًا وَتَأْيِيدًا وَتَصْوِيبًا لِمَوْقِفِ الثَّانِي، وَتَخَطُّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، هَذَا هُوَ دِيدَنُ أَسْبَابِ التُّزُولِ الْمُؤَلَّفَةِ بِأَنْ تَنْسَبَ الْخَطَأَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَلُومَهُ عَلَيَّ ذَلِكَ، وَبَعْدَ مَعْرِفَةِ هَذَا هَلْ يُعْقَلُ الْإِعْتِمَادُ عَلَيَّ مِثْلَ هَكَذَا مَوَازِينَ مَغْلُوطَةٍ وَمَخْلُوقَةٍ وَمَدْسُوسَةٍ وَمَصْطَعْنَةٍ تَشْكَلُ خَطَرًا يَمَسُّ مَعْتَقِدَ الْمُسْلِمِينَ كَعَقِيدَةِ النَّبُوَّةِ مِثْلًا، وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَنْ هُوَ مُحْسُوبٌ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ وَهُوَ مِنْهُمْ بُرَاءٌ كَالْفِكْرِ السَّيْلَفِيِّ بَيْلٍ وَعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ غَيْرَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِثْلًا الَّذِينَ تَبَنَوْا تَخَطُّهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنَّهٗ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كِبَاقِي الْمَجْتَهِدِينَ فِي الْوُقُوعِ فِي الْخَطَأِ وَرَتَّبُوا - السَّلْفِيَّةَ - عَلَيَّ ذَلِكَ أُمُورًا مِنْهَا:

١ - حرمة زياره القبور.

ص: ٢٩٥

١- (١) الكافي، للكلياني: ج ٣، ص ١٨٨.

فيا أيها الباحث الكريم المتأمل انظر إلى ما جرّت إليه روايات أسباب النزول المُلفّقه وما جرى على المسلمين من ويلات ومأسات وكلفتهم دماء وأموال بسببها إذا ابتدأت بالبحث العقائدي وانتهت ببحث فقه الفروع.

وهناك قسم آخر من روايات أسباب النزول المُحرّفه لديهم أشدّ شناعه على الرسول صلى الله عليه وآله إذ يقول: إِنَّ هَذِهِ آيَةَ ٨٤ مِنْ سُورَةِ الْبَرَاءَةِ، نَزَلَتْ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ، وَكَأَنَّ اعْتِرَاضَ الثَّانِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا ذَا لَمْ تَتَّقِيَدِ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، أَوْ لَمْ يُنْهَكَكَ اللَّهُ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ فَكَيْفَ إِذْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ الرُّوَايَاتِ أَعْظَمُ شِنَاعَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّهَا تَذَكَّرُ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ بِنَهْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَمَعَ ذَلِكَ حَسَبَ زَعْمِهِمْ يَرْتَكِبُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمُخَالَفَةَ وَتَكُونُ غَيْرَهُ وَحَرَصَ الثَّانِي عَلَى الدِّينِ أَشَدَّ مِنْ غَيْرِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ! وَهُنَا تَكْمُنُ خَطُورُهُ أَسْبَابُ النَّزُولِ الْمُزَيَّفَةِ فِي التَّجْرَأِ عَلَى مَقَامِ النَّبَوَةِ وَشَخْصِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ، يَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الْغَيُورُ الْأَمِينُ عَلَى الشَّرِيعَةِ وَالِدِّينِ وَالْمُحَامِي وَالْمُدَافِعُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

وعليه فكيف يمكن تعقل هكذا أسباب نزول مُلفّقه لا تُفرّق بين النبي وغيره، وجعلت من هو عين الوحي مفضولاً لمن عبد الوثن وعافر

الحمير أربعين عاماً، والإمام والمأموم فإنها جعلت المفضول فاضلاً والمأموم إماماً، وهذا له تداعيات خطيرة جداً تمس العقيدة.

أولاً: أن أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى غير مدرسه أهل البيت عليهم السلام استدّلوا بروايات أسباب النزول المُلَفَّقه المُتقدِّمه في سورة آل عمران والأنفال وسوره التوبه على عدم عصمه النبي صلى الله عليه وآله في التحاكم السياسي، وفي تدبيره لأُمور الدولة وما شابه ذلك مع أن القرآن يشهد للنبي صلى الله عليه وآله بالعصمه في تدبير الحكم من جهة بُعد الموضوعات.

ثانياً: أنهم رتبوا على روايات أسباب النزول المُلَفَّقه بحوثاً وعناوين خطيرة جداً في مثل كتبهم الأصوليه - أصول الفقه - كعنوان [هل للنبي صلى الله عليه وآله أن يجتهد].

بتقريب: بمعنى أن النبي صلى الله عليه وآله - والعياذ بالله - يجهل الشيء فلا بُدَّ أن يجتهد لتحصيل علمه، وهكذا عنوان آخر [هل يخطئ النبي صلى الله عليه وآله أو لا] و... الخ.

وبإثارة هكذا بحوث تولد لديهم مثل هل يمكن الاعتراض على النبي صلى الله عليه وآله أو لا؟ أو هل يمكن الرد على النبي صلى الله عليه وآله أو لا؟ هكذا بنوا عقائدهم وفقههم.

ثالثاً: يلزم من الأخذ والعمل بروايات أسباب النزول المُلَفَّقه من دون تمحيص وتحقيق وغربله للأفكار وعرضها على مُحكمات الكتاب

والسنة، الإسفاف (١) بفعل الله؛ لأن المرسل - بالفتح - وهو النبي صلى الله عليه وآله يُنبئ عن حكمه المرسل - بالكسر - وهو الله تعالى، ويكون المعنى عندهم حسب روايات أسباب النزول المُلَفَّقه: أن الباري تعالى اشتبه وأرسل النبي صلى الله عليه وآله ولم يرسل غيره؟ وليس هَذَا المعنى تجنى عليهم وإنما هو مُدَوَّن في روايات أسباب النزول المُلَفَّقه التي اعتمدها في فهم معنى الآيات، والمشكلة الأعظم أن مثل هكذا روايات أسباب نزول مُلَفَّقه تسرَّبت إلى كتبنا، وسُنِّيَّين لاحقاً في محله المُناسِب - إن شاء الله - إنَّه بحسب روايات وبيانات أهل البيت عليهم السلام أنه كيف جعلت هذه الروايات المُزيِّفه المثلثة لبعض الصحابه منقبه.

بيان نقاط الزيف والتلفيق في روايات أسباب النزول:

في سورة براءه ٨٤:

هُنَاكَ عِدَّة نِقَاطٍ لِلزَّيْفِ فِي سُورَةِ بَرَاءِهِ حَاوَلْتَ أَسْبَابَ النُّزُولِ المُلَفَّقه والأقلام المأجوره قلب الحقائق فيها وحجب الأبصار عنها
إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَفْلِحُوا بِذَلِكَ وَهِيَ:

النقطة الأولى: إنَّ صِرْفَ مَفَادِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ لَا يَدُلُّ عَلَى عِتَابٍ شَدِيدٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ تَخَطُّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلِذَا يَصْعَبُ عَلَى المُفَسِّرِ وَالبَاحِثِ الكَرِيمِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ هَكَذَا أَجْواءِ مَوْبِوءِهِ وَرَدِيئِهِ شَحَنَتْ

ص: ٢٩٨

١- (١) الإسفاف: أي ليس لكلامه معنى.

بهكذا روايات مخلوقه ومكذوبه، وَيَكُونُ النَّظْرُ إِلَى الرَّوَايَةِ بِلَوْنٍ لَيْسَ وَاقِعِي، وَهَذَا أَحَدُ أَهْمِ أَزْمَاتٍ وَمَشَاكِلِ أَسْبَابِ النَّزُولِ الَّتِي تَسَبَّبَ إِشْبَاعُ الْأَذْهَانِ بِجَرَعاتِ خَاطِئِهِ مِنَ الرَّوَايَاتِ، وَلِذَا يَكُونُ التَّشَاغُفِيُّ مِنْ هَكَذَا رَوَايَاتِ أَسْبَابِ نَزُولِ مُلْفَقِهِ أَمْرٌ فِي غَايَةِ الصَّعُوبَةِ، فَوْقَ الْكَثِيرِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي وَحْلِ وَشِرَاكِ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ الْمُزَيَّفَةِ وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا النَّجَاهَ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْهَا.

ولذا يجب على الباحث والمفسر الناجح والفاحص عن الحقيقة أن لا يتعد عن روايات مدرسه أهل البيت عليهم السلام والعرض عليها إذ هي كاشفه عن زوايا الحقيقة والمبينه لأوجه الزيف في روايات أسباب النزول والابتعاد عن أسباب النزول المُلْفَقَةِ ولا يُلَوِّثَ ذهنه بها ويحرر نفسه من قيودها.

فالصحيح بحسب روايات أسباب النزول الواردة عن أهل البيت عليهم السلام أن هذه الآية من سورة براءه / ٨٤ لَيْسَ فِيهَا عِتَابٌ وَتَنْدِيدٌ أَصْلًا وَإِنَّمَا فِيهَا تَشْرِيحٌ وَتَأْكِيدٌ عَلَى أَبْدِيَّتِهِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ لَا يُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَلَا يُقَامُ عَلَيْهِمْ قُبُورُهُمْ لِأَجْلِ الدُّعَاءِ لَهُمْ بِخِلَافِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ، أَمَّا أَنَّهُ فِي آيَةِ عِتَابٍ وَتَنْدِيدٍ بِالرَّسُولِ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَحَاشَاهُ - فَهَذَا أَوَّلُ الْكَلَامِ.

المنهى عنه مغاير لما قام به النبي صلى الله عليه وآله:

النقطة الثانية: ما المراد من النهي عن الصلاة على مثل هؤلاء المنافقين في الآية المباركة (وَلَا تُصَلِّ)؟ هل المراد لا تُصَلِّ صَلَاةَ الْأَمْوَاتِ

عَلَى هَذَا الْمُنَافِقِ أَمْ الْمُرَادُ الْمَعْنَى اللَّغْوِي لِلصَّلَاةِ وَهُوَ الدُّعَاءُ؟

إِنَّهُ حَسَبَ أَسْبَابِ التُّزُولِ الصَّحِيحَةِ الْوَارِدَةِ فِي بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْمُرَادُ مِنَ الصَّلَاةِ مَعْنَاهَا اللَّغْوِي أَيْ لَا تَدْعُ لِلْمُنَافِقِ بِقَرِينِهِ (وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا أَنَّ مِنْ سَجِيَّتِهِ أَنْ يَقُومَ عَلَى قَبْرِ الْمَيِّتِ وَيُكْثِرُ لَهُ مِنَ الدُّعَاءِ لِيُخَفِّفَ عَنْهُ الْعَذَابَ وَالسُّؤَالَ ... الخ.

وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ (وَلَا تُصَلِّ) النَّهْيُ عَنْ صَلَاةِ الْأَمْوَاتِ فَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَنْهَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ أَصْلِ الصَّلَاةِ الَّتِي هُوَ شَعِيرُهُ إِسْلَامِيَّةٌ لَا صَلَاةَ لَهَا بِالْمَيِّتِ الْمُنَافِقِ فَإِنَّ الْمُنَافِقَ وَالنَّاصِبِي ... الخ لَا يُدْعَى لَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ وَإِنَّمَا يُدْعَى عَلَيْهِ، كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي التَّكْبِيرِ الرَّابِعِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ فَإِنَّ فِيهَا دَعَاءً فَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا فَإِنَّهُ لَا يُدْعَى لَهُ وَإِنَّمَا يُدْعَى عَلَيْهِ، كَمَا فِي الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا) (٨٥) ١ .

بِتَقْرِيْبٍ: أَنَّ مَنْ يَتَشَفَّعُ لِمُنَافِقٍ أَوْ مُعَاوِذٍ فَإِنَّهُ يُؤْزَرُ وَيُؤْتَمُّ إِلَى أَنْ يَبَيِّنَ الْآيَةَ: - أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ آزَرَ عَدُوًّا لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ فَإِنَّهُ الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ لَا يَسْتَغْفَرُ لَهُ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِغْفَارَ لِعَمُومِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْوَارِدِ فِي تَكْبِيرَاتِ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ لَا يَشْمَلُ الْمُنَافِقَ لِأَنَّ الدُّعَاءَ لِلْمُسْلِمِ وَالْمُرَادُ مِنَ الْمُسْلِمِ أَيْ الْمُسْلِمَ الْحَقِيقِي الَّذِي إِسْلَامُهُ بِقَلْبِهِ لَا بِلِسَانِهِ أَيْ لَا

المسلم الصورى الذى إسلامه بلسانه فقط ويُعانده الله ورسوله فى قلبه والمنافق من قسم المسلم الذى أسلم بلسانه فقط دون قلبه، وَعَلَيْهِ فَلَا يَسُوغُ الدُّعَاءُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ لِلْمُنَافِقِ وَالْكَافِرِ وَإِنَّمَا يُدْعَى عَلَيْهِ لِأَنَّهُ، والتعليل ظاهر فى الآية (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) ١.

بتقريب: أنه لا- يمكن الدعاء للمنافق بحسب ظاهر الآية، وهَذَا لا علاقة لَهُ بتعطيل معلم دينى عظيم أَلَا وَهُوَ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَيِّتِ، وَعَلَيْهِ فَمَا هُوَ وَجِهَ الرِّبْطِ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالْمُنَافِقِينَ.

وَمَعْنَى «لَا- تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ» أَيْ لَا تَدْعُ لَهُ، هَذَا كُلُّهُ بِحَسَبِ مَا تَبَيَّنَتْ عَلَيْهِ رَوَايَاتُ أَسْبَابِ التُّزُولِ الْوَارِدَةِ عَنْ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مِنْ نَكَاتٍ فِي أَلْفَاظِ الْآيَاتِ وَأَمَّا بِحَسَبِ رَوَايَاتِ أَسْبَابِ التُّزُولِ الْمُتَّفَقَةِ وَالَّتِي هِيَ عِنْدَ الطَّرْفِ الْآخِرِ - الْعَامَّةِ - فَكُلُّ مَا فِيهَا هُوَ لِأَجْلِ تَبْرِيرِ خَطَأِ الثَّانِي عِنْدَ اعْتِرَاضِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَصْوِيبِ فَعْلِهِ وَلَوْ انْجَزَّ إِلَى تَخَطُّهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمِنْ الْعَجِيبِ وَالْغَرِيبِ أَنَّ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَكُونُ عِنْدَهُ حَمِيَّةٌ أَكْثَرَ عَلَى الدِّينِ مِنْ حَامِيٍّ وَرَاعِيٍّ الشَّرِيعَةِ وَالِدِّينِ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِلَّا أَنَّ هَذَا يُرَى فِي مَوَاطِنَ عَدِيدَةٍ مِنْ مَبَاحِثِ التَّفْسِيرِ الَّتِي تُرَوِّقُ أَسْبَابَ التُّزُولِ الْمُزَيَّفَةِ وَيَحَاوِلُونَ إِظْهَارَهَا بِالْوَجْهِ الَّذِي تُكْتَبُ فِيهِ حَصَانَةٌ لِبَعْضِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِمَا تَفُوقُ حَصَانَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَفْسَهُ عِنْدَ الطَّرْفِ الْآخِرِ.

إِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ لَا - يُسْتَغْفَرُ لَهُمْ وَلَا يَتْرَحَمُ وَلَا يُتْرَضَى عَلَيْهِمْ وَلَا يُتَشْفَعُ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ وَإِنْ أَظْهَرُوا صُورَهُ الْإِسْلَامِ فَإِنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ وَصَفَهُمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَآمَنُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (١٨٤) .

ولذا عِنْدَمَا أَلْحَجَّ وَأَصْرَّ الثَّانِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ لَمْ يَصِلِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى هَذَا الْمُنَافِقِ اضْطَرَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَقُولَ لِلثَّانِي: «ويحك وما تدري ما قلت في صلاتي دعوت عليّ أم له».

وَهُنَاكَ رَوَاهُ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صَدَدِ هَذَا الْإِعْتِرَاضِ الْخَاطِئِ مِنَ الثَّانِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: - أَنْ الثَّانِي كَانَ سَبَبًا فِي إِفْصَاحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ شَيْءٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَكْتُمُهُ، وَكَانَ غَرَضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلُولٍ هُوَ احْتِرَامًا لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ.

وفى روايه عن الباقر عليه السلام أنّ عمر عندما اعترض على النبي صلى الله عليه وآله في الصلاة على عبدالله بن أبي سلول فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «... ما رأيتنا صلينا له على جنازه ولا قمنا له على قبر» ثم قال: إنّ ابنه رجل من المؤمنين وكان يحقّ علينا أداء حقّه، وقال له عمر أعود بالله من سخط الله وسخطك يا رسول الله! (١).

كَذَلِكَ كَانَتْ صَلَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ طَمَعًا فِي

ص: ٣٠٢

هدايه جماعه من آل أبى سلول وغيرهم، وفعلاً أسلم المئات منهم، بل أسلم ألف من الخزرج لما رآوا النبي صلى الله عليه وآله، كما فى تفسير مجمع البيان للطبرسى: - أنه صلى الله عليه وآله صلى على عبد الله بن أبى وأبسه قميصه قبل أن ينهى عن الصلاة على المنافقين، عن ابن عباس وجابر وقتاده وقيل أنه أراد أن يصلى عليه فأخذه جبرئيل بثوبه وتلا عليه (ولا تصل على أحد منهم) الآية، وقيل: إنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله لم وجهت بقميصك إليه يكفن فيه وهو كافر، فقال: إن قميصى لن يغنى عنه من الله شيئاً، وإنى أؤمل من الله أن يدخل بهذا السبب فى الإسلام خلق كثير، فروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رؤوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

وهناك أهداف أخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يرتكب الرسول صلى الله عليه وآله ما نهاه الله عنه لأن الذى نهى عنه هو الدعاء للميت لا أصل الصلاة كشعار إسلامى، كما فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله للثانى عندما اعترضه فى الصلاة على عبد الله بن أبى، فقال له الرسول صلى الله عليه وآله: «ويلك وهل يدري ما قلت له؟ إنما قلت اللهم اغش قبره ناراً وجوفه ناراً وأصلبه النار فبدا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يكن يجب» وفى روايه أخرى أن النبي صلى الله عليه وآله، قال للثانى: «ويحك أو ويلك إنما أقول: اللهم املاؤه قبره ناراً واملأ جوفه ناراً وأصله يوم القيامة ناراً» (٢).

ص: ٣٠٣

١- (١) مجمع البيان للطبرسى عنه تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ١٥٢.

٢- (٢) تفسير الصافي للفيض الكاشانى: ج ٢، ص ٢٥٧.

اعتراض الثَّانِي عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

كَأَدَّ يُفْشِلُ بِرَنَامِجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

إِنَّ الْبِرَنَامِجَ الَّذِي كَانَ يَسِيرُ عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي هَذَا الْمَجَالِ هُوَ الْبِرَنَامِجُ الَّذِي رَسَمَهُ لَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ) ١ .

بتقريب: إِنَّ أَحَدَ الْبِرَاهِمِينَ عَلَيَّ إِمَامَهُ أَتَمَّهُ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُوَ أَنَّهُ لَا يُفْهَمُ مَغْزَى سِيرِهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى وَمَنْ قَالَ فِي حَقِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيَّ بِأَبِهَا» «أَنَا مَدِينَةُ الْحِكْمَةِ وَعَلَيَّ بِأَبِهَا» «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيَّ بِأَبِهَا» (١) «أَنَا مَدِينَةُ الْفِقْهِ وَعَلَيَّ بِأَبِهَا» (٢) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «خَلَقَ النَّاسَ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى وَخُلِقْتُ أَنَا وَابْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ أَصْلِي عَلَيٌّ وَفِرْعَوِيُّ جَعْفَرٌ» (٣) وَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ النَّاسُ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى وَأَنَا وَأَنْتَ يَا عَلِيُّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ» (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) ٥ .

بتقريب: أَنَّ هَذَا الْمَقَامَ - أَيْ مَقَامَ أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسِكُمْ - لَمْ يَثْبُتْهُ الْقُرْآنُ

ص: ٣٠٤

١- (٢) أمالي الصدوق: ص ٤٢٥؛ الغدير للأميني: ج ٦، ص ٨١.

٢- (٣) مستدرک سفینه البحار، علی النمازی: ج ٨، ص ٢٨٨.

٣- (٤) الخصال للصدوق: ص ٢١.

الكريم لا- لنوح ولا- لإبراهيم ولا- لعيسى و... إِنَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يَكُونُوا بِمَنْزِلَةِ نَفْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا عَلَىٰ بَنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا مَا أَجَابَ بِهِ الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا سَأَلَهُ الْمَأْمُومُ الْعَبَّاسِيُّ عَنْ أَعْظَمِ مَنْقَبِهِ لِعَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ قَرَأَ الْآيَةَ (وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ) ١ وَبِتَقْرِيْبٍ: أَنْ هَذِهِ الْمَنْقَبَةُ لَمْ يَمْتَلِكْهَا إِلَّا مَلِكٌ مَقْرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا... الْخِ وَ مَنْ كَانَتْ أَوْصَافُهُ وَمَنْقَبُهُ مَزِيدَهُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ عَلَىٰ بَنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْحَافِظُ لِسُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسِيرَتِهِ؛ وَلِذَا قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هُمْ أَخْطَأُوا فِي فَهْمِ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ يَزْعُمُوا حَقَّ رِعَايَتِهَا» وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: (وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) ٢ بِتَقْرِيْبٍ: أَنْ لَيْسَ كُلُّ الصَّحَابَةِ يَمْتَلِكُونَ أُذُنًا وَاعِيَةً عِدَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ بَنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِذَا كَانَ هُوَ الْأَحَقُّ بِحِفْظِ الشَّرِيعَةِ وَحَمَايَتِهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

الوصي هو الحافظ الوحيد لسنة النبي صلى الله عليه وآله

وسيرته نُصْرَةً وَرِعَايَةً:

وَمَعَ كُلِّ هَذَا تَعْتَرِضُ مَدْرَسَةُ الطَّرْفِ الْآخِرِ - الْعَامَّةِ - وَآئُهُ لِمَاذَا تَخْصُونَ كُلَّ ذَلِكَ ب - (عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَإِنَّ سَائِرَ الصَّيْحَابَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَيْضًا تَلْقَوُا الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟

إِنَّ الصَّحَابَةَ الَّذِينَ كَانُوا يَعِشُونَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَلْتَفُونَ حَوْلَهُ، فَإِنَّ

كثيراً من الموارد والمواقف التي كانت تصدر من النبي صلى الله عليه وآله لا يفهمون دواعي وأغراض النبي صلى الله عليه وآله منها؛ لأنه صلى الله عليه وآله كان يعيش في أفق عقلي وقلبي عظيم، لم يستطع الصّحابة فهمه ولم يمتلكوا المؤهلات الكافية لفهمه، وما تلقوه من الحديث كما يدعون عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه كان مجرد أصوات ولقلقه ألفاظ أو أنها مجرد أفعال كانوا يرونها تصدر عن النبي صلى الله عليه وآله وأما فهم ما وراء ذلك فلا أحد يقوى عليه بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا على بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده الحسن والحسين عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

ولذا من ثوابت ومعتقدات مدرسه ومنهج أئمة أهل البيت عليهم السلام هو أنّ الحافظ لحقيقه الشريعة والمؤمن عليهما لا بُدَّ أن يفهم أفق النبي صلى الله عليه وآله وهَذَا لا أحد يستطيع أن يدعيه أو يتمثله إلا أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام والتسعة المعصومين عليه السلام من ذريته الحسين عليه السلام إذ لا يتسنى ذلك لمطلق البشر وإنما يتسنى للبشر بوصف كونهم يوحى إليهم، والمصداق الأوّل لهذا الوصف بعيد رسول الله صلى الله عليه وآله هو على بن أبي طالب عليه السلام.

عبارة لطيفه لابن سينا في حق أمير المؤمنين عليه السلام:

في رساله المعارج، حيث قال: أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام مركز الحكمة، وفلك الحقيقة، وخزانه العقل، ولقد كان بين الصّحابة كالمعقول بين المحسوس (1). وهذا معناه أنّ علياً بن أبي طالب عليه السلام كان يعيش

ص: ٣٠٦

فِي افق النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَجِيهٍ وَقَلْبِهِ وَعَقْلِهِ وَغَيْبِيَّاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَّا سَائِرُ الصِّحَابِهِ عِدَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا يَعِيشُونَ مَعَ بَدَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لِهَذَا السَّبَبِ وَغَيْرِهِ كَانَ يَصِفُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِي مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ يُخْبِرُنَا عَنْ هَارُونَ «وَأَنْزَلْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ».

بِتَقْرِيْبٍ: أَنَّ أَصْلَ الْإِيْحَاءِ وَالْإِنْزَالِ كَانَ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَّا أَنَّ ذَبْدَبَاتِ الْوَحْيِ كَانَتْ تَنْعَكْسُ عَلَىٰ هَارُونَ، كَذَلِكَ أَمْوَاجِ الْوَحْيِ الَّتِي كَانَ يَسْمَعُهَا الْخَاتَمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنْعَكْسُ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ هَذِهِ الْوَحْيَانِيَّاتِ الَّتِي تُفَاضُ مِنَ الْبَارِي عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِوَاسِطَةِ الْوَحْيِ فَالرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُفِيضُهَا بِأَمْرٍ مِنَ اللهِ عَلَىٰ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحْيَانِيًّا لَا لِسَانِيًّا.

هَذَا مُضَافًا إِلَىٰ أَنَّهُ أَوْلَىٰ الْقُرْآنَ يَنْهَىٰ عَنْ التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَرَسُولِهِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ١ .

بِتَقْرِيْبٍ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَا تَسْرِعُوا إِلَىٰ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ يَرْجِعُ أَمْرُهُ إِلَىٰ الدِّينِ وَالْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ وَتَتَّخِذُوا أَزْوَاجَهُ مَوْقِفًا قَبْلَ أَنْ يَقْضَىٰ بِهِ اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَيَكُونُ الْإِعْتِرَاضُ عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ مِنْهُ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ.

وَتُرَوَّى أَسْبَابُ النُّزُولِ الْمُزَيَّفَةِ أَنَّ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي كَادَا يُهْلَكَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ (... لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَرَسُولِهِ) بِسَبَبِ تَقَدُّمِهِمَا عَلَىٰ رَسُولِ

فإذا كَانَ منطلق القرآن وقانونه ينهى عَنْ عدم التقدّم والمسارعه إلى استباق النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فكيف يروون بحسب أسباب النزول المُلَفَّقه خمسهُ أو ستهُ مواطن حسَّاسه وخطيره مِنْهَا - كَمَا تَقَدَّمَ - فى سورة آل عمران فيما يتعلّق فى معركه أُحُد، وفى سورة الأنفال ما يتعلّق بغزوه بدر، وفى سورة براءه وما يتعلّق بالعتاب الإلهى للنبي صلى الله عليه وآله وتخطئته ولومه فى الصَّلاه عَلَى بَعْض المُنَافِقِينَ كعبدالله بن أبى ابن سلول، وفى سورة الأحزاب وغيرها، علماً أَنَّ القرآن الكريم نَبه المسلمين عَلَى دَقّه المعامله مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله الذى هُوَ بين ظهرانيكم، وَأَنَّ معاملتكم لَهُ وكونه مُرْسَلًا مِنْ قِبَل رَبِّ العِزّه، إِلَيْكُمْ (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) ١ .

بتقريب: أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لو كَانَ يتابعكم عَلَى مثل ما تريدون وتقرحون ويُلبي رغباتكم لوقعتم فى المشقّه والفساد والخرج (وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ) ٢ .

وَالْمُرَادُ مِنَ الْإِيمَانِ أَى طاعه رسول الله وعدم مخالفته والاعتراض عَلَيْهِ (وَ كَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيَانَ) ٣ ، بتقريب: أَنَّ مخالفه رسول الله صلى الله عليه وآله كفر وفسوق وعصيان مُضَافًا لما تَقَدَّمَ فى سورة آل عمران (وَ شَاوِرُهُمْ

فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ (١) بتقريب: أَنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَلَيْسَ هُمْ إِذَا عَزَمُوا وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنْ هَيْدِهِ النَّدَاءَاتِ الْمُتَكَرِّرَةِ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَارِدِ عَدِيدِهِ تُرَكِّزُ عَلَيَّ مِنْهَجَ إِطَاعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ٢ وَقَدْ ذَكَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: «اتَّقِ اللَّهَ بَعْضَ التَّقَى وَإِنْ قَلَّ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سِتْرًا وَإِنْ رَقَّ» (١).

وَأَدْنَى شَيْءٍ يَتَّقَى الْإِنْسَانَ بِهِ خَالِقَهُ هُوَ أَنْ يَكْفَ عَنْ قَوْلٍ: لَوْ أَحَلَّ اللَّهُ هَذَا الشَّيْءَ الَّذِي حَرَّمَ، أَوْ حَرَّمَ ذَاكَ الَّذِي أَحَلَّ، وَيَا لَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَعَلَّ كَذَا أَوْ لَمْ يَفْعَلْ الَّذِي فَعَلَ وَقَوْلُهُ (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَى (٢) وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) وَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْجُرْأِ وَالْجَهْلِ.

وَبَعْدَ كُلِّ هَذَا فَكَيْفَ نَقْبَلُ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ الْمُزَيَّفَةَ الَّتِي تَقُولُ: بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَنْزِلُ بِتَصْوِيبِ الثَّانِي وَتَخْطئه مَوْقِفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، هَلَّا نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْطَأَ وَيَعْتَرِضَ عَلَيْهِ الثَّانِي.

وَالإمام زين العابدين عليه السلام يصف تعظيم الله للنبي صلى الله عليه وآله: «... إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْرٌ فِي الْقُرْآنِ بِتَعْظِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبِمَرَّاسِيمٍ وَكَيْفِيَةٍ لَمْ تَعْظَمْ بِهَا مَلُوكٌ

ص: ٣٠٩

١- (٣) نهج البلاغه، خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

الأرض كلهم، وَهُوَ أَنْ لَا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» (١).

وَإِنَّمَا لَا يُدَّ أَنْ تَكُونَ أصواتكم عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَإِلَّا يَحْبُطُ عَمَلُكُمْ بِمَا فِيهَا الْعَقِيدَةُ وَالْإِيمَانُ؛ لِأَنَّ الْأَدَبَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَرْطٌ فِي قَبُولِ الْإِيمَانِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ تَرْكِيْزَ وَتَشْدِيدَ الْقُرْآنِ عَلَى تَعْظِيمِ أَمْرِ طَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيْسَ أَمْرًا مَجَامِلِيًّا مَبَالِغًا فِيهِ وَإِنَّمَا يَعْكَسُ مَدَى حَقِيْقَةِ عَظْمِهِ هَذَا الْمَخْلُوقِ لِلَّهِ تَعَالَى فَاعْرِفُوا قَدْرَهُ وَالْقَدْرَةَ الْإِلَهِيَّةَ فِيهِ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِخُصَائِصٍ عِدَّةٍ كَمَا ذَكَرَهَا الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَعَائِهِ فِي ذِكْرِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: «اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَصَّ مُحَمَّدًا وَآلَهُ بِالْكَرَامَةِ وَخَيَّرَهُمُ بِالرِّسَالَةِ وَخَصَّصَهُمْ بِالْوَسِيلَةِ وَجَعَلَهُمْ وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، وَخَتَمَ بِهِمُ الْأَوْصِيَاءَ وَالْأَثْمَةَ وَجَعَلَ أَفْدَنَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ... الخ» (٢).

وَالْخِلَاصُ مِنْ كُلِّ هَذَا: - إِذَا كَانَتْ مَنْزِلَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْقُرْآنِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فَكَيْفَ يَحْتَمَلُ أَنْ تَنْزِلَ آيَةٌ قُرْآنِيَّةٌ تَحُطُّ مِنْ قَدْرِ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَحَاشَا مِنْ ذَلِكَ - وَهَذَا يَكْشِفُ أَنَّ تِلْكَ الرُّوَايَاتِ الَّتِي ذَكَرْتَ ذَلِكَ مَا هِيَ إِلَّا مُزَيَّفَةٌ وَمُؤَلَّفَةٌ وَمَكْذُوبَةٌ، وَمُنَاقِضَةٌ لِمُحْكَمَاتِ وَأَصُولِ الْقُرْآنِ.

زياره القبور والدعاء عندها للميت عباده:

جرت سنَّة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُصَلِّي عَلَيْهِ وَيَقِفُ عَلَى قَبْرِهِ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ وَيَقُولُ لِمَنْ حَضَرَ: - «اسْتَغْفِرُوا

ص: ٣١٠

١- (١) المصدر.

٢- (٢) الصحيفه السجاديّه مِنْ دَعَائِهِ فِي ذِكْرِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ.

لأخيكم وسلوا التثبث له فإنه الآن يُسأل... الخ» هكذا كانت سنة النبي صلى الله عليه وآله على القيام على القبر، قبل نزول الآية (و) لا تُصلّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله و ماتوا وهم فاسقون (١٨٤) .

بتقريب: إنّه بعيد نزول الآية والخطاب فيها موجّه إلى النبي صلى الله عليه وآله، وضمير (منهم) يعود على المنافقين امتنع النبي صلى الله عليه وآله من الصلاة على المنافقين لصراحة الآية في النهي عن الصلاة عليهم والوقوف على قبورهم للدعاء لهم، ولعلّ سبب هذا النهي كان لأجل إصرار المنافقين على الكفر بالله ورسوله باعتبار أنّ المنافق أحد أقسام الكفار، بل هو أسوأ حالاً من الكافر؛ لأنّه يبطن الكفر ويظهر الإسلام، فلعلّه لأجل هذا السبب وغيره تحرم الصلاة على جنازته لصراحة الآية في ذلك.

وهكذا قوله تعالى في وصف حال هؤلاء المنافقين والمشركين (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يشيخفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنّهم أصحاب الجحيم (١١٣) ٢ هذا بالنسبة للمنافق والكافر.

وأما بالنسبة إلى المسلم والمؤمن فإذهب يا رسول الله إلى قبره وزره وادعوا الله هنيأ، فضلاً عن الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام،

فَمَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «مَا بَيْنَ قَبْرِى وَمَنْبَرِى رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» (١).

وَفِي هَذَا حَثٌّ لِلْمُسْلِمِينَ لِلتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، نَظِيرَ الْحَثِّ الْوَارِدِ فِي الْآيَةِ (وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ) ٢.

بِتَقْرِيْبٍ: أَنَّ الْمَوْجُودَ فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِبَارَةٌ عَنْ حَجَرٍ لَأَمْسَ يَدِنَ النَّبِيُّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِبِرْكِهِ هَذِهِ الْمَلَامِسَةُ كَانَتْ لِلْمَقَامِ هَذِهِ الْمَزِيَّةَ وَهُوَ أَنْ يَتَّخِذَ مُصَلِّئًا، فَكَيْفَ بِقَبْرِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَدِينَةِ الْخَلِيلِ الَّذِي فِيهِ جِثْمَانُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَمَا بِالْكَافِ بِمَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَخَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهَكَذَا اعْتِقَادُنَا بِسَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي نَزَّلَهُ الْقُرْآنُ مِنْزِلَهُ نَفْسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ) ٣.

وَهَذَا مَعْنَى تَنْزِيلِ نَفْسِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْزِلَهُ نَفْسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ) ٤ كَيْفَ لَا- وَالرُّوحُ الْأَمْرِيُّ الَّذِي هُوَ الرُّوحُ الْأَعْظَمُ وَالَّذِي هُوَ حَقِيقَةُ الْقُرْآنِ وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ الَّذِي نُزِّلَ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَوْحِيَ إِلَيْهِ قَدْ وَرِثَهُ الْوَصِيُّ وَيَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِ الْأَوْصِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَضْلًا عَنْ أَقْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

ص: ٣١٢

فِي حَقِّ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا عَلَى أَنَا وَأَنْتَ مِنْ شَجَرِهِ وَاحِدِهِ وَسَائِرِ النَّاسِ مِنْ شَجَرِ شَتَّى» وَهَكَذَا مَا وَرَدَ فِي الْخُصَالِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «زُورُوا مَوْتَاكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَفْرَحُونَ بِزِيَارَتِكُمْ وَيَطْلُبُ الرَّجُلُ حَاجَتَهُ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِ وَأُمَّهُ بَعْدَ مَا يَدْعُو لَهُمَا» (١) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَبَعْدَ أَنْ كَانَ هُنَاكَ مُسْتَنْدًا مُعْتَبَرًا لَزِيَارَةِ الْقُبُورِ وَالِدُعَاءِ عِنْدَهَا وَالْقِيَامِ عَلَى قَبْرِ الْمَيِّتِ الَّذِي مَعْنَاهُ الْحُضُورُ عِنْدَهُ وَزِيَارَتُهُ فَلَيْسَ بِشَرِكٍ، كَمَا يَدَّعَى أَصْحَابُ الْمَسَلِكِ السِّلْفِيِّ، بَلْ هُوَ تَوْحِيدٌ وَعِبَادَةٌ وَعِظْمَةٌ، هَذَا إِذَا أُرْدْنَا أَنْ نَتَمَسَّكَ بِأَمْرِ الْقُرْآنِ، فَكَيْفَ أَفْتَى الْوَهَابِيَّةَ وَالسَّلَفِيَّةَ بِحَرَمِهِ زِيَارَةَ الْقَبْرِ وَحَرَمَهُ الدُّعَاءَ لَهُ عِنْدَهُ، وَمَا هُوَ مُسْتَنْدَهُمْ فِي ذَلِكَ؟

أَنَّهُ لَا مُسْتَنْدَ لَهُمْ إِلَّا تِلْكَ الرُّوَايَاتُ الْمُؤَلَّفَةُ وَالْمُزَيَّفَةُ الَّتِي اعْتَمَدُوهَا فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ وَفَهْمِهِمُ الْمُعْجُوزِ لِلرُّوَايَاتِ وَالَّتِي تُرِيدُ حُجُبَ نَوْرِ أَشْعَى حَقَائِقِ الْقُرْآنِ عَنْ عُقُولِ أَجْيَالِ الْبَشَرِيَّةِ لَا سِيَّمَا الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ ذُو الْكِفَاءَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْعَالِيَةِ.

اتركوا الفحص والتثبت من أحوال الماضين

هل هم صالحون أم طالحون:

هناك دعوى من مدرسه الطرف الآخر - العامه - يدعون فيها ترك تتبع أحوال الماضين أهم من الصالحين أم من الطالحين، ويستدلون

ص: ٣١٣

لِدَعْوَاهُمْ هَذِهِ بظاهر الآية (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) ١ .

بتقريب: أَنَّهُ لَا يَنْتَفَعُ أَحَدٌ بِعَمَلٍ غَيْرِهِ وَلَا يَتَضَرَّرُ بِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ عَمَلُهُ هَكَذَا يَسْتَدْلُونَ عَلَى دَعْوَاهُمْ - الْعَامَّةِ بِخِلَافِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْقَائِمَةُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالْفَحْصِ وَالتَّشْبِثِ.

وَالْآيَةُ تُشِيرُ إِلَى مَبْدَأِ عَامٍ بِأَنَّ نَتَائِجَ الْأَعْمَالِ وَآثَارَهَا تَعُودُ غَدًا عَلَى الْعَامِلِ وَحْدَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَنَّ سُنَّةَ لِعِبَادِهِ وَهِيَ أَنَّهُ لَا يُجْزَى أَحَدٌ إِلَّا بِكَسْبِهِ وَعَمَلِهِ وَلَا يُسْأَلُ إِلَّا عَنْ كَسْبِهِ، هَذَا هُوَ مَعْنَى الْآيَةِ بِحَسَبِ تَفْسِيرِ رَوَايَاتِ أَسْبَابِ النُّزُولِ الْمُحَرَّفَةِ، بَلْ وَحَتَّى فِي أَذْهَانِ كِبَارِ مُحَقِّقِي الْخَاصَّةِ هَكَذَا مَعْنَى مَقْلُوبٍ رَاسِخٍ وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَعْنِيكَ أَمْرٌ غَيْرُهُ، وَكَأَنَّ مِنْ صِلَاحِيَّتِكَ التَّفْتِيْشَ عَنْ تَارِيخِ الصِّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالأَشْخَاصِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، كُلُّ ذَلِكَ جَدَّرْتَهُ الْأَقْلَامُ الْأَمْوِيَّةَ وَمَدْرَسَةُ الطَّرْفِ الْآخِرِ لِأَجْلِ التَّغْطِيَةِ عَلَى أَفْعَالٍ وَتَصَرُّفَاتٍ بَعْضُ مَنْ كَانَ يَعْشَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَدَمِ كَشْفِ مَلْفَاتِهِمْ.

بينما هُنَاكَ مَعْنَى آخِرٌ لِلْآيَةِ حَسَبِ رَوَايَاتِ أَسْبَابِ النُّزُولِ الْوَارِدَةِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - عَكْسَ مَا تَقَدَّمَ - .

وحاصله: أَنْتُمْ مَعْتَبُونَ بِالتَّفْتِيْشِ وَالْفَحْصِ وَالتَّشْبِثِ وَعَدَمِ التَّقْلِيدِ

نتيجة الدعوى الكل يتبرأ منها: إن دعوى مدرسه الطرف الآخر - العامه - تنتهى إلى نتيجه لا يقبل بها أى عاقل وَعَلَى خلاف الموازين العقلانيه ويتبرؤن منها ألا- وهى: أَنَّهُ إِذَا كُنَّا لَا- نفتش عَنْ تاريخ الماضين وهل هُمْ مِنَ الصالحين أو الطالحين، وَأَنَّ البحث والتفتيش عنهم منهي عَنْهُ فِي القرآن الكريم، وَأَنَّ القرآن الكريم ينهى عَنْ القيام عَلَى قبور المنافقين ولا- تدع لهم ولا تستغفر لهم ولا... الخ أو لَيْسَ يلزنا القرآن الكريم أَنْ نعرف مَنْ المُنَافِقِ حَتَّى نتجنّبهُ؟ وَمَنْ المؤمن؟ لكى تقوم عِنْدَ قبره وندعو لَهُ وتعامل معه فِي حياته و... الخ، وَعَلَيْهِ فلو التزمنا بمنهج عدم الفحص والتعرّف عَلَى أحوال الماضين كَمَا تذهب إِلَيْهِ أسباب التُّزول المُحَرَّفِ وَالمُفَلَّقِ، لما أمكننا أَنْ نُميز بين ما أمرنا به القرآن الكريم مِنْ تَمييز المُنَافِقِ عَنْ غيره، وَحَتَّى نعرف موقفه العقائدى والسياسى وَعَلَيْهِ فمتابعه وملاحقه ملفاه الماضين مسؤوليه الجميع.

وَهُنَاكَ تساؤل يُشير نفسه هُوَ أَنَّ هَذَا الذى أمرنا به القرآن أَمَا يلزم مِنْهُ أَنْ يَكُونَ نوعاً مِنَ التجسس وَهُوَ منهيٌّ عَنْهُ؟

ويمكن الإجابة عَنْ هَذَا التساؤل: بَأَنَّ التجسس المنهى عَنْهُ فيما إِذَا كَانَ تجسساً يلزم مِنْهُ إِظهار الأمور الخفيّه فِي الأمور الفرديّه الخاصّه وَلَمْ يَكُن المُتَجَسَّس عَنْهُ لَهُ منصبٌ مهم وَلَمْ تَوَكَّل إِلَيْهِ مسؤوليه أُمَّه فذاكَ مُحَرَّمٌ.

بخلاف ما نَحْنُ فِيهِ فَإِنَّا نُرِيدُ أَنْ نتعرف عَلَى هويته العقائديه أو

السياسيه أو الفقهيّه أو المعرفيه وليس إنساناً عادياً وإنّما شخص لّه منصب ومقام تُنَاط به مسؤوليه مجتمع أو يوكل إليه إداره أمّه أو... الخ فإنّ مثل هكذا شخص من الضروري جداً التعرّف على هويته ولا يعتبر هذا نوع من التجسس؛ لأنّ المسأله هنا أصبحت من مسؤوليه الجميع: «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته» (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعضهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ١.

وعليه فلا بُدّ من يقظه وانتباه الباحث الكريم من هكذا روايات مُحَرَّفه، وأنّ اليقظه في موضع مُعَيّن تُودّي إلى اليقظه والانتباه في مواضع عديده أُخرى؛ لأنّ آيات القرآن وموضوعاته وأحكامه مترابطه ارتباطاً منظومياً واحداً - وهذا ما ركّزنا الحديث عليه في الجزء الأوّل من تفسير أمومه الولايه على المُحكّمات - ولذا كان هذا التفسير لأمومه الولايه يمتاز عن باقي التفاسير الأخرى مُصَافاً إلى التركيز على محوريه الولايه، كذلك فيه تركيز على جانب آخر وهو النّظر إلى المجموعيه والمنظوميه في القرآن، وأنّ النّظر لا يقتصر فيه على ملاحظه قسم من الآيات دون الآخر وإنّما ينظر إلى المجموع كمجموع منظومي ترابطي، وهذا ما يميّز القرآن عن غيره بأنّ حلقاته نسيجيّه وطبيعيّه مُترابطه يَصِدِّق بعضه بعضاً، فالذي يضرب القرآن بعضه ببعض، أو يكذب بعضه بعضاً فمعناه إنّه لم يعرف النسيج المؤلف بين حلقاته.

فإذا ما التفت الباحث المُتتبع والمُفسّر الفطن إلى زيف في موضع مُعَيّن فإِنَّه تلقائياً يلتفت وتكشف أمامه أوراق الزيف في مواضع أُخرى ارتُكبت في تفسير القرآن، أو في روايات أسباب النُّزول.

الجهة الرابعة: مِنْ قَاعِدِهِ أسباب النُّزول

في بعدها اللفظي:

لا زالَ البحثُ في قواعِدِ نظام الاستعمال اللفظي - في قَاعِدِهِ أسباب النُّزول في بعدها اللفظي وَهُوَ:

قَاعِدِهِ: [تعدد نزول الآيه لأسباب نزول متعدده في مواطن مُخْتَلِفَه]

[قَدْ يَكُونُ للآيه الواحد أكثر مِنْ سبب، أي هل يتكرر سبب نزول الآيه أو لا؟].

انقسم أصحاب روايات أسباب النُّزول إلى مسلكين أو أكثر: -

المسلك الأول: الذي يبتنى على أَنَّهُ قَدْ يتكرر نزول الآيه الواحده أو بَعْضُ السُّور القصيره أو المُتوسِّطه في زمن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أي زمن النَّص والتشريع في موارد عديده فَقَدْ تنزل الآيه في الموطن الأَوَّل وَيَكُونُ ذَلِكَ الموطن سبباً لنزول الآيه، ثم تكرر في عهد سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله في موطن، وهكذا يتكرر نزولها، وَهَذَا أمرٌ مهم ينبغي الالتفات إليه، وَهَذَا المسلك هُوَ الصحيح كما سوف يتضح.

المسلك الثاني: وربما غفلَ هَذَا الأمرُ عَن الكثير من الباحثين والمُفسرين

وأوقعوا التعارض بين روايات أسباب النزول بناءً منهم على أن سبب النزول إما هَذَا أو ذاك، ويحصر أصحاب هَذَا المسلك بالسبب الواحد، وبالتالي إذا تعدد سبب النزول للآية على مسلكهم فإنه سوف يقع تعارض بين روايات أسباب النزول.

إلا أن المسلك الثاني باطل وغير صحيح؛ لأن الأصل في أسباب النزول هو إمكانه التكرّر، لا الوحده وعدم إمكان التكرار في موطن وسبب النزول؛ ولذا فإن جملة من كبار المفسرين ومحقيهم، قد يقعون في مثل هذه الغفلة ويخوضون في ترجيح طائفه من الروايات الواردة في أسباب النزول على طائفه أخرى في آيه واحده أو سوره قصيره أو متوسطه، والحال أنه لا حاجة لإيقاع هَذَا التعارض بين الروايات ثم القيام بعملية الترجيح؛ لأن الآيه الواحده يمكن أن تتكرر نزولها إلى ما شاء الله من المرات.

ولعل أصحاب المسلك الثاني - القائلين بعدم إمكانه التكرّر للنزول - يستشكلون على المسلك الأول - القائل بإمكان تكرر النزول بما حاصله:

إنّ الذين أجروا التعارض بين روايات أسباب النزول ربما يكون الدافع لهم هو أن سبب النزول - كما مرّ - يضمنى ويؤثر على مفاد معنى الآيه، أي أن أسباب النزول من القرائن المؤثره في عناصر الظهور للآيه الميآزكه فيكون سبب النزول له أثره على تلوين ظهور الآيه.

وعليه إذا تعددت أسباب النزول وكان للآيه الواحده أكثر من سبب

للنزول فحينئذٍ تعدد الظهورات وتتلون أسباب النزول، وبما أن أصحاب المسلك الثاني - أن الآيه لها سبب نزول واحد - فحينئذٍ سوف يصبح لديهم تعارض بين الروايات المتعدده في أسباب النزول، وهَذَا مِمَّا أَلْجِئُ الكَثيرَ مِنَ المفسِّرينَ إلى القول بالتعارض، والسبب في هَذَا التعارض هُوَ أَنَّ كُلَّ سببِ نزولٍ يُعْطَى طابِعاً وظهوراً للآيه يَختلفُ عَن سببِ النزولِ الآخرِ والحال هُوَ ظهورٌ واحدٌ فَلابُدَّ أَنْ يَكُونَ لها سببِ نزولٍ واحدٍ.

نعم لو كانت أسباب النزول متعدده ولكن على شاكله واحده ومن طراز معين متحد، بحيث تعطى كل هذه الموارد المتعدده من أسباب النزول ظهوراً موحداً لأمكن آنذاك أن يقال: إنه من الممكن أن تكون أسباب نزول متعدده للآيه الواحده.

أما إذا اختلفت أسباب النزول وتعددت، فهى فى كمال سبب منها بمثابة قرينه حالته للظهور فتعطى ظهوراً للآيه غير الذى يعطيه سبب نزول آخر، وإن كان الغالب هناك جهة اشتراك فى المعنى والتطبيق بين أسباب النزول فيكون أحدها هو الصيحيح مثلاً والباقي غير صحيح، ولكن هذا مبنى على أن لكل آيه ظهور واحد، وتقدم فى القاعده الرابعه قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى (١) أنه ليس من اللازم أن يكون للآيه الواحده ظهوراً واحداً، بل يمكن أن يكون لها ظهورات متعدده

ص: ٣١٩

١- (١) قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى فى تفسير أمومه الولايه والمحكّمات للشيخ مُحَمَّد السند: ج ١، ص ٥٣٩ القاعده الرابعه.

وَكُلُّهَا حَجَّةٌ - كَمَا تَقَدَّمَ - فِي بَحْثِ الْقَاعَةِ، وَذَكَرْنَا لَهَا شَوَاهِدَ عَدِيدَةٍ مِنْ رَوَايَاتٍ وَغَيْرِهَا، وَهَكَذَا تَقَدَّمَ فِي قَاعِدِهِ الْاَلْتِفَاتِ وَالتَّعْرِيفِ مِنْ أَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِلآيَةِ الْوَاحِدَةِ ظُهُورَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ شَرِيطُهُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الظُّهُورَاتُ الْمُتَعَدِّدَةُ مُسْتَنْدَةً إِلَى شَوَاهِدٍ مُسْتَقَلَّةٍ بَعْضُهَا عَنِ الْبَعْضِ فَآنَذَاكَ لَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ.

الفرق بين تعدد أسباب النزول

وبين وحده التنزيل وتعدد التأويل:

والخلاصة: إِنَّ الصَّحِيحَ فِي أسبابِ النَّزُولِ هُوَ أَنَّ الْأَصْلَ الْأَوَّلَى فِيهَا إِذَا وَرَدَتْ رَوَايَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ فَإِنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ الْأَوَّلَى مُتَعَدِّدًا لَا مُتَوَحِّدًا وَإِنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَعَدُّدِ الظُّهُورِ وَلَا مَانِعَ مِنْ تَعَدُّدِ الظُّهُورِ، فَمَثَلًا هَذَا ظُهُورُ أَوَّلِ مَنْضَبٍ مَعَ مَوَازِينِ الظُّهُورِ فِي سَبَبِ النَّزُولِ الْأَوَّلِ، وَهَذَا ظُهُورُ ثَانٍ مَنْضَبٍ مَعَ سَبَبِ النَّزُولِ الثَّانِي بِقَرِينَتِهِ حَالِيهِ، وَثَالِثٌ وَ... الخ.

فَالصَّحِيحُ وَالْأَصْلُ فِي أسبابِ النَّزُولِ الْمُتَكَرِّرِ هُوَ التَّعَدُّدُ وَالتَّكْرَارُ لَا الْوَحْدَةُ وَالْاِنْفِرَادُ كِي نَوْعِ الْمَعَارِضِ فِيهَا بَيْنَهَا.

عَلِمَا أَنَّ هَذَا التَّكْرَارَ لِلنَّزُولِ وَالتَّعَدُّدَ فِي أسبابِهِ تَبْنَاهُ جَمَلُهُ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْهُمُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدٌ بَاقِرُ الْمَجْلِسِيِّ فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ وَأَنَّ الْآيَةَ الْقُرْآنِيَةَ الْكَرِيمَةَ أَوْ السُّورَةَ يَقَعُ مِنْهَا نَزُولٌ مُتَكَرِّرٌ وَلَيْسَ الْأَصْلُ فِي تَعَدُّدِ الرِّوَايَاتِ فِي

أسباب النزول هو التعارض بين هذه الروايات، ولا مانع من تكرار نزول الآية الواحده أو السوره الواحده، ولا داعى لإعمال قواعد التعارض بين الروايات المتعدده.

وعلى أى حال فإن هذا من البحوث المثمره وله تطبيقات فى موارد كثيره، حتى أن السيد العلامة محمد حسين الطباطبائى صاحب تفسير الميزان رحمه الله حيل أسباب النزول المتعدده كلها فى موارد عديده على التأويل لا على الظهور، بينما هى متناسبه ومتناسقه مع الظهور.

أو حملها - السيد العلامة الطباطبائى رحمه الله - على أنها من باب الجرى فى التعبير لا التطبيق، مع أن المعنى الذى انتبهنا إليه فى تحقيق قاعده الجرى فى التعبير لا التطبيق هو جرى حتى فى الاستعمال وليس جرياً فقط فى تطبيق المعنى النظرى على المصداق العينى الخارجى، وهذا أحد معانى الجرى والتطبيق أى يجرى اللفظ فى ظهورات متعدده وفى استعمالات متكرره.

ومن هذا يعلم وجود جمله من المفسرين إن لم يكونوا هم الأغلب يحملون روايات تعدد أسباب النزول إن لم يروا خدشه فيها - الروايات - على التأويل لا على الظهور.

إلا أن هذا مبنى غير سديد، والصحيح والأصل الأولى فى أسباب النزول هو التعدد وأما التوحد فهو أول الكلام.

هل يتكرر تنزل الآيات النازله سابقاً وأسباب النزول بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل البيت عليهم السلام المصداق الأجلى لتلوت الكتاب حق تلاوته:

بيان نكته مهمه ولطيفه في تعداد أسباب النزول:

إذا دققنا وأمعنا النظر في أسباب نزول الآيات هل تتكرر وتعدّد أو لا؟ وهل ذلك خاص بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله أم هو مستمر إلى يوم القيامة وما دام القرآن حياً باقياً؟!

تُجيبنا روايه حنان بن سدير، قَالَ: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «دَخَلَ عَلَيَّ أَنَسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَسَأَلُونِي طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرَ، فَقُلْتُ لَهُمْ: كَانَا مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرِ، إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْبَصِيرَةِ لَمَّا صَفَّ الْخَيْلَ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَا تَعْجَلُوا عَلَيَّ الْقَوْمَ حَتَّى أَعْدِرَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَهُمْ، فَقَامَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ هَلْ تَجِدُونَ عَلِيًّا جَوْرًا فِي حَكْمٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: مُحِيفًا فِي قَسْمٍ؟ قَالُوا: لَا... ثُمَّ ثَنَى إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَنْ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) فَقَالَ أمير المؤمنين - محل الشاهد - والذي فلق الحَبَّةَ وبرأ النسمة واصطفى محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوه أنهم لأصحاب هذه الآية، وما قوتلوا مُدَّ نزلت» (١).

ص: ٣٢٢

١- (١) البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: ج ٣، ص ٣٧٤ عن قرب الأستاذ للحميري: ص ٤٦٥.

وفى روايه أُخْرَى: «... ما قوتل أهلها منذ يوم نزلت حتّى اليوم»(١).

وهكذا فى سورة القدر: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) ٢).

بتقريب: أنّ القرآن الكريم ربط بين إنزال القرآن وبين تنزل الملائكة فى كلّ عام، وهىَذا معناه أنّ القرآن الكريم له تنزلات فى كلّ عام والقرآن هو القرآن والسورة هىَ السورة، والآيه هىَ الآيه، فمثلاً سورة الفاتحه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله عدّه مرّات وفى مواطن عديده، وسميت هذه السورة العظيمه بسوره السبع المثاني؛ لئنه ثنى نزولها بمعنى أنّ نزولها قد تكرر عدّه مرّات، لا- بمعنى أنّ نزولها مرتين اثنتين فقط وإنّما تكرر أكثر من ذلك، فإذا كان التّزول يتكرر فهل معناه أنّ الآيه بنزولها الثّانى تحمل معنّى آخر غير الأوّل أم نفسه هذا أوّلاً.

وثانياً: هل يمكن فرض التّنزّل أيضاً فى فتره ما بعديّ زمان رسول الله صلى الله عليه وآله أو لا؟ وما حقيقه هـذا التّزول بعديّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ التّزول وحىّ نبويّ، ولكن من يريث هذا الوحي أفهل يذهب سديّ؟

أمّا جواب السؤال الأوّل: فبالإثبات، بمعنى أنّ يكون فى التّزول الأوّل للآيه معنّى أوّل وفى الثّانى معنّى ثانٍ وفى الثّالث ثالث وهكذا، وهـذا

ص: ٣٢٣

١- (١) المصدر السابق: ص ٣٧٦ عن العياشى: ج ٢، ص ٨٥ ح ٢٧.

ما سيأتي التعرّض لَه في جهه أُخْرَى مِنْ بحث أسباب التُّزول.

وأَمَّا جواب السؤال الثَّانِي: فَإِنَّ التُّزول وحيّ نبوي بَعِيدَ رسول الله صلى الله عليه وآله وَهُنَاكَ خازن للوحي يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله، وَإِنْ كَانَ موطن الجواب التفصيلي في بحث قواعد النَّظام المعنوي أو المعاني في القرآن، وفي باب قواعد نظام الحقائق، إِلَّا أَنَّهُ نذكر جواباً ولو مُقتضِباً جَدّاً لارتباطه بنظام الاستعمال اللفظي وحاصله:

ما ذكرته سوره القدر من الربط - مثلاً - بين إنزال القرآن وتنزّل الملائكه في كُلِّ عام وَإِنْ كَانَ الإنزال - إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ - هُوَ فعل ماضى وَمَعْنَى المضى هُوَ الفراغ عنه، ولكن بَعْدَ ذَلِكَ ربطت الآية هَذَا الإنزال الذي زمانه الماضى بالفعل المضارع الذي زمانه مشترك بين زمانى الحال والاستقبال (تنزل) أى تنزل أى أَنَّ هَذَا التنزل مستمرٌ إلى يَوْمِ القيامة، وَهَذَا معناه حصول تكرّر واستمرار التنزّل إِلَّا أَنَّهُ بِأى كيفية؟ وبنحو لا- يتنافى مَعَ انقطاع النبوه وختمها، إِذْ هُنَاكَ فرق بين وراثه وحي النبوه وبين النبوه نفسها، فَإِنَّ علم وحي النبوه لَمْ يَتبدد وَلَمْ يُزْفَع مِنَ الأَرْض بَعْدَ نزولها - النبوه - بَلْ هُوَ عِنْدَ خزنته مِنَ الدِّينِ اصطفاهم الله، كَمَا تشير إليه عشرات الآيات والسور الَّتِي نَبّه عَلَى دلالتها أئمه أهل البيت عليهم السلام نظير قوله تَعَالَى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا) ١ .

ص: ٣٢٤

وقوله تَعَالَى: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) ١ .

وقوله تَعَالَى (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (٧٩) ٢ وقوله تَعَالَى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) ٣ .

إلى غير ذلِكَ مِنَ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْوَحْيَ الْإِلَهِيَّ النَّازِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَرْتَفِعْ عَنِ الْأَرْضِ بَعْدَ رَحِيلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَمْ يَتَبَدَّدْ سُدًى، بَلْ هُوَ عِنْدَ خَلْفَائِهِ وَأَوْصِيَاءِهِ مِنْ عَتْرَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ - عَلَيْهِمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ - .

هَذَا مُضَافًا إِلَى دَلَالَةِ سُورَةِ الْقَدْرِ وَالآيَاتِ الْمُتَعَرِّضَةِ لِلِيلَةِ الْقَدْرِ عَلَى اسْتِمْرَارِ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ فِيهَا.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ج ٢، ص ١٣٣-١٣٧ [والصحيح أنها باقية... و الجمهور على أنها من كل عام من رمضان... وَقَالَ الْفَرَّاءُ لَا يَقْدَرُ اللَّهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَّا السَّعَادَةَ وَالنِّعَمَ وَيَقْدَرُ فِي غَيْرِهَا الْبَلَايَا وَالنُّعْمَ].

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: [... اختلف العلماء هل كانت ليله القدر في الأمام السالفه، أم هي من خصائص هذه الأمة؟ فقال الزهري... وهذا الذي قاله مالك يقتضى تخصيص هذه الأمة بلبه القدر، وقيل: أنها كانت في الأمام

الماضيهِ كَمَا هِيَ فِي أُمَّتِنَا، ثُمَّ هِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَفِي رَمَضَانَ خَاصَّةً [١].

وَمَنْ أَرَادَ التَّفْصِيلَ فليرجع إلى كتاب الإمامه الإلهيه لشيخنا الأستاذ مُحَمَّد السند حفظه الله - ج ٣، الفصل السَّابع ليله القدر حقيقه الإمامه (أس المعرفه) ص ٢٧٥.

وهكذا الحال في سورة الدُّخان (حم) (١) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) تَقَدَّمَ أَنَّ مَقَامَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ هُوَ أَحَدُ الْمَقَامَاتِ الْغَيْبِيَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) ٢).

بتقريب: إِنَّ هَذَا الْفَرْقَ وَالْفَرْقَانَ وَالتدبير لأحداث البشر أو الكون فَإِنَّ لَهُ صَلَهِ بِالْكِتَابِ الْمُبِينِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا حَدَثَ أَوْ يَحْدُثُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ هُوَ مَسْطُورٌ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ (وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) ٣.

وقوله تَعَالَى: (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧٥) (٢) وقوله تَعَالَى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) ٥.

بتقريب: إِنَّ الْكِتَابَ الْمُبِينِ الَّذِي هُوَ مَقَامٌ مِنْ مَقَامَاتِ الْقُرْآنِ يَسْتَطِرُّ

ص: ٣٢٦

١- (١) تفسير ابن كثير: ٥٦٨/٤.

٢- (٤) سورة النمل: الآية ٧٥.

فيه كُلُّ شَيْءٍ.

وهكذا القضاء والقدر فَإِنَّهُ ينزل في كُلِّ عامٍ وَهُوَ موجود في القرآن، وَهَذَا معناه أَنَّهُ هُنَاكَ صلّه وطیده بين القرآن الكريم وبين القضاء والقدر وما ينزل في كُلِّ عامٍ في ليله القدر.

والخلاصه مِنْ كُلِّ هَذَا: إِنَّ الْقُرْآنَ كَمَا لَهُ تنزِيلٌ أَوَّلٌ كَمَا لَكَ لَهُ تنزِيلٌ مُتَكَرِّرٌ ثَانٍ وَثَالِثٌ يُعْرَفُ بِالتَّأْوِيلِ، كَمَا لَكَ لِلْقُرْآنِ بآياته وسوره نزول وتنزل وأسباب نزول في كُلِّ عامٍ.

إِلَّا أَنَّهُ يَبْقَى التَّسْأُولُ عَنْ مَا هُوَ مَعْنَى حَقِيقَةِ التَّنْزِيلِ لَا سِيَّمَا التَّنْزِيلَ الْمُتَكَرِّرَ الَّذِي يَفْتَرِقُ عَنِ التَّنْزِيلِ الْأَوَّلِ، وَهَذَا مَا سَأَتِي الْجَوَابَ عَنْهُ فِي مَبْحَثِ نِظَامِ الْمَعَانِي لِلْقُرْآنِ وَنِظَامِ الْحَقَائِقِ مَعَ مَلَا حِظِهِ اِخْتِلَافِ سِنَخِ نَزُولِ الْقُرْآنِ عَلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ وَهُوَ قَلْبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَتَنْزَلُهُ مِنَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالْأَرْضِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

كُلُّ مَا يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

يَعْلَمُ بِهِ وَصِيَّتُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَدُنِّي:

إِنَّ كَلِمًا أَوْحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِلْمٌ بِهِ وَصِيَّتُهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَدُنِّي، كَمَا هُوَ مُقْتَضَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا) ١ أَيَّ نَظِيرِ النِّسْبَةِ بَيْنَ هَارُونَ وَمُوسَى، إِلَّا أَنَّ تَلَقَّى هَارُونَ مَا يَنْزَلُ

عَلَى موسى بتوسيط قناه النبوه، وأما تلقى أمير المؤمنين على بن أبي طالب ما ينزل عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِبْرَ الْإِلَهَامِ
وغيره مِنْ أساليب العلم اللدني غَيْرِ النَّبُوَّةِ، وقول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَلِيِّ: «إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ
لست بنبي، ولكنك وزير وإنك لعلي خير»(١).

وقوله تَعَالَى: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا) ٢ .

وقوله تَعَالَى: (وَ أَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِذَاءً يُصَدِّقُنِي) ٣ .

وسياتي لهذا المبحث تتمه في الجبهه الخامسه.

التنزيل المتكرر تأويل(٢):

إِنَّ أَحَدَ معاني التَّأْوِيلِ هُوَ انطباق الآيات عَلَى مصاديق مُستجده وَعَلَى بيئات موضوعيه في مواطن أُخْرَى، وَهَذِهِ المواطن الأخرى
هي مواطن لتطبيق آيات وسور القرآن الكريم، فَإِنَّ التنزيل - كَمَا مَرَّ - هُوَ التطبيق، والتأويل الحق بالدقه يرجع إلى التنزيل
والتنزيل الأول للآيات

ص: ٣٢٨

١- (١) الخطبه القاصعه، نهج البلاغه.

٢- (٤) تعرضنا مفصلاً لمبحث الظهور والتأويل في ج ١، ص ٣٠٣ من تفسير أمومه الولايه والمُحكّمات للشيخ مُحَمَّد السند -
حفظه الله - فراجع، وكذلك تعرضنا له في بدايه: ج ٢، من تفسير أمومه الولايه والمُحكّمات في القاعده الخامسه: الجري في
التعبير لا التطبيق، تحت عنوان هل التأويل حاكم عَلَى التنزيل - التفسير - أم العكس؟ فراجع.

والسور لا أن هُنَاك آيات أو سور أُخْرَى، بَلْ الآيات هِيَ الآيات والسور هِيَ السور إِلَّا أن التَّأْوِيلَ يَعْمَ ويشمل تطبيقات مُستجده، فإذا كَانَتْ تلك التطبيقات لِدِينِهِ مِنْ الله تَعَالَى، وليست بِقُدْرِهِ مَحْدُودِهِ عَاجِزِهِ مِنْ ذَهَبِيَةِ الْبَشَرِ، فَهُنَا يُعْبَرُ عَنْهَا بِدَوَامِ بَقَاءِ انطباع وتطبيق وتَنْزِيلٍ وتَنْزِيلِ الْقُرْآنِ.

وَهَذَا أَحَدُ مَعَانِي أَوْصَافِ الْمَعْصُومِ الْمُخْتَصِّهِ الْوَارِدِهِ: «أَشْهَدُ أَنَّكَ تَلَوْتَ الْكِتَابَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ» أَيَّ يَتْلُو الْآيَةَ وَيُنزِلُهَا فِي مَوَاطِنٍ يَحَقُّ أَنْ تَنْزَلَ فِيهِ بِتَنْزِيلِ مَنْ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ، وَهَذَا أَحَدُ مَعَانِي قَاعِدَةِ الْجَرَى وَالتَّطْبِيقِ - الَّتِي كَشَفَ عَنْهَا النِّقَابَ أُنْمَهُ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - كَمَا مَرَّ - فِي الْقَاعِدَةِ الْخَامِسَةِ.

مِنْ تَفْسِيرِ أَمُومِهِ الْوَلَايَةِ.

إِذْ دَوَامُ نَزُولِ الْقُرْآنِ بِمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ النُّظْرِيَةَ الْكُبْرَى الْقُرْآنِيَةَ تَنْزَلُ هُنَا فِي التَّطْبِيقِ.

وَحَى الْقُرْآنَ ذُو بُعْدَيْنِ

بَعْدَ نَبِيِّ انْقِطَعُ وَبَعْدَ وَلِيِّي مُسْتَمِرٌّ

أَحَدُ خَوَاصِّ وَنَعَوَاتِ الْإِمَامِ فِي مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَتْلُو الْكِتَابَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ بِمَعْنَى الْانطباع:

لَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ التَّلَاوَةِ فَفَطَّ التَّلَاوَةَ الصَّوْتِيَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) ١ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْهَا انطباع مَعْنَى أَوْ وِلَايَةِ

ص: ٣٢٩

حقيقه القرآن وهيمته في إداره دفة القضاء والقدر في كمل واقعه وحادثه فالتلاوه ليست بمجرّد رتبه صوتيه ولا برتبه معاني في الأفكار أو تطبيق طبقات المعاني إلى سبعين بطن في المعنى وكلّ درجه من درجات المعاني لها درجه من التلاوه، فكلّ مورد يتلوه معنى مفسّر ومبين للأمر الإلهي فيه، بل درجات ومراتب التلاوه لا تقتصر على المعاني، بل العمده فيها تلاوه الحقائق فإنّ الحقيقه العظمى القرآنيه وهى روح القدس ما من صغيره ولا كبيره لا في الأرض ولا في السماء إلّا يحصيها روح القدس في لوح القضاء والقدر والحدوث والوقوع، وهذا نمط آخر من التلاوه.

فإنّ أى آيه في القرآن بحسب الحقائق الغيبية - كما سيأتى في النظام الثالث وهو نظام الحقائق - تمتد سلطتها الولائيه لهذا المقام - أى يتلو الكتاب حقّ تلاوته بمعنى الانطباق - فإنّ الجانب الولائى في القرآن لم ينقطع بالرغم من أنّ جانب النبوه انقطع وانتهى «... إلّا أنّه لا- نبي بعدى» فإنّ معنى استمرار الجانب الولائى في القرآن هو عبارته عن استمرار تأويل القرآن بمعنى تطبيق كلّ آيه من آيات الكتاب بعد معرفه موطن تنزلها، فإنّ الإمام الذى يتلو الكتاب حقّ تلاوته يعلم أين هو الحقّ فيطبقها الإمام على موطنها، فالمعتبر هو التلاوه بمعنى انطباق معنى لا تلاوه صوتيه أو غيرها، كما توهمه الخوارج؛ لأنّهم أيضاً يتلون الكتاب ولكن طبّقه على غير موطنه لعدم علمهم وإحاطتهم بأسباب النزول بسبب ابتعادهم عن خطّ ولايه آل محمد صلوات الله عليهم وشتان بينهما، فإنّ الخوارج طلبوا الحقّ

وَعَلَيْهِ فَالْقُرْآنَ فِيهِ نِظَامُ تَكْوِينِي أَيْ لَهُ حَقِيقَةُ تَكْوِينِيهِ، وَبِعِبَارِهِ أُخْرَى حَقَائِقُ الْقُرْآنِ حَقِيقَةُ تَكْوِينِيهِ كَبْرَى وَهُوَ رُوحُ الْقُدْسِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ خَلْقِهِ مِنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ وَمِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَمِنَ عَالَمِ الْآخِرَةِ وَعَالَمِ الْقِيَامَةِ.

فَإِنَّ كُلَّ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ قَدْ اسْتَفَادَهُ الْفَيْلَسُوفُ الشَّيْعِيُّ مَلَا صَدْرًا وَرَكَزَ عَلَيْهِ فِي أَسْفَارِهِ نَتِيجَةً اقْتَبَسَهُ لَهُ مِنْ بَيِّنَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

يَتْلُو الْكِتَابَ خَاصًّا بِالْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

حَصَرْتُ بَيِّنَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِأَنَّ الَّذِي يَعْلَمُ أَسْبَابَ النُّزُولِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَطُّ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَسْبَابَ النُّزُولِ لَيْسَتْ سَبَبًا وَمُورِدًا وَاحِدًا، وَإِنَّمَا هِيَ مُورِدَاتُ أَسْبَابِ النُّزُولِ، فَالْآيَةُ الْوَاحِدَةُ لَهَا عِدَّةُ أَسْبَابٍ مُتَكَرِّرَةٍ وَعِدَّةُ مُوَاطِنَاتٍ كَمَا مَرَّ - وَأَنَّ الْقُرْآنَ حَمَالٌ لُجُوهٍ، وَلَا يَعْرفُ هَذِهِ الْوُجُوهَ إِلَّا الْأَئِمَّةُ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَا عَدَاهُمْ مِنَ الْبَشَرِ فَهُوَ عَاجِزٌ عَنَ مَعْرِفَةِ الْمَوَاطِنِ الْمُنَاسِبَةِ لِنُزُولِ الْآيَةِ بِالذِّقَّةِ حَتَّى يَتْلُونَهَا وَيَطْبِقُونَهَا فِيهَا، وَإِنْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَوْ يَحْتَمِلُونَ أَنَّ هَذَا الْمُورِدُ هُوَ مُورِدُ تَطْبِيقِهَا، وَلَكِنْ أَيْنَ هَذَا بِالْقِيَاسِ إِلَى عِلْمِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ اللَّامِدْنِيِّ الْيَقِينِيِّ فِي تَطْبِيقِ مُورِدِ الْآيَةِ، فَإِنَّ الظَّنَّ مُقَابِلَ الْيَقِينِ لَا يَغْنَى عَنِ الْحَقِّ، وَالْيَقِينُ الَّذِي زَوَّدَ اللَّهُ بِهِ الْمَعْصُومَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَيْئًا آخَرَ، وَلِذَلِكَ

ذكرت أسباب النزول نموذج زيد بن حارثة وزينب بنت جحش وزواجهما وأنه لا يفهم أسباب النزول حاق فهمها إلا الحافظ
الوحياني للقرآن بعد النبي صلى الله عليه وآله، هو وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين ثم
التسعة المعصومين عليهم السلام؛ لأن أسباب النزول عبارته أخرى عن سيره النبوي بتقرير وأنباء وحياني إلهي فضلاً عما في
أسباب النزول من سنن إلهيه وأني للأغيار عن العلم الوحياني الإحاطه بذلك، ومن ثم كرر تأكيده أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب عليه السلام اختصاصه بعلم التنزيل أي أسباب النزول وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ
تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١) ١ .

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مَقَامَ [يَتْلُو الْكِتَابَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ] خَاصٌّ بِمَنْصَبِ الْمَعْصُومِ.

والنتيجة (١) التي نريد أن ننتهي إليها: هي أن العلم التام الكامل الشامل المحيط بأسباب وموارد النزول سواء التي سبقت أو التي
ستأتي هو علم خاص بالمعصومين عليهم السلام وهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه
السلام وفاطمه الزهراء عليها السلام والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام، وما عدا المعصوم عليه
السلام لا يتسنى له معرفه ذلك كله بالتفصيل وعلى نحو اليقين حتى من مفسري الخاصه كالذي يعلمه

ص: ٣٣٢

١- (٢) وَنَحْنُ فِي أَوَاخِرِ بَحْثِ أَسْبَابِ النَّزُولِ.

المعصوم، وإِنَّمَا غَايَهُ مَا لَدَيْهِمْ - الْمُفَسِّرُونَ - هُوَ الظن بمعرفه مواطن التُّزُولِ الأوَّل، والتشبيث بمثل ما لا يُدْرِكُ كُلَّهُ لا يُتْرَكُ جُلَّهُ، وَأَنَّ الميسور لا يسقط بالمعسور وغيرها، وَهَذَا المقدار لا يوصل إلى اكتشاف حقائق القرآن والموارد التطبيقية للآيه، نعم غايه ما يمكن أن يتوصل إليه المُفَسِّرُ الفطن هُوَ أَنَّ غَايَهُ مَا يَتَكَرَّرُ مِنْ مواطن قَدْ يُسَمَّى - بالتأويل - وسيأتى تفصيله فى نظام عالم المعانى فى القرآن وَأَنَّ أحد أقسام التأويل هُوَ عبارته عَنْ مآل انطباق الآيات عَلَى مواطن عديده مُتَّفَقَه فى السنخ الواحد والجوهر جوهر مطلق؛ لذلك يتكرر تلو الآيه حق التلاوه مِنْ قِبل المَعْلَمِ الإلهى أَى المعصوم بفضل وإرادته وولايه مِنْ الله تَعَالَى يُطَبَّقُ الآيه عَلَى مَا يُسْتَجِدُّ مِنْ موارد وأحداث فى بَعْض مواردها، وفى بَعْض مناطق أُخْرَى يُطَبَّقُهَا بولايه الرسول صلى الله عليه وآله فى تبع وطول ولايه البارى، وبتبع وتفزع ولايه الرسول صلى الله عليه وآله تطبق ولايه أولى الأمر أو الَّذِينَ آمَنُوا(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...) ١ .

إِذْ نَزَلَ وَتَنَزَّلَ الْقُرْآنُ عَلَى مَوَاطِنٍ بِالنَّسْبِ لِلْبُعْدِ الثَّانِي وَهُوَ بَعْدُ الْوَلَايَةِ وَالتَّطْبِيقِ وَالصِّلَاحِيَةِ وَالْحَاكِمِيَةِ التَّنْفِيزِيَّةِ لَا زَالَتْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ بَعْدَ وَلَايَةِ اللَّهِ وَوَلَايَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُسْتَمْرَةً وَإِنْ رَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى إِلَّا إِنَّ ارْتِبَاطَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْوَصِيِّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ الْمُتَمَثِّلِ الْآئِنِ بِالْإِمَامِ الْغَائِبِ الْحُجَّةِ ابْنِ الْحَسَنِ الْمُنتَظَرِ عَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ لَا زَالَ مُسْتَمْرًا وَعَلَى حَالِهِ عَلَى اخْتِلَافِ الْقَنَوَاتِ التَّكْوِينِيَّةِ لِلارْتِبَاطِ سِوَاءَ بِالْجَانِبِ الْفَقْهِيِّ أَوْ الْعَقَائِدِيِّ الْمَعْرِفِيِّ أَوْ

التفسيري أو التربوي أو الأمني أو الاجتماعي أو العسكري أو الجهادي أو الاقتصادي أو المالي وغيرها.

فإنَّ هَذَا كُلَّهُ يندرج تحت منصب ومقام ومنزل يتلو الكتاب حقَّ تلاوته المُختصَّ بالإمام المعصوم عليه السلام وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ أنواع التأويل مَعِيهِ الثقلين ونوعٌ مِنْ أنواع تلازم العتره مَعَ حقيقه القرآن فِي كُلِّ مورد وموطن.

إمكانيه تعدد أسباب النُّزول للآيات القرآنيه لا ينفى وقوع

التعارض والتناقض فِي روايات أسباب النُّزول مطلقاً:

هُنَاكَ نوع ممكن مِنْ التناقض والتعارض كَمَا فِي التناقض الزماني والمكاني، فمثلاً فِي بَعْضِ روايات أسباب النُّزول ذُكِرَ فِيهَا أَنَّ الآيه الفلانيه نزلت فِي السنه الثانيه للهجره مثلاً، وروايه أُخْرَى ذُكِرَ فِيهَا أَنَّ نفس هَذِهِ الآيه نزلت قبل الهجره فَإِنَّ مثل هكذا تناقض وتعارض زماني لا يُعتبر تناقضاً؛ لِإمكان تكرر النُّزول وَإِنَّمَا المراد مِنْ التناقض والتعارض فِي أسباب النُّزول هُوَ فِي المعنى المُفاد وَلَيْسَ فِي التعدد؛ لِأَنَّ الاختلاف فِي المعنى المُفاد هُوَ التناقض.

وتقدّم أَنَّ كُلَّ سببٍ مِنْ أسباب النُّزول هُوَ بمثابه قرينه مؤثّرهُ عَلَى ظهور وتركيب عناصر الظهور وبدلاله الآيه، وَأَنَّ تعدد وتخالط القرائن فِي تركيب وبناء إطار الظهور لا- يعنى وجود تناقض، وَإِنَّمَا التناقض الذى نُعَوِّلُ عَلَيْهِ فيما إذا فُرِضَ وجود تناقض فِي الأحكام، وتناقض فِي إثبات

شئ ونفيه، فحينئذٍ يَكُونُ تناقضاً بين روايات أسباب النُّزولِ حَتَّى لو كَانَ فِي المعارف والبصائر، فَهَذَا هُوَ التَّنَاقُضُ والتَّعَارُضُ الذي يَبْغِي رفعه إِنْ كَانَ عِنْدَ الْمُفَسِّرِ والباحث لا عِنْدَ المعصوم عليه السلام.

وَأَمَّا صِدْقُ تَكَرُّرِ زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ مَوْرِدِ النُّزُولِ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا- يَعْنِي التَّعَارُضُ بالمعنى المصطلح كما تخيله وبنى عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ، وَعَلَى ضَوْءِ هَذَا التَّعَارُضُ يُعْمَلُونَ قَوَاعِدَ التَّعَارُضِ بَيْنَ رَوَايَاتِ سَبَابِ النُّزُولِ الْمُتَعَدِّدَةِ بِحَمْلِ بَعْضِ الرَوَايَاتِ عَلَى التَّأْوِيلِ لَا- عَلَى النُّزُولِ والتَّنْزِيلِ والظَّاهِرِ، وَهَذَا لَا- مَوْجِبٌ لَهُ إِلَّا مَوْجِبُ التَّنَافِي؛ إِذِنَّ النُّزُولَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَكَرَّرَ وَيَتَعَدَّدَ كَمَا هُوَ مَخْتَارِنَا فِي بَحْثِ سَبَابِ النُّزُولِ.

الجهة الخامسة: الأدلة القرآنية على استمرار

نزول القرآن بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وآله:

ما هي الحكمة والسر من تعدد النُّزولِ:

هُنَاكَ تَسْأُولُ يُثَارَ وَهُوَ: - مَا مَعْنَى تَكَرُّرِ نَزُولِ الْآيَةِ أَوْ السُّورَةِ بَعْدَ فَرَضِ تَحَقُّقِ نَزُولِهَا بِالنُّزُولِ الْأَوَّلِ إِذَا كَانَ الْمَلَاظَمُ هُوَ الْمَعْنَى الدَّارِجَ لِلنُّزُولِ وَتَنْزِلُ الْآيَةِ بَيْنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنْ مُجَرَّدِ صِرْفِ سَمَاعِ الْبَشَرِ لِأَلْفَاظِ الْآيَةِ وَإِبْلَاغِهِمْ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ؟

وَفِي مَقَامِ الْإِجَابَةِ عَلَى هَذَا التَّسْأُولِ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ مَعْنَى النُّزُولِ هُوَ هَذَا الْمَعْنَى السِّيَاضِجَ والمَعْرُوفَ بَيْنَ الْمُفَسِّرِينَ، فَإِنَّ اعْتِرَاضَ الْمُعْتَرِضِ عَلَى تَكَرُّرِ

النُّزولُ فِي محلّه إلَّا إِنَّهُ سُنْبِينٌ فِي الجِهه اللّاحقه أَنَّ النُّزولَ لَهُ فوائدٌ ومعانى كثيره وغاياتٌ مُتعدده وآثارٌ عظيمه فآنذاك سوف يتعقّل تكرّر النُّزول، كَمَا تَقَدَّمَ ذكر شُطرٍ مِنْهُ فِي ضمن الجِهه الرابعه والنُّزولُ لَهُ نمطان: -

النمط الأول: نزول ابتدائي: وَهُوَ خاص برسول الله صلى الله عليه وآله والذي جَمَعَ فِيه ما بين الدفتين، كَمَا نقرأ ذَلِك النّعت الذي نُعِتَ به رسول الله صلى الله عليه وآله فِي مقدمه زياره أمير المؤمنين عليه السلام: «السَّلَامُ مِنْ الله عَلَي مُحَمَّد رسول الله أمين الله عَلَي وحيه ورسالاته وعزائم أمره ومَعِيدِن الوحي والتنزيل... الخ» أَى التنزيل الأول الذي أنزل عَلَي رسول الله صلى الله عليه وآله وَهُوَ المصحف الحقّ الذي لا- يأتیه الباطل والتّحريف مِنْ بين يديه ولا- مِنْ خلفه ولا- يزيد ولا- ينقص، وَهَيْذِهِ هِيَ أوصاف المصحف الذي تكرّر نزوله فِي زمن رسول الله صلى الله عليه وآله.

النمط الثاني: النُّزول المُتكرّر الذي وقع فِي عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ووقع كلامٌ كثير فِي هَذَا النمط وَهُوَ تكرّر النُّزول، وهل هَذَا التكرّر مستمر إلى يَوْم القيامه أو لا؟

نعم إِنَّهُ نزول مستمر كَمَا ذكرته سوره القدر (... تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ...) وربطت السوره بين تنزل الملائكه فِي كُلّ عام وبين نزول القرآن، وَمِنْ لطيف ما ذكرته مصادر أهل السنّه فضلاً عَن أحاديث أهل البيت عليهم السلام فِي فضل سوره القدر أَنَّهُ لو رُفِعَ ليله القدر لَرُفِعَ القرآن، وَهَذَا يُبَيِّن الصّله الوطیده بين استمرار ليله القدر واستمرار بقاء القرآن.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نزول القرآن مُستمر ويتكرّر لا بمعنى نزول سور وآيات

جديده وَإِنَّمَا السُّورَةُ هِيَ السُّورَةُ، وَالآيَةُ هِيَ الْآيَةُ، وَهِيَ بِنَفْسِهَا الَّتِي نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَتَكَرَّرُ نَزُولُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ وَالتَّوْحِيدِ - اللَّذَانِ هُمَا مَحَلُّ وَفَاقِ بَيْنِ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ نَزُولَهُمَا تَكَرَّرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، عَلِمًا أَنَّ النُّزُولَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ وَالرَّابِعَةِ... الخ أَيْضًا يُسَيِّمِي نَزُولًا مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ بِنَزُولٍ جَدِيدٍ لِلسُّورَةِ أَوْ الْآيَةِ وَمَعَ ذَلِكَ تَتَكَرَّرُ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ لِنَزُولِ الْقُرْآنِ.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تالي الكتاب:

مِنْ النَّعَوَاتِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَالْمُسْتَفِيضَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عِنْدَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ - نَعْتِ [التالي للكتاب حقّ تلاوته] فِي مَعْنَى حَقِّ التَّلَاوَةِ.

المُرَادُ - كَمَا مَرَّ - هُوَ انطَبَاقُ مَعْنَى، وَأَنَّ كُلَّ آيَةٍ قُرْآنِيَةٍ بِحَسَبِ الْحَقَائِقِ الْغَيْبِيَةِ تَمْتَدُّ سُلْطَتُهَا الْوَلَائِيَّةُ لِهَذَا الْمَقَامِ.

(وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سَيَّرْتُ بِهِ الْجِبَالَ أَوْ قَطَّعْتُ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كَلَّمْتُ بِهِ الْمَوْتَى) (١).

بتقريب: لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ (لَوْ) صَرْفِ امْتِنَاعٍ لِامْتِنَاعٍ وَإِنَّمَا هِيَ شُؤْنُ الْقُرْآنِ فِي الْوَلَايَةِ التَّكْوِينِيَّةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْأَحْدَاثِ طَبَقِ نِظَامِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَالْمَشِيئَةِ وَالْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ بِمَا لِلْقُرْآنِ مِنْ حَقِيقَةٍ مُتَعَاظِمَةٍ مُهَيْمِنَةٍ تَكْوِينِيًّا عَلَى مَا دُونَهَا مِنَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ وَالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ.

وتقدم أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ التَّلَاوَةِ هُوَ الْإِفْصَاحُ عَنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ

ص: ٣٣٧

فَإِنَّهُ مَعْنَى سَطْحَى لِلتَّلَاوِهِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنَ التَّلَاوِهِ مَعْنَاهَا الْأَعْظَمَ، وَهُوَ حِينَ تَقْرَأُ وَتَتْلُو الْآيَةَ لَا يُدْرَأُ أَنْ تَتَمَسَّكَ وَتَعْمَلَ بِهَا فِي مَوَاطِنَ تَسْتَحِقُّ الْعَمَلَ بِالْآيَةِ لِأَنَّ لِكُلِّ آيَةٍ وَسُورَةٍ مَوْطِنَ لِأَسْبَابِ النُّزُولِ، وَلِمَاذَا لِكُلِّ آيَةٍ سَبَبٌ نَزُولٍ؟

لِأَنَّ كُلَّ آيَةٍ لَهَا مَوْطِنٌ تَطْبِقُ فِيهِ بِشَكْلِ حَقِيقَتِي، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى تَسْهِيدِ إِلَهِي لِمَعْرِفَةِ مَوَاطِنِ التَّطْبِيقِ يُعْبَّرُ عَنْهُ بِمَنْصِبٍ أَوْ مَقَامٍ يَتْلُو الْكِتَابَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَهَذَا الْوَصْفُ هُوَ أَحَدُ نَعَوَاتِ وَأَوْصَافِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ الْعَارِفُ بِمَوَاضِعِ تَطْبِيقِ الْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا كُلُّ آيَةٍ آيَةٍ.

عَنْ سَلِيمَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَأَنَا عَلِمْتُ فِيْمَنْ نَزَلَتْ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ وَعَلَى مَنْ نَزَلَتْ، إِنَّ رَبِّي وَهَبَ لِي قَلْبًا عَقُولًا، وَلِسَانًا طَلِقًا» (١).

وَهَذَا التَّطْبِيقُ هُوَ أَحَدُ مَعَانِي النُّزُولِ وَقَدْ مَرَّ مَعْنَى آخِرِ (يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ) وَهُوَ تَصَدَّى رُوحَ الْقُدْسِ فِي الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ التَّكْوِينِيَةِ عَبْرَ لَوْحِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ بِالتَّصْرِيفِ بِمَا يَجْرِي عَلَى وَفْقِ سُنَنِ الْقُرْآنِ لَا بِمَعْنَى الْإِلْحَاءِ وَالْجَبْرِ، بَلْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ.

ص: ٣٣٨

١- (١) تفسير العياشي: ج ١، ص ٩٥؛ بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ٩٧ ح ٦٠.

أسباب النزول والتنزيل والتأويل

واستمرار ولايه الله وولايه الرسول

وولايه أئمه أهل البيت عليهم السلام

حقيقه النزول والتنزيل للآيات

ما هي فوائد وأسرار آثار نتائج أسباب النزول:

بَعِيدًا تَقَدَّمَ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِلآيَةِ الْوَاحِدَةِ أَوْ السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ أَكْثَرُ مِنْ سَبَبٍ لِلنُّزُولِ، وَأَنَّ النُّزُولَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَكَرَّرَ، وَأَنَّ السُّورَةَ أَوْ الْآيَةَ - كَمَا هُوَ وَاضِحٌ - لَا بُدَّ لَهَا مِنْ مَوْطِنٍ فَمَا مَعْنَى نَزُولِ الْآيَةِ فِي مَوْطِنٍ؟

إِنَّ الشَّائِعَ عِنْدَ الْكَثِيرِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ - وللأسف - أَنَّهُمْ حَصَرُوا سَبَبَ النُّزُولِ بِمُنَاسِبِهِ وَوَقَعَهُ مُعَيَّنَةً لِهَذِهِ الْآيَةِ أَوْ السُّورَةِ وَأَنَّهَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِمُنَاسِبِهِ تَنَاسُبًا وَتَنَاسُجًا مَعَ مَوْطِنٍ مُعَيَّنٍ وَالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُبَلِّغُهَا لِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ الزَّمَانِيِّ وَالْمَكَانِيِّ الْمَعِينِ، وَذَلِكَ الْمَوْطِنُ يُسَمَّى سَبَبَ النُّزُولِ.

إِذْ غَايَةُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُعْرَفَهُ جُلُّ الْمُفَسِّرِينَ لِأَسْبَابِ النُّزُولِ: هُوَ أَنَّ لَهَا

دورٌ في بيان المعنى الكلي للآية، أي موطن النزول جغرافياً وزمانياً وأحداثياً.

بينما يكون لمعنى الآية في موطن حسب بيانات القرآن وأهل البيت عليهم السلام حقائق وغايات وآثار أخرى أحدها غير الإبلاغ للبشر، وغير نزول الآية في الموطن الخاص، هو نوع من إنفاذ وإجراء حاكمية الله تعالى الولائية، فالنزول والنزول في موطن معين حقيقته حكم تنفيذي بولاية إلهية وحاكمية من الله في البعد التنفيذي والتطبيقي والولاية السياسيّة، وسبب النزول متمحّض في التفسير والتبيين للمعنى الكلي للآية حصراً، بل هو في الأصل طابع من الحاكمية للولاية الإلهية السياسيّة، سواء في مجال مرافق وأنشطة الدولة، أو في بعد الأحوال الشخصيّة، أو الأسره أو التشريع المدني.

عمده حقيقته القرآن بالولاية في النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام وعمده النبوه في التنزيل:

امتناع تفسير القرآن بمجرد النبوه، بل لا بد من بعد الولاية في النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام:

الحاكمية السياسيّة الولائية لله تعالى مختصه بالرسول صلى الله عليه وآله وأئمه أهل البيت عليهم السلام من بعده:

إن الحاكم الأول السياسي والعسكري والاقتصادي والتشريعي في حكمه رسول الله صلى الله عليه وآله هو الله تعالى، والحاكم الثاني هو رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بعده أهل البيت عليهم السلام ومظهر تطبيق هذه الحاكمية السياسيّة الإلهية هو موارد

التُّزول، فمثلاً- إذا كَانَ مورد نزول الآيه هُوَ الأُمُور والشُّؤون العسكريّه والحربيّه، ففي مثل هَـذَا الأمر لا يحسّمه ولا يُبَيَّنُّ به إلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فيأمر اللهُ تَعَالَى رسوله صلى اللهُ عليه وآله بأنَّ هَـذَا المورد مورد حَزْبٍ وِقْتَالٍ، وَهَـذَا المورد مورد سِلْمٍ ومهادنه، وهكذا.

وَهَـذَا معناه إعمال لولايه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في إداره شؤون العباد، مُضَافًا ما لإعمال ولايه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جانب سياسى وعسكرى واقتصادي وتجارى وأمنى وغيرها، مُضَافًا إلى ارتباط أكثر آيات القرآن بجانب العقيدة والمعرفه وغيرها.

وَلَا بُدَّ مِنْ الالتفات إلى نقطه مُهمّه جدًّا في أسباب التُّزول تعتبر مِنْ أهم معانى وحقائق التنزيل وَالتُّزول، هِيَ أَنْ:

أسباب التُّزول حكمٌ:

صَرَحتْ بَعْض آيات القرآن الكريم بأنَّ سبب التُّزول هُوَ حكمٌ كَمَا في قوله تَعَالَى: (وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا) ١ .

بتقريب: إنَّ كثيراً مِنْ المُفسِّرين قَدُ يُفسِّرون - حكماً عربياً - أى لفظاً عربياً وليست أهميّه المسأله كون الحكم بلسان عربى أو غير عربى بقدر أهميّه أن المُراد مِنْ (حُكْمًا عَرَبِيًّا) لبيان أهميّه الولايه والحاكميه هُنَا مِنْ اللهُ تَعَالَى في الشأن الشَّخصى الخطير المنعطف في مسيره الدِّين المنشئ بلفظ عربى.

وَعَلَيْهِ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ وَصَفَتْ التَّنْزِيلَ بِالْحُكْمِ وَالتَّصْدِيقِ وَفَسَّرَتْهُ رَوَايَاتُ أَسْبَابِ التَّنْزِيلِ الصَّحِيحَةِ الْوَارِدَةِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهَا فِي مَقَامِ بَيَانِ مُعْتَقَدِ حَقِيقَةِ خَطِيرٍ فِي حَقَائِقِ الْقُرْآنِ وَهُوَ مَغْفُولٌ عَنْهُ حَتَّى عِنْدَ جَمَلِهِ مِنْ مُفَسَّرِي الْخَاصَّةِ وَلَيْسَ هَذَا مُخْتَصًّا بِالتَّنْزِيلِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا يَشْمَلُ حَتَّى التَّأْوِيلَ فَإِنَّ فِيهِ - التَّأْوِيلَ - تَصْدِيقٌ مِنْ جِهَةِ مَعْنَاهِ الْكُلِّيِّ، وَفِيهِ حُكْمٌ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى.

وهكذا الآية المباركة: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) ١).

بتقريب: أَنَّ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ لَهَا مَفَادَانِ عَامٍ وَخَاصٍّ، أَمَّا الْعَامُ وَهُوَ الْإِبْلَاحُ لِلْبَشَرِ وَأَمَّا الْخَاصُّ فَهُوَ بُعْدُ جَزْئِي حَقِيقِي شَخْصِي تَطْبِيقِي تَتَكَفَّلُ الْعَنَائِيهِ الْإِلَهِيَّةِ بِتَطْبِيقِ هَذِهِ الْمَعَادِلَةِ الْكُلِّيَّةِ فِي الْآيَةِ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا التَّطْبِيقِ يُسَمَّى ب - (الْحُكْم).

والحاكمية الإلهية هي غير المفاد العام الكلي للآية، ومثل هكذا بيان لأسباب النزول لم ولن نجده في غير مدرسه أهل البيت عليهم السلام (١).

ص: ٣٤٢

١- (٢) مِنْ بَابِ إِتِمَامٍ لِلْفَائِدَةِ بَيَانِ الْفَرْقِ بَيْنِ الْفَتْوَى وَالْحُكْمِ وَالْحُكْمَةِ وَالتَّصْدِيقِ. الْفَتْوَى: عِبَارَةٌ عَنْ بَيَانِ لِلْحُكْمِ الْكُلِّيِّ بِنَحْوِ عَامِ كُلِّيٍّ أَيْ تَنْظِيرٍ وَتَقْنِينٍ سُلْطَةِ تَشْرِيْعِيَّةِ. الْحُكْمُ: عِبَارَةٌ عَنْ التَّطْبِيقِ لِلْحُكْمِ الْكُلِّيِّ عَلَىٰ وَاقَعِهِ جَزْئِيَّةٍ فِي نِزَاعٍ مُعَيَّنٍ أَوْ لَا، وَقَدْ يُعْبَرُ عَنْ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ بِالْحُكْمِ، وَيُرَادُ بِهِ التَّطْبِيقُ، إِذْ إِذَا أُرِيدَ مِنَ التَّأْوِيلِ التَّطْبِيقُ فَيُعْبَرُ عَنْهُ بِالْحُكْمِ، وَهَكَذَا التَّنْزِيلُ، فَيُعْبَرُ عَنْهُ بِالْحُكْمِ، وَهَكَذَا التَّنْزِيلُ، فَيُعْبَرُ عَنْهُ بِالْحُكْمِ فِي بَيَانَاتِ الْقُرْآنِ وَرَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالتَّصْدِيقِ. الْحُكْمَةُ: هِيَ وَضْعُ الشَّيْءِ الْكُلِّيِّ فِي مَوَاضِعِهِ الْجَزْئِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ لَهُ، سِوَاءَ كَمَا كَانَ جَزْئِي حَقِيقِي أَوْ إِضَافِي الَّذِي هُوَ أَضْيِيقُ دَائِرَتِهِ مِنَ الْكُلِّيِّ، وَأَنَّ الْحُكْمَ وَالْحَاكِمِيَّةَ فِيهَا جَنْبُهُ وَلَا يَه. التَّصْدِيقُ: هُوَ مَلَاخِظَةُ الْبُعْدِ الْعَامِ فِي التَّنْزِيلِ يَعْنِي الْمَفَادَ الْكُلِّيِّ فِي الْآيَةِ الَّتِي أْبْلَغْتَ لِلْبَشَرِ وَلَمْ يَلْحِظْ مَوْطِنَ تَطْبِيقِهِ، فَهَذَا مَا يُسَمَّى بِالتَّصْدِيقِ أَيْ تَصْدِيقِ التَّنْزِيلِ.

والخلاصه: إن الآيه لا تنحصر فائدتها بالإبلاغ إلى البشر فقط، بل هو إعمال لحاكميه الله السياسيّه اللّائيه إن كانت الآيه مرتبطه بالسياسه، وهذا التطبيق الجزئي لحاكميه الله ولولايه الله السياسيّه، وأن كلّ المنعطفات التي تمرّ بها مسيره الرسول صلى الله عليه وآله وحكومته في حياته على مختلف الأضيّعده سواء في النظام الاجتماعي أو الاقتصادي أو العسكري أو... الخ فإنّ زمام الأمر بيد الله تعالى قبل أن يكون بيد الرسول صلى الله عليه وآله - كما مرّ -.

وتحصل مما تقدّم أنّ أسباب النزول لها مضافاً - لما مرّ - جنبه حكم بمعنى أنّ الباري تعالى يمارس الحاكميه والسياسيه وهو الولايه، والحق تعالى وإن كان له حق التشريع وحق الألوهيه، وحق العبوديه كذلك له تعالى حق الحاكميه السياسيّه أي الولايه لله أولاً، ثمّ ولايه الرسول صلى الله عليه وآله ثانياً ثمّ ولايه أهل البيت عليهم السلام ثالثاً، وهذا المعنى لأسباب النزول وهو حق إعمال الحاكميه وإنه تعالى حاكم لا تجده إلّا في مدرسه أهل البيت عليهم السلام، فإنّ بحوث المتكلمين في المدارس الإسماعيليه الأخرى وغير الإسماعيليه كاليهود والنصارى وسائر الملل والنحل الأخرى المنتسبه إلى السماء، فإنّه ليس فيها - أسباب النزول - معنى حق الحاكميه السياسيّه لله تعالى وإن كانوا يؤمنون

بالتوحيد أى يؤمنون بأصل وجود الله وبأصل صفات الله هو التوحيد فى معرفه.

كَذَلِكَ النُّبُوَّةُ تَوْحِيدٌ فِي التَّشْرِيعِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ إِيمَانًا بِالْأَنْبِيَاءِ هِيَ إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَهَذَا شَأْنٌ آخَرٌ فِي التَّوْحِيدِ، وَعَلَيْهِ فَالتَّوْحِيدُ لَهُ مَقَامَاتٌ وَشُؤُونَ.

ولا يكفى توحيد الله فى مقام التشريع.

وغيرنا من ذكر هذه المقدمات هو لأجل تفسير حقيقه النزول التى خفيت عن جملة من المفسرين بسبب ابتعادهم عن مدرسه أهل البيت عليهم السلام ومعرفه ولايه الله تعالى.

التوحيد عند المدارس الإسلاميه الأخرى(1):

إن الاعتقاد بالتوحيد عند بعض المذاهب الإسلاميه يُعنون به الاعتقاد بأصل وجود الله تعالى، ومن الواضح حصر التوحيد بهذه المرتبه غير كافٍ لصدق التوحيد فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام؛ لأن التوحيد له مقامات وشؤون عديده فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام، فمثلاً- أحد مقامات التوحيد أنه لا موجود أزلى سرمدى إلا الله، وهناك مقام آخر للتوحيد هو النبوه، فإن النبوه هى توحيد وإيمان بالله تعالى قبل أن تكون إيمان بالأنبياء،

ص: ٣٤٤

١- (١) غيرنا من ذكر هذا المطلب هو لأجل تفسير البعد الآخر لأسباب النزول، وأن هناك حقيقه خفيت عن المفسرين بسبب ابتعادهم عن مدرسه أهل البيت عليهم السلام وعدم معرفه ولايه أهل البيت عليهم السلام.

وهكذا هُناك مقام ثالث وَهُوَ: إِنَّهُ لَا مُشَرِّعَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى عِبْرَ أَنْبِيَاءِهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ يَخُولُهُمْ اللَّهُ فِي التَّشْرِيعِ، فَإِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيَّ
مراتب كَمَا فِي الرَّوَايَةِ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حَصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي فَلَمَّا
مَرَّتِ الرَّاحِلَةُ نَادَانَا بِشَرُوطِهَا، وَأَنَا مِنْ شَرُوطِهَا»(١).

بتقريب: أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهَا دَرَجَاتٌ وَوَلَايَةُ الْأَئِمَّةِ الْمُعْصُومِينَ وَأَحَدُهُمُ الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ أَحَدُ دَرَجَاتِ التَّوْحِيدِ، فَكَمَا
أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَوْجُودٌ سِرْمَدِيٌّ أَزَلِيٌّ إِلَّا اللَّهُ وَلَا مُشَرِّعَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَكَمَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا... السَّخَّ كَمَا ذَكَرْنَا النَّبَوَاتِ وَالْإِمَامَةَ وَالْوَلَايَةَ عِبَارَةً
أُخْرَى عَنْ شَأْنِ تَوْحِيدِيٍّ، فَإِنَّهُ لَا نَبُوَّةَ وَلَا إِمَامَةَ وَلَا وَلايَةَ بِالْأَصَالَةِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنَّ مَبْحَثَ الْوَلَايَةِ مِنْ أَعْظَمِ أَرْكَانِ فُرُوعِ الدِّينِ
وَالْفِقْهِ وَلَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ أَعْظَمَ مِمَّا نُوْدِي بِالْوَلَايَةِ؛ لِأَنَّ الْوَلَايَةَ بِالْأَصْلِ هِيَ وَلايَةُ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ كَيْفَ يَقَرُّ الْبَعْضُ بِوَجُودِ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ
السَّرْمِيِّ، وَلَكِنْ يَجْحَدُ وَلايَةَ اللَّهِ تَعَالَى؟

ومثل هؤلاء وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بأنهم تمسكوا بالشجره وضيعوا الثمره فإن أصل شجره التوحيد في الوجود الأزلي
السرمدي هو الله عز وجل وثمرته - التوحيد - أنه لا ولايَهِ إِلَّا اللَّهُ وَهِيَ الْأَصْلُ ثُمَّ وَلايَةُ الرَّسُولِ ثُمَّ وَلايَةُ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ الَّتِي هِيَ مَظْهَرُ لَوْلَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَاللَّهُ مَوْجُودٌ أَزَلِيٌّ سِرْمَدِيٌّ لَهُ حَاكِمِيَّةُ التَّشْرِيعِ وَالْحَاكِمِيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ، كَمَا ذَكَرْنَا نَبُوَّةَ

ص: ٣٤٥

الأنبياء فَإِنَّهَا مَظْهَرٌ وَقِنَاهُ لِتَشْرِيعِ اللَّهِ وَمِنْهَا وِلَايَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوِلَايَةُ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هِيَ قِنَاهُ الْإِيصَالِ إِرَادَاتِ اللَّهِ، وَلَا أَحَدٌ يَطَّلِعُ عَلَى إِرَادَاتِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ اصْطَفَاهُمْ وَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّتِي أَحَدُ نَعْوَتِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُمْ مَهْبُطُ مَشِيئَةِ اللَّهِ، وَإِرَادَاتِ اللَّهِ تَنْزِلُ فِي بِيوتِكُمْ يَعْنِي بِيوتِ الْأَرْوَاحِ وَالنَّفُوسِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مَعْتَقِدَ الْإِمَامَةِ وَوِلَايَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُوَ شَأْنٌ تَوْحِيدِي، وَلِذَا نَعْتَقِدُ بَانَ مَنْ أَخْفَقَ وَخُدِلَ فِي هَذَا الْمَعْتَقِدِ فَقَدْ أَخْفَقَ وَجَحَدَ فِي مَقَامٍ مِنْ مَقَامَاتِ تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَكَذَا الْمَعَادِ يَعْنِي لِقَاءَ اللَّهِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ اللَّقَاءَ الْجِسْمَانِي - هُوَ مَظْهَرُ تَوْحِيدِي، وَمِثْلُ هَكَذَا مَقَامٍ لَا تَجِدُهُ إِلَّا فِي مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلِذَا إِذَا قُلْنَا أَنَّ التَّوْحِيدَ الْكَامِلَ وَالْخَالِصَ لَمْ وَلَنْ نَجِدُهُ إِلَّا فِي مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَمْ نَكُنْ مَبَالِغِينَ وَإِنَّمَا هُوَ لِبَيَانِ الْوَاقِعِ وَالْحَقِيقَةِ.

ملحمه الحكم والحاكميه في قاعده أسباب النزول:

تَقَدَّمَ سَابِقاً أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْوِلَايَةِ يَعْنِي حَاكِمِيَةَ اللَّهِ السِّيَاسِيَّةَ وَالَّتِي لَا تَجِدُهَا فِي أَيِّ مَذْهَبٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا فِي مَذْهَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهَذِهِ الْوِلَايَةُ مَظْهَرُهَا وَتَرْجَمَانُهَا هُوَ تَنْفِيذُ النَّبِيِّ لِلْأَوْامِرِ الْإِلَهِيَّةِ فِي مَوْرَدِ نَزُولِ الْآيَةِ الَّتِي يَأْمُرُ بِهَا اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي هَذَا الْمَوْرَدِ أَعْقَدَ السِّلْمَ، وَفِي مَوْرَدِ آخِرِ أُخْرَجَ لِلْحَرْبِ، وَفِي ثَالِثِ أَعْقَدَ هَدَنَهُ وَرَابِعِ فِدَاءِ وَضَرْبِهِ مَالِيَةً أَوْ أَخْذِ الْخُمْسِ، أَوْ الْإِدَارَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَهَذِهِ وَغَيْرُهَا مِنَ الْمَهَامِ الَّتِي تَلْقَى عَلَى عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمُبَاشَرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَيْهَا هِيَ بِصِلَاحِيَّتِهِ مِنَ اللَّهِ نَظِيرَ

التشريعات الإلهية التي في بعضها مساحة فرائض الله، وفي بعضها الآخر مساحة لسنن النبي صلى الله عليه وآله أو سنن المعصومين عليهم السلام، وبالتالي فإن هذِهِ التشريعات لا تنسب إلى النبي صلى الله عليه وآله أو الأئمة وإنما تُنسب إلى الله وأنَّ الله تعالى رخص النبي صلى الله عليه وآله وأعطاه صلاحيات مُعيَّنة وهكذا الأئمة عليهم السلام.

فالأحداث الخطيرة والعصية فتدبير شأنها من قسم ولايه الله تعالى، وما كان دون ذلك أيضاً هو من ولايه الله إلاً أنَّها في ضمن صلاحيته ولايه النبي صلى الله عليه وآله، وما دون ذلك يدخل في صلاحيته المعصومين عليهم السلام كحسم الموقف السياسي أو الاقتصادي أو العسكري أو المالي أو الحربى أو... الخ.

والخلاصه: إنَّ الحاكمية إذا وصلت إلى منعطف خطير فتكون لله عزَّ وجلَّ، وهذا الذى يُعبَّر عنه بالبعد الآخر لأسباب النزول وإنَّها تجلَّى وبروز وتطبيق للحاكمية السياسيَّة لله تعالى في الأصعدة المختلفة.

ولا يُعقل انحسار وتقوُّض هذه الحاكمية السياسيَّة برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى وإنَّما لا زالت موجوده، بل ومن مُختصَّات أهل البيت عليهم السلام.

وعليه فإنَّ أسباب النزول لا تنحصر بوجهه مُعيَّنه، بل لها جهات وحقائق أُخرى مهمَّة ومؤثِّره.

الولاية لا تتقزم في البعد السياسي والتنظيم الحربى:

إنَّ حقيقه ولايه الله عزَّ وجلَّ وولايه الرسول صلى الله عليه وآله وولايه أئمه أهل

البيت عليهم السلام (1) لا- تنحصر ولا- تتفرم بالبعيد السياسى والتنظيم الحربى وغيرهما وإنما الولاية لها دور أساسى فى جميع العلوم والمعارف والشؤون العسكريه والأمنيه والاقتصاديه والتجارىه والاجتماعيه والتربويه والثقافيه وغيرها.

فإن أحد دعائم الولاية هو الهدايه، فالبشر بمفرده وبمعزل عن ولاية الله وولاية الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام لا يستطيع أن يحقق النتائج المثمرة والنجاحه سواء النظرية أو العمليه إلا بإعمال الولاية الإلهيه واللى أحد دعائمها الهدايه لا سيما الهدايه الملكوتيه والهدايه الإيصاليه - والهدايه غير الولاية وغير الحاكميه السياسيه - فإن الهدايه على قسمين:

الأول: هدايه إراءه - الهدايه الأرائيه هي التعريف بالمطلوب و الغايه وتشخيصه وتنجز - أى والإعلام به - وإقامه الحجج عليه، فهى بالتالى إراءه وإناره للطريق من دون اصطحاب وأخذ للمسترشد بيده إلى الغايه.

الثانى: هدايه إيصاليه: وهى الإيصال إلى المطلوب والهدف، فإن الله تعالى هو الهادى، فإن فى بغض منعطفات الهدايه سواء الأرائيه أو الإيصاليه التى تير لنا الطريق وتوصلنا إلى البارى هي من الله عز وجل (أهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ).

بتقريب: إنه لا يبد أن نطوى الطريق مع ثله الهداه المهديين الذى يُنبرون لنا الطريق، وهذِهِ الهدايه مُتمثله بمقام النبوه والإمامه الممهدين

ص: ٣٤٨

١- (١) كما بينه الشيخ محمد السند فى كتابه: الإمامه الإلهيه: ج ٣، ص ٥٧٩.

والآخذين والكفيلين بإيصالك إلى الولاية الحقّه وهى ولاية الله تعالى بطريق تير.

والهدايه الإيصاليه هى محط غرض إلهى وإنّها - الهدايه الإيصاليه - هى من غايات الهدايه التشريعيه، وأن يكون المجتمع البشرى مجتمعاً فاضلاً تكاملياً وإصلاحياً لجميع البشر، والوصول إلى الحقيقه وهى العبوديّة الخالصه لله تعالى والوصول إلى الأغراض والأهداف والمطلوبه.

وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَبَّرَ عَنِ الْوَلَايَةِ وَالْإِمَامَةِ فِي عَشْرَاتِ الْآيَاتِ وَبِعَشْرَاتِ الْعَنَاوِينَ كَالْإِمَامَةِ وَالْوَلَايَةِ وَالْمَلِكِ وَالْخَلِيفَةِ وَالْهَادِي وَالشَّاهِدِ وَالْوَلِيَّ.

(إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) ١ . (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) ٢ وفى آيه أُخْرَى عَبَّرَ عَنِ الْإِمَامَةِ بِالْمَلِكِ (وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) ٣ (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) (٥٤) ٤ .

بتقريب: أن آل إبراهيم عليه السلام ملكوا ملكاً عظيماً وهو منصب ومقام الولاية الذى هو من أعظم المناصب.

والهدايه (وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ) ٥ .

والمودّة (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ١ .

وما وَرَدَ فِي كَلِمَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: «مَا نُوْدِي بِشَيْءٍ أَكْبَرَ مِمَّا نُوْدِي بِالْوَلَايَةِ» أَوْ لَمْ تَنَادَ بِشَيْءٍ مَا نُوْدِي بِالْوَلَايَةِ (١).

مِمَّا تَقَدَّمَ تَحَصَّلَ أَنَّ مَنَاصِبَ الْوَلَايَةِ لَا يَتَقَرَّمُ بِبُعْدِ مُعَيَّنِ كَالْبُعْدِ السِّيَاسِيِّ وَالتَّنْظِيمِ الْحَرْبِيِّ وَإِنَّمَا الْوَلَايَةُ لَهَا شُؤُونٌ وَجَوَانِبٌ مُخْتَلِفَةٌ فَمِثْلًا وَلا يَهِيَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَشْتَمِلُ عَلَى جَوَانِبٍ كَثِيرَةٍ.

مِنْهَا: فِي جَانِبِ الْقَضَاءِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٣٤٨) وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) ٤ .

وَمِنْهَا: تَدْبِيرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْأَمْوَالِ الْعَامَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥١) ٥ .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ

ص: ٣٥٠

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ) ١ .

وَمِنْهَا: الجانب السياسي والتنظيم الحربى فلقوله تَعَالَى: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ) ٢ .

وقوله تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) ٣ .

وقوله تَعَالَى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) ٤ .

وقوله تَعَالَى: (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُنَجِّنَ فِي الْأَرْضِ) ٥ .

وقوله تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ) ٦ .

وقوله تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) ٧ .

وَمِنْهَا: الجانب الاجتماعى والتقنين الأسرى، فلقوله تَعَالَى: (فَلَمَّا

ص: ٣٥١

قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ) ١ .

وَمِنْهَا: الْجَانِبَ الْأَمْنَى كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ) ٢ .

فَضْلًا عَنِ الْآيَاتِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ إِقَامَةِ أَحْكَامِ الْحُدُودِ مِثْلَ الزَّانَا وَالسَّرْقَةِ وَغَيْرِهَا.

كَمَا أَنَّ الْوَلَايَةَ الْعَامَّةَ وَغَيْرَهَا لَيْسَتْ مَرْتَبَةً بِالنَّبُوَّةِ، بَلْ بِإِمَامَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَلَايَتِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) ٣ بِتَقْرِيْبٍ: إِنَّ الْآيَةَ الْمُبَارَكَةَ فِي مَعْرِضِ بَيَانِ صِلَاةِ صِلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي إِقَامَةِ الْمَعَاهِدَاتِ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَوْ قِتَالِهِمْ وَحَقُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِشُؤْنِهِمْ.

إِذْ فَالْمَوَارِدِ الَّتِي مَارَسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَقَامَهَا وَأَجْرَاهَا فِي حُكُومَتِهِ تَنْفِيذًا لِلْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِيهَا.

وَأَنَّ أَوْامِرَ اللَّهِ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَمَا نَتَّ بِمَسْتَوَى التَّنْفِيذِ وَالتَّنْجِيزِ لَا عَلَى مَسْتَوَى التَّنْظِيرِ الْكُلِّيِّ فَقَطْ، وَهِيَ تَشْرِيْعَاتٌ لِإِقَامَةِ الدَّوْلَةِ، حَتَّى أَنْ الْمُسْلِمَ لِيَشْعُرَ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَهُ دَخْلٌ فِي كُلِّ تَفَاصِيلِ حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ فَضْلًا عَنِ كُلِّيَّاتِ أَحْكَامِهَا، وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ أَوَّلَ مَصْدَاقٍ فِي

تطبيق هَذِهِ العَلاقه القُرآنيّه.

وبعبارة أُخرى: فَإِنَّ أسبابَ النُّزولِ في التَّشريعاتِ القُرآنيّه في دوله الرّسولِ صلي اللهُ عليه وآله وحكومته لَيْسَ مفادِ سببِ النُّزولِ وثمرته النَّبِيُّ هِيَ بيانُ المعنى الكُلِّيِّ للتَّشريعِ وتوضيحه فَقَطْ، بَلْ هُنَاكَ بُعْدٌ هامٌ بالغِ خطوره أيضاً في مَعْنَى أسبابِ النُّزولِ لتلك التَّشريعاتِ القُرآنيّه: - هُوَ أَنَّ تلكَ المواردَ لَأسبابِ النُّزولِ تصدّى مِنْ اللهُ تَعَالَى لتدبيرِ الحُكمِ السِّياسِيّ في المَجالِاتِ المُختلفه بإرادته إلهيه لا بإرادته نبيّه.

فَمِنْ ثَمَّ التَّصرفِ الحُكوميّ والحاكميّ يسندُ إليه تَعَالَى، فالحاكمُ الأوَّلُ في حُكومته الرّسولُ صلي اللهُ عليه وآله لَمْ يَكُنِ النَّبِيَّ صلي اللهُ عليه وآله، يَلُ هُوَ اللهُ تَعَالَى يتصدّى في المُنْعطفاتِ الخطيره السِّياسِيّه والعكسريّه والاقتصاديّه والأمنيّه والقضائيّه والاجتماعيّه وغيرها في دولته وحكومته الرّسولُ صلي اللهُ عليه وآله، والحاكمُ الثَّاني هُوَ الرّسولُ صلي اللهُ عليه وآله، وكذلك الحالُ في حُكومته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فَإِنَّ الحاكمَ الأوَّلُ في المُنْعطفاتِ الخطيره هُوَ الباري تَعَالَى، ثَمَّ الرّسولُ صلي اللهُ عليه وآله والحاكمُ الثَّالث هُوَ أمير المؤمنين عليه السلام كَمَا في الأمرِ بقتالِ النّاكثين والقاسطين والمارقين في برنامجِ حُكومته عليه السلام، وكذلك في حُكومته الحسنين عليهما السلام على العراق وحُكومته الإمام المهدى عجل اللهُ تعالى فرجه الشريف وحُكومته سائر الأئمه عليهم السلام.

والخلاصه مِنْ كُلِّ هَذَا: أَنَّ ممارسه القضاء وإداره السِّياساتِ الماليّه والاجتماعيّه وغيرها هِيَ مِنْ قِبَلِ اللهُ تَعَالَى، وثانياً النَّبِيُّ صلي اللهُ عليه وآله إذْ ولايه الرّسولُ صلي اللهُ عليه وآله النَّبِيُّ مِنْ خلالها يمارس صلاحياته في الحُكم والقضاء هِيَ فرع

ولايه الله تعالى، فالحكم الجزئي التنفيذي الإجرائي فضلاً عن الكلي هو من قبل الله تعالى.

ففي دولة الرسول صلى الله عليه وآله فإن الحاكم المباشر هو الله تعالى لا بمعنى التجسيم والتشبيه، بل بمعنى أن إرادته تعالى تنزل على رسوله فينفذها من دون أن يكون التصرف الحكومي منبثقاً من إرادة الرسول صلى الله عليه وآله، بإرادته الله تعالى منتزلة في القرارات الجزئية التفصيلية من معاهدات وحروب وعلاقات كذلك.

والإمامية تستشهد بذلك على الإمامه، وهل أن الله تعالى يعمل حاكميته السياسيّة في فتره معينه دون غيرها من الفترات بغض النظر عن ولايته تعالى التكوينية؟

هل ولايه وحاكميه الله للبشر انقطعت

برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله أو لا؟

فإذا كان المصدر الرئيسي للأحكام الجزئية التنفيذية التفصيلية في المنعطفات الخطيرة وممارستها من قبل الله تعالى، فهل هذه الممارسه هي لفته محدوده تقتصر على الحقبه النبويه المباركه - أي من خلال وجود النبي صلى الله عليه وآله الشريف فقط - دون فتره ما بعد رحيله الشريف، ثم تنقطع بعد ذلك ولايه الله تعالى في الإشراف السياسي وتلغى؟ أم لا بُدَّ لولايه الله تعالى من الاستمرار والدوام والبقاء؟

فإن قلنا بالأول: وهو انقطاع ولايته تعالى عند وفاته صلى الله عليه وآله ألزمتنا أنفسنا

بالتعطيل وانحسار إرادته تَعَالَى، وَمِنْ ثَمَّ عجزه تَعَالَى - والعياذ بالله - عَنِ الامر، وبالتالي عزل إرادته عَنِ الحاكميه عَلَى خلقه، تَعَالَى اللهُ عَنِ ذَلِكْ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) ١ بتقريب: إِنَّ الألف واللام فِي (الحكم) للجنس أَى كُلِّ حكم سواء عَلَى صعيد التشريع أو التنفيذ أو التنظير [فالولاية لله الحق] وَعَلَيْهِ فَحَتَّى أمر التنفيذ وحسمه هُوَ اللهُ تَعَالَى، وما عَلَى الرسول إِلَّا التنفيذ؛ ولذا عِنْدَمَا يقول القرآن (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ) ٢ بتقريب: لَيْسَ المُرَاد مِنْ جعل الله تَعَالَى للخليفة فِي الأَرْضِ بمعنى استخلاف عَزَلَهُ عَنِ اللهُ تَعَالَى، فَإِنَّ اللهُ تَعَالَى لا يعزل أحداً عَنِ قدرته، وَإِنَّمَا المُرَاد مِنْ جعل الله خليفه بمعنى استخلاف تجلّى وظهور لقدره الله وولايته تَعَالَى فِي تصرفات هَذَا الخليفه، وأنكر عَلَى اليهود قولهم (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) ٣ فَيُدْ تصرفه تَعَالَى مبسوطه لا مغلوله، بتقريب: أَنْ قدره الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ انحسرت - والعياذ بالله -

ولايه الله عَزَّ وَجَلَّ فِي دوله الرسول هِيَ ظهور وتجلّى

لحاكميه الله تَعَالَى عَلَى يد الرسول صلى الله عليه وآله فِي أسباب النُزول:

أَمَّا إِذَا قلنا بالقول الثَّانِي - وَهُوَ عدم انحسار ولايه الله وحاكميته - كَمَا هُوَ الصِّحِيح والذى عَلَيْهِ مدرسه أهل البيت عليهم السلام مِنْ أَنَّ ولايه الله تَعَالَى

مُسْتَمِرِهِ إِلَى أَبَدِ الْأَبَادِ وَلَيْسَتْ مُخْتَصِّصَةً بِفَتْرَةِ زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ، بَلْ حَاكِمِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تُوصَفُ بِالْفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ، وَلَا تَأْخُذُ بِزُهْمِهِ وَفَتْرِهِ وَجِيزِهِ، فَلَا يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِهَا بِحَسَبِ مَعْتَقَدَاتِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَإِذَا أَخَذْنَا بِالْقَوْلِ الثَّانِيِّ مَعْنَاهُ اسْتِمْرَارُ وِلَايَتِهِ وَبِقَاوُهَا، فَعَنْ أَيِّ طَرِيقٍ تَمَرُّ وَتَنْزَلُ إِرَادَتُهُ وَوِلَايَتُهُ تَعَالَى وَمِنْ أَيِّ قَنَاهُ سَتَكُونُ؟ إِذْ هُوَ تَعَالَى لَا يُحَسُّ وَلَا يُجَسُّ وَلَا يُجِبُهُ.

فَالْقَوْلُ بِوِلَايَتِهِ تَعَالَى فِي الْحَاكِمِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي النِّظَامِ الْبَشَرِيِّ يَلْزِمُ مِنْهُ الْقَوْلُ بِوُجُودِ الْمَعْصُومِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى بِنَحْوِ دَائِمِ كُلِّيِّ عَامٍ (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ) ١ .

وَقَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّتِهِ» فَالْمُرَادُ بِالْحُجَّتِ أَيُّ الْقَنَاهِ الْمَعْصُومَةِ الَّتِي مِنْ خِلَالِهَا إِمْرَارُ وِلَايَتِهِ تَعَالَى وَإِنْفَاذُهَا عَلَى الْخَلْقِ، وَهُوَ مَا يَدْعُو إِلَى الْقَوْلِ بِوُجُودِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ فِي كُلِّ آتٍ مِنْ آتَاتِ الْخَلْقِ، فَهُوَ... الْمَعْصُومُ سَفِيرُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ.

فَمُبَاشَرَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِلتَّفَاصِيلِ السِّيَاسِيَّةِ فِي حَاكِمِيَّةِ التَّيْدِيرِ لِجَزْئِيَّاتِ الْأُمُورِ نَصَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ) ٢ .

إِذْ هَذَا الْإِخْتِبَارُ لِأَصْحَابِ طَالُوتَ لَيْسَ بِإِخْتِيَارِهِ، بَلْ هُوَ بِأَمْرِ اللَّهِ

تَعَالَى كَمَا فِي غَيْرِهَا مِنْ مَوَارِدِ أَحْكَامِ الْأَنْبِيَاءِ، إِلَّا أَنَّ سِيرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَلَاخُظُ بِشَكْلِ أَكْثَفِ وَأَكْبَرِ تَرْكِيزًا عَلَيَّ
مَسْتَوَى آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَالْخِلَاصُ: الْمَقْصُودُ مِنْ حَاكِمِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ، سَوَاءً كَانَتْ فِي الْقُرْآنِ أَوْ الْإِنْجِيلِ أَوْ التَّوْرَةِ غَيْرِ الْمُحَرَّفَةِ هِيَ
حَاكِمِيَةُ وَلَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَبْدِيَّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ دَائِمَةٌ.

وَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنَّ وَلَايَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَحَاكِمِيَتَهُ تَقْتَضِي وَصَايَا إِلَهِيَّةَ بِوُجُودِ خَلِيفَتِهِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا الْوَصِيَّ يَمَثُلُ اسْتِمْرَارَ وَلَايَةِ
اللَّهِ وَحَاكِمِيَتِهِ وَكَيْفِيَةِ ظُهُورِ وَتَجَلِّيِ حَاكِمِيَتِهِ تَعَالَى فِي الْمَاضِيَةِ فِي الْكُونِ وَالْمَكَانِ وَالْمَكِينِ وَالْأَكْوَانِ وَالزَّمَانِ، تَظْهَرُ عَلَيَّ يَدِ
الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّ أَعْمَالَ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ ظُهُورٌ وَمَظْهَرٌ لِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَقْدَرَ جِبْرَائِيلَ عَلَيَّ تِلْكَ
الْقُدْرَةَ وَالْأَفْعَالَ.

وَهَكَذَا فِي أَعْمَالِ مَلِكِ الْمَوْتِ عِزْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) (١١) .

بِتَقْرِيْبٍ: إِنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ (وُكِّلَ) بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَىٰ لِعِزْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَأَلَهُ عِزْلَةً وَتَجَافَى وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَعْزُولٌ عَنِ
عَمَلِ مَلِكِ الْمَوْتِ، كَلَامًا لَيْسَ هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْ (وُكِّلَ) بِمَعْنَى تَجَلَّى وَظُهُورَ لِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا يَفْعَلُهُ
عِزْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ ظُهُورٌ وَتَجَلَّى لِعِظْمَةِ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ يَدِيهِ.

وهكذا نفس الكلام مع ميكائيل عليه السلام المُوَكَّل بالأرزاق وعنده تقاديرها، وإسرافيل عليه السلام الذى يسرى إلى الأبدان وينفخ فى الأرواح، فَإِنَّ هَذِهِ وَغَيْرَهَا كُلُّهَا مَظَاهِرُ فِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فمثلاً تظهر أفعال الله تَعَالَى عَلَى يَدِ الْمَلَائِكَةِ الْعِظَامِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ طَبَقَاتِ الْمَلَائِكَةِ، كَذَلِكَ وَلا يَه اللهُ تَعَالَى فِي دَوْلَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هِيَ بِالْحَقِيقَةِ حَاكِمِيَّةُ اللَّهِ تَظْهَرُ عَلَى يَدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَسْبَابِ النُّزُولِ، وَهَكَذَا وَلا يَه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي دَوْلَةِ وَحُكُومِهِ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إِذَنْ حَاكِمِيَّةُ اللَّهِ تَعَالَى السِّيَاسِيَّةُ مُسْتَمْرَةٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَلَوْ رُفِعَتْ هَذِهِ الْحَاكِمِيَّةُ وَلِيْلَهُ الْقَدْرُ لَرُفِعَ الْقُرْآنُ؛ لَوْثَاقَهُ الصَّلْهُ - وَالرَّبْطُ بَيْنَ نَزُولِ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَبِمَا أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَهَا ارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ بِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمْ تَجَلَّى وَقِنَاهُ لِنَزُولِ وَلا يَه اللهُ وَمَشِيئَتُهُ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعَتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي» «... أَهْلَ بَيْتِي حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ كَالْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ يَسْتَفْهَمُ مُشَكِّكًا مِنَ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ، قَالَ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْمَأْمُونِ يَوْمًا وَعِنْدَهُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ اجْتَمَعَ الْفُقَهَاءُ وَأَهْلُ الْكَلَامِ مِنَ الْفِرْقِ الْمُخْتَلِفَةِ فَسَأَلَهُ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ لَهُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ بِأَيِّ شَيْءٍ تَصَحَّ الْإِمَامَةُ لِمُدَّعِيهَا؟ قَالَ: «بِالنَّصِّ وَالذَّلِيلِ»، قَالَ لَهُ: فَدَلَالَةُ الْإِمَامِ فِيمَا هِيَ؟ قَالَ: «فِي الْعِلْمِ وَاسْتِجَابَةِ الدَّعْوَةِ»، قَالَ: فَمَا وَجْهُ أَخْبَارِكُمْ بِمَا يَكُونُ؟

قَالَ: «ذَلِكَ بَعْدَ مَعَهُودِ إِلَيْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، قَالَ فَمَا وَجِهَ أَخْبَارَكُمْ بِمَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ: «أَمَّا بَلْغَتُكَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اتَّقُوا فِرَاسَهُ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»، قَالَ: بَلَى، قَالَ: «وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ فِرَاسُهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِ وَمَبْلَغِ اسْتِبْصَارِهِ وَعِلْمِهِ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ الْأَئِمَّةَ مِنْهُ فَرَقَهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) فَأُولَ الْمُتَوَسِّمِينَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالْأَئِمَّةَ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ زِدْنَا مِمَّا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَقَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَيْدِنَا بِرُوحٍ مِنْهُ مُقَدَّسَهُ مَطْهَرَهُ لَيْسَتْ بِمَلِكٍ لَمْ تَكُنْ مَعَ أَحَدٍ مِمَّنْ مَضَى إِلَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهِيَ مَعَ الْأَئِمَّةِ مِمَّا تَسُدُّهُمْ وَتُوفِّقُهُمْ وَهُوَ عَمُودٌ مِنْ نُورِ بَيْنِنَا وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (١).

: «إِنَّكُمْ تَدْعُونَ الْعِلْمَ بِبَعْضِ الْمَغِيْبَاتِ فَأَجَابَهُ الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ».

بتقريب: إِنَّ الْمُؤْمِنَ كُلَّمَا زِيدَ فِي إِيمَانِهِ وَكُمِّلَ كُلَّمَا زِيدَ لَهُ فِي ذَلِكَ النُّورِ فَيَرَى مَا لَا يَرَى غَيْرَهُ، وَهَذَا يَكْشِفُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ الْأَطْهَارَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْإِمَامِ الثَّانِي عَشَرَ الْحَجَّجِ بْنِ الْحَسَنِ عَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ أَنَّ اللَّهَ مَلَّكَهُمْ سَلَكًا وَقَنَاهُ ارْتِبَاطَ إِلَهِي خَاصٍ وَهُوَ الْعِلْمُ اللَّدْنِي.

ص: ٣٥٩

١- (١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ: ج ٢، ص ٢١٦-٢١٧.

استمرار حاكميه الرسول صلى الله عليه وآله بَعْدَ رحيله،

والأئمة عليهم السلام بَعْدَ رحيلهم:

ثُمَّ إِنَّ الاستمرارِيَّه بِالْحَاكِمِيَّه - كَمَا هِيَ حَقِيقَه فِي حَاكِمِيَّه الله عَزَّ وَجَلَّ - لَا تَنْقَطِعُ وَلَا تَزُولُ، فَكَذَلِكَ هِيَ حَقِيقَه فِي حَاكِمِيَّه الرسول صلى الله عليه وآله الَّتِي هِيَ ظِلٌّ وَتَبَعٌ لِحَاكِمِيَّه الله عَزَّ وَجَلَّ فَمَا فِي عَشْرَاتِ الْأُمَرِ الْقُرْآنِيَّه (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ) مِنْ الْأَمْرِ بِإِطَاعَةِ الله وَإِطَاعَةِ الرسول صلى الله عليه وآله وَكَذَلِكَ مَا فِي الْآيَاتِ مِنْ بَيَانِ لَوْلَايَه الرسول صلى الله عليه وآله، فَإِنَّ هَذِهِ الْوَلَايَه وَالْحَاكِمِيَّه وَلِزُومِ الطَّاعَةِ لَمْ تَنْقَطِعْ بِرَحِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الْبَرَزَخِ، بَلْ لَا زَالَتْ حَاكِمِيَّتَهُ وَوَلَايَتَهُ عَلَى الْأئِمَّةِ الْأَثْنَى عَشَرَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَضْلاً عَنْ وَلايَتِهِ عَلَى بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَجَمِيعِ الْبَشَرِ لَمْ تَنْقَطِعْ، بَلْ هِيَ مُسْتَمِرَّةٌ، فَالْنَّبِيُّ الْخَاتَمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَاهِدٌ عَلَى الشُّهَدَاءِ إِذْ وَلايَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَقَامَ الْأَوَّلَ الَّذِي صَيَّرَ بِهَا الْقُرْآنُ فِي آيَاتِ ثَلَاثٍ (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٨) ، وَإِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٢٨) وَإِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ) ٣

بَلْ فِي جَمِّ مِنَ الرُّوَايَاتِ أَنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَاهِدٌ عَلَى الْإِشْهَادِ وَالشُّهَدَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، فَهُوَ وَلِيُّ الْأَوْلِيَاءِ وَالرَّاعِي لِلْوَلَاةِ، فَهَذِهِ الْوَلَايَه لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ تَنْقَطِعْ فِي

حكومه أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، فكَمَا أَنَّ الحاكم الأوَّل في حكومه أمير المؤمنين عليه السلام هُوَ اللهُ تَعَالَى، فَإِنَّهُ فِي ظِلِّ حَاكِمِيَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَاكِمِيَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي عَهْدِ إِمَامِهِ بَقِيَّةِ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَوَلَايَةِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَحُكُومَاتِ دَوْلَتِهِمُ الْإِلَهِيَّةِ الْخَفِيَّةِ فَإِنَّهَا فِي تَبَعِ وَطُولِ وَوَلَايَةِ وَحَاكِمِيَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّهَا لَمْ تَنْقَطِعْ بِرَحِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْبِرْزَخِ بَلْ هِيَ بَاقِيَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ، وَإِنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ حِجَابًا عَنِ مِمَارَسَتِهِمْ لِدَوْرِ الْوَلَايَةِ، كَمَا أَنَّ غِيْبَهُ وَخَفَاءَ الْإِمَامِ الثَّانِي عَشَرَ لَيْسَتْ حِجَابًا عَنِ مِمَارَسَتِهِ لِدَوْرِ الْوَلَايَةِ.

الفرق بين التشريع والتنزيل:

تنبيه هام: إِنَّ بَعْضَ الْمُفَسِّرِينَ لَمْ يَتَبَلَّوْا وَيَتَمَيَّزْ لَدِيهِ الْفَرْقُ بَيْنَ التَّشْرِيعِ وَالتَّنْزِيلِ مِنْ جِهَةٍ، وَيَبِينُ مَوْرِدَ التَّنْزِيلِ وَمَوْرِدَ التَّشْرِيعِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، إِذْ جَعَلُوا مَوْرِدَ التَّنْزِيلِ وَالتَّشْرِيعِ مُجَرَّدَ شَاهِدٍ وَمَبِينٍ لِمَعْنَى التَّنْزِيلِ الْكُلِّيِّ أَيْ التَّشْرِيعِ الْعَامِّ لَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا بِخُصِّ لِحَقِيقَةِ التَّنْزِيلِ.

فَبَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فَهَمَّ أَنْ التَّنْزِيلَ دَوْرَهُ تَفْسِيرِيٌّ أَيْضًا حَى لَلْآيَةِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُ دَوْرًا آخِرًا، فِي حِينِ أَنَّ التَّنْزِيلَ هُوَ نَوْعٌ مِمَارَسَهُ فَعَلِيَّةٌ لِحَاكِمِيَّةِ اللهِ تَعَالَى السِّيَاسِيَّةِ فِي الْجَزَائِيَّاتِ التَّفْصِيلِيَّةِ وَسُلْطَنَةِ السِّيَاسِيَّةِ، وَمَفَادٌ هَذَا غَيْرُ مَفَادِ التَّشْرِيعِ، وَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُ سُنَنِ الْجَمَاعَةِ إِلَى هَذِهِ الشُّبْهَةِ الَّتِي تَوَوَّلَ إِلَى مَا اعْتَقَدَهُ الْيَهُودُ مِنْ أَنَّ اللهُ تَعَالَى شَرَعَ فَقَطَّ وَلَمْ يُمَارَسِ الْحَاكِمِيَّةَ وَالسُّلْطَةَ

ص: ٣٤١

السياسيّه التفصيليه في تدبير النّظام السياسي الاجتماعي والحكم التنفيذي وهو قوله تعالى: (وَ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) ١ .

بتقريب: إنّ التعطيل الذي تصوّره اليهود في حقّه تعالى، قد أنجز إلى بعضهم حتّى عطلوا إرادته، إبهاماً منهم بأنّ الله تعالى لم يمارس ولايته إلّا في حدود التشريع الكلّي فقط، أيّ في السّيلطه التشريعيه دون السّيلطه السياسيّه التنفيذيّه والقضائيّه في حين لو تتبع الباحث الكريم آيات القرآن يجد من خلالها تصدى الإراده الإلهيه لوقائع وأحداث كبرى ولوقائع قرآنيه سواء في منعطفات حكومه النّبى صلى الله عليه وآله ومسير دعوته، وهذا سلطان الإراده الإلهيه وإعمال للحاكميه التشريعيّه أو المائيه أو السياسيّه أو القضائيّه وغيرها لم تنفرد فيها إرادته النّبى صلى الله عليه وآله دون إرادته الله تعالى.

فالتنزيل: ليس هو لألفاظ التشريع الكلّي فقط لا غير كما هو رائج، هذا التعريف لدى الكثير من المفسّرين والمتكلمين، بل هو أحد جهاته والتنزيل حقيقه: هو إعمال ولايته تعالى السياسيّه المباشره على جميع الدقائق والجزئيات التفصيليه الخطيره في منعطفات الحياه الاجتماعيه والسياسيه وغيرها من مجالات البشر، كما أنّ التنزيل هو تطبيق التشريع الكلّي على مصاديقه، أيّ استمرار حاكميه الله تعالى السياسيّه التفصيليه في كلّ الموارد.

نقطتا اشتراك وافتراق بين التنزيل والتأويل:

هُنَاكَ جنبه مُشترکه بين التّنزِيل والتّأویل وَهِيَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ انطباق الحکم الكُلِّي عَلَي مصاديقه، إِلَّا أَنَّ الفِرْق بينهما هُوَ أَنَّ التّنزِيل: هُوَ بَدْء نَزول الأحکام، والتّأویل: - هُوَ اسْتِمْرار نَزول الأحکام وَالْقُرْآن وَحاکمِيه الله.

فحاکميه الله تَعَالَى هُوَ تَنْزِيل إِرَادته فِي تفاصيل الجزئيات الخطيره، إِذْ لَا تَسْتند إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ الوَصِيِّ عَلَيْهِ السَّلَام، وَهَذِهِ موجوده فِي دَوْل الأنبياء إِذْ هُمْ محطّات.

وَهَذِهِ الإِرَادَه الإِلَهِيه تُمارس مِنْ قِبَل المعصوم عليه السلام، وَحَيْثُ وَرَدَ أَنَّهُمْ أَوْعِيه لِمَشِيئَاتِ اللهُ تَعَالَى، مِمَّا يَعْنِي أَنَّ الإِرَادَه الكُلِّيَه تَتوزع وَتتفصّل عَلَي كُلِّ الإِرَادَاتِ الجزئيه إِلَى الإِرَادَه الإِلَهِيه الكليه، أَيْ رَجوع كُلِّ الإِرَادَاتِ إِلَى الإِرَادَه الإِلَهِيه وَطريقها المعصوم عليه السلام الذي تَمَرَّ مِنْ خِلاله إِرَادَاتِ اللهُ تَعَالَى.

وَعَلَيْهِ فَالذِي تَنْزَلُ عَلَيْهِ الآيات وَالسُّور بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الإِمَامُ المعصوم عليه السلام وَتَسْتَمِرُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِضُرُورِهِ اسْتِمْرار وِلايَه اللهُ تَعَالَى فِي الحاکميه وَالسَّيْلَطَه السِّيَاسِيَه عَلَي البَشَر، وَفِي زَمَانِنَا هُوَ الإِمَامُ المَهْدِي عَجَل اللهُ تَعَالَى فِرجه الشَّرِيفَ حَيْثُ يُدَبَّرُ وَيُدِيرُ النِّظامَ البَشَرِي عِبْرَ خِفاءِ الغيبه وَسرِيتها إِلَى أَنَّ يَثْنَ آنَ الإِعْلانَ وَالظَّهْورَ(١).

ص: ٣٦٣

١- (١) الإِمَامَه الإِلَهِيه: ج ٣، ص ٥٧٩ للشيخ مُحَمَّد السَّنَد حفظه اللهُ.

عَنْ تَفْهِيمِ وَتَطْبِيقِ الْقَوَانِينِ الْإِلَهِيَةِ لِلْبَشَرِ هُوَ نَفْسُ الْبَشَرِ:

وَمِمَّا تَقَدَّمَ يُعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْبَيَانَ كَأَدْبِيَّاتٍ سِيَاسِيَّةٍ أَوْ عَقَائِدِيَّةٍ فِي تَفْسِيرِ النَّظَامِ السِّيَاسِيِّ غَيْرِ مَوْجُودٍ فِي الْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْآخَرَى عِندَ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ وَلِذَا جُعِلَ التَّوْحِيدُ - وَلِلْأَسْفِ - فِي الْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْآخَرَى بِمَنْزِلَةِ تَنْظِيرِ مُجْمَعٍ وَيُحْسَبُ فِي جَنْبِهِ تَنْفِيذِيَّةٌ أَوْ إِجْرَائِيَّةٌ إِذَا كَانَتْ صِلَاحِيَّةِ الْبَارِي تَعَالَى فَقَطُّ فِي مَقَامِ التَّشْرِيحِ وَالتَّنْظِيرِ الْكُلِّيِّ، فَالْمَدَارِسُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْآخَرَى غَيْرَ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَعْتَقِدُ وَلِلْأَسْفِ كَمَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ، أَنَّ مَعْنَى وَدَوْرَ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالنَّظَامِ الْإِسْلَامِيِّ هُوَ تَشْرِيحُ الْقَوَانِينِ وَتَقْنِينُهَا فَقَطُّ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الْحَاكِمَ وَالْمَسْئُولَ عَنْ تَفْهِيمِ وَتَطْبِيقِ هَذِهِ الْقَوَانِينِ الْإِلَهِيَةِ لِلْبَشَرِ هُوَ نَفْسُ الْبَشَرِ وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ النَّظَامَ وَالْقَانُونَ صَارَ نِظَامًا بَشَرِيًّا لَا إِلَهِيًّا، هَكَذَا تَعْتَقِدُ الْمَدَارِسُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْآخَرَى.

وَأَمَّا مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَتَعْتَقِدُ بِأَنَّ نِظَامَ الدَّوْلَةِ الْإِلَهِيَّةِ شَيْءٌ آخَرٌ، وَأَنَّ الْحَاكِمَ فِي يَوْمِيَّاتِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ وَمَنْعُطَاتِهَا الْخَطِيرَةُ وَحَوَادِثُهَا الْعَصِيْبَةُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَمِنْ الْوَاضِحِ وَالطَّبِيعِيِّ عِنْدَ كَافِهِ الْعُقَلَاءِ أَنَّ رَيْسَ كُلِّ دَوْلَةٍ يَتَدَخَّلُ فِي كُلِّ التَّفَاصِيلِ الْمَصِيرِيَّةِ الَّتِي تَجْرَى فِي دَوْلَتِهِ، فَفِي نِظَامِ الدَّوْلَةِ الْمَشْرُوعِ الْإِلَهِيِّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَتَدَخَّلُ فِي كُلِّ التَّفَاصِيلِ وَالْمَنْعُطَاتِ وَمِثْلَ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ يَتَوَاجَدُ فِي دَوْلَةِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَدَوْلَةِ وَصِيِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدِهِ إِلَى الْحَجَّهِ بْنِ الْحَسَنِ

المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وتقدّم مفصلاً - أنّ الحاكم الأوّل في دوله وحكومته الرسول صلى الله عليه وآله هو الله ثمّ الرسول صلى الله عليه وآله وبعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

إن قلت: كيف يستعلم أمير المؤمنين عليه السلام التدبيرات الجزئية المُتَشَخِّصه مِنْ الله تَعَالَى فِي منعطفات دولته بَعْدَ رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قلت: إنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الوحيد مِنْ أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله عنده علمٌ لَدُنِي دون غيره مِنْ الصِّيحَابِ، وَهَذَا الْعِلْمُ اللَّدُنِي عِبَارَةٌ عَنْ حَبْلِ مَمْدُودٍ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَهُوَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنْزَلُ عَلَيْهِ الْمَشِيئَاتُ الْإِلَهِيَّةُ الْخَاصَّةُ، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخْبَرَ وَعَلَّمَ سَيِّدَ الْأَوْصِيَاءِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كُلِّ تِلْكَ الْأُمُورِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدَهُ الْإِمَامَ الْحَسَنَ ثُمَّ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ ثُمَّ التَّسْعَةَ الْمَعْصُومِينَ مِنْ ذُرِّيَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَالْحَاكِمُ الْأَوَّلُ فِي دَوْلَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ اللَّهُ وَلِذَا ذَكَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْمَعْنَى فِي كَلَامِهِ عِنْدَمَا خَرَجَ مِنْ مَدِينَةِ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ إِلَى كَرْبَلَاءَ: «شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرَانِي قَتِيلًا» بِتَقْرِيْبٍ: شَاءَ اللَّهُ لَا بِمَشِيئَتِهِ الرَّسُولِ وَلَا بِمَشِيئَتِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَرَانِي قَتِيلًا، وَإِنَّمَا بِمَشِيئَةِ إِلَهِيهِ، وَهَكَذَا شَاءَتِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ أَنْ تَرَى النِّسَاءَ سَبَايَا «شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا»، وَلِذَا عِنْدَمَا سَمِعَ صَحَابَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمْثَالَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَّاسٍ وَغَيْرِهِ هَذَا الْكَلَامَ مِنَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَعْترِضُوا عَلَيْهِ وَيُنَاقِشُوهُ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُوا أَنَّ أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى اتِّصَالِ بِالْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْعِلْمِ اللَّدُنِيِّ الَّذِي زَوَّدَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَهَذِهِ حَقِيقَةُ

عظيمه لطيفه ينبغي الالتفات إليها.

وهكذا الحال في كُلِّ إمامٍ حَيٍّ حاضرٍ يدير دولته بأوامر إلهيه بتنفيذ خاص، ثُمَّ أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله ثُمَّ أوامر أمير المؤمنين عليه السلام بَلْ وَحَتَّى إداره الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لهذه الدوله الإلهيه والمجتمعات البشريه ولو بشكل خفي وسري للدوله الخفيه، بَلْ وَحَتَّى لدوله الظهور فَإِنَّ الحاكم الأَوَّلَ هُوَ اللهُ تَعَالَى وَأَنَّ الأوامر الإلهيه هِيَ الحاكمه في الحسم القضائي والحسم الأمنى والحسم العسكري والحسم التدبيرى والمالى وغيرها، ثُمَّ الحاكم الثَّانِي هُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله ثُمَّ أمير المؤمنين عليه السلام ثُمَّ الحسن ثُمَّ الحسين ثُمَّ التسعه المعصومين مِنْ ذرئته الحسين عليهم السلام.

أسباب النُّزول لها مَعْنَى اعتقادي ولائى

خطير ولصيق بحقيقه تنزيل القرآن:

إِنَّ لأسباب نزول الآيات الكريمه مَعْنَى اعتقادي خطير وعظيم ولصيق بحقيقه تنزيل القرآن الكريم وَهُوَ مَعْنَى الولاية، فَإِنَّ مَعْنَى التنزيل وَالتُّزول وَالإنزال هُوَ فاعليته وتفعيل لولايه الله في إداره جميع ملفات شؤون المخلوقات لا سِيَّما البشر، وتدخل في التطبيق الجزئى لَيْسَ فَقَطْ عَلَى صعيد التنظير والتقنين الكُلِّى والتشريع العام، لا- كَمَا فهمته بَعْض المدراس الإِسْلَامِيَّه وَأَنَّ حاكميه الله تَعَالَى وصلاحيته وولايته تقف عِنْدَ السَّيْلطه التشريعيه العامه فَقَطْ، وَهَذَا مفهوم خاطئ، وَإِنَّمَا وولايته وحاكميته تَعَالَى تنزَلُ حَتَّى إلى الجزئى الخاص والحدث الشَّخْصِي.

ص: ٣٦٦

وَعَلَيْهِ فَالنتيجة الَّتِي تنتهي إليها بيانات بَقْيِهِ فرق المسلمين: هِيَ أَنَّ صلاحِيَهُ اللهُ تَعَالَى محدوده بالسلطه التشريعيه كتشريع التوحيد والنبوه، أمَّا السِّلَطَه التنفيذِيَه فيبياناتهم - العامه - خُلُوٌّ مِنْهَا، وهكذا السِّلَطَه القضائِيَه فإنهم - العامه - لَمْ يَبِينُوا فِي بياناتهم أَنَّ الحاكم والقاضي الأَوَّلُ هُوَ اللهُ، بخلاف ما عَلِيَهُ مدرسه أهل البيت عليهم السلام مِنْ أَنَّ الحاكم الأَوَّلُ والآخر فِي كُلِّ صعيد فِي الدُّنْيَا والآخره هُوَ اللهُ تَعَالَى.

تشريعات وولايه وحاكميه الله على درجات:

ومِمَّا تَعَدَّم يُعَلِّمُ أَنَّ أسباب التُّزول تعطى وتبين لنا طابعاً وحقيقه مِنْ الحقائق العظيمه أَلَا وَهُوَ تَدْخُلُ السَّمَاءَ واليد الإلهيه، وَأَنَّ التصرّف والقدرة الإلهيه تنزل إلى أدقّ التفاصيل وتفاصيل التفاصيل والحدث الشّخصي الذي فيه انعطافه خطيره ومصيره، ولا يُفهم مِنْ هَذَا الكلام أَنَّ الأحداث الشّخصِيَه والتفصيل غير الخطيره لا تتدخل فيها يد السَّمَاء، بَلْ تتدخل ولكن بتنزلات أُخْرَى شبيهه بسنن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنَّها تشريعات إلهيه إِلَّا أَنَّها بتنزلات أقل درجه مِنْ الفرائض.

ولذا تُقَسَّم الأحكام الشرعيه إلى فرائض وسنن، والفرق بين الفريضه الإلهيه والسُّننه النبويه أَنَّ الأولى - الفريضه الإلهيه - أنشأت بآيه قرآنيه وبكلام مِنْ اللهُ أَوْ بحديث قدسي، وَأَنَّ الثَّانِيَه - السنه النبويه - هِيَ الَّتِي أنشأها النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمْرٌ بِهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنَّ سنن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلُّهَا أحكام وجزء مِنْ الشَّرِيعه، وَهَذَا أمر مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ

عَنْهُ فَانْتَهُوا) ١ .

و(وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ) ٢ .

فَكُلٌّ مِنْ الْفَرِيضَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تَشْتَرِكَانِ فِي جِهَةِ الْإِنْتِسَابِ إِلَى الشَّرِيعَةِ وَيَفْتَرِقَانِ فِي أَنَّ فَرَاغَ اللَّهِ أَكْبَرَ أَهْمِيَّةِ وَامْتِنَانِهَا مُقَدَّمٌ عَلَى سُنَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَهْمِيَّةِ رُكْنِيَّتِهَا، وَإِنْ كَانَتْ سُنَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَالًا هِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْأُمُورُ الْإِلَهِيَّةُ تَارَةً تَتَجَلَّى بِأَلُوهِتِهِ اللَّهُ الْمُحَضَّضَةُ وَتُسَمَّى فَرَاغَ اللَّهِ كَمَا فِي تَشْرِيعِ الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي فَرِيضَةِ الصَّلَاةِ الرَّبَاعِيَّةِ الْيَوْمِيَّةِ، وَلَهُمَا أَحْكَامُهُمَا الْخَاصَّةُ بِأَنَّ لَا يَدْخُلُهُمَا الشُّكُّ وَغَيْرُهُ.

وَأُخْرَى تَتَجَلَّى عَنْ طَرِيقِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتُسَمَّى بِسُنَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَا فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ مِنْ فَرِيضَةِ الصَّلَاةِ الرَّبَاعِيَّةِ الْيَوْمِيَّةِ وَلَا مَانِعٌ مِنْ دُخُولِ الشُّكِّ عَلَيْهَا، وَيُمْكِنُ الْمُعَالَجَةُ وَلَهَا صُورٌ.

وَنَالَتْهُ تَنْزِيلٌ وَتَتَجَلَّى التَّشْرِيعَاتُ الْإِلَهِيَّةُ بِمَظْهَرِ أَقْلٍ رَتَبَهُ وَهِيَ مَا تُسَمَّى بِسُنَنِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَسُنَنِ أَوْلَى الْأَمْرِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَمَا فِي بَيَانٍ وَتَوْضِيحٍ جَمَلُهُ مِنْ الْأَحْكَامِ الَّتِي يُطَلَّقُ عَلَيْهَا تَشْرِيعٌ - بِتَحْفَظٍ - كَمَا فِي مَسْأَلَةِ تَشْرِيعِ الْخَمْسِ فِي غَيْرِ الْأَنْفَالِ وَغُنَائِمِ الْحَرْبِ وَبَاقِي الْأُمُورِ الْآخَرَى، أَوْ بَيَانٍ وَتَوْضِيحٍ أَوْلَى الْأَمْرِ لِبَعْضِ مَوَانِعِ الصَّلَاةِ كَمَا فِي مِثْلِ: - مَانِعِيَةِ الصَّلَاةِ بِجُلْدِ مَا لَا يُؤْكَلُ لِحْمُهُ فَإِنَّهُ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْوَلَوِيِّ عَنْ أُمَّهِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَمْ يَرِدْ فِي

ص: ٣٦٨

الحديث النبوي، وهكذا في باقى الأبواب الأخرى سواء فى باب العبادات أو المعاملات، ولهذا دأب الفقهاء إلى التفكيك بين الفرائض الإلهيه والسنن النبويه وسنن المعصومين من أئمة أهل البيت عليهم السلام وكُلِّها أحكام من الله تعالى ولكنها على درجات من الأهميه.

وإطاعه أهل البيت ذكرها القرآن الكريم (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ) ١. بتقريب: إنَّ أولى الأمر بعيد الرسول صلى الله عليه وآله هم أهل بيت النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وأولهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وآخرهم الحجة بن الحسن المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الَّذِينَ شهد القرآن بفضلهم وطهارتهم وإمامتهم وعلمهم و... الخ.

إذن تشريعات وولايه وحاكميه الله على درجات فَمِنْهَا تشريعات إلهيه على مستوى الفرض لخطورته وأهميته أوصله البارى إلى حَدِّ الإلزام لثلاثة يقع المُكَلَّف فى مخالفه ما فرضه الله على العباد، وَمِنْهَا: دون الفرض وَالَّتِي هِيَ سنن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ودونها تشريعات أولى الأمر - أئمة أهل البيت عليهم السلام.

كَذَلِكَ الحال فى الحاكميه والولايه فَعِنْدَمَا تكون هُنَاكَ حاكميه لله تَعَالَى فَهَذَا معناه أَنَّ أسباب التُّزول للآيات القرآنيه فيها بُعْد مهم وخطير وفيه حَسْمٌ وَحَتْمٌ مِنَ الإراده الإلهيه فى الحادثه حَتَّى الشخصيه الجزئيه، وَهَذَا ما يُعَبَّر عَنْهُ بالولايه.

فالتنزيل يُعَبَّرُ عَنْ وِلايَةِ وإِمامِهِ إلهِيهِ يَتَلَقَى فِيهَا الرِّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَدخِلاتٍ مَصيرِيهِ حَتَمِيهِ فِيهَا حَسَمٌ مِنْ اللهُ فِي شُؤُونِ مُعَيَّنِهِ خَطِيرِهِ، وَأَمَّا التَّدابِيرُ الَّتِي هِيَ دُونَ ذَلِكُ فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُوَكِّلُهَا وَيَجريها عَلَيَّ يَدِ سَيِّدِ الأَنْبِياءِ لا بِمَعْنَى تُوَكِيلِ عَزَلٍ عَنْ القُدْرَةِ الإلهِيَةِ بِحَيْثُ تَكُونُ القُدْرَةُ الإلهِيَةُ مَعزولَةً - وَالعیاءُ بِاللهِ - كَمَا مَرَّ.

ص: ٣٧٠

نزول القرآن جملة ونجوما لا ينحصر بعملية وحقيقته الأنباء والنبوه، بل ولها حقيقته الحاكميه والولايه مستمره إلى يوم القيامه

فَقَدْ بَفَقَدَكَ التَّنْزِيلَ وَالتَّأْوِيلَ:

تَقَدَّمَ أَنَّ قَاعِدَهُ أَسْبَابَ التُّزُولِ لَا تَنْحَصِرُ فَائِدَتَهَا بِتَبْيِينِ وَإِبْلَاغِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلأَحْكَامِ وَالأَمْرِ الصَّادِرِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى الْبَشَرِ، وَإِنَّمَا فِي التَّنْزِيلِ كَذَلِكَ حُكْمٌ وَحَاكِمِيَّةٌ وَوَلَايَةٌ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ أَسْبَابَ التُّزُولِ يَبْزُغُ لَهَا مَعْنَى فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَلْ وَسَائِرِ الْكُتُبِ الْمُتَنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهَذَا الْمَعْنَى لِأَسْبَابِ التُّزُولِ لَهُ جَنْبَتَانِ جَنْبُهُ نَبْوِيَّةٌ تَنْزِيلِيَّةٌ مُرْتَبِطَةٌ بِالْمَعْنَى الْعَامِ لِلآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي أَيِّ سُورَةٍ وَهُوَ التَّصَدِيقُ بِالنَّبُوَّةِ.

وَجَنْبُهُ أُخْرَى مُرْتَبِطَةٌ بِالْوَلَايَةِ وَأَنَّ التَّنْزِيلَ نَوْعٌ مِنْ تَحْكِيمِ حَاكِمِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَعْنَى أَنَّ الْوَلَايَةَ لَهَا بُعْدٌ تَطْبِيقِ تَنْفِيزِيٍّ إِجْرَائِيٍّ لِمَفَادِ الْآيَةِ.

وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ بُعْدُ الْوَلَايَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَوْطِنُهُ مِنَ الصَّعِيدِ الْاجْتِمَاعِيِّ أَوِ السِّيَاسِيِّ أَوِ الْاِقْتِصَادِيِّ أَوِ الْقَضَائِيِّ، فَقَدْ يَكُونُ مِنَ الصَّعِيدِ الرُّوحِيِّ

ص: ٣٧١

والاعتقادي؛ لِأَنَّ وِلايَهِ اللهُ وَوِلايَهِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا تَنْحَصِرُ فِي صَعِيدٍ مُعَيَّنٍ، بَلْ تَشْمَلُ جَانِبَ تَرْبِيهِ وَتَكَامِلِ النَّفُوسِ وَالْأَرْوَاحِ حَتَّى فِي بُعْدِهَا الْفَرْدِي فَضلاً عَنْ بُعْدِهَا الْمَجْتَمَعِي.

كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ السَّيِّدُ الْعَلَمَاءُ مُحَمَّدٌ حَسِينُ الطَّباطبائي(1) فِي تَعْرِيفِ حَقِيقَةِ الْإِمَامَةِ وَالْوِلايَةِ وَأَنَّهَا رِئَاسَةٌ سِيَاسِيَّةٌ، أَوْ أَنَّ الْإِمَامَ رَائِدَ مَسِيرِهِ قَافِلَهُ النَّفُوسِ لِلْوَصُولِ إِلَى الْمَقَامَاتِ وَالْأَبْوَابِ الْمَعْنَوِيَةِ أَيْ التَّكَامُلِيَّةِ مِنْهَا، وَأَنَّ هُنَاكَ جَذْبٌ وَهَدَايَةٌ وَارْتِبَاطٌ نَفْسَانِي رُوحِي يَجْذِبُهُ الْإِمَامَ إِلَى النَّفُوسِ مِنْ خِلَالِ بَيَانَاتِهِمْ.

إِلَّا أَنَّ مَا ذَكَرَهُ السَّيِّدُ الْعَلَمَاءُ الطَّباطبائي رحمه الله مِنْ تَعْرِيفِ لِحَقِيقَةِ الْإِمَامَةِ غَيْرُ تَامٍّ وَإِنَّمَا يَشِيرُ إِلَى فَصْلِ وَوِظِيفِهِ مِنْ فُصُولِ وَوِظَائِفِ الْإِمَامَةِ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الْفَصْلُ عَظِيمٌ وَلَمْ يَذْكُرْهُ الْمُتَكَلِّمُونَ - بَعِيدٌ مَلَا حِظَّهُ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْأَحَادِيثُ الْمَعْصُومِيَّةُ الْوَارِدَةُ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي تَعْرِيفِ حَقِيقَةِ الْإِمَامَةِ أَوْ الْوِلايَةِ، وَإِنَّهَا لَا تَنْحَصِرُ وَلَا تَقْتَصِرُ عَلَى جَانِبٍ مُعَيَّنٍ كَجَانِبِ الرِّئَاسَةِ السِّيَاسِيَّةِ أَوْ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ.

وَالشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ الْكَلِينِيُّ... عَنْ أَبِي خَالِدِ الْكَابَلِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: (فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالتُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا) ٢ فَقَالَ: «يَا أَبَا خَالِدٍ! النُّورُ وَاللَّهُ نُورُ الْأَئِمَّةِ مِنْ

ص: ٣٧٢

آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ وَالله نَورَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَ، وَهُمْ وَالله نَورَ اللهِ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ، وَالله يَا أَبَا خَالِدٍ لِنَورِ الْإِمَامِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوَرُ مِنْ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ؛ وَهُمْ وَالله يَنُورُونَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَحْجِبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَورَهُمْ عَمَّنْ يَشَاءُ فَتَظْلَمُ قُلُوبُهُمْ، وَالله يَا أَبَا خَالِدٍ لَا يَحُجُّنَا عَبْدٌ وَيَتَوَلَّانَا حَتَّى يُطَهِّرَ اللهُ قَلْبَهُ، وَلَا يُطَهِّرَ اللهُ قَلْبَ عَبْدٍ حَتَّى يُسَلِّمَ لَنَا، فَإِذَا كَانَ سَلَامًا لَنَا سَلَّمَ اللهُ مِنْ شَدِيدِ الْحَسَابِ وَأَمَنَهُ مِنْ فِرْعَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْأَكْبَرِ» (١).

بتقريب: أَنَّ الْإِمَامَةَ فِيهَا فُصُولٌ مُتَعَدِّدَةٌ وَحَتَّى لَوْ كَانَتْ الْآيَةُ النَّازِلَةُ خَاصَةً بِمَقَامٍ أَوْ نِظَامٍ مُعَيَّنٍ كَنِظَامِ الْفِقْهِ السِّيَاسِيِّ أَوْ الْعَسْكَرِيِّ أَوْ الْأَمْنِيِّ أَوْ الْاجْتِمَاعِيِّ أَوْ الْعَقَائِدِيِّ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّ الْهُدَايَةَ النَّبَوِيَّةَ فِيهَا إِرَاءَةُ الطَّرِيقِ.

وَأَمَّا الْهُدَايَةُ الْوَلَائِيَّةُ هِيَ هُدَايَةُ حَرَكَةٍ وَسِيرٍ وَطَى الصِّرَاطِ وَاهْدَانَا الصِّرَاطِ لَيْسَ بِمَعْنَى إِضَاءَةِ الصِّرَاطِ وَإِنَّمَا أَهْدَانَا الْهُدَايَةَ الْإِصْبَالِيَّةَ وَمَتَابِعَهُ الْمَأْمُومَ لِلْإِمَامِ فِي حَرَكَتِهِ وَالسَّيْرِ مَعَهُ وَجَذْبَهُ لَهُ مِنْ دُونِ جَبْرِ.

إِذَنْ عَلَى الْمُفَسِّرِ وَالْبَاحِثِ الْكَرِيمِ أَنْ يَضَعُ مِنْهَجَ تَفْسِيرِهِ أَوْ خَطَّهُ بِحِثِّهِ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ عَلَى بُعْدَيْنِ.

الْبَعْدُ الْأَوَّلُ: بُعْدُ النَّبُوَّةِ: وَأَنَّهَا حُتِّمَتْ فِي الْقُرْآنِ، وَأَنَّه لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَأَنَّ جَانِبَ النُّزُولِ وَالتَّنْزِيلِ انْتَهَى بِلِحَاطِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ فَالْآيَةُ هِيَ الْآيَةُ وَالسُّورَةُ هِيَ السُّورَةُ كَمَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ الْمَحْفُوظِ مَا بَيْنَ

ص: ٣٧٣

١- (١) الكافي: ج ١، ص ٢٥٠ ب ٧٠ مِنْ كِتَابِ الْحُجَّةِ أَنَّ الْأُئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نَورَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ح ١.

البعء الثاني: بُعِد الولاية سواء كانت الولاية في هداية النفوس أو الولاية في الحاكمية السياسيّه، أو في أيّ مجال من المجالات الوسيعة للولاية، وأنها مستمرة في الجانب التطبيقي في القرآن تطبيقاً بإشراف إلهي لا بشري محدود، وليس المراد من استمرار التطبيق بإشراف إلهي هو لأجل إحداء مَعْنَى عام جديد أو نزول آيه أو سورة جديده، وإنما هو نفس التطبيق الوحياني اللدني الذي لا يصيبه إلا الوحي الإلهي لأجل تنفيذ مضامين القرآن التي أنبأ عنها النبي صلى الله عليه وآله وأن هذا التطبيق وهذا البعد من النزول لا زال مستمراً، وهذا هو مَعْنَى ليله القدر، فإن ما يتنزل من القرآن من تأويل في جانب التطبيق غير تنزيل القرآن وإن التأويل الوحياني هو تلاوه القرآن حق تلاوته؛ لأن الحاكم الأول هو الله الذي تتنزل مشيئته وإراداته في إداره شؤون البشر، أو تربيه ككل فرد منهم - البشر - ثم حاكميه وولايه الرسول صلى الله عليه وآله ثم ولاية الأئمة المعصومين عليهم السلام من أهل البيت عليهم السلام، وهذه الولاية لم تنحسر ولم تنقطع وأنها جبل ممدود وليس بمنقطع بدليل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً» «كتاب الله جبل ممدود بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا ماذا تخلفوني»(١).

ص: ٣٧٤

هَذَا كُلُّهُ بِحَسَبِ مَا تَعْتَقِدُ بِهِ مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهُوَ بِخِلَافِ مَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ الْمَدَارِسُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْأُخْرَى الَّتِي تَعْتَقِدُ بِأَنَّهُ بِرَحِيلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ انْقَطَعَتِ الْعَلَقَةُ وَانْقَطَعَ الْحَبْلُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْقِطَاعَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِلَّا أَنَّ الصَّحِيحَ وَكَمَيًّا هُوَ عَلَيْهِ الْوَاقِعُ خِلَافَ ذَلِكَ وَأَنَّهُ بِحَسَبِ بَيَانَاتِ الْقُرْآنِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ الْجَانِبَ الْوَلَائِيَّ وَبُعْدَ الْوَلَايَةِ فِي الْقُرْآنِ لَمْ يَنْقَطِعْ وَلَا زَالَ مُسْتَمِرًّا، وَالَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ بِمَعْنَى أَنَّ مَنْ وَصِفَ بِوَصْفٍ أَنَّهُ [يَتْلُو الْكِتَابَ] يَعْرِفُ مَا لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهُ وَأَيْنَ مَوْطِنُهَا الْمُنَاسِبَ وَالْحَقَّ، وَإِلَّا فَكَثِيرٌ مِمَّنْ يَنْسَبُ إِلَى الْإِسْلَامِ بِالْإِسْمِ فَقَطُّ دُونَ الْفِعْلِ كَالْخَوَارِجِ أَيْضًا يَتْلُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِوَصْفٍ حَقًّا تَلَاوُتَهُ؛ فَإِنَّ هَذَا الْوَصْفَ مِنْ مُخْتَصَّاتِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الَّذِي يَشْمَلُ الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَيِّدَ الْأَوْصِيَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْأئِمَّةِ الْمَعْصُومِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ - عَلَيْهِمُ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ -.

إِذْ نَ الْتَنْزِيلِ لَا يَنْحَصِرُ بَعْدَ النَّبَوِّهِ وَإِنَّمَا فِيهِ بُعْدٌ آخِرٌ أَلَا وَهُوَ بَعْدَ الْوَلَايَةِ وَالْحَاكِمِيَّةِ وَأَنَّ التَّنْزِيلَ هُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّفْصِيلِ فِي الْوَلَايَةِ وَالْحَاكِمِيَّةِ، كَمَا وَرَدَ فِي زِيَارَةِ النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ «... لَقَدْ قَتَلُوا بِقَتْلِكَ الْإِسْلَامَ... وَنَقَضُوا السُّنْنَ وَالْأَحْكَامَ... وَحَرَّفُوا آيَاتَ الْقُرْآنِ... وَعَادَ كِتَابَ اللَّهِ مَهْجُورًا... وَفَقِدَ بِفَقْدِكَ التَّنْزِيلَ وَالتَّأْوِيلَ».

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مَوَارِدَ الْوَلَايَةِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالنُّزُولِ وَالْإِنْزَالِ الَّذِي هُوَ نَوْعٌ مِنْ أَعْمَالِ الْوَلَايَةِ مِنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهَذَا هُوَ الْمَفَادُ الْعَقِيدِيُّ وَالْمَعْتَقَدُ

المهم في القرآن الكريم الذي غفلت عنه المدارس والمذاهب الإسلاميّة الأخرى غير مدرسه أهل البيت عليهم السلام.

حقيقه النزولين للقرآن نبوه وإمامه:

التزول الجملى والتزول النجومى:

مرَّ أنَّ هُنَاكَ لَغَطٌ كَبِيرٌ بَيْنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَفْسِيرِ تَعَدُّدِ التُّزُولِ الثَّنَائِي لِلْقُرْآنِ أَيْ نَزُولِ الْقُرْآنِ جَمَلَةً وَاحِدَةً عَلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَنَزُولِ ثَانٍ وَهُوَ التُّزُولُ النُّجُومِي فِرْقَانًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ عِدَّةُ تَفْسِيرَاتٍ أَوْ أَقْوَالٍ أَوْ نَظَرِيَّاتٍ فِي ذَلِكَ، إِلَّا إِنَّهُ بَقِيَ تَفْسِيرٌ لِهَذَا التَّعَدُّدِ يُمْكِنُ إِبْدَاؤُهُ وَهُوَ تَفْسِيرُ التُّزُولِ النُّجُومِي بِأَنَّ نَزُولَ يَرْتَبِطُ بِالْوِلَايَةِ وَالْحَاكِمِيَّةِ، بَيْنَمَا التُّزُولُ الْجَمَلِي مَرْتَبِطٌ فِي شَأْنِ مَنْهُ بِالنَّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ، كَمَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ مِمَّا تَقَدَّمَ فِي بَحْثِ أَسْبَابِ التُّزُولِ وَالتَّنْزِيلِ.

إنَّ حَقِيقَةَ وَحَقَائِقِ الْقُرْآنِ جُلُّهَا مَرْتَبِطٌ بِعِدِّ الْوِلَايَةِ

فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِخِلَافِ التَّنْزِيلِ

فَإِنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْبُعْدَيْنِ - كَمَا تَقَدَّمَ:

نَمَازِجُ قِرَائِنِهِ تَقْرُنُ بَيْنَ النَّبُوَّةِ وَالْوِلَايَةِ:

هُنَاكَ جَمَلَةٌ مِنْ الْمَوَارِدِ فِي سُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ قَرْنَ فِيهَا الْقُرْآنَ بَيْنَ النَّبُوَّةِ وَالْوِلَايَةِ فِي أَسْبَابِ التُّزُولِ:

أولاً: في سورة القدر (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) ١).

بتقريب: أنه وردت في روايات كلاب- الفريقيين أن ليله القدر لها ارتباط ببدء نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وآله دفعه ونجوماً واستمرار ليله القدر إلى يوم القيامة لها ارتباط ببقاء القرآن، وأن ليله القدر لو رفعت لرفع القرآن، وأن القرآن الكريم في تنزله بعد النبوة وبعده الولايه، وأن البعد الثاني مستمر بعد النبوة إلى يوم القيامة كما تقدم.

ليه القدر في أقوال أهل وجماعه سنه السلطان:

قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) أجمع المفسرون على أن المراد هو: أنا أنزلنا القرآن في ليله القدر، ولكنه تعالى ترك التصريح بالذكر؛ لأن هذا التركيب يدل على عظم القرآن وأن حذف المتعلق يدل على تعظيم شأن المتعلق المحذوف وهو القرآن.

للقرآن نزولين: إن قيل ما معنى إنه أنزل في ليله القدر مع العلم بأنه أنزل نجوماً؟ قلنا فيه وجوهاً نذكر منها اثنين:

الأول: قال الشعبي: أُبتدأ بإنزاله؛ لأن البعث كان في رمضان.

الثاني: قال ابن عباس: أنزل إلى سماء الدنيا جملة ليله القدر، ثم إلى الأرض نجوماً (١).

ص: ٣٧٧

وَمَعْنَى الْقَدْرِ: اختلفوا في أَنَّهُ لِمَ سُمِّيَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَيَّ وَجْوه:

أحدها: إِنَّهَا لَيْلَةُ تَقْدِيرِ الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ، قَالَ عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَا يَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِنْ مَطَرٍ وَرِزْقٍ وَإِحْيَاءٍ وَإِمَاتَةٍ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنْ السَّنَةِ الْآتِيَةِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) وَاعْلَمْ أَنَّ تَقْدِيرَ اللَّهِ لَا يَحْدُثُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي الْأَزْلِ (١). يَلِ الْمُرَادُ إِظْهَارَ تِلْكَ الْمَقَادِيرِ لِلْمَلَائِكَةِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِأَنْ يَكْتُبَهَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ (٢).

بِقَاءِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي كُلِّ عَامٍ: وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتِيَارَ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ... هَذِهِ اللَّيْلَةُ هَلْ هِيَ بَاقِيَةٌ أَوْ لَا؟ قَالَ الْخَلِيلُ: مَنْ قَالَ إِنَّ فَضْلَهَا لِنَزُولِ الْقُرْآنِ فِيهَا يَقُولُ انْقَطَعَتْ وَكَانَتْ مَرَّةً، وَالْجُمْهُورُ عَلَيَّ أَنَّهَا بَاقِيَةٌ.

وَعَلَى هَذَا، هَلْ هِيَ مَخْتَصَّةٌ بِرَمَضَانَ أَمْ لَا؟ رَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ إِنَّهُ قَالَ: مَنْ يُقِمُّ الْحَوْلَ يَصِيبُهَا، وَفَسِّرَهَا عِكْرَمَةُ بَلِيلَةَ الْبِرَاءَةِ فِي قَوْلِهِ (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ) ٣ وَالْجُمْهُورُ عَلَيَّ أَنَّهَا مَخْتَصَّةٌ بِرَمَضَانَ، وَاحْتَجَّجُوا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) وَقَالَ: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) فَوَجِبَ أَنْ تَكُونَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ لِثَلَاثِ مَسَائِلٍ يَلْزَمُ

ص: ٣٧٨

-
- ١- (١) لَا يَخْفَى أَنَّ الرَّازِيَّ قَدْ خَلَطَ بَيْنَ عِلْمِ الْبَارِي الْأَزَلِيِّ بِالْأَشْيَاءِ وَمَقَادِيرِهَا، وَبَيْنَ نَفْسِ فِعْلِ التَّقْدِيرِ فِي اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ وَالْقَضَاءِ وَإِبْرَامِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ أفعالٌ حَادِثَةٌ فِي عَالَمِ الْمَخْلُوقَاتِ كَمَا هُوَ صَرِيحٌ رَوَايَاتِ الْفَرِيقَيْنِ فِي شَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ.
 - ٢- (٢) وَهَذَا التَّصْرِيحُ مِنَ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ مُتَدَافِعٌ مَعَ قَوْلِهِ السَّابِقِ فِي نَفْيِ حَدُوثِ التَّقْدِيرِ السَّابِقِ.

التناقض.

إلى غير ذلك من أقوال أهل سنة الجماعة.

ليه القدر في روايات أهل سنة الخلافه (١)

دوام ليله القدر في كل عام إلى يوم القيامة:

١ - فَقَدْ روى عبدالرزاق الصنعاني في (المصنّف) بسنده عن مولى معاويه، قَالَ: قلت لأبي هريره: زعموا أنّ ليله القدر قد رُفعت، قَالَ: كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، قلت: فهِيَ كُلُّ شهر رمضان استقبله؟ قَالَ: نعم... الحديث [٢].

ورواه عنه بطريق آخر (٣) ورواه كنز العمال أيضاً (٤).

وروى عبدالرزاق الصنعاني في المصنّف بسنده عن ابن عباس، قَالَ: «ليه في كل رمضان ياتي، قَالَ: وحدثنى يزيد بن عبدالله بن الهاد: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سُئِلَ عن ليله القدر، فَقِيلَ لَهُ: كَانَتْ مَعَ النبين ثم رُفعت حين قبضوا، أو هِيَ فِي كُلِّ سنه؟ قَالَ بَلْ هِيَ كُلُّ سنه، بَلْ هِيَ فِي كُلِّ سنه» (٥).

٣ - وروى عن ابن جرير، قَالَ: حَدَّثْتُ أَنَّ شَيْخاً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ سَأَلَ أَبَا ذَرٍّ بِنِي، فَقَالَ رُفِعَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ أَمْ هِيَ فِي كُلِّ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ أَبُو

ص: ٣٧٩

١- (١) الإمامه الإلهيه: ج ٣، للشيخ مُحَمَّد السند: ص ٢٩٧.

٢- (٢) المصنّف: ٢١٦/٣ ح ٥٥٨٦.

٣- (٣) المصنّف: ٢٥٥/٤ ح ٧٧٠٨.

٤- (٤) كنز العمال: ٦٣٤/٨ ح ٢٤٤٩٠.

٥- (٥) المصنّف: ٢٥٥/٤ ح ٧٧٠٨.

ذر: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله رفعت ليله القدر؟ قال: بل هي كل رمضان (١).

التزول في ليله القدر

وحي للأنبياء، واستمراره بعد الأنبياء:

٤ - قال ابن خزيمة في صحيحه (٢) باب ذكر أبواب ليله القدر والتأليف بين الأخبار المأثوره عن النبي صلى الله عليه وآله فيها ما يحسب كثيراً من حمله العلم ممن لا يفهم صناعه العلم أنها متهاثره متنافيه وليس كذلك، هي عندنا بحمد الله ونعمته، بل هي مُخْتَلَفَةٌ الألفاظ متفقه المعنى على ما سأبئنه إن شاء الله.

قال أيضاً: باب ذكر دوام ليله القدر في كل رمضان إلى قيام الساعة، ونفى انقطاعها بنفى الأنبياء.

٥ - وروى بسنده - ابن خزيمة - إلى أبي مئرد، قال: - قال لقينا أبا ذر وهو عند الجمره الوسطى فسألته عن ليله القدر، فقال ما كان أحد بأسأل لها مني: قلت يا رسول الله ليله القدر أنزلت على الأنبياء بوحي إليهم فيها ثم ترجع؟ فقال بل هي إلى يوم القيامة... الحديث (٣).

٦ - وفي صحيح ابن حبان، قال في باب ذكر البيان بأن ليله القدر

ص: ٣٨٠

١- (١) المصدر السابق: ح ٧٧٠٩، وأخرجه هق: ٣٠٧/٤، والطحاوي: ٥٠/٢.

٢- (٢) صحيح ابن خزيمة: ٣: ٣٢٠.

٣- (٣) المصدر السابق.

تكون في العشر الأواخر كل سنة إلى أن تقوم الساعة، ثم روى بسند متصل رواه أبي ذر الرؤايه المتقدمه وَاللَّفْظُ فِيهَا: «تكون في زمان الأنبياء ينزل عليهم الوحي، فإذا قبضوا رُفِعَتْ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: بَلْ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

ثانياً: سورة الدخان: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) . ٢(٥)

بتقريب: إنّه يفرق فيها كل أمر حكم أي بحكمه في التدبير (أمرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) أي مأمورين ومُرْسِلِينَ بتنفيذ برامج إلهيه لهدايه البشر.

ثالثاً: سورة الرعد: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلكل قوم هادٍ (٧) ٣.

بتقريب: أنّ الإنذار نبؤه والهدايه إمامه وأن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله هُوَ مُنذِرٌ وَهُوَ هَادِي أَيْضاً وَمِنْ بَعْدِهِ أَوْصِيَاءُ هِدَاهِ وَبِالتالى يوجد مقامان مقام نبؤه ومقام إمامه.

هل يوجد فرق بين أضافه الضمير (عبده)

لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وبين (عبدنا) لسائر الأنبياء:

رابعاً: سورة النحل: (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ

ص: ٣٨١

بتقريب: إِنَّهُ تَعَالَى يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ - فِي لَيْلِهِ الْقَدَرِ - وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِأَمْرِهِ الرُّوحِ الطَّاهِرِ وَلَيْسَ هَذَا التَّنْزِيلُ خَاصًّا بِخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنَّمَا هُنَاكَ مَجْمُوعُهُ مِنَ الْعِبَادِ - أَنْبِيَاءٌ وَأَتَمَّةٌ وَعِبَادٌ صَالِحُونَ - شَاءَتْ الْمَشِيئَةُ الْإِلَهِيَّةُ أَنْ يَكُونُوا مُتَعَلِّقًا وَمُهَبَّطًا لَهَا وَبَعِيدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَفِي إِضَافَةِ الضَّمِيرِ (عَبْدِهِ) وَاخْتِصَاصِ ذَلِكَ بِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ يَنْبَغِي الْإِلْتِفَاتُ إِلَى أُمُورٍ نَذَرَ مِنْهَا أَمْرَيْنِ:

الأمر الأول: لو تتبعنا تعابير القرآن حسب الاستقراء فَإِنَّهُ لَمْ يرد التعبير عَنْ أَحَدِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ - عدا الخاتم صلى الله عليه وآله - ب - (عبده) وَهَذَا التَّعْبِيرُ خَاصٌّ بِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِضَافَةُ الْعِبَادِيَّةِ إِلَى ضَمِيرِ الْهَاءِ الْغَائِبِ مَخْتَصٌّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمَّا سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ فَوَرَدَ التَّعْبِيرُ عَنْهُمْ ب - (عبدنا)، وَالتَّعْبِيرُ ب - (عبده) أَعْظَمُ مِنَ التَّعْبِيرِ ب - (عبدنا)، أَوْ (عبدالله).

وَقَدْ يَعْتَرِضُ بِأَنَّ إِضَافَةَ الْعَبْدِ إِلَى الضَّمِيرِ الْمَفْرُودِ الْغَائِبِ، قَدْ وَرَدَ فِي شَأْنِ النَّبِيِّ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ (كَهَيْعِصَ (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) وَعَلَيْهِ فَلَا يُعَدُّ ذَلِكَ مَخْتَصًّا بِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ، مَعَ أَنَّ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ مِنْ أَوْلَى الْعِزْمِ.

فِيجَاب: بِأَنَّ الضَّمِيرَ هُنَا فِي عَبْدِهِ فِي شَأْنِ زَكَرِيَّا يَعُودُ إِلَى اسْمِ الرَّبِّ

قبله، أَى عَزِيدُ رَبِّكَ فَلَيْسَ مرجع الضمير إلى الغيب المطلق، كَمَا هُوَ الشَّانُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَقَوْلِهِ (فَأَوْحَى إِلَى عَزِيدِهِ مَا أَوْحَى) (١٠) وقوله فِي سوره الحديد، (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَزِيدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) ٢ ، بخلاف الوصف الوارد فِي شَأْنِ النَّبِيِّ الْخَاتَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي سورتى الكهف و النجم فَأَنَّ الضمير لا يرجع إلى الاسم بَلْ يرجع إلى الغيب المطلق.

نعم، بَعْضُ مَا وَرَدَ فِي سوره أُخْرَى مِنْ وصف عبده لرسول الله صلى الله عليه وآله الضمير يرجع إلى أسماء إلهيه لا إلى الغيب المطلق كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَزِيدِهِ الْكِتَابَ) ٣ . وقوله تَعَالَى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَزِيدِهِ) ٤ . وقوله تَعَالَى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) ٥ .

بتقريب: إِنَّ الضمير فِي الآياتِ الْمُبَارَكَةِ يعود إلى الاسم الإلهي.

الأمر الثاني: إِنَّ التعبيرَ عَنْ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ب - (عبده) بإضافه العبوديّه إلى ضمير الغائب (الهاء) فيها تعظيم للمضاف، وشرافه المضاف تأتي مِنْ شرافه المضاف إليه. وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ عِبُودِيَّهَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ الْخَاتَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَلَتْ إِلَى مَقَامِ الْأَسْمِ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ لِأَنَّ مَقَامَ وَاسِمِ (هُوَ) أَعْظَمُ شَأْنًا مِنْ اسْمِ (الله) كَأَسْمِ لَا مُسَمَّى فَالْأَسْمَاءُ مَتَكَثَّرَةٌ وَالْمُسَمَّى

واحد وإن كَانَ كِلَاهِمَا اسْمًا لِلذَّاتِ الإِلَهِيَّةِ، كَمَا فِي سُوْرَةِ الحِشْرِ (هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ) ١ ، بِتَقْرِيْبٍ: إِنَّ كُلَّ مَا بَعْدَ (هُوَ) مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ وَهُنَا الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ مَقَامًا وَشَأْنًا مِنَ الْمَعْطُوفِ، نَظِيرَ التَّعْبِيرِ [وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ].

وَعَلَيْهِ فَهَذَا الْكَمَالُ مِنَ الْعِبَادِيَّةِ يَنْزِلُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُوْرَةِ النَّحْلِ: (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) ٢ .

خَامِسًا: سُوْرَةِ الحِشْرِ: (هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ) ٣ .

بِتَقْرِيْبٍ: أَنَّ الْأَسْمَاءَ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الْآيَةِ هِيَ فِي الْأَسْمَاءِ الإِلَهِيَّةِ وَأَنَّ اسْمَ (هُوَ) أَعْظَمُ مِنْ اسْمِ (الله) كَمَا تَقَدَّمَ.

سَادِسًا: سُوْرَةِ الشُّوْرَى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) ٤ .

بِتَقْرِيْبٍ: إِنَّ الرُّوحَ هُوَ حَقِيْقَةُ الْقُرْآنِ التَّكْوِيْنِيَّةِ، الَّتِي جَعَلْنَاهَا يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

مِنْ بَعْدِكَ لِمَنْ نَشَاءُ، وَالرُّوحَ الْأَمْرِي هُوَ الْكِتَابُ، وَالَّذِي يَمْسُسُ الْكِتَابَ هُوَ الَّذِي يَتَلَقَى تَنْزِيلَ الرُّوحِ الْأَمْرِي كُلَّ عَامٍ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَالْمَطْهُرُونَ الَّذِينَ يَمْسُونَ الْكِتَابَ الْمَكْنُونِ هُمُ الْأئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ يَتَوَارَثُونَ الْكِتَابَ، وَهُوَ الرُّوحُ الْأَمْرِي، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) ١، فَالْهَدَايَةُ الْأَمْرِيَّةُ هِيَ بِالرُّوحِ الْأَمْرِي.

وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) (١).

بِتَقْرِيْبٍ: إِنَّ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ وَأَصْفَاهُمْ اللَّهُ هُمُ أَهْلُ آيَةِ التَّطْهِيرِ، فَهَذِهِ الْآيَاتُ تَتَشَاهَدُ لِبَعْضِهَا الْبَعْضَ لِتَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْأئِمَّةَ الْمَطْهُرُونَ الْمَصْفُوقُونَ الَّذِينَ يَمْسُونَ الْكِتَابَ وَيَرِثُوهُ وَيَتَلَقُونَ حَقِيقَةَ الْكِتَابِ، وَهُوَ الرُّوحُ الْأَمْرِي وَالَّذِي يَتَنْزَلُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي كُلِّ عَامٍ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

وَهَذَا يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى عَدَمِ حَصْرِ أَسْبَابِ التَّنْزِيلِ بِعَيْنٍ وَاحِدٍ وَهُوَ بَعْدَ النَّبَوِّهِ وَإِنَّمَا يَتَعَدَّى إِلَى مَرَحِلِهِ الْوَلَايَةِ وَالْحَاكِمِيَّةِ مِنْ بَعْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى أئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَعَبَّرَ بِالْآيَةِ ب - (عِبَادِنَا) لَا (عِبَادِهِ).

سَابِعًا: سُورَةُ غَافِرٍ: (رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) ٣.

بِتَقْرِيْبٍ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى بَقَاءِ تَنْزِيلِ ذَلِكَ الرُّوحِ كُلِّ عَامٍ عَلَى

ص: ٣٨٥

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَكَمَا أَنَّ تَنْزِيلَ الرُّوحِ الْأَعْظَمِ فِي لَيْلِهِ الْقَدَرِ دَائِمٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِالضَّرُورَةِ، فَكَذَلِكَ لَيْلَةُ الْقَدَرِ تَعْنِي وَرِثَتَهُ وَوَلِيَّ اللَّهِ تَعَالَى لِمَقَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي تَنْزِيلِ الرُّوحِ عَلَيْهِ.

مُضَافًا إِلَى أَنَّ إِضَافَةَ عِبُودِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَى الضَّمِيرِ (هُوَ) اسْمٌ لِلذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ لَهُ مَدَلُولَاتٌ كَثِيرَةٌ يَأْتِي التَّعَرُّضُ إِلَيْهَا فِي بَحْثِ التَّفْسِيرِ الْإِشَارِيِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

محصل ما تقدّم:

وتحصل من خلال استعراض هذه الشواهد والنماذج القرآنية ما يلي:

أولاً: إنَّ أسبابَ التُّزُولِ لَا تَنْحَصِرُ بِبُعْدِ وَاحِدٍ وَهُوَ بَعْدَ النَّبِيِّ فَقَطْ، وَإِنَّمَا تَتَعَدَّى إِلَى مَنْصَبِ وَمَقَامِ الْوَلَايَةِ وَالْحَاكِمِيَّةِ لِلْإِمَامَةِ، إِلَّا أَنَّهُ لِلْأَسْفِ غَفَلَ مَفْسَرُوا الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَنْ هَذَا الْبُعْدِ الْآخِرِ لِلْقُرْآنِ إِلَّا أَنَّ أَئِمَّةَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَيْنَهُمْ وَتَبَهُوا عَلَيْهِ.

ثانياً: هُنَاكَ انْطِبَاحٌ لَدَى كَثِيرٍ مِنْ مَفْسَرِي الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنَّ الْقُرْآنَ كِتَابٌ تَنْظِيرٌ فَقَطْ وَفِيهِ نَظَرِيَّاتٌ تَجْرِيدِيَّةٌ بِحْتِهِ لَيْسَ لَهَا ارْتِبَاطٌ وَمَسَاسٌ وَطِيدٌ بِمَجْرِيَّاتٍ وَاقِعٍ مَسِيرِهِ الْبَشَرِي، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ قِرَاءَةٌ قَاصِرَةٌ وَنَاقِصَةٌ. وَسَيَأْتِي التَّعَرُّضُ لِلْمَزِيدِ تَحْتَ الْعَنْوَانِ الْوَالِدِ [الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ نِظَامٌ تَكْوِينِي حَقَائِقِي لِإِدَارَةِ شُؤُونِ الْمَوْجُودَاتِ] فَانْتَظِرْ.

ثالثاً: هَذِهِ النَّمَاذِجُ وَالشُّوَاهِدُ الْقُرْآنِيَّةُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا آتِيفًا وَغَيْرَهَا الْكَثِيرُ

وَالَّتِي تَرْتَبِطُ بِقَاعِدِهِ أَسْبَابُ التُّزُولِ تُدَلِّلُ عَلَيَّ أَنَّ إِنزَالَ الْقُرْآنِ لِلرُّوحِ عَلَيَّ غَيْرُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ مَرْتَبِطٌ بِ - (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَتَّبِعُهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيَّ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّهِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْزِلُ الرُّوحُ عَلَيْهِمْ هُمْ أَوْلِيَاءُ وَخُلَفَاءُ وَأَوْصِيَاءُ لِلرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنَّ تَنْزِيلَ الْقُرْآنِ لَهُ صَلَاحٌ بِنَبِيِّهِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ، وَبِوَصَايِهِ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَعْدَ وَلايَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

رابعاً: كَذَلِكَ غَفَلَتِ الْمَدَارِسُ الْإِسْلَامِيَّةُ - عدا مدرسه أهل البيت عليهم السلام - عَنْ الْوَجْهِ الْآخِرِ لِلْقُرْآنِ الَّذِي طَالَمَا صَرَّحَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَعَلِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ وَرَدَ مِنْ طَرَفِ الْفَرِيقَيْنِ: «أَنَا أَقَاتِلُ عَلَيَّ التَّنْزِيلَ وَعَلَى يُقَاتِلُ عَلَيَّ التَّأْوِيلَ» (١).

بتقريب: أَنَّ سَنَخَ تَبْلِيغِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَقِفُ عِنْدَ حَدِّ التَّنْزِيلِ وَالْأَلْفَاظِ، بَلْ يَتَّسِعُ إِلَى التَّأْوِيلِ وَمَا لَا يَحْصِي مِنْ مَدَارِجِ الْمَعَانِي وَبَيَانِ الْحَقَائِقِ، فَالْحَاجَةُ إِلَى تَبْلِيغِهِمْ وَأَدَاءِهِمْ عَنْ اللَّهِ وَوَسَاطَتِهِمْ بَيْنَ اللَّهِ وَخَلْقِهِ تَمْتَدُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ وَنَشْأَةِ الْإِمْتِحَانِ، مَا دَامَ الْبَشَرُ يَحْتَاجُونَ فِي كُلِّ بَيْتِهِ إِلَى رُؤْيِهِ كَوْنِيهِ عَقَائِدِيهِ أَعْمَقَ لِلْحَقَائِقِ وَالْمَعَارِفِ، وَيَحْتَاجُونَ إِلَى هُدَايِهِ مِنْ الشَّرِيعَةِ إِلَى أَطْوَارِ نِظَامِهِمُ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ وَحَقُولِهِ.

ص: ٣٨٧

فتلخص أنّ ما تسالم عليه المسلمون من وجود الظهور والبطون في الكتاب العزيز وكون علومه وحقائقه وكلماته لا- تنهاى، يستلزم دوام الحاجة إلى تبليغ النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من بعده، وعدم سدّ الحاجة بخصوص الظاهر بعد كون الإيمان بباطن القرآن على حدوا الإيمان بظاهره.

خامساً: أنّ النبي الأ-كرم صلى الله عليه وآله بيّن أنّ مرحلة التنظير لها صلة وارتباط بالنبوه والأنباء وأنّ مرحلة التطبيق لها صلة بالولاية والحاكمية والتنفيذ، والذي يتولّى التنظير هو الله عزّ وجلّ وأنّه تعالى يُنبئ نبيه الذي ينفذ حاكمية الله تعالى بإرادته منه تعالى، ويؤيد ذلك ما ورد في زياره الإمام الحسين الأولي وهي صحيحه السند... إرادته الربانية مقادير أمورته تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عما فضل من أحكام العباد...»(١).

إذن القرآن الكريم فيه تنزيل أنبائي أي ما يخص النبوه (إنا أنزلناه في ليله مباركه إنا كنا مُنذرين (٣) ٢).

وفيه تنزيل ولائي مرتبط بالإمامه والولاية (فيها يُفرق كل أمر حكيم (٤) ٣ بتقريب: إنّه يُفصل ويُبين بين نوعي نزول القرآن ما يرتبط بولاية النبي صلى الله عليه وآله، ونزول مرتبط بولاية سيد الأوصياء عليه السلام والأئمة عليهم السلام.

ص: ٣٨٨

القرآن الكريم نظام تكوينى حقائقى لإداره شؤون الموجودات

إنّ فى القرآن الكريم بيانات أكّدتها الآيات المُبارَكه، وهكذا أكّدتها بيانات أهل البيت عليهم السلام حاصلها:

إنّ القرآن الكريم أنزل ليقود البشر والملائكه والجن وأنّ الجنّ مثلاً موجودات من نمط فيزيائى خاص ومن أئ بيئه هم، وكيف تُدار شؤونهم كلّ ذلك بيّنه القرآن الكريم، وكذلك بيّن القرآن شأن الموجودات غير المرئيه وهى ما يُعبر عنها بالعلوم الغريبه، وكيف تُدار شؤونهم وما هو المُناسِب لهدايتهم وبأى طريقه.

وأكّدت وركَزت بيانات أهل البيت عليهم السلام أنّ قياده القرآن للبشر وغيره لا تقتصر على الجانب النظرى والتنظيرى، وإنّما تتعدى قيادته إلى تبيان الجانب العملى لإداره البشر وغيره تفصيلاً، وسيأتى التعرّض فى محله إلى قاعدته مهمته جدّاً فى نظام المعانى فى القرآن الكريم تحت عنوان: [هل القرآن فيه تبيان لكلّ شىء أو لا؟] ويجب القرآن عن هذا التساؤل بقوله:

(وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (١٧٥) .

بتقريب: أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مَوْدَعٌ فِيهِ إِدَارُهُ وَتَنْظِيمُ شُؤُونِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبَشَرِ وَغَيْرِهِ، إِلَّا أَنَّهُ مِنْ لَهِّ الْقُدْرَةِ عَلَى اسْتِخْرَاجِ ذَلِكَ؟ أَلَيْسَتْ مِنْهَا لِكُلِّ نَاهِلٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مُشْرَعَةٌ (لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (١) لِأَهْلِ آيَةِ التَّطْهِيرِ وَهُمْ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

نعم، صحيح أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِنْ حَيْثُ الْأَلْفَاظِ الْمَكْتُوبَةِ أَيْ مِنْ حَيْثُ الْأَلْفَاظِ التَّنْزِيلِ لَا يَزِيدُ عَلَى مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ فِي الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ، وَلَكِنْ حَقَائِقُ الْقُرْآنِ وَمَنَازِلُهُ وَمَقَامَاتُهُ لَا تَنْحَصِرُ بِالْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ لِأَلْفَاظِ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ وَإِنَّمَا هُنَاكَ حَقَائِقُ تَكْوِينِيَّةٍ غَيْبِيَّةٍ كَثِيرَةٌ لِلْقُرْآنِ، وَكَوْنُهُ ذَا حَقِيقَةٍ غَيْبِيَّةٍ وَالَّتِي هِيَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ، وَأَمَّ الْكِتَابَ وَاللُّوحَ الْمُحْفُوظَ، وَالْكِتَابَ الْمَكْنُونِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) -لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) حَيْثُ تَشِيرُ آيَاتُ الْقُرْآنِ إِلَى وَجُودِ كَيْنُونِهِ عَلَيْهِ لِلْقُرْآنِ تُدْعَى بِالْكِتَابِ الْمَكْنُونِ، أَيْ الْمُحْفُوظِ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالرَّجَسِ، وَأَنَّ مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ تَنْزِيلٌ وَنَزُولٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ الْعُلْوِيِّ لَهُ وَلَيْسَ هُوَ عَيْنَ تِلْكَ الْحَقَائِقِ.

ص: ٣٩٠

ومثل هذه الإشارة نجدها في عدّه مواضع من القرآن.

١ - في قوله تعالى: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢) ١ .

فوصف القرآن بالمجد والعظمة لكيّنوته العلويه، أي أنّ المجد والعظمة وصف لذلك الوجود ولا يُعْرِقُ الباري تعالى في وصف موجود بالعظمة إلا لخطوره موقعيته في عالم الأمر والخلق، وتلك الكينونه هي المسمّاه باللوح المحفوظه، والوصف بلفظ المحفوظ مع لفظ الممكنون مترادف.

٢ - في قوله تعالى: (حم (١) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَمَدِينًا لَعَلِّي حَكِيمٌ (٤) ٢ .

فوصف القرآن بان له كينونه في أم الكتاب وهي وجود علوي لمدني عندى لدى الباري تعالى، وهذا الوجود موصوف بالعلو والإحكام في قبال التفصيل الذي طرأ على القرآن حين النزول، كما يشير إليه قوله تعالى: (وَ لَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) ٣ .

٣ - في قوله تعالى: (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ٤ .

وقوله تعالى: (وَ مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ تَصْدِيقٌ

الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) ١ .

فَالْقُرْآنَ النَّازِلَ هُوَ تَفْصِيلٌ وَنَجْمٌ لِلْكِتَابِ الْعَلَوِيِّ، ويشير إلى الوجود العلوي للقرآن قوله تعالى: (حم) (١) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) ٢ .

وقوله تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) ٣ إلى غير ذلك من الآيات.

وبالتالي فإنَّ حقائق القرآن ومنازله لا تنحصر بألفاظ التنزيل المتمثلة بما يقرب من سبعة آلاف آية ب - (١١٤) سورة وإنما ذاك مقام غيبي - أي حقائق القرآن.

فإنَّ تلك المنازل والمقامات العديده في القرآن عباره عن نظام وكيان تكويني حقيقي لإداره شؤون البشر وغيره ولا تنحصر بالتنظير وإبراز النظريات، بل القرآن عباره عن منظومه إلهيه حاكمه وهيكل تكويني منظومي لحكومته إلهيه على الأرض تشمل الجانب التنظيري والتطبيقي العملي وغيرهما.

وَأَنَّ هَذَا الْفَهْمَ الَّذِي بَيَّنَّتْهُ رَوَايَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (١) مِنْ فَهْمِهِمْ

ص: ٣٩٢

١- (٤) والذي بيناه في ج ١ من تفسير أمومه الولايه على المحكمات في القرآن فضلاً عن المتشابهات، للشيخ محمد السند (حفظه الله) وأنَّ القرآن كتاب هدايه قياديه للموجودات، وأنَّه ليس مجرد تنظير فقط.

المذاهب الإسلاميَّة الأخرى التي آمنت بأنَّ القرآن الكريم مُجَرَّد مصحف شريف ولا يزيد على ما بين الدفتين، ولم تؤمن تلك المذاهب الإسلاميَّة ولم تعتقد بحقائقه ومقاماته الغيبيَّة ومنازله الملكوتيَّة، وسبب هذا الفهم السقيم هو الابتعاد عن مدرسه أهل البيت عليهم السلام التي بيَّنت أنَّ حقائق القرآن ومقاماته كثيرة - كما مرَّ - يظهر مدى خطوره الولاية في قاعده أسباب النزول وهو مما يرسم ويمثل خطوره الولاية في منهج التفسير أي منهج أمومه الولاية والمُحكَّمات في تفسير القرآن فبيِّن مدى تأثير محور الولاية في قواعد هذا المنهج التفسيري.

وكما مرَّ أنَّ الغرض من التأكيد على منهج أمومه الولاية على المُحكَّمات في تفسير القرآن؛ لِأنَّه منهج ذو أبعاد وتداعيات مهمَّة جدًّا وخطيره وأحد قواعده قاعده أسباب النزول؛ لِأنَّه إذا لم نجعل نظام تفسير القرآن هو فهم ومعرفه القرآن، وأنَّ القرآن فيه مقامات منها مقام ولاية الله وولايه الرسول صلى الله عليه وآله وولايه أهل البيت عليهم السلام، وأنَّ الحاكميه بمعنى أنَّ قدره سلطه القرآن تكويته وليست تصديقيه فقط، فقد يصدِّق بها الإنسان أو يجحدها بدليل ما جاء في سورة الدخان (حم) (١) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) ١. بتقريب: أنَّ الله تعالى له حكم وإداره وحكمه وتقسيم الأرزاق وكتابه الآجال والحوادث التي ستحدث على البشر والملائكة والجن والشجر والحيوان وغيرها؛ فإنَّ

كُلُّ تلك الملفات تُقدَّر في ليله القدر، وأنَّ إداره الأحداث التكوينية للموجودات لها صلّه بالقرآن الكريم.

القرآن يمتنع تفسيره بمجرد النبوه

من دون بَعْدَ الولاية في النَّبِيِّ وعترته:

ولذا لو لم نفهم حقيقه القرآن سنظنَّ بأنَّ مغزى أسباب النزول في القرآن هي غايات تنظيره فقط.

وعليه فلا يستطيع أيُّ مُفسِّر أن يخوض في بيان المقامات التكوينية الغيبية في القرآن إذا اقتصر على الجانب الأول، وهو التنظير - النبوه - بل لا يبدُّ له ولأجل أن يبيِّن أكبر عدد من المقامات الغيبية أن يخوض في الجانب الثاني، وهو بَعْدَ الولاية سواءً بالجانب التطبيقي أو الحقائقى.

إذ لا- يتسنى له معرفه أى مقام أو منزل في القرآن، أو يعرف علم إداره الدول أو علم إداره الوزارات أو العلم النظرى وغيرها إلّا بملاحظه البعد الثانى.

ولذا فإنَّ القرآن كتاب جامع مانع - إن صحَّ التعبير - فلا تُحصِّر قيادته وتنظيمه بالبشر وحصره بذلك على ما تظنُّ أو تتوهمه بعض المذاهب أو المدراس الإسلاميه نتيجة ابتعادهم عن مدرسه أهل البيت عليهم السلام (ولو أنَّ قرآناً سُيِّرت به الجبال أو قُطعت به الأرض أو كلَّم به الموتى) ١.

بتقريب: لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ (لو) حرف امتناع وَإِنَّمَا هَيْدِهِ شُؤْنُ الْقُرْآنِ وربط تسيير الجبال، وتقطيع الأرض أو تكليم الموتى أو... الخ بالقرآن ما ذاك إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ لَهُ ارْتِبَاطٌ بِكُلِّ هَذِهِ الْأُمُورِ (تَبَيَّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ) وتقديره وتدييره.

وهكذا قوله تَعَالَى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مَخَصِمًا مُدْعَاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) (١) وقوله تَعَالَى: (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) (٢) وقوله تَعَالَى: (وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ) ٣ .

بتقريب: أَنَّ الصَّلْهَ بَيْنَ خَشُوعٍ وَتَصَدُّعِ الْجَبَلِ وَجَعَلَهُ دَكًّا وَإِرْسَالَ الرِّيَّاحِ لَوَاقِحَ وَغَيْرَهَا مِنْ الْحَقَائِقِ الَّتِي يُبَيِّنُهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي مَجَالَاتٍ شَتَّى، وَسَوَاءٌ فِي الْأَرْضِ أَوْ السَّمَاءِ أَوْ عَوَالِمٍ أُخْرَى مَا ذَاكَ إِلَّا لِبَيَانٍ وَتَأْكِيدٍ ارْتِبَاطِ الْقُرْآنِ بِتِلْكَ الْأُمُورِ وَهَدَايَتِهَا، وَأَنَّ هَدَايَةَ الْقُرْآنِ التَّكْوِينِيَّةَ وَهِيَ الْوَلَايَةُ غَيْرَ مَقْتَصِرَةٍ وَغَيْرَ مَخْتَصَّةٍ بِالْبَشَرِ فَقَطُّ، وَإِنَّمَا تَتَعَدَّى إِلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَمْ تَتَبَيَّنْ هَيْدُهُ النِّكَاتِ الْعِلْمِيَّةَ وَالصَّنَاعِيَّةَ بِشَكْلٍ وَاضِحٍ إِلَّا مِنْ خِلَالِ مَعْرِفَتِهَا مِنْ بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَقَطَعَ ثَمَرَتَهَا بِوَسْطِهِ أَوْ مِنْ خِلَالِ الْمَنْهَجِ التَّفْسِيرِيِّ الْمَخْتَارِ أُمُومَهُ الْوَلَايَةَ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ فَضْلًا عَنِ الْمُتَشَابِهَاتِ وَلَا يُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّا نَرِيدُ تَشْطِيبَ وَتَهْمِيشَ بَاقِي الْمَنَاهِجِ

ص: ٣٩٥

١- (١) سورة الحشر: الآية ٢١.

٢- (٢) سورة الاعراف: الآية ١٤٣.

التفسيرية، وَأَنَّهَا لَا - ثمره فيها كالتفسير الموضوعي، أو تفسير القرآن بالقرآن، أو التفسير التجزيئي أو الأدبي أو الإشاري أو اللطائفى أو الأنفسى أو تفسير أسباب النُّزول وغيرها، بَلْ لَهَا فَوَائِدُ وَثَمَارٌ تَسْتَمِرُّ، وَلَكِنْ مِنْ الْخَطَأِ أَنْ نَجْعَلَهَا هِيَ الْمَدَارَ وَأَنَّهَا هِيَ الْمَنْهَجُ الْمُهَيْمِنُ.

وَأِنَّمَا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَعْرِفَ الْمَدَارَ وَعَمُودَ خِيَمِهِ فَضَاءَ الْقُرْآنِ كَمَنْهَجٍ فَهُوَ كَمَا بَيَّنَّهٖ مَسْعُدُ بْنُ صَدَقَةَ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ وَلَايَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ قُطْبَ الْقُرْآنِ وَقُطْبَ جَمِيعِ الْكُتُبِ عَلَيْهَا يَسْتَدِيرُ مُحْكَمُ الْقُرْآنِ وَبِهَا نَوَّهَتْ الْكُتُبُ وَيُسْتَبِينُ الْإِيمَانَ» (١).

والمُتَلَفَتِ فِي بَيَانِ هَذِهِ الرُّوَايَةِ الشَّرِيفَةِ أَنَّهَا لَمْ تَجْعَلِ النَّبُوَّةَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قُطْبَ رَحَى، بَلْ بَعْدَ الْوَلَايَةِ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَتْرَتِهِ هُوَ قُطْبُ الرَّحَى، وَهَذَا أَمْرٌ بِأَلْفِ الْعِظَمِ وَالْخَطُورِ فِي حَقِيقَةِ الْقُرْآنِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا الْحَالُ فِي الْقُرْآنِ، فَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي قُطْبِيَّةِ الْوَلَايَةِ لِلْكَتُبِ السَّمَاوِيَةِ السَّابِقَةِ.

وعنوان أهل البيت عليهم السلام ينطبق بالمرتبة الأولى على سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، ثم أمير المؤمنين عليه السلام سيد الأوصياء على بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسنين ثم التسعة المعصومين عليهم السلام، وقد أسند الولاية إلى أهل البيت عليهم السلام وقال: «ولايتنا أهل البيت» ولم يقل عليه السلام «نبوتنا أهل البيت عليهم السلام» وأن الله جعل الولاية المجموعته لأهل البيت عليهم السلام مع اختلاف مراتبهم قطب القرآن وقطب جميع الكتب السماوية السبع، وعليها يدور محكم القرآن - أي النقطة

ص: ٣٩٦

المركزيه فيه ونظم نظام المحكم هو بتوسط ولايه أهل البيت عليهم السلام وإلا لا نفرط وتشتت محكم القرآن.

كَمَا أَنَّ ظَاهِر كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَةَ السَّابِقَةَ عَمَدَهُ مَا نَوَّهَتْ بِهِ هُوَ وَلَا يَتَّهَمُونَ وَأَنَّ الْإِيمَانَ إِنَّمَا يَسْتَبِينُ بِوَلَايَتِهِمْ وَكُلَّ ذَلِكَ بَيَانٌ لِرُكْنِيَّةِ وَلَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَتْرَتِهِ أَعْظَمَ مِنْ جِهَةِ الْأَنْبَاءِ وَالنَّبَوَّةِ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وبذلك يتحصّل أنّ قوام حقيقه القرآن بولايه النبي صلى الله عليه وآله وعترته أعظم من حيثيه النبوه والأنباء في النبي صلى الله عليه وآله

وَهَذَا سِوَاءَ فَسَّرَتِ النَّبَوَّةَ بِأَنْبَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْآخِرِينَ فَالْأَمْرُ وَاضِحٌ وَأَنَّ وَلَايَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَكْبَرُ رَتْبُهُ مِنْهُ مِنْ مَقَامِ إِبْنَائِهِ لِلْآخِرِينَ، أَوْ فَسَّرَتِ النَّبَوَّةَ بِمَقَامِ تَلْقَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْوَحْيِ فِي بَعْدِ الْبَصْرِ الْبَاطِنِ، فَإِنَّ التَّلْقَى، إِنَّمَا هُوَ مِنْ الدَّرَجَاتِ النَّازِلَةِ فِي ذَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ الْعَالِيَّةُ مِنْ ذَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَهِيَ فِي مَقَامِ التَّمَكِينِ وَالْقُدْرَةِ وَهُوَ وَلَايَةٌ، أَوْ فَسَّرَتِ بِالتَّلْقَى فَإِنَّ التَّلْقَى يَكُونُ بِالْإِلْهَامِ وَنَحْوِهِ أَوْسَعُ مَدَى مِنَ الرُّؤْيَةِ الْبَصْرِيَّةِ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: (إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (١٤) أَكْبَرُ مَقَامًا فِي شَأْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْوَصْفِ الْآخِرِ) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨) وَالَّتِي هِيَ النَّبَوَّةُ، فَإِنَّ بَقِيَّةَ أَنْمَاطِ وَأَنْوَاعِ الْوَحْيِ أَكْبَرُ وَأَعْلَى شَأْنًا مِنَ الرُّؤْيَةِ، وَيَنْطَوِي فِيهَا مَا لَا يَنْطَوِي فِي الرُّؤْيَا، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

نال النبوه أولاً ثم الخله والرساله ثانياً، ثم الإمامه ثالثه.

والخلاصه إن منهج الأمومه التفسير المختار ليس فقط هو مركز لمعاني عديده، وإنما هو أصل منظومى تناسجى مترابط وفيه تلاحق وتعاقب لمعادلات هندسيه كثيره، كل ذلك تحت عنوان أمومه (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات مُحكمات هن أم الكتاب) فمثلما المُحكّمات لها أمومه على ما دونها وهى المتشابهات كذلك المُحكّمات لها أم وهى الولاية، فحيث نستطيع أن نفهم أن القرآن كتاب نبوه - تنظير - أى يريهم الطريق، وكتاب ولاية - تطبيق - أى يأخذ بيدهم وحاكم وأنه كتاب هدايه أرائيه للبشر، وكتاب هدايه إيصاليه أى يوصلهم إلى السعاده المنشوده.

نعم، القرآن فيه تعرّض لبنود كثيره جداً (ما لهذا الكتاب لا يُغادرُ صغيره ولا كبيره إلا أخصاها) ٢.

وبذلك تبين أن حقيقه القرآن بالولاية وتنزيله فى أحد بعديه بالنبوه وتبين سابقاً الفرق بين الولاية فى النبى صلى الله عليه وآله وبين النبوه فيه صلى الله عليه وآله وهى فرق الحقيقه والتنزيل، وهذه الولاية التى عند النبى صلى الله عليه وآله ورثها عترته من أهل بيته عليهم السلام.

ص: ٣٩٨

القاعده التاسعه: قابليه ظهور الكلام الواحد للتعدد و التكثر تاويل كل شىء نهايته و ما يوول اليه طبقات المعنى التاويلي كلها تندرج فى الظهور

القاعده التاسعه (١) [١]: قابليه ظهور الكلام الواحد للتعدد و التكثر تاويل كل شىء نهايته و ما يوول اليه طبقات المعنى التاويلي كلها تندرج فى الظهور

التفسير التاويلي لأهل البيت جله معالجه للظهور:

تَقَدَّمَ فِي قَاعِدِهِ أَسْبَابُ التُّزُولِ إِنَّ اخْتِلَافَ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ عَنْ بَقِيَّةِ الْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي حَقِيقَتِهِ مَوْرَدِيَّةٌ مَوْرَدِيَّةٌ التُّزُولِ أَوْقَعَ الْكَثِيرَ مِنَ الْبَاحِثِينَ فِي الْخَلْطِ بِسَبَبِ الْمَزْجِ بَيْنَ الْمُنْهَاجِينَ، وَعَدَمِ إِحْاطَةِ الْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُخْرَى بِحَقِيقَتِهِ مَوْرَدِيَّةِ التُّزُولِ، كَمَا تَعْيَهُ مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ وَابْتِعَادِ الْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُخْرَى عَنْ مَنَاجِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ وَوَلَدَتْ تَوْهَمًا فِي تَفْسِيرِ الْآيَاتِ وَالسِّيَاقِ فِي أَسْبَابِ التُّزُولِ، كَذَلِكَ الْحَالُ فِي قَاعِدِهِ قَابِلِيَّةِ ظُهُورِ الْكَلَامِ الْوَاحِدِ لِلتَّعَدُّدِ وَالتَّكثُّرِ، وَإِنَّ جُلَّ التَّفْسِيرِ

ص: ٣٩٩

١- (١) تَقَدَّمَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ تَفْسِيرِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ وَالْمُحْكَمَاتِ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ السَّنْدِ ص ٣٠٣، وَالْمَقَامِ الثَّلَاثِ مَبْحَثِ الظُّهُورِ وَالتَّأْوِيلِ، وَمِنْ بَابِ إِتْمَامِ الْفَائِدَةِ، نَذَكَرْ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ تَتَمَّهُ لِمَا تَقَدَّمَ.

التأويل لأهل البيت عليهم السلام هو في مُعالجه الظهور، فإن كثيراً من الآيات لها عِدَّة ظهورات، بل الآيه الواحد لها ظهور مُتكَثِّر، بَلْ لَعَلَّه فِي بَعْضِ الْآيَاتِ يَكُونُ صَدْرُهَا لَهُ ظَهْرٌ فِي مَعْنَى وَوَسَطُهَا ظَاهِرٌ فِي مَعْنَى ثَانٍ، وَذِيْلُهَا لَهُ ظَهْرٌ فِي مَعْنَى ثَالِثٍ، بَلْ فِي جُمْلَةٍ مِمَّا لَمْ يَكُنْ فِيهَا الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْجُمْلَةِ لَهَا ظَهْرٌ فِي مَعْنَى يَخْتَلِفُ عَنْ بَقِيَّةِ مُفْرَدَاتِ الْآيَةِ وَالْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ.

وهكذا الكلام في التأويل فَلَعَلَّ الْآيَةَ الْوَاحِدَةَ فَضْلاً عَنْ السُّورَةِ لَهَا عِدَّةُ تَأْوِيلَاتٍ بَلْ اللَّفْظَةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْجُمْلَةِ لَهَا تَأْوِيلَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَلَعَلَّ هَذَا مِنْ غَرَائِبِ الْأُمُورِ عَلَى مَنْ لَمْ يَأْنَسْ بِالْوَأْنِ وَأَنْوَاعِ الِاسْتِعْمَالِ التَّرَكِيبِيِّ الْقُرْآنِيِّ بِحَسَبِ مَا نَبَّهَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَبَيَّنَّا أَنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوَائِقِ أَمَامَ الْبَشَرِ فِي فَهْمِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الْبِنَاءُ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ أَوْ الْمَفْرُودَةَ لَهَا ظَهْرٌ وَاحِدٌ أَوْ تَأْوِيلٌ وَاحِدٌ، وَمَا وَرَدَ فِي الرُّوَايَاتِ عَكْسَ ذَلِكَ تَمَاماً فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَدَّدَ الظُّهُورُ بِلِحَازِ الْآيَةِ وَكَلِمَاتِهَا، وَهُنَاكَ جُمْلَةٌ مِنَ الرُّوَايَاتِ أَكَّدَتْ هَذَا الْمَعْنَى.

مِنْهَا: رَوَاهِ الْفَضْلُ بْنُ يَسَارٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ هَذِهِ الرُّوَايَةِ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَمَا فِيهِ حَرْفٌ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ، مَا يَعْنِي بِقَوْلِهِ: لَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ؟ قَالَ: ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ تَأْوِيلُهُ، مِنْهُ مَا مَضَى وَمِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ بَعْدُ يَجْرِي كَمَا تَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، كُلُّمَا جَاءَ مِنْهُ شَيْءٌ وَقَعَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (١) نَحْنُ نَعْلَمُهُ.

ص: ٤٠٠

وَمِنْهَا: روايه جابر، قَالَ: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن شيء في تفسير القرآن فأجبنى... وهو كلام يتصرف على وجوه ١.

وهكذا ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في احتجاجه على الزنديق.. ومن كتاب الله عز وجل يكون تأويله على غير تنزيله، ولا يشبه تأويله بكلام البشر، ولا فعل البشر، وسأنتك بمثال لذلك تكتفى به إن شاء الله تعالى، (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) وهو حكاية الله عز وجل وحجل عن إبراهيم عليه السلام حيث قال: فذها به إلى ربّه توّجهه إليه في عبادته واجتهاده ألا ترى أنّ تأويله غير تنزيله، وَقَالَ (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) ، وَقَالَ: (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) فإنزاله ذلك: خلقه إياه.

وكذا قوله (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) أي الجاحدين، والتأويل في هذا القول باطنه مضادٌ لظاهره.

ومعنى قوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا- أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) ٢، فإنما خاطب نبينا محمد صلى الله عليه وآله، هل ينتظر المنافقون والمشركون إلا أن تأتيهم الملائكة، فيعانونهم، أو يأتي بعض آيات ربك يعني بذلك: أمر ربك والآيات هي العذاب في دار الدنيا، كما عذب الأمم السالفه والقرون الخاليه، وَقَالَ (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يعني بذلك ما يهلك من القرون فسماها إتيانا، وَقَالَ: (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ

أَنى يُؤْفَكُونَ (١٤) أى لعنهم الله أنى يؤفكون، فسَمى اللعنه قتالاً، وكذلك قال (قَتَلَ الْإِنْسَانَ ما أَكْفَرَهُ (١٧) ٢) أى لعن الإنسان، وَقَالَ (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) فسَمى فعل النَّبىِّ صلى الله عليه وآله فعلاً له، ألا ترى تأويله غير تنزيله، ومثله قوله (بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ) فسَمى البعث: لقاءً، وكذلك قوله، (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) ٣) أى لَيسَ يوقنون أَنَّهُم مبعوثون، واللقاء عِنْدَ الْمُؤْمِنِ: البعث، وَعِنْدَ الْكَافِرِ المعايينه والنظر.

وَقَدْ يَكُونُ بَعْضُ ظَنِّ الْكَافِرِ يَقِيناً، وَذَلِكَ قَوْلُهُ (وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِعُوهَا) أى تيقنوا أَنَّهُم مُوَاعِعُوهَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي الْمُنَافِقِينَ (وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا) ٤ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بَيِّقِينَ وَلَكِنَّهُ شَكٌّ، فَاللَّفْظُ وَاحِدٌ فِي الظَّاهِرِ وَمُخَالَفٌ فِي الْبَاطِنِ (١).

روى العياشى عَن أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدُ مِنْ عَقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، إِنَّ الْآيَةَ يَنْزِلُ أَوْلَهَا فِي شَيْءٍ وَوَسْطَهَا فِي شَيْءٍ وَآخِرَهَا فِي شَيْءٍ، ثُمَّ قَالَ: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

ص: ٤٠٢

١- (٥) الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ٣٠٢ و ٣٠٣ فى احتجاج أمير المؤمنين عَلَى الزنديق، وكذا المحاسن للبرقى: ص ٣٠٠.

الْبَيْتِ وَ يُطَهَّرَ كُمْ تَطْهِيراً (٣٣) من ميلاد الجاهليه (١).

روى العياشى بسنده عن جابر، قال: سألت ابا جعفر عليه السلام عن شىء فى تفسير القرآن فأجابنى، ثم سألته ثانية فأجابنى بجواب آخر، فقلتُ جعلتُ فداك كنتُ قد أجبتُ فى هذِهِ المسأله بجوابٍ آخر غير هَذَا قبل اليوم، فقال لى يا جابر: إنَّ للقرآن بطناً، وللبطن ظهراً، يا جابر ليس شىء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنَّ الآيه لتكون أولها فى شىء وآخرها فى شىء، وهُوَ كلام مُتَّصِلٌ يتصرَّف على وجوه (٢).

وفى بصائر الدرجات.. عن هشام عن الهيثم التميمى، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام يا هيثم إنَّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم ذلك شيئاً وجاء قومٌ من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً، ولا إيمان بظاهر إلا بباطن ولا بباطن إلا بظاهر (٣).

وَبَعْدَ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ:

مَنْ يَتَّبِعُ كَلِمَاتِ الْمُفَسِّرِينَ - خَاصَّةً الْإِمَامِيَّةَ مِنْهُمْ - فِى كَيْفِيَةِ التَّعَامُلِ مَعَ طَبَقَاتِ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّةِ فِي الرُّوَايَاتِ، سَوْفَ يَجِدُ مِنْهَا مَسَلِكاً أَوْ مَسَلِكَيْنِ:

المسلك الأول: وهُوَ مسلك المشهور أو الأشهر، وتعامله مع الروايات التي تبدو معانى خفيته أو باطنه الخفاء للآيات على أنها معانى تأويلية محضه

ص: ٤٠٣

١- (١) العياشى: ج ١، ص ٩٥ باب من فسّر القرآن برأيه: ح ١.

٢- (٢) المصدر السابق: ص ٨٧ ح ٨، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن.

٣- (٣) تفسير البرهان للفتونى: ص ٢٢ عن بصائر الدرجات.

أو تطيقه، وليست مرتبته، بل ولا صلها بشؤون قالب وظهور الآيه.

المسلوك الثاني: إن المعاني التأويلية تدرج في الظهور غايه الأمر أن الظهور على مراتب وهو ما نعتمه (1) في علم أصول الفقه، وأنه لا بُدَّ من التعامل مع الروايات التأويلية أنها محوريه وليست هامشيّه وأن المعنى التنزيلي ظلي وتبعي للمعنى التأويلي ثبوتاً، وإن كان إثباتاً المعنى التنزيلي طريق للوصول إلى المعنى التأويلي، وبعبارة أُخرى المعاني التأويلية تدرج في الظهور، غايه الأمر أن الظهور على مراتب، كما تقدم مُفصلاً (2) وأن تعدد الظهور أمر ليس بغريب، كما قرره علماء البلاغه والأدب والأصول وغيرها، منهم الشيخ المفيد والطوسي والسيد المرتضى والمحقق الحلي وغيرهم، فالسيد المرتضى في كتابه الشافي ذكر ما حاصله: من أن دلائل القرآن يقينيه وقطعيه على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام بنص التنزيل فضلاً عن التأويل الذي هو من ظهور القرآن بنحو قطعي، وإن كان هناك جماعه من الصوفيه يؤمنون بإمامه أمير المؤمنين عليه السلام وأنها تأويليه وليست تنزيليّه، كما ورد ذلك في زياره الإمام الهادي عليه السلام لجده أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير، وأن إمامه جده أمير المؤمنين عليه السلام نزل بها التنزيل، أو نصّ عليها التنزيل [... وأشهد أنك أمير المؤمنين الحق الذي بولايتك التنزيل...].

ص: ٤٠٤

١- (١) أي مسلوك شيخنا الأستاذ محمد السند حفظه الله في علم اصول الفقه.

٢- (٢) راجع تفسير أمومه الولايه والمحكمات في القرآن ج ١ للشيخ محمد السند حفظه الله مبحث التأويل.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ السَّيِّدَ الْمُرْتَضَى حَكَمَ بِإِسْلَامِ الْمُخَالَفِ رَغْمَ أَنَّهُ لَا يَقَرُّ بِوَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حِينِ إِنَّا نَقُولُ بِبِقِيَّتِهِ نَصَّ تَنْزِيلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِإِمَامَتِهِ وَوَلَايَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعَ ذَلِكَ لَا يُحَكِّمُ بِكُفْرِ الَّذِي لَا يَقَرُّ بِإِمَامَتِهِ وَوَلَايَتِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ تَلْبِيسٌ مِنَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ اسْتَوْلُوا عَلَى الْحُكْمِ فِي بَيْتِهِ الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالسَّجَالِ الْعِلْمِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ هُوَ الَّذِي سَبَّبَ فِي مَحَاوَلِهِ طَمَسَ هَذِهِ الْأَنْوَارَ الْبَيِّنَةَ النَّاصِعَةَ فِي الْقُرْآنِ؛ لَا أَنَّهُ زَالَتْ، بَلْ هِيَ لَا تَزَالُ تَلْكَ الْأَنْوَارَ مَوْجُودَةً وَمُسْتَمِرَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنَّ الْبَعْضَ يَحَاوِلُ بِأَسَاءٍ وَضَعِ الْعِرَاقِيلَ وَيَصْنَعُ عَقَبَاتٍ وَسُحُبَ سَوْدَاءٍ تَحْجِبُ النَّظَرَ عَنِ الْآخِرِينَ.

هَذَا مُضَافًا إِلَى أَنَّ الْوَلَايَةَ لَيْسَتْ مَعْنَى ظَاهِرٍ أَوْلَى فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنِينَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ عِنْدَ نَزُولِ الْقُرْآنِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ أُسُسَ الدِّينِ تُبْنَى بِالْحُكْمِ الْأَوْلَى لَا بِالْحُكْمِ الثَّانَوِيِّ، وَإِنَّ دَوْرَ الْحُكْمِ الثَّانَوِيِّ شَبِيهٌ بِحَالَاتِ الطَّوَارِي وَالْمُعَالَجَاتِ فِي حَالِهِ الطَّوَارِي لَيْسَتْ مُؤَسَّسَةً عَلَى الدَّوَامِ لَا تَكْوِينًا وَلَا تَشْرِيْعًا، وَأَجَلَ الْإِقَاءِ الشُّبُهَةِ مِنَ الْغَاصِبِينَ وَالْمُلْبَسِينَ وَعَدَمِ تَرْتِيبِ سُورِ وَآيَاتِ الْقُرْآنِ كَمَا أُنزِلَ، وَإِنَّمَا رَتَبَتْ آيَاتُهُ مَكْنِيًّا وَمَدْنِيًّا وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ.

عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ، عَمَّنْ أَخْبَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: لَوْ قُرِئَ الْقُرْآنُ كَمَا أُنزِلَ، لَأَلْفَيْتُنَا فِيهِ مُسَمِّينَ (١).

ص: ٤٠٥

١- (١) تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٩ باب ما عني به الأئمة عليهم السلام من القرآن ح ٤؛ بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٥٥.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْكِنْدِيُّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَعْدَ مُسَمِّينَ - كَمَا سُمِّيَ مِنْ قِبَلِنَا (١).

وَبِالتَّيَالِي فَإِنَّ إِغْيَاءَ الشُّبْهِ ضَيِّعَ هَذَا التَّرْتِيبَ لِلظُّهُورِ بِحَسَبِ التُّزُولِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَمِنْ أَدْلَاهُ وَلَا يَهْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَبِالظُّهُورِ إِلَّا أَنَّهُ خُفِيَ أَوْ أُخْفِيَ، وَلَكِنْ لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَطْعِيًّا وَضُرُورِيًّا رَغْمَ أَنَّهُ خُفِيَ.

وَالْغَرَضُ مِنْ اسْتِعْرَاضِ هَذَا الْمَطْلَبِ لِلسَّيِّدِ الْمُرتَضَى فِي كِتَابِهِ الشَّافِي - هُوَ لِأَجْلِ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْبَاحِثَ الْكَرِيمَ إِذَا لَمْ يُتَقَنَّ هَذِهِ الْمَطَالِبَ وَالبَحُوثَ مِنْ عَدَّةِ زَوَايَا كِرَاوِيهِ قَاعِدِهِ عِلْمَ التَّفْسِيرِ، وَاصُولِ الْفِقْهِ، وَالكَلَامِ وَغَيْرِهَا فَإِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ بِنتِيجَةٍ رَصِينَةٍ وَمَقْبُولَةٍ وَأَنَّ الظُّهُورَاتِ عَلَى مَرَاتِبٍ.

توضيح أكثر: -

لو أخذها مثلاً على سعيد قال الظهور فقط فسوف نجد له عده مداليل قد تصل إلى الخمسة مداليل أو الستة، وقد لا تكون هذه المداليل المتعدده متطابقه فنحتاج إلى تكلف التأويل، فلو أريد التعريض بإنسان بخيل فنلاظ وجود عده مداليل وعده دلالات:

(١) دلالة ومدلول تصورى.

ص: ٤٠٦

١- (١) المصدر السابق: ح ٥.

(٢) دلالة ومدلول استعمالى.

(٣) دلالة ومدلول تفهيمى.

(٤) دلالة ومدلول جدى وهى على أقسام.

(٥) دلالة مدلول جدى مطابقى.

(٦) دلالة مدلول جدى التزامى، والالتزامى على أقسام.

وهذه المدليل قد تكون مطابقتها وأمثلتها واضحة فى علوم البلاغه، وقد لا تكون واضحة.

فإذا عرّض بالبخيل بأن يُقال له: زيد كثير الرماد، فنلاحظ عدّه مدليل:

(١) المدلول التصورى وهو الرماد، وليس المراد إفهام معنى الرماد، وإنما المراد هو إفهام معناه التصورى، بل أن باب الاستعمال فى أكثر من معنى يبدأ من صوت الكلمه، كما فى الشعر الشعبى الدارج - المعروف بالحسجه - مثل

«يراعى الثار ما يظهر علامه وينشر لليتانونه علامه»

فضلاً عن الاشتراك فى الوضع، فيكون من تعدد الاستعمال للصوت الواحد فى اصوات متعدده، ومن باب استعمال الصوت فى أسماء كلمات عديده، أو من باب الاشتراك اللفظى فيكون من باب استعمال اللفظ فى عدّه معانى تصوريّه، أو من باب استعمال المعنى التصورى فى عدّه معانى استعماليه، وهو المبحث المعروف لدى الأصوليين استعمال اللفظ فى أكثر من معنى كما نصّ البلاغيون على جوازه فى مبحث الكفايه ونحوها فى

ص: ٤٠٧

التعريض.

فضلاً عن استعمال المعنى الاستعمالي في عده معاني تفهيميه، وكل هذا التعدد في الصوت والمعنى التصوري والتفهيمي في عرض واحد.

وكذلك استعمال المعنى التفهيمي في عده معاني جديّه في عرض واحد فضلاً عن الاستعمال المتكثّر طولياً.

وعليه فإنّ تعدد تركيب الظهور من هذا الباب الواسع.

(٢) المدلول التصوري الاستعمالي، وهو آله الطبخ.

(٣) المدلول التصوري التفهيمي، وهو الكرم.

(٤) المدلول التصوري الجدي: أنّ زيدا بخيل.

(٥) المدلول الجدي المطابق وما وراءه من طبقات جديّه ورائيه خفيّه.

(٦) المدلول الجدي الالتزامي وهو على درجات.

وبناءً على قاعده استعمال اللفظ في أكثر من معنى (١) فإنّ الكلام والحد - كما مرّ - يتحمّل مداليل متعدّده كلّ منها مستعمل في صعيد طبقه المعنى التصوري، أو المعنى الاستعمالي، أو المعنى التفهيمي، أو الجدي وغيرها.

وكلّ هذا التعدد في اختلاف معاني الطبقات متباين فيما بينها بنحو أنّ

ص: ٤٠٨

١- (١) تقدّم بحثها في تفسير أمومه الولايه: ج ١ للشيخ محمد السند.

لِكُلِّ طَبَقَةٍ لَهَا مَعْنَى مُخْتَلِفَةٌ عَنِ مَعْنَى الطَّبَقَةِ الْأُخْرَى، وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ، وَأَنَّ تَعَدُّدَ هَذِهِ الْأُمُورِ ظُهُورًا، وَهَذَا الظُّهُورُ عِبَارَةٌ عَنْ مَنْظُومَةٍ تَتَحَمَّلُ هَذَا التَّعَدُّدَ وَالتَّكثُّرَ فِي مَدَاخِلِ عَدِيدِهِ، لِذَلِكَ يَتَسَاءَلُ عَنْ كَيْفِيَّةِ كَوْنِ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّةِ مِنَ الظُّهُورِ.

كَيْفَ يَكُونُ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّةُ مِنَ الظُّهُورِ:

هُنَاكَ تَسَاوُلٌ مِنْ قَبْلِ أَصْحَابِ الْمَسَلِكِ الْأَوَّلِ - الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّةَ غَيْرُ مُرْتَبِطَةٌ بِشُؤْنِ قَالِبِ الظُّهُورِ - عَنْ كَيْفِيَّةِ ارْتِبَاطِ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّةِ بِالظُّهُورِ مَعَ أَنَّ التَّأْوِيلَ خَفِيٌّ.

الْجَوَابُ: إِنَّ ذَلِكَ خَفِيَ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْلَمْ الْقِرَائِنَ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى الشُّوَاهِدِ الْمُؤَدِّيَةِ مِنَ الظُّهُورِ الْأَوَّلِيِّ إِلَى الْمَعْنَى الْخَفِيَّةِ، وَأَنَّهُ ظُهُورٌ تَعْبُدِيٌّ بِخِلَافِ مَنْ وَقَفَ عَلَى الشُّوَاهِدِ وَالْقِرَائِنِ الْمُؤَدِّيَةِ مِنَ مَعْنَى الظُّهُورِ الْأَوَّلِيِّ إِلَى الْمَعْنَى الثَّانِيَّةِ وَالثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ... الخ فَإِنَّهُ يَكُونُ ظَاهِرًا، وَأَنَّ هَذِهِ مَرَاتِبٌ فِي الظُّهُورِ وَالِامْتِنَاعِ فِي تَعَدُّدِ مَرَاتِبِ الظُّهُورِ، بَلْ يَتَعَدَّى وَيَتَوَسَّعُ الْأَمْرُ إِلَى عِلْمِ الْفِقْهِ وَالْأَصُولِ وَالتَّفْسِيرِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَنَّ الظُّهُورَ - كَمَا هُوَ الصَّحِيحُ عَلَى مَا نَخْتَارُهُ وَنَبْنِي عَلَيْهِ قَابِلٌ لِلتَّعَدُّدِ، وَأَنَّ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّةَ بِالذِّقَّةِ مِنَ الظُّهُورِ، غَايَةُ الْأَمْرِ أَنَّ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّةَ هُوَ مِنْ طَبَقَاتِ الظُّهُورِ - كَمَا سَوْفَ يَتَّضِحُ بَعْدَ ذَلِكَ -.

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ (١) فِي بَحْثِ عِدَّةِ قَوَاعِدٍ: -

ص: ٤٠٩

١- (١) تَفْسِيرُ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ وَالْمُحْكَمَاتِ: ج ١، الشَّيْخُ مُحَمَّدُ السَّنْدِ.

مِنْهَا: قَاعِدِهِ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَعْنَى.

وَمِنْهَا: قَاعِدِهِ مَعْنَى التَّأْوِيلِ وَالْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ.

وَمِنْهَا: قَاعِدِهِ الْجَرَى فِي التَّعْبِيرِ لَا التَّطْبِيقَ وَالَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْآيَةَ تَجْرَى فِي الْمَعَانِي كَمَا تَجْرَى الْمَصَادِقُ كَمَعْنَى وَكُمُرَادٍ لَا أَنَّهُ شَيْءٌ أُجْنِبِي عَنْ الْمُرَادِ، خِلَافًا لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدٌ حَسِينُ الطَّبَّاطِبَائِي فِي الْمِيزَانِ وَالسَّيِّدُ الْخَوَّثِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ الْبَيَانِ، وَالسَّيِّدُ عَبْدِالْعَالِي السَّبْزَوَارِيُّ فِي مَوَاهِبِ الرَّحْمَنِ وَغَيْرِهِمْ فَسَيَّرُوا قَاعِدَةَ الْجَرَى فِي التَّعْبِيرِ لَا- التَّطْبِيقَ وَأَنَّ الْمُصَدِّقَ خَارِجَ عَنْ شُؤْنِ قَالِبِ الْمَعْنَى وَالِدَّلَالَةِ، وَأَنَّهَ تَطْبِيقُ مُصَدِّقٍ لَا صِلَهُ لَهُ بِقَالِبِ الْمَعْنَى، وَبِعِبَارِهِ أُخْرَى إِنَّ قَاعِدَةَ الْجَرَى لَيْسَ هُوَ الْجَرَى فِي التَّطْبِيقِ كَمَا فَسَّرَهُ ذَلِكَ أَعْلَامُ هَذَا الْعَصْرِ، وَهِيَ قَاعِدَةُ فِي الْأَصْلِ مَأْثُورَةٌ عَنْ أُمَّه أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ الْأَعْلَامُ قَدْ فَسَّرُوهَا فِي التَّطْبِيقِ أَيْ جَرَى قَالِبِ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ فِي مَصَادِقٍ مُتَعَدِّدَةٍ، بَيْنَمَا قَاعِدَةُ الْجَرَى الْمَأْثُورَةُ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ جَرَى فِي التَّعْبِيرِ أَيْ الْعُبُورِ مِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى آخَرَ، وَجَرَى اللَّفْظِ مِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى آخَرَ، أَوْ مِنْ حَقِيقَةٍ إِلَى حَقِيقَةٍ، أَوْ مِنْ حَقِيقَةٍ إِلَى مَعْنَى، أَوْ مِنْ حَقِيقَةٍ إِلَى مُصَدِّقٍ، فَتَكُونُ قَاعِدَةُ الْجَرَى بَابٍ وَاسِعٍ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي الْمَعَانِي.

وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَتْ الْغَايَةُ الْكُبْرَى لِلْمُتَكَلِّمِ هُوَ الْحَقِيقَةُ الْكُبْرَى، وَبِاعْتِرَافِ هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامِ (رَحِمَهُمُ اللَّهُ) الثَّلَاثَةُ وَغَيْرِهِمْ فَكَيْفَ يَكُونُ الْمُصَدِّقُ الْكَبِيرُ خَارِجًا عَنْ مُرَادِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَتَقْدَمُ كُلُّ ذَلِكَ مُفَصَّلًا فِي

قاعده الجرى فى التعبير لا التطبيق، ومن اراد المزيد فليراجع.

ومن مجموع ما تقدم من القواعد اتضح التأكيد والتركيذ فيها على ان الروايات التاويليه لا- تشير الى معنى اجنبى عن ظهور الكلام، وانما تشير الى ان المعانى التاويليه وكيفيه استخراجها وانتزاعها من اللفظ وشؤونه المختلفه هى اأحد درجات الظهور ومراتبه، فهى بالتالى تعالج مراتب الظهور، كذلك معالجه المعنى التاويلى لكل آيه لا يشير الى معنى اجنبى عن الآيه، فمثلا ما يذهب إليه السيد العلامة الطباطبائى من ان المراد بالتاويل هو التحقق الخارجى العينى لمعنى الآيه، وأنه لا صله له بقالب معنى الآيه.

فيلاحظ عليه: ان غايه غايات المتكلم هو المصداق الأعظم والأهم فى مقام تحقق هويّه المعنى، وإذا كان أكمل المصاديق هو أهم شىء عند المتكلم فكيف نجعله بعيداً عن محوريّه الكلام، وليس هو أس الأساس، بل حتى لو تنزلنا مع ما يذهب إليه السيد العلامة الطباطبائى من الجمود على الإطار العام وعدم إرادته الوجود العينى الخارجى لمعنى الآيه بيان كان المعنى مرآه للفظ، واللفظ مرآه للمعنى وبالتالي يكون فى عالم الدلاله أراءه للخارج، وحينئذ يكون للمعنى صله بالدلاله.

ومن كل هذا يعلم ان الحقيقه الخارجيه ليست خارجه عن الدلاله والمدلول - كما هو الصحيح - ولو بتوسط الأراء والوجود الحكائى الذهنى.

ومن خلال ما تقدم كله يعلم ان التاويل بدرجاته المتراميه عرضاً

وطولاً عَنْ شُؤْنِ الظُّهُورِ الْمُتَكَثِّرِهِ وَالْمُتَنَوِّعِهِ لَيْسَ خَارِجاً عَنِ حَاقِ قَالِبِ الظُّهُورِ، بَلْ هُوَ - التَّأْوِيلُ - مِنْ مَرَاتِبِ وَمَدَارِجِ الظُّهُورِ.

فمثلاً: المرآة الواحدة يمكن أن ينعكس فيها حكايات عن أوجه عديده للشاخص في مقابلها، وكلما لاحظت زاويه تجد وجهاً مختلفاً للحكاية والمحكى غير الزاويه الأخرى، هَذَا فَضْلاً عَمَّا لَوْ كَانَتْ المرآة ذَاتَ تَكْعِبَاتٍ عديده، فَإِنَّ انْعِكَاسَ الصُّورِ يَتَكَثَّرُ بِتَنَوُّعِهَا، وَكَذَلِكَ التَّكَثُّرُ فِي المرآة الواحدة فِي المَشْهَدِ الوَاحِدِ بِلِحَازِ الأَنْوَارِ المُنْعَكِسَةِ فِيهَا فَتَتَعَدَّدُ وَتَتَكَثَّرُ الحِكَايَاتُ وَالمَحْكِيَاتُ.

فائده كون التأويل درجه من درجات الظهور:

والغايه من الخوض في بيان أن التأويل الحق الموزون لمورد أنه درجه من درجات الظهور، وأن تأويل كل شيء نهايته وغايته وما يؤول إليه، وبالتالي فإن ما يؤول إليه هو لون وطابع لنفس التنزيل، هو لأجل الرد على موقف من يذهب إلى أن التفسير التياويلي هو منهج باطنى ولا- علاقه له بالحياه واللغه الاجتماعيه ولدفع جملة من الأوهام المنهجية المنكره للمنهج التياويلي والجاحده له المتجنبه عن مراعاته في خطوات التفسير، حيث فعلوا هذا المنهج ومنهم صاحب تفسير المنار رشيد محمد رضا.

وهؤلاء يزعمون: إن التأويل منهج باطنى وتبته الصوفيه وأصحاب المناهج الروحيه، وهو باطل ولا- علاقه له بالحياه واللغه الاجتماعيه مما

أَلَقْتُ هَيْدَهُ النَّظْرَةَ لِلْمَعْنَى التَّأْوِيلِي مِنْ قَبْلِ زَعْمِ هَؤُلَاءِ بِظَلَالِهَا عَلَى الْمَنَاهِجِ التَّفْسِيرِيَةِ الْآخَرَى، وَانْعَكَسَ سَلْبًا، وَبِالتَّالِي صَارَتْ هُنَاكَ ظَاهِرَةٌ قَلَّةُ اكْتِرَافِ التَّفْسِيرِ التَّأْوِيلِي.

نظير ما ذكرنا سابقاً مِنْ وجود غايه أُخْرَى لهذا البحث وَهُوَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ جَعْلَ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِي مِنْ دَرَجَاتِ الظُّهُورِ، فَإِنَّهُ لَا يَتَنَافَى وَلَا يَتَدَافَعُ مَعَ الْمَعْنَى الْآخْرَى لِمَرَاتِبِ الظُّهُورِ وَلَا يُفَنِّدُهَا، كَمَا أَنَّ تَقْرِيرَ تِلْكَ الْمَعْنَى لِلظُّهُورِ لَا يُفَنِّدُ وَلَا يَدْفَعُ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِي مِنْ كِلَا الطَّرْفَيْنِ.

نموذج تطبيقي للتأويل:

مِنْ النَّمَاذِجِ التَّطْبِيقِيَةِ لِلتَّأْوِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (١٤٥)).

بتقريب: أَنَّ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِي لِلصَّبْرِ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالصَّلَاةُ هِيَ وِلَايَةُ أَوْ إِمَامَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَيْسَ غَرَضُنَا مِنْ هَذَا الاسْتِعْرَاضِ نَبْذَ وَتَفْنِيدَ الْمَعْنَى الْحَقَّةِ الْآخْرَى لِلآيَةِ، بَلْ الْمَعْنَى الْآخْرَى الْحَقَّةُ لِلآيَةِ بَاقِيَةٌ عَلَى حَالِهَا، وَأَنَّهَا احْتِمَالَاتٌ مَوْجُودَةٌ، وَكَذَلِكَ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِي بَاقٍ عَلَى حَالِهِ، وَعَلَى ضَوْءِ هَيْدَا وَجَدتِ التَّجَاذِبَاتُ بَيْنَ الْمَنَاهِجِ التَّفْسِيرِيَةِ، وَعَلَى الْمُفَسِّرِ الْحَاقِذِ الْإِلْمَامِ بِالْمَنَاهِجِ التَّفْسِيرِيَةِ الْمُخْتَلَفَةِ.

وَمِنْ خِلَالِ هَذَا وَغَيْرِهِ عَرَفْنَا دَوَاعِيَ الْمَنَاهِجِ التَّفْسِيرِيَةِ الَّتِي لَا تَكْتَرِثُ

بالمنهج التأويلي وتبَعده كمنهج التفسير الاجتماعي ذو الصفة المعينه كالتقوى والذي انتهجه صاحب تفسير المنار مُحَمَّد رشيد رضا، ورمى المنهج التأويلي بانه منهج باطنى مُعطل.

ويُثار تساؤل: هُوَ أَنَّ هَذِهِ الْمُبْررات الَّتِي ذَكَرْتها الْمناهِج التَّفْسيريَّة الأُخْرى تَجاه الْمنْهَج التَّأويلي وَالَّتِي أَدَّتْ إِلى قَلِّه الاكْتِراث به، هل لَهَا مُبرراتٌ مَوْضوعيَّة عمليَّة، أو أَنَّ ذَلِك إِخْفاقٌ مِنْها تَجاه حَقيقه التَّأويل؟

الجواب:

أولاً: لَيْسَ الغرض مِنْ تصحيح المنهج التأويلي هُوَ تصحيح لِكُلِّ التَّأويلات الَّتِي ارتكبت مَعَ الْمُفَسِّرين ذُو التَّرعه التَّأويليَّة ونفى إِخْفاقاتِهم فِي هَذَا الْمنْهَج عِنْدَ عدم تقيدهم بِالْموازين وَالضَّوابط وَالشَّواهد.

ثانياً: هُنَاكَ إِخْفاقاتٌ مُعيَّنة فِي الْمنْهَج التَّفْسيري ذُو البُعد الاجتماعي والذي أعطى طابعاً ثقافياً للسِّلْفِية والوهابية، هُوَ مِنْ أحد الأسباب الَّتِي دعت السَّيِّد العَلَّامه مُحَمَّد حسين الطباطبائي إِلى تاليف تفسير الميزان فِي الْقُرْآن الكَرِيم والذي هُوَ مِنْ منبع أَهل البيت عليهم السلام لِإِنْفاد الفكر الإسلامي والإيماني مِنْ ذَلِك الاستقطاب الذي أحدثه التفسير الآنف الذكر، إِلاَّ أَنَّ الأَكْمَل والأوسط هُوَ الجَمع بين جميع ومجموع المناهج مَعَ تفادي سلبياتها المنهجية، لِأجل معالجه وتلافي الإخْفاقات الَّتِي واجهت كِلا المنهجين.

ص: ٤١٤

الإخفاقات التي واجهت كلا المنهجين:

أما بلحاظ المنهج التفسيري التأويلي فيمكن إجمال إخفاقاته بما يلي:

١ - إنَّ هَذَا المنهج جعل القرآن مُعْطَلًا وَلَمْ يَشْتَخِرْ مِنْ القرآن ما هُوَ دواءٌ ونورٌ وهداياه لمعالجه الواقع المُعاصر.

٢ - لَمْ يُعالج الظواهر الاجتماعية التي يكابدها البشر؛ ولذا صارت هُنَاكَ نَفْرَه مِنْ التفسير التأويلي.

٣ - لَمْ يقتصر فِي هَذَا التَّعْطِيلِ عَلَى تفسير القرآن، بَلْ حصلَ نَظِيرَ ذَلِكَ فِي كَيْفِيَةِ إحياءِ الشُّعائرِ الحُسيَّةِ ومقتل سيد الشُّهداء الحسين بن علي عليهما السلام بالتعامل معها - الشُّعائر - كتاريخٍ محضٍ فَقَطْ، بَلْ حصلَ نَظِيرَ ذَلِكَ لسيره الأئمة عليهم السلام مِنْ دون ربطها بالواقع الرَّاهن المُعاش لمعالجته واستخراج أنوار الهداياه للاسترشاد بها، وَهَذَا معناه تعطيل للمدين ولشعائر سيد الشُّهداء الإمام الحسين عليه السلام وأحداث عاشوراء الأليمه، بَلْ عَطَّلت حَتَّى المعرفة النبويَّة بقراءتها كتاريخٍ محضٍ لا كعقيده لها التزاماتها فِي الواقع المُعاصر والحياه الراهنه.

٤ - عدم انضباط مُمارسه التأويل بموازين وضوابط وشواهد، بَلْ انفلات القريحه والاستذواق هيأماً فِي كُلِّ وادٍ، ممَّا أدى إلى طابع الهلوسه والأوهام المُتراميه.

لهذه الأسباب مِنْ الإخفاقات وغيرها حصلت رَدَّة فعلٍ عِنْدَ

الكثيرين عبر قرونٍ مُتعدِّده، وولَّدت نفره من التفسير التَّأويلي بسبب هَيْدِهِ الممارسات من قبل بَعْض مَنْ لا خبره لَهُ بممارسه المنهج التَّأويلي، وَلَمْ يَتَّقِدُوا بالموازن والضوابط الَّتِي بَيْنَهَا أَهْلُ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ.

وَهَذَا مِمَّا سَبَّبَ اندفاعاً قوياً حول التفسير في بُعْدِهِ الاجتماعي، وحسبان أصحاب المنهج الاجتماعي في التفسير أَنَّ منهجهم يتطلَّب الابتعاد عن المنهج التَّأويلي والتَّأويلات وما شابه ذَلِكَ، وَيَكُونُ التَّركيزُ فِي منهجهم عَلَى البُعد الاجتماعي فَقطَّ عَلَى البُعد التنزيلي من التفسير.

وهكذا يُثار تجاذب هَذِهِ الجدليَّة فِي المنهج الاستنباطي فِي علم الفِقه، ولا يقتصر فِيهِ عَلَى علم التفسير، فمثلاً إذا اقتصرنا فِي علم الفِقه عَلَى عقد البيع، أو المزارعه والمُساقاه والشركة وغيرها عَلَى التَّمط القديم، فَهَذَا معناه أَنَّ الفِقه صار تراثاً تاريخياً من دون شموليه لضوابط العمومات المعاملية لماهيات المُعاملات المُستحدثه المركبه ذات الأَطوار الجديده، وَلَمْ يَكُنْ نظاماً قانونياً شمولياً للواقع المعاش والمُعاصر الرَّاهن، وما هَذَا إِلَّا عَزْلٌ للفقه عن الواقع المعاش الرَّاهن.

ونفس الكلام يَأْتِي بالنَّسبه إِلَى علم الكلام والعقائد، إِذْ مِنْ الصَّعبِ الاقتصار فِي التَّعاملِ عَلَى المصطلحات العلميَّة القديمه الَّتِي مضت عَلَيَّهَا قرونٌ مِنَ السِّنِينَ مَعَ ما عَلَيَّهِ الذَّهْيَةُ البشريَّة فِي الواقع المعاصر وما حصل فِيهِ مِنَ نضوج للمطالب العلميَّة وللمصطلحات.

ولا يفهم من هَذَا أَنَّ التَّعاملَ مَعَ المصطلحات العلميَّة القديمه مُمتنع،

وإنما لا ينبغي الاقتصار عليه من دون أن تُترجم تلك المصطلحات العلميّة القديمه بلغات عصره يسهل فهمها على الجيل الزاهن والمعاصر، إذ لكلّ زمانٍ لسانٌ، ولكلّ أوان بيانٌ، فاستعمال اللّغه العلميّه المعاصره في كلّ علمٍ وفنٍ تُسهّل وتسهّل تفهّم وتأثر الإنسان المعاصر وتجعله يتأثر ويتفاعل ويتعاطى شيئاً ملموساً، فيمكن تبيان علمٍ واحد بلغاتٍ علميّه متعدّده في عدّه علوم فيمكن قراءتها قانونياً وفقهياً وأمنياً وعسكرياً واقتصادياً وسياسياً، كما ويمكن تبيان العقائد مثلاً بلغه فقهيّه، كما استعملها النبيّ صلى الله عليه وآله «لعن الله من عمق أبويه، ولعن الله من أبق عن مواليه، ولعن الله من منع أجيراً أجرته» وهَذَا وغيره يمكن عدّه نموذجاً للإخفاق في التفسير التأويلي.

الإخفاقات التي واجهت التفسير الاجتماعي:

إنّ أكبر مشاكل التفسير ذو البعد الاجتماعي أنّها تقتصر وتنجس على معنَى الجانب التّنزيلي للقرآن الكريم ومعالجه الظواهر الاجتماعيّه بأفق معاني التّنزيل بنحو تجزيئي، وإنّ كُنّا لا ننكر أهميه وعظمه معالجه المشاكل الاجتماعيّه الزاهنه التي يُعاني منها البشر بمعاني قدسيّه تنزيليه للقرآن، إلّا أنّ هذا حلٌّ جزئيٌّ للمشكله، فالقرآن حبلٌ ممدود طرف منه عند الله، وطرف منه عند الناس، كما بينه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عند ما سأله وما الثقلين يا رسول الله؟ الثقل الأكبر: كتاب الله سبب طرفه بيدى الله، وطرف في أيديكم فاستمسكوا به ولا تفلتوا ولا تدلّوا، ألا وعترتي

وَأَنَّ الْقُرْآنَ لَهُ تَنْزِيلٌ وَهُوَ الطَّرْفُ الَّذِي عِنْدَ النَّاسِ، وَطَرَفٌ تَأْوِيلِيٌّ، وَتَرْكِيزُ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ حَبْلٌ مَمْدُودٌ يَعْنِي أَنَّ الْقُرْآنَ ذُو طَبَقَاتٍ، فَإِذَا أُرِدَتْ مُعَالَجَةُ الْمَشْكَلَةِ سِوَاءِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْقُرْآنِ، فَلَا تَقْتَصِرُ فِي حَلِّهَا عَلَى الْجَانِبِ التَّنْزِيلِيِّ بِالنَّمَطِ التَّجْزِئِيِّ، فَقَطُّ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مُلَاحَظَةِ طَبَقَاتِ جَانِبِ التَّأْوِيلِ كَذَلِكَ، أَمَّا مُلَاحَظَةُ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ دُونَ الْآخَرِ فِي حَلِّ مَشْكَلَةٍ فَهُوَ أَمْرٌ مُشْكَلٌ، وَحَلُّهُ غَيْرُ جَامِعٍ.

وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي نَهْضَةِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّعَائِرِ الْحُسَيْنِيَّةِ فَمَنْ يَسْتَعْرِضُ الْمَشَاكِلَ الرَّاهِنَةَ مِنْ دُونَ أَنْ يَقْتَبِسَ الْحُلُولَ مِنْ سَنَنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَاقِعِهِ كَرْبَلَاءَ فَهَذِهِ مُعَالَجَةٌ بَعِيدَةٌ عَنِ الرَّؤْيَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلَا يَكْتُبُ لَهَا الرِّشَادَ.

وَهَكَذَا نَفْسُ الْكَلَامِ فِي مُعَالَجَاتِ الْعُقَائِدِ وَالْفِقْهِ بَلْغَةً مُسْتَحْدَثَةً مِنْ دُونَ أَنْ يَرْبِطَهَا بِاللُّغَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَيَقْطَعُ التَّجْدِيدَ عَنِ الْأَصَالَةِ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، بَيْنَمَا هِيَ أَصَالَةٌ وَتَجْدِيدٌ؛ لِأَنَّ اللَّغَةَ الْمَعَاصِرَةَ مَهْمَا بَلَّغَتْ فِي مُعَالَجَةِ الْمَشَاكِلِ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِالضَّرُورَةِ تُوفِي بِكُلِّ الْحَقَائِقِ وَدَقَائِقِ الْمَعَارِفِ.

مَا هُوَ الْمَنْهَجُ التَّفْسِيرِيُّ الْأَمْثَلُ فِي الْأَتْبَاعِ:

وَبَعْدَ اسْتِعْرَاضِ جَانِبِ الْمَوْأَخِذَةِ عَلَى كَلَا الْمَنْهَجِينَ التَّفْسِيرِيِّينَ:

ص: ٤١٨

التأويلي وذو البعد الاجتماعي، فما هو المنهج التفسيري الأمثل في الأتباع؟

إنَّ التَّمَوِذَجَ الأمثل والمُعَالَجَه الحقيقِيه هُوَ أنْ لا نبتعد عَن التفسير ذو البعد الاجتماعي، أو التفسير التَّنزِيلِي، كَذَلِكَ لا نبتعد عَن التفسير التَّأوِيلِي، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ المنهج التفسيري الأمثل والملائم هُوَ الجمع بين المنهجين مَعَ تَفَادِي السَّلْبِيَّاتِ المَتَقَدِّمَه، لا سِيَّمَا تحت ظل نظام منهج أمومه الولايه عَلَى المَحْكَمَاتِ فضلاً عَن المُتَشَابِهَاتِ فِي القُرْآنِ الرِّبَاطِ بين التَّنزِيلِ والتَّأوِيلِ.

مقارنه المنهج التفسيري التأويلي مَعَ باقى المناهج التفسيريه الأخرى، كالتفسير الموضوعي والاجتماعي وتفسير القرآن بالقرآن، وأسباب النزول وغيرها:

مِنَ الضرورى جَدًّا بِيَان منظومه كَيْفِيه الجمع بين مناهج التفسير، وَأَمَّا بحث موضوع جهات الامتياز والاشتراك، والإيجابيات والسلبيات لِكُلِّ منهج فَلَسْنَا فِي مقام تفصيلها هُنَا حَتَّى تَبْحَثَ، وَإِنَّمَا نَحَاوِلُ تسليط الأضواء عَلَى بِيَان كَيْفِيه الجمع بين المناهج التفسيريه، كَمَا ونحاول تسليط الأضواء عَلَى دراسه أسباب العزوف عَن المنهج التفسيري التأويلي خاصه فِي القرنين الأخيرين، وهل هَذَا بمثابه رَدِّه فعل نتيجه وجود نقص فِي جانبٍ مُعَيَّنٍ مِّنَ المنهج التفسيري التأويلي، ولأجل سَدِّ هَذَا النقص وملء الفراغ صار عزوفاً عَن التفسير التَّأوِيلِي والاهتمام بغيره كالتفسير ذو البعد الاجتماعي وغيره، ولكن لا عَلَى حساب إحدَاثِ نَقْصٍ فِي جهات أُخْرَى أم ماذا؟

لَعَلَّ أَحَدَ أَهْمِ سَبَابِ قَلْبِ الْإِهْتِمَامِ بِالتَّفْسِيرِ التَّأْوِيلِي هُوَ أَنَّ الْمَوْجُودَ فِي أَغْلَبِ التَّفَاسِيرِ، بِمَا فِي ذَلِكَ تَفَاسِيرَ الْخَاصَةِ - الْإِمَامِيَّةِ - مَسَالَهُ الْإِلْحَاحِ فِي تَغْدِيهِ الْجَانِبِ الْاجْتِمَاعِي، وَمَلَأَ الْفِرَاقَ بِرُؤْيِ قَرَآئِيهِ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرَ لَا رَيْبَ فِي الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

وَهَذَا السَّبَبُ مَتِينٌ وَقَوِيمٌ إِلَّا أَنَّ الْإِبْتِعَادَ عَنِ التَّفْسِيرِ التَّأْوِيلِي بِالْمَرَّةِ يَنْتِجُ عَنْهُ إِخْفَاقَاتٌ - كَمَا مَرَّ - نَظِيرَ مَا حَدَثَ لِبَعْضِ الْمَدَارِسِ الْكَلَامِيَّةِ، بَلْ حَتَّى عِنْدَ مَشَارِبِ عَمَدِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ، فَهَنَّاكَ مَسَالِكَ مُتَعَدِّدَةً رَغْمَ أَنَّهَا مِنْ مَذْهَبٍ وَاحِدٍ، وَاخْتِلَافِ الْمَسَالِكِ لَدَيْهَا فِي تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ مَبْحَثُ حَسَّاسٍ وَخَطِيرٍ، وَكَانَتْ لَدَيْهِمْ كَثِيرًا مِنَ الْبَحُوثِ تَجْرِيدِيَّةٍ، وَلَمْ تَلْحَظْ تَدَايِعَاتِهَا عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ الْاجْتِمَاعِي، وَمِنْ ثَمَّ صَارَتْ تَجْرِيدِيَّةً، وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ يَصْنِفُهَا بِأَنَّهَا بَحُوثٌ نَظْرِيَّةٌ تَنْظِيرِيَّةٌ.

وَلِذَا لَمْ يَشْغَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَسَاحَاتَ كَثِيرَةٍ فِي مَبْحَثِ التَّوْحِيدِ إِلَّا بِمَقْدَارٍ مَا لَهُ مِنْ تَدَايِعَاتٍ مِثْلًا - عَلَى مَسْتَوَى الْبُعْدِ الْاجْتِمَاعِي، أَوِ السِّيَاسِي أَوِ التَّشْرِيْعِي وَغَيْرِهَا، وَمِنْ ثَمَّ تَنَمَّتْ سُرْعَانًا مَوَاقِفَاتٌ وَإِشْكَالَاتٌ عَلَى الْمَنْهَجِ التَّفْسِيرِي ذُو الْبُعْدِ الْاجْتِمَاعِي.

المؤاخذات التي رُصدت على المنهج التفسيري

ذو البعد الاجتماعي:

المؤاخذة الأولى: قراءه كُؤلُّ بُعِيدِ مَلِكُوتِي غِيْبِي عَقَائِدِي بِقِرَاءَةِ اجْتِمَاعِيهِ، وَلَا زِمَ هَذَا أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ بُعِيدِ غِيْبِي أَثْرٌ اجْتِمَاعِي، وَإِلَّا يَكُونُ الْبُعْدُ

الغيبى شيئاً مُبهماً ومتروكاً، ولربّما يجحدُ وينعت بأنه من القضايا السفسطيه، أو من الأسطوريات أو الخرافيات وما شاكل ذلك، كما قد تبناه جملهم منهم - والعياذ بالله -

وهكذا الحال في مباحث الرّوح وغيرها، وكيف تقرأ المباحث العقائديه الغيبية بلغته اجتماعيه محضه كعرفه الذات الإلهيه الأزليه السيرمديه وأن صفاته عين ذاته مع أن استكشاف الآثار الاجتماعيه من المباحث العقائديه لا يُصاب استقصاؤه وإن كان هناك حقيقه ارتباط جُم بين العقيدة والعقائد وتداعياتها الاجتماعيه التي لا تُحصي، إلا أن اكتشاف ذلك الارتباط بنحو كامل تام على غير المعصوم شيء في غايه الصّعبه، بل مُمتنع؛ لأنّ دين الله لا يُصاب كلّ محيطه بالعقول، فإنّ هناك أموراً لا أحد يستطيع اكتشاف بيان مدى الارتباط العميق بين البعد الغيبى والأثر الاجتماعى، إلا أن الذات المعصومه كما وردت في بيان أمثال ذلك في بيانات أهل البيت عليهم السلام، منها ما وردت في تفسير الصمد في سورة التوحيد عن الإمام (لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقيم الناس بالقسط و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس و ليعلم الله من ينصروه و رُسُلَهُ بالغيب إن الله قوى عزيز (٢٥) والشرائع من الصمد...» (١).

بتقريب: أن الإمام عليه السلام زوّده الله بقدره على أن يستخرج كل ما له ارتباط بالدين من لفظه الصمد في سورة التوحيد بما في ذلك الفروع

ص: ٤٢١

المُرتبطه بالبعد الاجتماعى وغيره، بل بما فى ذلك تداعى أى فقره فى الدين سواء كانت من الطبقة العليا أو المتوسّطه أو الدنيا مع بعضها البعض.

وهكذا قوله صلى الله عليه وآله: «إنما العلم ثلاثة؛ آيه مُحكمه، أو فريضه عادله، أو سنّه قائمه، وما خلاهن فهو فضل».

بتقريب: أن الآيه المُحكمه بلحاظ عالم الرُوح والسُنّه القائمه بلحاظ عالم الاخلاق والفريضه العادله بلحاظ عالم الفروع، وهَذَا يُدلل على أن كُل صفه أخلاقيه لها تداعيات على عمل الإنسان، وكذلك كُل عمل له تداعيات فى توليد صفات أخلاقيه لدى الإنسان، وكُل صفه أخلاقيه لدى الإنسان لها تداعيات فى توليد عقيدته ومعرفه لدى الإنسان (ثمّ كان عاقبه الذين أساؤا السُواى أن كذبوا بآيات الله) ١ .

والنتيجه من كُل هَذَا هو أن اكتشاف الصّله بين عالم الغيب والأثر الاجتماعى وغيره واقع موجود، إلّا أن اكتشافه ليس بمتناول كُل البشر إلّا المعصوم، فإنّ دين الله لا يُصاب بعقول عادى البشر، واكتشاف وارتباط الحلقات مع بعضها البعض وارتباطها بعقول ما وراءها مهمينه عَلَيْهَا ولها ارتباط لا يستطيع اكتشاف هَذَا الارتباط التّام والعميق والدقيق إلّا المعصوم.

وعدم معرفتنا بغالب الارتباط العميق لا ينفى واقع التأثير والارتباط،

فإنَّ واقع الارتباط والتأثير شيء والمعرفة شيء آخر.

وهكذا منظومه عقائد مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وَمِنْهَا ما يرتبط بشعائر سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وَالتِّي لَمْ تَتَّضِحْ كُلُّ أسرار صورتها - إلى الآن - أمام كثير من العُلَمَاءِ وذوى اللُّبِّ، حَتَّى بَعَدَ مرور ما يقرب من ال - (١٤) أربعه عشر قرناً، فَإِنْ لَمْ يَنْمُ الالتفات إلى تمام وكمال الارتباط وتداعيات منظومه عقائد مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وتأثير شعائر الإمام الحسين عليه السلام عَلَى البُعد الاجتماعي والبُعد السياسي والأخلاقي وغيرها، بَعَدَ كون كُلِّ من الكتاب وسنه المعصومين قولاً وفعلاً وتقريراً لها ظاهر وطبقات من الباطن، بَلْ وسبعين بطناً، بَلْ طبقات لا تُحصى من الباطن، وعدم علمنا بكيفية الارتباط والتأثير لا يدعو إلى التنكّر لتلك الحقيقه الدِّيْتِيه.

المؤاخذه الثانيه: تأثير البُنيه الأخلاقيه الَّتِي يدعو لها الإسلام لحلّ الأزمات الاقتصادية، وَهَذِهِ أحد الوصايا الَّتِي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وَهُوَ التزام الجانب الأخلاقي في حلّ مشاكل وعُقد الاقتصاد، فَإِنَّ الحرص والشره والتبذير والإسراف والبخل والطَّمع والاستئثار والدناءه وغيرها من الرذائل الأخلاقيه بخلاف ما يقابلها من الفضائل هِيَ في قَمَّه التأثير عَلَى البناء المعاملي والاقتصادي للبشر، يَلُ ما يجزّه الفساد الاقتصادي من تداعيات وأمواج سلبيه عَلَى الأمن والسُّلم البشري والحرب والعدوان والجنايه والتَّعدى والفاحشه والخطيئه بالغ التأثير.

ص: ٤٢٣

وهكذا تأثير ارتباط الأسره المسلمه وَالتى يدعو الإسلام إلى المُحافظه عَلَيْهَا لِأَنَّهَا لَبَنَهُ أساسِيه فى بناء مجتمع إسلامى وتزويد المجتمع بأفراد صالحين يُقَلِّل وقوع الجرائم فى المجتمع، علماً إِنَّ نظام تأسيس الأسره الصالحه الذى جذَّره الإسلام هُوَ أكبر لَبَنه فى بناء الحضاره، وما كَانَ لبشرٍ أَنْ يفهمها سِيَّما المدَّ العلمانى رغم الدِّراسات والبحوث الكثيره فى هَذَا المجال.

وَهَذَا ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «ما استفاد امرءٌ مسلم فائده بَعْدَ الإسلام، أفضل مِنْ زوجة مسلمه تُسْرُهُ إِذَا نظر إليها، وتطيعه إِذَا أمرها، وتحفظه إِذَا غاب عنها فى نفسها وماله»^(١).

إِلَّا أَنَّهُ وَالِى الآن هُنَاكَ مشاكل كثيره تواجه أصحاب المدَّ العلمانى وَلَمْ يحاولوا حَلَّهَا خاصَّه المجتمع الغربى، كمسأله تجاره الرقيق الأبيض وَالتى عالجه الإسلام وحلَّ عُقْدَهَا بحلول جذريه قبل أكثر مِنْ (١٤) أربعه عشر قَرْناً، بَلْ عَلَى العكس الآن هُمْ يحاولوا أَنْ يعتموا عَلَى هَذِهِ المسأله - الرقيق الأبيض - وغيرها لمنفعه تعود إليهم.

البُعد التَّأويلى لَهُ هيمنه محوريه

فى نظم ما دونه مِنْ طبقات البيئات والعلوم:

يتمتع كُلٌّ مِنْ المعنى التَّأويلى وَمَعْنَى الولايه بِأَنَّ لِكُلِّ منهما أمومه نظم كُلِّ معانى القرآن وأنواره وهداياته.

ص: ٤٢٤

١- (١) الكافى: ج ٥، كتاب النكاح: ب ١٩٨ مِنْ وفق لهُ الزوجه الصالحه، ص ٣٣١ ح ١. والفقيه ج ٣، باب ١١٠ ما يُستحب ويحمد مِنْ أخلاق النِّساء: ح ٧.

المؤاخذه الثالثة: إنَّ المشكله التي أبداها أصحاب المنهج التفسيري ذو البعد الاجتماعي هي تركيز النظر والرؤايه على المركز من دون الالتفات إلى شجون ومعاناه المجتمع، وهذا أشبه ما يكون بالبحث التجريدي السفسطي، نعم يوجد ارتباط بين البعد الغيبي والبعد الاجتماعي - كما مرَّ - إلا أنَّ اكتشاف تمام ذلك الربط لا يكون إلا للمعصوم.

وهكذا نموج آخر لبيان عمق الارتباط بين التفسير الاجتماعي والبعد التأييلي وهيمنه المعنى التأييلي هو مسأله حصر زكاه النقدين في الذهب والفضه وتساؤل جماعه من أنه لا معنى للحصر بهما - النقدين - وأنَّ المشرع لم لا يعمم ذلك لكل نقد، إلى أن جاء الرد على تساؤلات البعض عن طريق العاصفه المائيه التي اجتاحت الاقتصاد العالمى لأكثر من عقد من الزمان، وأغفل أن الحصر النبوى للزكاه في النقدين - الذهب والفضه - له مغزى على أساس أن التعدى في صدق النقد إلى غير الذهب والفضه كالنقد الورقى فضلاً عن الورق الالكترونى الفضافاض كبيئه خصبه للتلاعب والتمويه على الآخرين، مما يؤدى بالتالى إلى أكل المال بالباطل، ويسبب في سرقة أموال المواطنين، أو سرقة دوله مال دوله أخرى وهكذا.

إن قلت: قد يتخيل البعض إنَّ حصر زكاه النقد بالذهب والفضه بأنها أحكام زمانيه ومكانيه مضت في وقتها، وقد أكل الدهر عَليها وشرب؟

قلت: إنَّ هذا التصور ناشئ من عدم الالتفات إلى ارتباط طبقه علم التشريع مع بحث المعارف، أو أمومه الولايه، والآن تبلورت براهين تزيل مثل هذه التصورات والتخييلات، فإنَّ التشريعات القرآنيه والنبويه لا

يتصوّر فيها عدم إحاطه المشروع الإلهي بجميع الأزمنة والأمكنه، وكذلك الحال في التشريعات الولويه غير الراجعه إلى التدبير الزماني المؤقت.

وصيه منهجيه لأجل مراعه المعنى التأويلي

في كُلِّ آيات القرآن الكريم:

إنَّ المعنى التّأويلي في كُلِّ آيه هُوَ المحور الأساس، ولكن لا- يعني هَذَا إغفال لطبقات المعاني الأخرى للآيه الواجِدَه، وعدم الاهتمام بها والذي مِنْهَا المعاني التّنزيليّه، وَلَيْسَ في المسأله إفراط في كلا- الطّرفين، يَلْ هِيَ عمليه استكشاف الارتباط بين الحلقات والمنظومه مَعَ محوريّه المعنى التّأويلي كأصل تشريعي فوقى مما يكشف أنّ المعنى التّأويلي لَيْسَ معنئياً ولا ترف تخيلئى يَلْ هُوَ أصل محورى ناظم ونظم النّظام يجب اكتشافه وإن لَمْ يكن اكتشافاً تامّاً ومحيطاً، إلّا أنّ ما لا يُدرك كُله لا يترك جُله أو كُله.

وسبب التّركيز على المنهج التّأويلي الموزون بَعْدَ أهميته وخطورته البالغه هُوَ هجرانه بدرجه بالغه مِنْ التّفصير لا تتناسب مَعَ خطورته، علماً أنّه كَانَ معمولاً به عِنْدَ جُملة مِنْ أعلام القُدماء وغيرهم أمثال الشّيخ المُفيد والسّيّد المرتضى والشّيخ الطّوسى والمُحقّق الحلى - قدست أسرارهم جميعاً - وغيرهم.

لا تدافع بين آيات القرآن الكريم

تناسق وتوافق آيات القرآن وسوره:

مِمّا تَعَدَّم يُعَلِّمُ أنّه لا- تدافع بين آيات القرآن وسوره، بلْ يوجد تناسق وتوافق تامّ بنصّ القرآن الكريم (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ

مُحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ وَ أٰخَرُ مَشَابِهَاتٍ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (١).

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَقْسَمُ نَفْسَهُ إِلَى قَسْمَيْنِ: مُحَكَّمٌ وَمَشَابَهُ، بَيْنَمَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ يَصِفُ الْقُرْآنَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ كَلَّمٌ بَيِّنٌ (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) ٢ .

بتقريب: إِنَّ الْمُرَادَ الْأَعْظَمَ وَالْجَلِيَّ مِنَ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) هُمْ أَئِمَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ الْمَعْصُومِينَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِثْلَهُ، وَإِنَّمَا عِنْدَهُمُ الْقُرْآنُ كَلَّمٌ بَيِّنٌ، وَالْمِثْلُ فَهُوَ عِنْدَ غَيْرِ الْمَعْصُومِ، وَمِنْ هَذَا يُعْرَفُ أَنَّ الْخُطَابَ الْقُرْآنِيَّ عَلَى دَرَجَاتٍ.

الخطاب القرآني على درجات:

انطلاقاً مما ورد في بيانات أهل البيت عليهم السلام «إِنَّمَا يُعْرَفُ الْقُرْآنُ مَنْ خُوِّطَ بِهِ» فَإِنَّ الْخُطَابَ الْقُرْآنِيَّ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ مُتَعَدِّدٌ وَالظُّهُورُ النَّسْبِيُّ عِنْدَ عَقُولِ الْبَشَرِ الْمُخَاطَبِينَ مُتَفَاوِتٌ، فَإِنَّ بَعْضَ عَقُولِ الْبَشَرِ يَكُونُ خُطَابَ الْقُرْآنِ فِي حَقِّهَا كَلَّمٌ جَلِيٌّ وَبَيِّنٌ، فَأُمْتِثَالٌ هَؤُلَاءِ لَا- مَحَالَهُ مَخَاطَبُونَ بِكُلِّ مَرَاتِبِ الْقُرْآنِ، بِخِلَافِ مَنْ يَكُونُ خُطَابَ الْقُرْآنِ فِي حَقِّهِ مُجْمَلًا وَغَيْرَ بَيِّنٍ، فَيَكُونُ خُطَابَهُ لَهُ بِالظَّاهِرِ، أَوْ يُخَاطَبُ بِمَا هُوَ مُقَدَّرٌ لَهُ وَلَوْ بِالسَّعْيِ لَكِي يَشْمَلُ الْمُفَصَّرَ، وَهَذَا خَيْرٌ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ خُطَابَ الْقُرْآنِ عَلَى دَرَجَاتٍ وَطَبَقَاتٍ.

ص: ٤٢٧

١- (١) سورة آل عمران: الآية ٧.

ولا- يتوهم أنّ القرآن بكلّ طبقاته وبطونه وأسراره خُوطِبَ به الكل، وليس هَذَا إفراطٌ في القول، ومن ثمّ اعترف المُفسِّرون من الفريقين أنّ القرآن له نزولان:

نُزولٌ نجومى: نزل به جبرئيل وهو نزول مُتفرِّقٌ بحسب أزمان أسباب النُّزول.

ونُزولٌ دفعى جُملى: لحقائق القرآن، ولم يكن لجبرئيل عليه السلام فيه وساطه، يَلُ مرتبه - حقائق القرآن - أعلى من توسط جبرائيل عليه السلام وأنّ أهل البيت عليهم السلام ممّن اختصّ بخطاب طبقات حقائق القرآن في النُّزول الحقائقى الجُملى الدُفعى.

المعاني التأويلية والتنزيلية على طبقات

الظهور على طبقات ودرجات:

يُعلم ممّا تقدّم أنّ تعدّد الظهور ليس بالأمر الغريب، بل هو من لدن عليم حكيم طبق موازين يقدر علىّها من يملك سعه وعاء الرُّوح والقلب والنُّفوس والعقل بالعلم، وأنّها تزداد كلّما تزيد فيه، بحسب قدره الإنسان وبسعه وعائه لتحتمل العلم، وهكذا المعاني التّأويلية هي الأخرى على طبقات ووفق ضوابط وموازن، وبحسب قدره على الأخذ منها وبسعه وعائه لتحتمل العلم، وعلىّها فإنّ كلاً من المعاني التّأويلية والتنزيلية ليست خارجه عن موازين الأدلّه أبداً، بل داخله لكنّ غايه الأمر يحتاج إلى سعى علمى للفحص عن تلك الموازين الموجوده، إلّا أنّ الفحص غالباً غير متوفّر؛ لا أنّ الموازين غير موجوده، وهُنّاك فرق بين عدم وجود الميزان والطريق لحل تلك المسأله والمشكله في علم من العلوم، وبين الفحص

واكتشاف ذلك الطريق، وفي العلوم الحديثه الآن وَبَعْدَ السَّعَى والفحص اكتشفت الحل في جُمله من الموارد الذي كَانَ مجهولاً، وبالتالي فَإِنَّ الطريق موجود إِلَّا أَنَّهُ مجهول، وَعَلَيْهِ فَهُنَاكَ فرقٌ بين المقولتين والتصورين بين القول أَنَّ الطريق أصلاً غير موجود ثم وَجِدَ، وَهَذَا ما يُعَبَّرُ عَنْهُ بالمصطلح بالاختراع، وبين الطريق موجود غايه الأمر هُوَ مجهول ويحتاج إلى سعى وفحص علمي حَتَّى يكتشف، وَهَذَا ما يُسَمَّى بالمصطلح بالاكشاف.

وَهَذَا نظير المعجزه الَّتِي يَكُون لها طرقٌ وأسبابٌ لَكِنَّهَا مجهوله ولا يستطيع أحدٌ اكتشاف أسبابها إِلَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صاحب المعجزه وغيره لا يستطيع وإن كَانَ نبياً.

وبالتالي فَإِنَّ الأسباب إلى الاكتشاف يجب أَنْ تقع ضمن موازين وضوابط مُعَيَّنَه، وبالتالي فَإِنَّ ما يكتشف من طبقات الظهور لدى الأجيال العلميه اللاحقه لَيْسَ وليد تَكْوَن السَّاعه، بَلْ هُوَ مُتَقَرَّرٌ فِي شُؤن طبقات معاني الألفاظ وتركيباتها وَإِنَّمَا اكتشفت بَعْدَ ذَلِكَ.

كَذَلِكَ الحال بالنسبه إلى المعنى التَّأويلي فَإِنَّهُ طيله القرون الأثنى عشر الماضيه كَانَتْ المدارس الإسلاميه توجه الطعن إلى منهج مدرسه أهل البيت عليهم السلام بأنه منهج باطنى، الآن وَبَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا الباطن الذي كَانَ يُطعن به عَلَى منهج مدرسه أهل البيت عليهم السلام وَأَنَّهُ مَثَلُهُ ونقصُ تَبَيَّنَ أَنَّهُ شموخ عظمه وبنیان عملاق، وَعَلَيْهِ فَلَا بُدَّ مِنَ الالتفات إلى جُمله موارد: -

مِنْهَا: تعدد القراءات.

وَمِنْهَا: الالتفات إلى وجود مَعْنَى تأويلي وبتون وتنزيل وظهور،

وَمِنْ خِلالِ هَذا كُلِّهِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ التَّعَدُّدَ فِي طَبَقَاتِ المَعانِي لَهُ نِظامٌ وَمِوازِينٌ اِكتِشافها مِنْ اِكتِشافِ، وَقَدْ بَيَّنَّ أَهْلُ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ طَرِيقَها - إِلاَّ أَنَّهُ كَمَا تَقَدَّمَ - غايَةُ الأَمْرِ قِدراتُ الباحِثِينَ مِثْقالَهُ فِي اِكتِشافِ تلكِ الطَّرَفِ الَّتِي بَيَّنَّها أَهْلُ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمِنْ قَبْلِهِمُ القُرْآنُ، وَهَذا يَحْتَاجُ إِلى تَظاْفِرِ جِهودِ أَجْيالٍ مِنَ البِشْرِ جِيالاً بَعْدَ جِيلٍ، والسَّابِقُ مِنْهُمُ يُمَهِّدُ لِلاحِقِ وَيَتَحَمَّلُ جِزءاً مِنَ مَسْئولِيَةِ الاِكتِشافِ كَذلكَ فِي المَعْنى التَّأويلِي.

التأويل منهج قرآنى عظيم، والمعنى التأويلى هو الأم

الآيه الواحده من آيات القرآن فيها درجات من الظهور:

تَمَتَّعَ الآيَةُ الواحِدَةُ مِنَ آيَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ بِدرجاتِ ظُهورٍ ومُحورِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وكَذلكِ المَعْنى التَّأويلِي لَيْسَ مُجَرَّدَ سَعَةٍ وَتَعَدُّدِ مِوازِينٍ، وَإِنَّمَا الأُمومَةُ والمُحورِيَّةُ والمَركَزِيَّةُ للمَعْنى التَّأويلِي؛ لِأَنَّ المَعْنى التَّأويلِي مَشىءٌ، والمَعْنى التَّنزيلِي مُحورِيٌّ مَركَزِيٌّ، كَمَا هُوَ مَبْنى جُمْلَةٍ مِنَ أعلامِ العَصْرِ (1) بَينما العَكسُ هُوَ الصَّحِيحُ الَّذى تَبَيَّنَّاهُ فِي مَنهجنا التَّفْسِيرِي المُخْتارِ أُمومَةُ الوِلايَةِ عَلَيَّ المُحَكِّماتِ فِي القُرْآنِ فَضلاً عَنِ المُتَشابِهاَتِ، مِنْ أَنَّ المَعْنى التَّأويلِي كَلِّما اِزْدادَ خِفاءً وَغُموضاً كَلِّما اِزْدادَ مُحورِيَّةً وَأُمومَةً وَمَركَزِيَّةً، وَهُوَ المُحورُ وَيُعْرَضُ عَلَيْهِ لا العَكسُ، وَهَذا مَنهجُ قُرْآنِي عَظيم.

نعم، المعنى التَّنزيلِي حبل ممدود طرف منه عِنْدَ النَّاسِ وَمُرْتَبطٌ بِطَبَقاتِ المَعانِي التَّأويلِيَّةِ والحِقايقِ الَّتِي هِيَ طَرَفٌ عِنْدَ اللهِ، وَمَعْنَى مَمْدودِ أَيْ غَيْرِ مُتَناهِى،

ص: ٤٣٠

١- (١) كَالسَّيِّدِ مُحَمَّدِ حَسِينِ الطَّباطِبائِي رَحِمَهُ اللهُ، صَاحِبِ تَفْسِيرِ المِيزانِ فِي القُرْآنِ، وَالسَّيِّدِ الخَوَئِي رَحِمَهُ اللهُ فِي البَيانِ، وَالسَّيِّدِ عَبْدِالأَعلى السَّبزواری رَحِمَهُ اللهُ فِي مواهبِ الرَحْمَنِ وَ... الخ.

والمعنى التنزيلي هُوَ الفرع والظهر والمعنى النازل، بخلاف المعنى التأويلي الذي هو الأُم والمحور والبطن، كَمَا قَالَ الإمام الصَّادق عليه السلام لهيثم التميمي: «يا هيثم أَنَّ قومًا آمنوا بِالظَّاهر وكفروا بِالْبَاطن فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا وَجَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِهِمْ فَأَمَنُوا بِالْبَاطن وكفروا بِالظَّاهر فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَلَا إِيمَانٌ بِظَاهِرٍ إِلَّا بِبَاطِنٍ وَلَا بِبَاطِنٍ إِلَّا بِظَاهِرٍ»(١).

بتقريب: أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي كُلِّ عِلْمٍ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، وَأَنَّ الْبَطْنَ وَالْبَاطِنَ هُوَ الْأَصْلُ.

أسباب التأكيد والتركيـز على طبقات المعنى التأويلي

ومحوريته في علم التفسير:

إِنَّ أَحَدَ أَهْمِ سَبَابِ التَّرْكِيزِ عَلَى الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّةِ وَأَهْمِيَّتِهِ وَهَيْمَنَتِهِ وَمُرْكَزِيَّتِهِ بِنَاءً عَلَى التَّوَصِيهِ الْأَكِيدِهِ فِي بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَقَبْلَهَا بَيَانَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنَ التَّأَكِيدِ عَلَى الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّةِ، مُضَافًا إِلَى سَبَابٍ أُخْرَى:

مِنْهَا: إِنَّ نَظْرَهُ بَعْضَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْبَاحِثِينَ غَيْرِ وَاقْعِيهِ عَنِ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّةِ فِي الْمَنْهَجِ التَّفْسِيرِيِّ، وَالْوَاقِعِ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى الْعَكْسِ تَمَامًا، فَإِنَّ الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةَ عَنِ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي خُصُوصِ بَيَانِ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّةِ هِيَ عَلَى مَوَازِينِ وَضُوَابِطٍ - كَمَا مَرَّ - اِكْتِشْفَاهَا مِنْ اِكْتِشْفِ، وَالتَّعْبِيرِ عَنِ ذَلِكَ فِي الْمَصْطَلَحِ الْأُصُولِيِّ تَعَبُّدًا ظَنِّيًّا يَعْنِي إِدْرَاكَ أَجْمَالِيٍّ مَبْهَمٍ، أَيْ لَمْ يَسْتَطِعْ إِدْرَاكَ تَفْصِيلِ الْحَالِ، وَكَيْسَ هَذَا فَقَطَّ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ، بَلْ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ

ص: ٤٣١

الأخرى كعلم العقائد والفقه والحديث وغيرها، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ إدراك فَهْمُ متن الحديث بلغه العلم الَّتِي يذُكرها متن الحديث هِيَ علم تفصيلي بمتنه ومضمونه وَهُوَ ما يُسَمَّى بدرايه الحديث، وَكَمَا وَرَدَ فِي بيانات أهل البيت عليهم السلام عَنِ الإمام الصَّادق عليه السلام: «حديث تدريبه خيرٌ مِنْ ألف حديث ترويه، ولا يَكُون الرَّجُلُ منكم فقيهاً حَتَّى يَعْرِفَ معارِضَ كلامنا، وَأَنَّ الكلمه مِنْ كلامنا لتنصرفَ عَلَيَّ سبعينَ وجهاً لَنَا مِنْ جميعها المخرج»(١).

أما اعتبار السُّنَد - سند الحديث - فَقَطْ فَإِنَّ هَذَا منهج إبهامى إجمالى فى معرفه الحديث، وَهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بروايه الحديث لا درايتيه، وأين مرتبه الظن والمُبهم الإجمالى مِنْ مرتبه اليقين والعلم التفصيلي فهل يستويان فى المرتبه أم لا؟.

نموذجُ تطبيقى للمعنى التأويلي

التأويل مرتبه مِنْ مراتب الظهور:

قوله تَعَالَى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) (٢).

فَإِنَّ جُمْلَه مِنْ الروايات الوارده عَنْ أئمه أهل البيت عليهم السلام فى تفسير هَذِهِ الآيه المُباركه - وَالَّتِي هِيَ وصيه مِنْ وصايا البارى عَزَّ وَجَلَّ لبنى إسرائيل - تدلُّ عَلَى أَنَّ تفسير الصَّبْر هُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله، وَالصَّلَاة هِيَ ولايه أمير المؤمنين عليه السلام، أو الولايه فتشمل الأئمه عليهم السلام.

ص: ٤٣٢

١- (١) معانى الأخبار للصدوق، الكافي للكليني: ج ٨، خاتمه المُستدرَك للمحدِّث النورى: ج ١.

٢- (٢) سورة البقره: الآيه ٤٥.

وإنَّ كَمَانَ الغالبِ فِي منهجِ جملةِ مِنَ المُفسِّرينِ يتعاطى مَعَ الرُّواياتِ الَّتِي تُبدي معاني خفيَّةٍ أو باطنه الخفاءَ للآياتِ أَنَّها معاني تأويليَّةٍ محضه، أو تطبيقيَّةٍ وليست معاني مرتبطة بشؤونِ قلبِ الظهورِ للآيةِ.

إلْفَاتِ نظر: إنَّ تأويلِ الصَّبْرِ فِي الآيهِ المُباركةِ برسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله الذى يعنى قوَّةَ التَّحملِ لا يعنى هَرِذاً تركَ مَعْنَى الصَّلَاةِ المُتبادرِ إليه فِي الذَّهنِ، ولا تركَ مَعْنَى الصَّبْرِ المُتبادرِ إليه فِي الذَّهنِ، ولا نعنى بذلكَ تركَ البحثِ عَن كيفيةِ ملاحظتها المعاني وكيفيةِ ملاءمتها واثتلافها مَعَ هَذَا المعنى التَّأويليِّ.

إنَّ قُلْتُ: ما هِيَ الشُّواهدُ عَلَى تفسيرِ الصَّبْرِ برسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله فِي الآيهِ، وَالصَّلَاةِ بالولايةِ؟

قُلْتُ: هُنَاكَ قَاعِدَةٌ تَقَدَّمَ بِحِثِّهَا(1) [أخذ الغاياتِ واطرک المبادئ]، أو أَنَّ الألفاظَ موضوعه لأرواحِ المعاني، بتقريب: إنَّ الصَّبْرَ فِيهِ خاصيَّةٌ قدره تحمُّلٌ رؤيه إجماليه للغيب بلحاظ غايه مُعيَّنه ورجاء، وبِهَذَا يفترق مَعْنَى الصَّبْرِ عَن مَعْنَى اليأسِ وَقَدْ حصل فِيهِ خلطٌ والتباسٌ لدى الكثيرِ فِي التفريقِ بينهما فَإِنَّ اليأسَ فِيهِ نمطٌ مِنَ التجرُّعِ الرُّوحى إِلَّا أَنَّهُ لا بلحاظ غايه مُعيَّنه ورجاء.

مُضَافاً إِلَى ما وَرَدَ فِي زياره النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وآله إِلَى أَنَّ صَبْرَهُ صلى اللهُ عليه وآله أَعْظَمُ - مِنْ صَبْرِ عَلَى، وَصَبْرَ عَلَى أَعْظَمُ مِنْ صَبْرِ فَاطِمَةَ، وَأَنَّ صَبْرَ فَاطِمَةَ أَعْظَمُ مِنْ صَبْرِ الحَسَنِ والحَسَنِ عليهما السلام، وَصَبْرَ الحَسَنِينِ أَعْظَمُ مِنْ صَبْرِ الأئمَّةِ عليهم السلامِ وَبالتالى فَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَى درجات.

ص: ٤٣٣

١- (١) الجزء الأول مِنْ تفسيرِ أمومه الولايةِ والمُحكِّماتِ فِي القرآنِ للشيخِ السند.

ثُمَّ إِنَّ لِكُلِّ آيَةٍ مِنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ لَهَا طَبَقَاتٌ مِنَ الْمَعَانِي حَتَّى تَصِلَ إِلَى الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا التَّعَدُّدُ فِي الطَّبَقَاتِ حُصُولُ تَدَافُعٍ أَوْ تَنَاقُضٍ بَيْنَ كَوْنِ الْآيَةِ وَاحِدَةً، وَبَيْنَ تَكْثُرِ وَتَعَدُّدِ مَعَانِي الْآيَةِ الْوَاحِدَةِ.

وَقَدْ يَعْتَرِضُ: أَوَّلِيْسَ هَذَا تَلَاعِبٌ بِقَوَاعِدِ اللَّغَةِ وَعِلْمِ الْأَدَبِ وَغَيْرِهَا؟

وَيُجَابُ: إِنَّهُ دِقَّةٌ وَمَتَانَةٌ فِي تَطْبِيقِ تِلْكَ الْقَوَاعِدِ (١) عَلَى مَا سَيَتَّضِحُ خِلَالَ الْبَحْثِ، وَبِالتَّالِيِ يُمْكِنُ الْحُكْمُ بِالصَّحْحَةِ سِوَاءَ كَانِ الظُّهُورُ نَسْبِيًّا أَوْ لَا.

وَقَدْ يَعْتَرِضُ: إِنَّ الْمَقْرُرَ فِي الظُّهُورِ ثَابِتٌ وَمَطْلُوقٌ لِلْجَمِيعِ، وَلَيْسَ نَسْبِيًّا لِبَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ، فَكَيْفَ يَحْكُمُ بِصَحْحَةِ الْمَعْنَى التَّأْوِيلِيَّ بِحَسَبِ ظُهُورِ الْكَلَامِ.

وَيُجَابُ: الْحُكْمُ بِالصَّحْحَةِ مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَرَاتِبَ الْأَوَّلِيَّةَ مِنَ الظُّهُورِ وَاضِحَةٌ، فَهُوَ لَيْسَ نَسْبِيًّا بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْآيَاتِ وَالرُّوَايَاتِ، وَإِلَى طَرَفٍ دُونَ طَرَفٍ، وَأَمَّا كَوْنُ الظُّهُورِ نَسْبِيًّا أَيْ أَنَّ الْاِلْتِفَاتِ وَقَدْرَهُ الْفَهْمِ وَالْوَصُولِ إِلَى الْمَرَاتِبِ الْخَفِيَّةِ مِنْ مَعَانِي الْآيَاتِ وَالرُّوَايَاتِ فَإِنَّهَا - أَيْ الْقَدْرَهُ وَالْفَهْمَ - نَسْبِيَّةٌ، وَأَمَّا نَفْسُ الْمَعَانِي وَالْمَوَازِينِ التَّرْكِيبِيَّةِ الْمَوْصِيَّةِ إِلَيْهَا فَهِيَ ثَابِتَةٌ وَمُطْلَقَةٌ، وَلَيْسَتْ نَسْبِيَّةً، وَيَتَوَسَّطُ إِلَيْهَا بِالْمَوَازِينِ فَهِيَ جَلِيَّةٌ وَاضِحَةٌ وَظَاهِرَةٌ لِبَعْضٍ مِنْ عِنْدِهِ قَدْرَهُ، وَخَفِيَّةٌ عَنْ بَعْضٍ آخَرَ.

ص: ٤٣٤

١- (١) وَالَّتِي تَقَدَّمَ بَحْثُ قِسْمِ مِنْهَا الْجِزءِ الْأَوَّلِ مِنْ تَفْسِيرِ أُمُومَةِ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمُحْكَمَاتِ - فَضلاً عَنْ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ السَّنْدِ.

ولست من السفسطه كما تخيله البعض:

تنبيه: إن الحكم بالصيحه سواء كان الظهور نسبياً أو لا، فهذا شأن لا يختص بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وبيانات أئمه أهل البيت عليهم السلام فحسب، بل هو شأن كل العلوم التي يتعاطاها البشر سواء علم الفيزياء، أو علم الرياضيات وغيرها، فإنه في كل علم تجد طبقه مبدئه وظاهره عند الجميع، وهناك كذلك طبقات غير مبدئه ونسبيه، فإحاطه طبقه الأعلى من كل علم تختلف عن إحاطه طبقه المتوسطه وما دونها.

وهكذا الكلام بالنسبه إلى علم اللغه، فإنه توجد ثله من علماء أي لغه يدركون ما لا يدركه الآخرون، فالأمر بالنسبه للذين يدركون جلتي وواضح، ولغيرهم خفي.

مضافاً إلى أن جلاء هذا المطلب عند النوايح من ذلك العلم كعلم الرياضيات والفيزياء وغيرها لا يززع حقايقه النتيجة الرياضيه أو الفيزيائيه التي يكتشفونها، وهكذا خفاؤه عند الكثيرين لا يززع حقايقه النتيجة التي يكتشفها الرواد القادرون، وليس هذا الكلام من قسم السفسطه، فإن نظام النسبه والنسبيه في قدره البشر ودرجات فهمه، ودرجات قابليه إدراكه لا في الموازين نفسها، وإنما الظهور مبتن على ضوابط وموازن، فإن القدره بين عقول البشر متفاوتة، فواقع الصيرح العلمى ثابت حقيقى، لا كما قد يتخيله البعض من الحداثيين، أو أصحاب مسلك القراءات والفلسفات الألسنيه الحديثه منها والقديمه، من أن النسبيه سفسطيه ولا واقع علمى

لها، فالامر ليس كما تخيلوه، فإن واقع الصِّرح العلمى أمرٌ ثابتٌ فى الواقع، ولكن القدرات التى أودعها الله تعالى فى عقول البشر متفاوتة ومختلفة باختلاف قدرات البشر، ولذا نشأت مسأله أن ظهور النتائج أمرٌ نسبى عند بعض، وجلّى عند آخرين فى كل علم من العلوم.

تساؤل: هل أن هذا التأويل للآيه المباركه

بعيد عن الظهور أو لا؟

والإجابة عن هَذَا التساؤل على منهجنا التفسيري المختار فى الظهور والتأويل تختلف عن مسلك الأعلام، ومنهم السيّد العلامة مُحَمَّد حسين الطباطبائى + فعلى مسلكهم يكون تأويل الآيه بعيد ظنى، وعلى مسلكنا المختار فى التأويل وأن التأويل هو أحد مراتب الظهور، يَل التأويل هو المغزى للظهور ولَبُّ لبابه، وهو المراد الأسمى من الظهور، وهَذَا ما غفل عنه جُمله من أعلام المُفسِّرين، وغفلوا كذلك عن أن التأويل كلما ازداد بطوناً كلما كان هو المعنى الأسمى الأساس من غايات كلام المتكلم، والذى لأجله تكلم حتى يصل إلى تلك الغايه النهائيه والمراد الجدّى، ومداعبه ذهن السامع بتصورات ويحسسه بمشاعره تفهيميه حتى يصل إلى المعنى النهائى الذى هو أعظم من كل مراد، وليس مراد المتكلم الوصول إلى غايه متوسطه.

وعليه فإن التأويل بحق هو من مُحكم المُحكّمات فى القرآن الكريم، ولا ينحصر المُحكّم فى القرآن الكريم بخصوص التنزيل.

وبعد أن عرفنا أهميه ومركزيه التأويل وأنه لُبُّ اللباب وغايه الغايات فكيف نجعله بعيداً عن شؤون الدلاله والكلام.

وخير شاهدٍ على ذلك ما ذكره الإمام الكاظم عليه السلام في روايه.. عن يعقوب بن جعفر، قال كنت عند أبي إبراهيم عليه السلام وأتاه رجلٌ من أهل نجران اليمن من الرهبان، فقال لي: وهل تعرف بين المقدس؟ قلت: لا أعرف إلا بيت المقدس الذي بالشام؟ قال: ليس بيت المقدس ولكنه البيت المقدس، وهو بيت آل محمد صلى الله عليه وآله، فقلت له: أمّا ما سمعته به إلى يومى هذا فهو بيت المقدس، فقال لي: تلك محاريب الأنبياء، وإنما كان يُقال لها: حضيره المحاريب (١).

بتقريب: إنّه من خلال جواب الإمام الكاظم عليه السلام قُرت قاعده مُهمّه وحيويّه، وهى: «أنّ القرآن الكريم أو الكتب السماويه المنزله، الظهر منها فى شىء، والبطن فى شىء آخر، وهو أنّ البطن يؤول كُله بمُحمّد وآل مُحمّد صلى الله عليه وآله وهو المغزى وغايه الغيات» وهكذا ما جاء فى روايه مسعده بن صدقه عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب عليّها يستدير محكم القرآن وبها نوهت الكتب ويستبين الإيمان» (٢).

هَذَا وغيره يكشف عن محورِيّه ومركزِيّه التّأويل، ولابدّ أن نتعامل مع الرّوايات التّأويلِيّه أنّها محورِيّه وليست هامشيّه، وأنّ ذلك المعنى التّنزيليّ ظلّيّ تبعي للمعنى التّأويليّ ثبوتاً وإنّ كان إثباتاً المعنى التّنزيليّ طريق للوصول إلى المعنى التّأويليّ، وهَذَا هو الذى نتبناه، وهو مختارنا، على عكس

ص: ٤٣٧

-
- ١- (١) أصول الكافي للكلينى: ج ١، ص ٥٥٤ ح ٥، باب ١٧٧ مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام.
 - ٢- (٢) تفسير العياشى: ج ١، ص ٧٨ ح ٨.

تنقيح التاريخ مِنْ خلال الكتاب والسنة:

تَقَدَّمَ فِي أبحاث سابقه فِي تأريخ أسباب التُّزول، إِنَّهُ إِذَا أردنا معرفه مصير الأُمَّة الإِسْلامِيَّة وَهُدَاها وصراطها، فيجب أَنْ نعتبر بما جرى مِنْ سنن إلهيَّة، وما ذكره القرآن الكريم مِنْ الملاجم عَنْ بنى إِسرائيل وغيرهم مِنْ سائر الأمم والأقوام السَّابِقة هِيَ سنن إلهيَّة بعينها جرت فِي هَذِهِ الأُمَّة الإِسْلامِيَّة، وَيَكُون عِبْرَةً وَعِظَةً لها.

فهرس الموضوعات

هويه الكتاب ٤

القاعده الثامنه ٥

القاعده الثامنه ٧

أسباب النزول قاعده تفسيريه ٧

أسباب النزول بمثابه القرينه اللفظيه المقاميه ١٩

تنبيهان ٣٣

الوجه البلاغيه لاستعمال كل كلمه ٤٣

الترتيب داخل الآيه الواحده ٤٧

ليس المراد من ترتيب السور ترتيبها حسب ما أنزل ٤٩

التاريخ وطمس وتحريف الوقائع ٥٧

تصوير المشهد الثالث من معركه أحد ٦٧

تنقيح حقائق تاريخ الإسلام والسيره النبويه ٧٩

لماذا تُعَيَّبُ أسباب النزول ٨٤

كيف نقرأ السيره النبويه والولويه والتاريخ ٨٧

ارتباط قاعده أسباب النزول بقاعده ترتيب آيات القرآن الكريم ٩١

ص: ٤٣٩

فى السوره الواحده فضلاً عن سائر سوره ٩١

التأريخ يحتاج إلى آلات متعدده لتمحيصه ٩٥

نظريه الشورى وارتباطها بغزوه أحد ٩٧

أمثله وشواهد قرآنيه ١١١

محكمات القرآن والسنة والعقل والوجدان ١٢٧

أسباب النصر لا تقتصر على الجانب المادى ١٤١

الميزان والمدار فى نجاح الخطاب القرآنى ١٤٥

قاعده الشورى قاعده فقهيه وسياسيه وعقائديه ١٨٧

تحريف أسماء سور القرآن ٢٩١

أسباب النزول والتنزيل والتأويل ٣٣٩

نزول القرآن جمله ونجوما لا ينحصر بعمليه ٣٧١

القرآن الكريم نظام تكوينى حقائقى ٣٨٩

القاعده التاسعه ٣٩٩

قابليه ظهور الكلام الواحد للتعدد والتكثير ٣٩٩

فهرس الموضوعات ٤٣٩

ص: ٤٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩